بوقاريكه كوزدندر

الجلد الاول من تفسير ابن عطية

ع ٢٣

۱۱۹

١١٩

١١٢

الجزء الاول

من تفسير العلامة

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتأمل
حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

تفسير شريف

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
قال الفقيه الحافظ القاضي ابو محمد عبد الحق ابن
الفقيه الحافظ الامام ابي بكر بن عطية رضي الله عنهما
الحمد لله الذي برا النسم وافاض النعم ومنح القسم وسير من
توحيده وعبادته العصم سبحانه العزة الفاخرة والقدرة والالاء
المتظاهرة الذي اوجدنا بعد العدم وجعلنا الخيار الوسط في
الامم وخولنا عوارف لا تحصى وهدانا لشريعة رمت بنا من
رضوانه الى الغرض الاقصى انزل الينا القران العزيز وعد فيه وبشر
واوعد وحذر ونهى وامر واكمل فيه الدين وجعله الوسيلة
الناجحة والحبل المتين ويسره للذكر وخلده غابر الدهر عصمة
للمعتصمين ونورا صادعا في مشكلات المختصمين وحجة قائمة على
العالمين ودعوة شاملة لفرق بني ادم كلامه الذي اعجز الفصحا
واخرس البلغا وشرف العلما له الحمد دائما والشكر ولا اله الا
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وافضل الصلاة والتسليم على محمد رسوله
الكريم صفوته من العباد وشفيع الخلائق في المعاد صاحب المقام
المحمود والحوض المورود والناهض باعباء الرسالة والتبليغ الاعظم
والمخصوص بشرف السعاية في الصلاح الاعظم صلى الله عليه وعلى
اله صلاة مستمرة الدوام جديدة على مر الليالي والايام وبعد
ارشدنا الله واياك فاني لما رايت العلوم فنونا وحديث
المعارف شجونا وسلكت فاذا هي اودية ولكل للسلف
مقامات حسان واندية رايت ان الوجه لمن تشوف للتحصيل
وعزم على الوصول ان ياخذ من كل علم طرفا خيارا ولكن يذوق النوم
مع ذلك الا غرارا ولن يرتقي هذا المجد حتى ينضي مطايا الاجتهاد

ويصل

ويصل التاويب بالاساد ويطعم الصبر ويكتسي عرقا الى ان
ابتهج بفضل الله علي وخرق من ذلك ما قسم لي ثم رايت ان من
الواجب على من احتبى وتخير في العلوم واحتبى الى ان يعتمد على
علم من علوم الشرع يستنفد فيه غاية الوسع يجوب افاقه ويتبع
اعماقه ويضبط اصوله ويحكم فصوله ويلخص ما هو منه او يؤول اليه
ويفي بدفع الاعتراضات عليه حتى يكون لاهل ذلك العلم كالحصن
المشيد والذخر العتيد يستندون الى اقواله ويحتذون على مثاله
فلما اردت ان اختار لنفسي وانظر في علم اعد انواره لظلم رمسي سبرتها
بالتنويع والتقسيم وعلمت ان شرف العلم على قدر المعلوم فوجدت
امتنها حبالا وارسخها جبالا واجملها اثارا واسطعها انوارا علم
كتاب الله جلت قدرته وتقدست اسماؤه الذي لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي استقل
بالسنة والفرض ونزل به امين السماء الى امين الارض هو العلم الذي
جعل للشرع قواما واستعمل ساير المعارف خداما منه تاخذ
مباديها وبه تعتبر نواشيها فما وافقه منها نصع وما خالفه رفض
ودفع فهو عنصرها النمير وسراجها الوهاج وقمرها المنير واتقنت
اذا اعظم العلوم تقربا الى الله تعالى وتخليصها للنيات ونهيا
من الباطل وحضا على الصالحات اذ ليس من علوم الدنيا فيختل
حامله من منازلها صيدا او يمشي في التلطف لها رويدا ورجوت
ان الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرت اكثر عمره معانيه
ولسانا مرن على اياته ومثانيه ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه
وجالت سوقها في ميادينه ومغانيه فثنيت اليه عنان النظر واقطعته
جانب الفكر وجعلته فائدة العمر وما وريت علم الله الاعراض ول

حسب ما بكم في هذه الدار من سغوب ونمس من لغوب او احسن
لعهد بنصب من ساير المعارف فلما سلكت سبيله بفضل الله ذللا
وبلغت من اطراد الفهم فيه املا رايت ان نكته وفوايده تعلق فوت
الحفظ وتقدح وسع من يروم تقييدها في فكره وتبرح وانما
قد احدث بحفظها من النقل فهي سقطي من الصدر ونقص الاكثر من العقل
قال الله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال المفسرون
علم معانيه والعمل بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم
بالكتاب فرغبت الى تعليق ما يتخيل لي في المناظرة من علم التفسير
وترتيب المعاني وقصدت فيه ان يكون جامعا وجيزا محررا لا اذكر
من القصص الا ما لا تنفك الاية الا به واثبت اقوال العلما في المعاني
منسوبة اليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله
تعالى من مقاصده العربية السليمة من الحاد اهل القول بالرموز
واللغز واهل القول بعلم الباطن وغيرهم عليه وسردت التفسير
في هذا التعليق حسب رتبة الفاظ الاية من حكم او نحو او لغة او معنى
او قراءة وقصدت تتبع الالفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين
ورايت ان تصنيف التفسير كما صنع المهدوي رحمه الله مفرق النظر
مشعب للفكر وقصدت ايراد جميع القراات مستعملها وشاذها
واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الالفاظ كل ذلك حسب
جهدي وما انتهى الى علمه وعلى غاية من الايجاز وحذف فضول القول
وانا اسال الله جلت قدرته ان يجعل ذلك كله لوجهه وان يبارك
فيه وينفع به وانا وان كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب
كثيرا من علم التفسير وحملت خواطري فيه على التعب الخطير وعمرت
به زمني واستفرغت فيه منتي اذ كتاب الله تعالى لا يتفسر الا بتصريف

جميع

جميع العلوم فيه وجعلته ثمرة وجودي ونخبة مجهودي ٥
فليستصوب للمرء اجتهاده وليعذر في تقصيره وخطايه وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولنقدم بين يدي القول في التفسير اشيا قد قدم
اكثرها المفسرون واشيا ينبغي ان تكون راسخة في حفظ الناظر
في هذا العلم مجتمعة لذهنه ◉

باب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ونبهاء العلما في فضل القران المجيد وصورة الاعتصام به

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ستكون فتن كقطع الليل
المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى
فيه نبا من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس
بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو
حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ
به الاهوا ولا تتشعب معه الارا ولا يشبع منه العلما ولا يمله الاتقيا
من علم علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم
به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال انس بن مالك في تفسير قوله
فقد استمسك بالعروة الوثقى قال هي القران وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران وقال
عليه السلام اتلوا هذا القران فان الله ياجركم بالحرف منه عشر
حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف
والميم حرف وروي عنه عليه السلام انه قال في اخر خطبة
خطبها وهو مريض ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين انه لن تعمى
ابصاركم ولن تضل قلوبكم ولن تزل اقدامكم ولن تقصر ايديكم كتاب الله
سبب بينكم وبينه طرفه بيده وطرفه بايديكم فاعملوا بمحكمه

وامنوا بمتشابهه واحلوا حلاله وحرموا حرامه الا وعترتي
واهل بيتي هو الثقل الاخر ولا تسبقوهم فتهلكوا وقيل لجعفر بن محمد
الصادق لم صار الشعر والخطب يمل ما اعيد منها والقران لا يمل فقال
لان القران حجة على اهل الدهر الثاني كما هو حجة على اهل الدهر الاول فكل
طايفة تتلقاه غضا جديدا ولان كل امري في نفسه متى اعاده وفكر
فيه تلقى منه كل مرة علوما غضة وليس هذا كله في الشعر والخطب
وقيل الحميد بن سعيد ما هذا الترديد للقصص في القران فقال ليكون
ما تيسر منه حظ في الاعتبار ۝ وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا القران فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر
ما عظم الله وقال عليه السلام ما من شفيع افضل عند الله من
القران لا نبي ولا ملك وقال عليه السلام افضل عبادة امتي القران وقال
عبد الله بن عمرو بن العاص من قرا القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه
الا انه لا يوحى اليه ۝ وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا مائة اية كتب من القانتين ومن قرا مايتي اية لم
يكتب من الغافلين ومن قرا المماية اية لم يحاجه القران وروى بن
عباس عن النبي عليه السلام انه قال اشراف امتي حملة القران وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرا هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا الى اخر الاية فقال سابقكم سابق ومقتصدكم
ناج وظالمكم مغفور له ۝ وقال رسول الله عليه السلام ان
اصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله وروى انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال القران شافع مشفع وماحل مصدق ومن
شفع له القران نجا ومن محل به القران يوم القيمة كبه الله لوجهه
في النار فاحق من شفع له القران اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه

وضيعه

وضيعه وقال صلى الله عليه وسلم ان الذي يتعاهد القران ويشتد عليه
له اجران والذي يقروه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة
وقال ابن مسعود مل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله حدثنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الاية
ثم ملوا ملة اخرى فقالوا اقصص علينا يا رسول الله فانزل الله تعالى نحن
نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وروى عثمان
بن عفان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضلكم
من تعلم القران وعلمه وقال عبد الله بن مسعود ان كل مودب يحب
ان يوتى ادبه وان ادب الله القران وقرا اعرابي على عبد الله بن مسعود
وعنده قوم يقرون القران فقال ما تصنع ها ولا فقال له بن مسعود يقسمون
ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ومرت امراة على عيسى ابن مريم عليه
السلام فقالت طوبى لبطن حملك ولثدي رضعت منهما فقال عيسى
طوبى لمن قرا كتاب الله واتبع ما فيه وقال محمد بن كعب القرظي
في قوله تعالى اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال هو القران ليس
كلهم راى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء في تفسير
قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته قال الاسلام والقران وقيل
لعبد الله بن مسعود انك لتقل الصوم فقال انه يشغلني عن قراءة القران
وقراءة القران احب الي منه وقال قوم من الانصار للنبي عليه السلام
الم تر يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر فيها وحولها
امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرا سورة البقرة وفي هذا المعنى
حديث صحيح عن اسيد بن حضير في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة
سورة البقرة خرجه البخاري وذكر ابو عمرو الداني عن علي الاثرم

قال كنت اتكلم في الكسائي واقع فيه فرايته في النوم وعليه ثياب
بياض ووجهه كالقمر فقلت يا ابا الحسن ما فعل الله بك فقال غفر لي
بالقران وقال عقبة بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع فقال عليكم بالقران وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي
ان من اشراط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع الاشرار
ويوضع الاخيار وان تقرا المثناة على روس الناس لا يعرفها وما المثناه
قال ما استكتب من غير كتاب الله قيل له فكيف بما جاء من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما اخذتموه عمن تامنونه على نفسه
ودينه فاعقلوه وعليكم بالقران فتعلموه وعلموه ابناكم فانكم عنه تسالون
وبه تجزون وكفى به واعظا لمن عقل وقال رجل لابي الدردا ان اخوانا
لك من اهل الكوفة يقرونك السلام ويامرونك ان توصيهم فقال
اقريهم السلام ومرهم فليعطوا القران خزائمهم فانه يحملهم على القصد
والسهولة ويجنبهم الجور والحزونة وقال رجل لعبد الله ابن مسعود
اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك
فانه خير يامر به او شي ينهى عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيل عن احسن الناس قراه او صوتا فقال الذي اذا سمعته رايته
تخشى الله تعالى وقال عليه السلام اقروا القران قبل ان يجي قوم يقيمونه
كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجره ولا يتاجلونه ⊙
ويروى ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابي بكر الصديق سمعوا القران
فجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروى
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرا ان عذاب ربك لواقع ما له من
دافع فان انة عيد منها عشرين يوما وقال الحسن انكم اتخذتم قراه
القران مراحل وجعلتم الليل جملا تركبونه فتقطعون به المراحل وان

من

من كان قبلكم راوه رسايل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونها
بالليل ويتفقدونها بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
انزل عليهم القران ليعملوا به فاتخذوا درسه عملا ان احدهم ليتلوا
القران من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به

قال ابو محمد قال الله تعالى عز وجل ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر وقال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي علم معانيه
والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل فمال الناس الى الميسر وتركوا الثقيل
وهو المطلوب منهم وقيل ليوسف بن اسباط باي شي تدعوا
اذا ختمت القران فقال استغفر الله من تلاوتي لاني اذا ختمته ثم
تذكرت ما فيه من الاعمال خشيت المقت فاعدل الى الاستغفار
والتسبيح وقرا رجل القران على بعض العلما قال فلما ختمته اردت
الرجوع من اوله فقال اتخذت القراه علي عملا اذهب فاقراه على الله
تعالى وانظر ماذا يفهمك منه فاعمل به ⊙

باب في فضل تفسير القران والكلام على لغته والنظر في اعرابه ودقايق معانيه

روى ابن عباس ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي علم
القران افضل فقال النبي صلى الله عليه السلام عربيته فالتمسوها في الشعر
وقال ايضا صلى الله عليه وسلم اعربوا القران والتمسوا غرايبه فان الله
يحب ان يعرب **قال ابو محمد** لاعراب القران اصل في الشريعة لان
بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع وقال ابو العالية في تفسير قوله
عز وجل ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال الحكمة الفهم في القران
وقال قتادة الحكمة القران والفقه فيه وقال غيره الحكمة تفسير
القران وذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه
بالعلم فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت

فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسير اية
فقيل له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى علم تفسيرها
وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤون القران وهم لا يعلمون تفسيره
كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم
روعة لا يدرون ما في الكتاب وقال ابن عباس الذي يقرا ولا يفسر كالاعرابي
الذي يهذ الشعر وقال مجاهد احب الخلق الى الله اعلمهم بما
انزل وقال الحسن والله ما انزل الله اية الا احب ان تعلم فيم انزلت
وما يعني بها وقال النبي عليه السلام لا يفقه الرجل كل الفقه
حتى يرى للقران وجوها كثيرة وقال الحسن اهلكتهم العجمة يقرا احدهم
الاية فيعيا بوجوهها حتى يفتري على الله فيها وكان ابن عباس يبدا
في مجلسه بالقران ثم بالتفسير ثم بالحديث وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ما من شيء الا وعلمه في القران ولكن راي الرجال تعجز
عنه

باب ما قيل في الكلام في تفسير القران والجراة عليه ومراتب المفسرين

روي عن عائشة رضي
الله عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من
كتاب الله الا ايا بعدد علمه اياهن جبريل **قال ابو محمد**
ومعنى هذا الحديث في مغيبات القران وتفسير مجمله ونحو هذا
مما لا سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى ومن جملة مغيباته ما لم
يعلم الله به كوقت قيام الساعة ونحوه ومنها ما يستقرا من
الفاظه كعدد النفخات في الصور ورتبة خلق السموات والارض
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تكلم في القران برايه
فاصاب فقد اخطا **قال ابو محمد** ومعنى هذا ان يسال

الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برايه دون نظر فيما قال العلماء
او اقتضته قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث
ان يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل
واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة
ليس قائلا بمجرد رايه وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب
وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القران ويتوقفون عنه تورعا
واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جلة من السلف
كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عن جميعهم
فاما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
ويتلوه عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو تجرد للامر وكمله وتتبعه
وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه
في ذلك اكثر من المحفوظ عن علي بن ابي طالب وقال ابن عباس ما اخذت
من تفسير القران فعن علي بن ابي طالب وكان علي بن ابي طالب يثني على
تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه ۝ وكان عبد الله بن مسعود
يقول نعم ترجمان القران عبد الله بن عباس وهو الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه اللهم فقهه في الدين وحسبك بهذه الدعوة وقال عنه علي
بن ابي طالب ابن عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ويتلوه عبد
الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاصي
وكل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في التابعين
الحسن بن ابي الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة قرا مجاهد
على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل اية ويتلوهم عكرمة والضحاك
بن مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير ۝ واما
السدي رحمه الله فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى ابي صالح لانه كان

بواهما مقصرين في النظر ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف والف
الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابي طلحة والبخاري وغيرهم ان
محمد بن جرير الطبري رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد
وشفى في الاسناد ومن المبرزين في المتاخرين ابو اسحق الزجاج وابو علي
الفارسي فان كلاهما منحول واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس فكثيرا
ما استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابي طالب رضي الله وابو العباس
المهدوي رحمه الله متقن التاليف وكلهم مجتهد ماجور رحمهم الله ونضر
وجوههم ○

باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه

اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافا شديدا فذهب فريق من
العلماء الى ان تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق ان يقال على سبعة اوجه
فما دونها كتعالى واقبل والي ونحوي وقصدي واقرب وجئ وكاللغات التي
في اف وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة وهذا قول ضعيف
قال ابن شهاب في كتاب مسلم بلغني ان تلك السبعة الاحرف انما هي
في الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام **قال ابو محمد**
وهذا كلام محتمل وقال فريق من العلماء ان المراد بالسبعة الاحرف
معاني كتاب الله تعالى وهي امر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة
وامثال وهذا ايضا ضعيف لان هذه لا تسمى حروفا وايضا فالاجماع
ان التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني
المذكورة وحكى صاحب الدلائل عن بعض العلماء وقد حكى نحوه القاضي ابو بكر
بن الطيب انه تدبر وجوه الاختلاف في القراءة فوجدها سبعة منها ما
تتغير حركته ولا يزول معناه ولا [illegible] صورته مثل هن اطهر ومنها
ما لا تتغير صورته ويتغير معناه با[illegible]ل ربنا باعد وباعد ومنها

تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل ننشرها وننشزها ومنها
ما تتغير صورته ومعناه مثل طلح منضود وطلع منضود ومنها بالتقديم
والتاخير كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق وسكرة الحق بالموت ومنها
بالزيادة والنقصان كقوله تسع وتسعون انثى ○ وذكر القاضي ابن الطيب
في معنى هذه السبعة الاحرف حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان هذا القران من سبعة ابواب على سبعة احرف نهي وامر وحلال
وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه ○
وائتمروا وانتهوا واعتبروا بمحكمه وامنوا بمتشابهه وقال القاضي
ابو بكر فهذا تفسير منه صلى الله عليه وسلم للاحرف السبعة ولكن
ليست هذه التي اجاز لهم القراءة بها على اختلافها وانما الحرف في هذه
بمعنى الجهة والطريقة ومنه قول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله
على حرف اي على وجه وطريقة هي شك وريب فكذلك معنى هذا الحديث
على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك وذكر القاضي ايضا ان ابيا
رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابي لو اقرات
القران على حرف او حرفين ثم زادني الملك حتى بلغ سبعة احرف ليس منها
الا كاف شاف ان قلت غفور رحيم سميع عليم او عليم حكيم وكذلك
ما لم تختم عذابا برحمة او رحمة بعذاب **قال ابو محمد** وقد اسند نحو
هذا الحديث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من كلام
ابن مسعود نحوه فقال القاضي ابن الطيب وهذه ايضا سبعة
غير السبعة التي هي قراءات ووسع فيها وانما هي سبعة اوجه من اسماء
الله تعالى واذا ثبتت هذه الرواية حمل على ان هذا ان يغيره بما يوافق
معناه او يخالفه قال القاضي [illegible] زعم قوم ان كل كلمة تختلف القراءة
فيها فانما على سبعة اوجه [illegible] معنى الحديث قالوا او تغير بعض

الوجوه التي للخبره ولا نعرف بعضها ادلم يات به خبر قال وقال قوم ظاهر
الحديث يوجب ان يوجد في القران كله او كلما ان يقرا على سبعة اوجه
فاذا حصل ذلك لم معنى الحديث قال القاضي ابو بكر بن الطيب وقد زعم
قوم ان معنى الحديث انه انزل على سبع لغات مختلفات وهذا باطل الا ان
يريد الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة والدليل على ذلك ان
لغة عمر بن الخطاب وابي ابن كعب وهشام بن حكيم وابن مسعود واحده
وقراتهم مختلفة وخرجوا فيها الى المناكرة فاما الاحرف السبعة التي
صوب الرسول صلى الله عليه وسلم القراه بجميعها وهي التي راجع فيها فزاده
عليه لعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات فانها سبعة اوجه وسبع
قراءات مختلفات وطرايق يقارونها على اختلافها في جميع القران ومعظمه حسب
ما يقتضيه العبارة في قوله انزل القران فانما يريد به الجميع او المعظم فجايز ان
يقرا هذه الوجوه على اختلافها وهو يدل على ذلك قول الناس حرف ابي وحرف
ابن مسعود ونقول في الجملة ان القران منزل على سبعة احرف من اللغات والاعراب
وتغيير الاسماء والصور وان ذلك مفترق في كتاب الله ليس بموجود في حرف
واحد وسورة واحدة مقطوع على اجتماع ذلك فيها قال ابو محمد
انتهى ما جمعته من كلام القاضي ابي بكر رضي الله عنه واطلاقه البطلان
على القول الذي حكاه فيه نظر لان المذهب الصحيح الذي قرره اخرا من قوله
ونقول في الجملة انما صح وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القران
بلسانهم وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم ما عند بعض في
الاكثر وانما هو ان قريشا استعملت في عباراتها شيا واستعملت هذيل
في ذلك المعنى شيا غيره وسعد بن بكر غيره والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم
واستدلال القاضي رضي الله عنه بان لغة عمر وابي وهشام وابن مسعود
واحده فيه نظر لان ما استعملته قريش في عباراتها ومنهم عمر وهشام

وما

وما استعملته الانصار ومنهم ابي وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود
قد يختلف ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله فليست لغتهم
واحده بان يعرضهم جميعا من قبيله واحده لما كان لاختلافهم حجه على من قال
ان القران انزل على سبع لغات لان مناكرتهم لم تكن لان المنكر سمع ما ليس
في لغته فانكره وانما كانت لانه سمع خلاف ما اقراه النبي صلى الله عليه
وسلم وعساه قد اقراه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته فكان القاضي
رحمه الله انما ابطل ان يكون النبي صلى الله عليه السلام قصد في قوله
سبعة احرف عد اللغات التي تختلف جملتها وان تكون سبعا متباينه
لسبع قبايل يقرا كل قبيله القران كله بحرفها ولا تدخل عليها لغة غيرها
بل قصد النبي عليه السلام عنده عد الوجوه والطرايق المختلفه في كتاب
مرة من جهة لغة ومرة من جهة اعراب وغير ذلك ولا مرية ان
هذه الوجوه والطرايق انما اختلفت لاختلاف العبارات بين الجملة التي
نزل القران بلسانها وذلك يقال فيه اختلاف لغات وصحيح ان يقصد عليه
السلام عد الانحاء والوجوه التي اختلفت في القران بسبب اختلاف
عبارات اللغات وصحيح ان يقصد عليه السلام عد الجماهير والرو
من الجمله التي نزل القران بلسانها وهي قبايل مضر فجعلها سبعه
وهذا القول اكثر توسعة للنبي عليه السلام لان الانحا تبقى غير محصوره فعسى
ان الملك قد اقراه باكثر من سبع طرايق ووجوه قال القاضي رضي الله عنه
في كلامه المتقدم فجايز ان يقرا هذه الوجوه على اختلافها قال ابو محمد
والشرط الذي يصح به هذا القول هو بان يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ومال كثير من اهل العلم كابي عبيد وغيره الى ان معنى الحديث المذكور
انه انزل على سبع لغات لسبع قبايل انبث فيه من كل لغة منها وهذا القول
هو المتقرر من كلام القاضي رضي الله عنه وقد ذكر بعضهم قبايل

يعني عليه السلام

من العرب ربما منهم ان يعينوا السبع التي يحسن ان يكون مراده عليه
السلام نظروا الى ذلك بحسب لفظه ومن جاوز منها النبي عليه السلام
واختلفوا الى التسميه واكثروا ولما الخص الغرض جهدي بحول الله
ما صح ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لان النبي عليه السلام
قرشي واسترضع في بني سعد ونشا فيهم ثم ترعرع وعقب تمامه وهو
يخالط في اللسان كنانه وهذيلا وثقيفا وخزاعه واسدا وضبه
والفافها لقربهم من مكه وتكرارهم عليها ثم بعد هذه تميما وقيسا ومن
انضاف اليهم وسط جزيره العرب فلما بعثه الله تعالى اليهم ويسر
عليه امر الاحرف انزل عليه القران بلغه هذه الجمله المذكوره وهي التي
قسمها على سبعه لها السبعه الاحرف وهي اختلافاتها في العبارات
حسب ما تقدم قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف لقريش
ومنها لكنانه ومنها لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبه
والفافها ومنها لقيس لكان قد اتى على قبايل مضر في مراتب سبعه تستوعب
اللغات التي نزل بها القران **قال ابو محمد** وهذا نحو ما
ذكرناه وهذه الجمله التي انتهت اليها الفصاحه وسلمت لغاتها
من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر انه نبيه بعجزها عن معارضه ما انزل
عليه وسبب سلامتها انها في وسط جزيره العرب في الحجاز ونجد
وتهامه فلم تطرقها الامم فاما اليمن وهو جنوبي الجزيره فافسدت
كلام عربه خلطه الحبشه والهنود على ان ابا عبيد القسم بن سلام وابا
العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من القبايل التي نزل القران بلغاتها
قال ابو محمد وذلك عندي انما هو فيما استعملته عرب الحجاز من
لغه اليمن كالعرم والفتاح فاما ما انفردوا به كالزخ والقلوب
ونحوه فليس في كتاب الله منه شي واما ما والى العراق من جزيره العرب

ومن

ومن بلاد ربيعه وشرقي الجزيره فافسدت لغتها مخالطه الفرس والنبط
ونصارى الحيره وغير ذلك واما الذي يلي الشام وهو شمالي الجزيره
وهي بلاد آل جفنه وابن الرافله وغيرهم فافسدها مخالطه الروم وكثير
من بني اسرايل واما غربي الجزيره فهي جبال يسكن بعضها هذيل وغيرهم
واكثرها غير معمور فبقيت القبايل المذكوره سليمه اللغات لم تكدر
صفو كلامها امه من العجم ويقوي هذا المنزع انه لما اتسع نطاق
الاسلام وداخلت الامم العرب وتجرد اهل المصرين البصره والكوفه
لحفظ لسان العرب وكتب لغتها لم ياخذوا الا عن هذه القبايل الوسطه
المذكوره ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم
حرف واحد وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكه والمدينه والطايف لان
السبي والتجار من الامم كثروا فيها فافسدوا اللغه وكانت هذه الحواضر
في مده النبي عليه السلام سليمه لقله المخالطه فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
انزل القران على سبعه احرف اي فيه عباره سبع قبايل بلغه جملتها نزل القران
فيعبر عن المعنى فيه بعباره قريش ومره بعباره هذيل ومره بغير ذلك بحسب
الافصح والاوجز في اللفظ الا ترى ان فطر معناها عند غير قريش ابتدا
خلق الشي وعمله فجاءت في القران فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم اليه
اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت حينيذ
موقع قوله فاطر السموات والارض وقال ايضا ما كنت ادري معنى قوله
ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذي جدن تقول لزوجها تعال
افاتحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله
او ياخذهم على تخوف فوقف به فتى فقال ان ابي يتخوفني حقي فقال عمر
الله اكبر او ياخذهم على تخوف اي على تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبه
بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الصلاه والنخل باسقات

ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله
تعالى لنبيه هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه
الذي فيه الاعجاز وجودة الوصف ولم تقع الاباحة في قوله عليه السلام فاقرؤوا
ما تيسر منه بأن يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظ من بعض
هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولو كان هذا لذهب اعجاز القرآن
وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله وانما
وقعت الاباحة في الحروف السبعة للنبي عليه السلام ليوسع بها على امته فقرأ
مرة لأبي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به ايضا ۝
وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف
واحد فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف وعلى هذا تجيء قراءة
عمر بن الخطاب لسورة الفرقان وقراءة هشام بن حكيم لها والا فكيف يستقيم
ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم في كل قراءة منهما وقد اختلفتا هكذا اوحي
جبريل على ذلك الا انه اقرأه بهذه مرة وبهذه مرة وعلى هذا يحمل قول
انس بن مالك حين قرأ ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واصوب قيلا فقيل
له انما نقرأ واقوم فقال انس اصوب واقوم واهيأ واحد فانما معنى هذا
لاحد من الناس ان يضعه لبطل معنى قول الله انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون ثم ان هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فافترق الصحابة في البلدان وجاء الخلف وقرأ القرآن كثير من
غير العرب ووقع بين اهل الشام واهل العراق ما ذكر حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه وذلك انهم اجتمعوا في غزوة ارمينية فقرأت كل طائفة
بما روي لها فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض انا كافر بما تقرأ به فاشفق
حذيفة مما رأى منهم فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري وغيره
دخل الى عثمان بن عفان قبل ان يدخل بيته فقال ادرك هذه الامة قبل ان تهلك

قال

قال فماذا تقول في كتاب الله اني حضرت هذه الغزوة وجمعت
ناسا من العراق ومن الشام ومن الحجاز فوصف له ما تقدم وقال اني
اخشى عليهم ان يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى قال
عثمان رضي الله عنه افعل فتجرد للامر واستناب الكفاة العلماء الفصحاء
في ان يكتبوا القرآن ويجعلوا ما اختلفت القراء فيه على اشهر الروايات
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه
بلغة قريش فمعنى هذا اذا اختلفتم فيما روي والا فمحال ان يحيلهم على الاختلاف
من قبلهم لانه وضع قرآن فكتبوا القرآن من كل اللغات السبع مرة
من هذا ومرة من هذه وذلك مقصد ان الجميع مما روي عن النبي عليه السلام
وقرئ عليه واستمر الناس على هذا المصحف المتخير وترك ما خرج عنه
مما كان يكتب ايام عمر ابن الخطاب كامضوا الى ذكر الله ونحوها سدا
وتغليبا للمصلحة الالفة وهي المصاحف التي امر عثمان بن عفان رضي
الله عنه بها ان تحرق او تخرق واما ابن مسعود فاما ان يزال المصحف
فترك ولكن ابى العلماء قراءته سدا للذريعة ولانه روي انه كتب فيه اشياء
على جهة التفسير فظنها قوم من التلاوة فخلط الامر فيه ولم يسقط
فيما ترك معنى من معاني القرآن لان المعنى جزء من الشريعة وانما تركت
الفاظ معانيها موجودة في الذي اثبت ثم ان القراءة في الامصار تبعوا
ما روي لهم من اختلافات لاسيما فيما وافق خط المصحف المتخير
فقرأوا بذلك حسب اجتهاداتهم فلذلك ترتب امر القراء السبعة وبما
يصلى لانها ثبتت بالاجماع واما شاذ القراءة فلا يصلى بها وذلك
لانه لم يجمع الناس عليه اما ان المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم
وعن علماء التابعين فلا يعتقد فيه الا انهم رووه واما ما يؤثر عن ابي
السمال ومن قاربه فلا يوثق به وانما اذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل

والله المستعان وكان المصحف غير مشكول ولا منقوط وقد وقع لبعض الناس
فيه خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب وبيان ما عساه احصر ذلك
كراهية التطويل وعولت على الاسلوب الواضح والله المرشد للصواب برحمته

باب ذكر جمع القرآن وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره

كان القرآن في مدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم متفرقا في صدور الرجال وقد كتب الناس منه في صحف
وفي جريده وفي لخاف وظرر وفي خزف وغير ذلك فلما استحر القتل بالقراء
يوم اليمامة اشار عمر بن الخطاب على ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن
مخافة ان يموت اشياخ القراء كأبي وزيد وابن مسعود فيذهب فندبا الى
ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضي الله عنه
وروي ان في هذا الجمع سقطت الاية من اخر براءة حتى وجدها عند خزيمة
بن ثابت وحكى الطبري انما سقطت له في الجمع الاخير والاول اصح وهو
الذي حكى البخاري الا انه قال فيه مع ابي خزيمة الانصاري وقال ان في
الجمع الثاني فقد زيد اية من سورة الاحزاب من المؤمنين رجال فوجدها
مع خزيمة بن ثابت وبقيت المصحف عند ابي بكر ثم عند عمر بن الخطاب بعده ثم
عند حفصة بن مسعود وما كتب عن الصحابة بالشام ومصحف ابي وغير ذلك
وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الاحرف التي انزل القرآن عليها فلما قدم
حذيفة من غزوة ارمينية حسب ما قد ذكرناه انتدب عثمان لجمع المصحف
وامر زيد بن ثابت بجمعه وقرن بزيد فيما ذكر البخاري ثلاثة من قريش سعيد
بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن الزبير وكذلك
ذكر الترمذي وغيرهما وذكر الطبري فيما روي انه قرن بزيد ابان بن
سعيد ابن العاصي وحده وهذا ضعيف وقال الطبري ايضا ان الصحف
التي كانت عند حفصة جعلت اماما في هذا الجمع الاخير وروي ان

سقط

عثمان

عثمان رضي الله عنه قال لهم اذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش
فاختلفوا في التابوه والتابوت قراه زيد بن ثابت بالهاء والقرشيون
بالتاء فاثبته بالتاء وكتب المصحف على ما هو عليه غابر الدهر ونسخ عثمان منه
نسخا ووجه بها الى الافاق وامر بما سواها من المصاحف ان تحرق او تخرق
يروى بالحاء غير منقوطة ويروى بالخاء على معنى ثم تدفن ورواية الحاء غير منقوطة
احسن قال القاضي ابو بكر بن الطيب وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد
ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك وقد
ذكر مكي رحمه الله في تفسير براءة وذكر ان ترتيب الايات في السور
ووضع البسملة في الاوائل هو من النبي عليه السلام ولما لم يامر بذلك
في اول براءة تركت بلا بسملة وهذا احد ما قيل في براءة وذلك مستقصى
في موضعه ان شا الله وظاهر الاثار ان السبع الطوال والحواميم
والمفصل كان مرتبا في زمن النبي عليه السلام وكان في السور ما لم يرتب
فذلك الذي رتب وقت الكتب واما شكل المصحف ونقطه فروي
ان عبد الملك بن مروان امر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه
وزاد تحزيبه فامر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك والف
اثر ذلك بواسط كتاب في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس
فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا الى ان الف ابن مجاهد
كتابه في القراءات واسند الزبيدي في كتاب الطبقات الى المبرد ان
اول من نقط المصحف ابو الاسود الدؤلي وذكر ايضا ان ابن سيرين
كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر وذكر ابو الفرج ان زياد بن ابي
سفيان امر ابا الاسود بنقط المصاحف وذكر الجاحظ في كتاب الامصار
ان نصر بن عاصم اول من نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف
فاما وضع الاعشار فيه فمر بي في بعض التواريخ ان المامون العباسي امر

بذلك وقيل ان الحجاج فعل ذلك وذكر ابو عمرو الداني عن قتادة انه كان
يقول بدوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وهذا كالانكار

باب ذكر الالفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق

اختلف الناس في هذه المسألة فقال ابو عبيدة
وغيره ان في كتاب الله تعالى من كل لغة وذهب الطبري وغيره الى ان
القرآن ليس فيه لفظة الا وهي عربية صريحة وان الامثلة والحروف التي
تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها ان تواردت اللغتان فتكلمت بها
العرب والفرس او الحبشة بلفظ واحد وذلك مثل قوله تعالى ان
ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى
يؤتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعري كفلان ضعفان من الاجر
بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس في القسورة انه الاسد في لغة الحبشة
الى غير هذا من الامثلة **قال ابو محمد** والذي اقوله ان القاعدة والعقيدة
هي ان القرآن بلسان عربي مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها
الا بلسان آخر فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة
التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الالسنة بتجارات وبرحلتي قريش
وكسفر مسافر بن ابي عمرو الى الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص
وعمارة بن الوليد الى ارض الحبشة وكسفر الاعشى الى الحيرة وصحبته لنصاراها
مع كونه حجة في اللغة فعلقت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها
بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في اشعارها
ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها
القرآن فان جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى
فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن
استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبري من

اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد بل احداهما اصل والاخرى فرع
في الاكثر لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شاذا

نبذة مما قال العلماء في اعجاز القرآن

اختلف الناس في اعجاز القرآن
بما هو فقال قوم ان التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات وان العرب
كلفت في ذلك ما لا يطاق وفيه وقع عجزها وقال قوم ان التحدي وقع بما في
كتاب الله تعالى من الانباء الصادقة والغيوب المسرودة وهذان القولان
انما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم في نفسه
واما من هو في ظلمة كفره فانما يتحدى فيما يتبين له بنفسه عجزه عنه
وان البشر لا يأتي بمثله ويتحقق مجيئه من قبل المتحدي وكفار العرب لم يمكنهم قط
ان يشكوا ان رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من محمد عليه السلام
فاذا تحديت الى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة ان هذا نبي ياتي بما ليس
في قدرة البشر الاتيان به الا ان يخص الله تعالى من يشاء من عباده وهذا
هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه ان التحدي انما وقع
بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه ووجه اعجازه ان الله تعالى
قد احاط بكل شيء علما واحاط بالكلام كله علما فاذا ترتبت اللفظة من القرآن
علم باحاطته اي لفظة تصلح ان تلي الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من اول القرآن
الى اخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان بشرا لم يكن
قط محيطا فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النظر
يبطل قول من قال ان العرب كان في قدرتها ان تاتي بمثل القرآن فلما جاء محمد
عليه السلام صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه والصحيح ان الاتيان بمثل القرآن
لم يكن قط في قدرة احد من المخلوقين ويظهر لك قصور البشر في ان الفصيح منهم يصنع
خطبة او قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا ثم يعطيها
لآخر نظيره فياخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك

فيها مواضع للنظر والنقد وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير
لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره
ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق
وجودة القريحة وميز الكلام ألا ترى ميز الحارثي نفس الأعشى وميز الفرزدق
نفس جرير من نفس ذي الرمة ونظر الأعرابي في قوله عز حكم فقطع إلى كثير
من الأمثلة اكتفيت بالإشارة إليها اختصارا فصورة قيام الحجة بالقرآن
على العرب أنه لما جاء محمد عليه السلام به وقال فأتوا بسورة من مثله قال
كل فصيح في نفسه وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله فلما تأملوه وتدبروه ميز
منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال والله ما هذا بالشعر ولا هو
بالكهانة ولا بالجنون وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشر على
مثله فصح عنده أنه من عند الله تعالى فمنهم من آمن وأذعن ومنهم من حسد
كأبي جهل وغيره ففر إلى القتال ورضي بسفك الدم عجزا عن المعارضة حتى أظهر
الله دينه ودخل جميعهم فيه ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأرض
رجل من العرب يظهر كفره وقامت الحجة على العالم فالعرب إذ كانوا أرباب
الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء وفي معجزة
موسى بالسحرة فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع
ما يكون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم قد انتهى إلى غايته وكذلك الطب في زمان
عيسى والفصاحة في مدة محمد عليه السلام

باب في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى

اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في
التفسير إلى أن يقول خاطب الله بهذه الآية المؤمنين وشرف الله بالذكر الرجل
المؤمن من آل فرعون وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت قصيه ووقف الله
ذرية آدم على ربوبيته بقوله ألست بربكم ونحو هذا من إسناد أفعال

إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع وقد استعمل هذه الطريقة
المفسرون والمحدثون والفقهاء واستعملها أبو المعالي في الإرشاد وذكر بعض
الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال حكى الله ولا ما جرى مجراه قال أبو محمد وهذا
على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى وأما
إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ فذلك
استعمال عربي شائع وعليه مشى الناس وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي
ولكني قدمت هذا الباب لما عسى أن أقع فيه نادرا واعتذارا عما وقع فيه
المفسرون من ذلك وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى تحمل على مجاز
كلامها فمن ذلك قول أبي عامر يرتجز بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغفر فداء لك
ما اقتفينا وقول أم سلمة فعزم الله لي في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال
الله لها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قولهم الله يدري كذا
وكذا والدراية إنما هي للآتي للعلم بالشيء حتى تيسر ذلك قال أبو علي واحتج
بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق بقول الشاعر لاهم لا أدري وأنت
الداري قال أبو علي وهذا لا يثبت فيه لأنه يجوز أن يكون من غلط الأعرابي
قال أبو محمد وكذلك أقول وإن الطريقة كلها عندي لا يثبت للنظر
المتحول شيء منها وقد أنشد بعض البغداديين لاهم إن كنت الذي بعهدي ولم
تغيرك الأمور بعدي وقد قال العجاج فارتاح ربي وأراد رحمتي
وقال الآخر قد يصبح الله إمام الساري وقال الآخر يا فقعسي
لم أكلته لمه لو خافك الله عليه حرمه وقال الأعشى أبني لبيني لا أحقكم
وجد الإله بكم كما أجد وقال آخر وإن الله ذاق حلوم قيس فلما رأى
خفتها قلاها ومن هذا الاستعمال الذي في الباب عليه قول سعد بن
معاذ عرق الله وجهك في النار يقول هذا للرامي الذي رماه وقال خذها
وأنا ابن العرقة وفي هذه الأمثلة كفاية وفيما نحوناه إذ النظير لذلك كثير

موجود وان خرج شي منه على حذف مضاف فذلك متوجه في الاستعمال

باب تفسير اسماء القران وذكر السوره والايه

هو القران وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقران من قولك
قرا الرجل اذا تلا يقرا قرانا وقراه وحكى ابو زيد الانصاري وقرءا وقال قتاده
القران معناه التاليف قرا الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتاده قول الله
تعالى ان علينا جمعه وقرانه اي تاليفه وهذا نحو قول الشاعر ذراعي بكره
اذا ما بكر هجان اللون لم تقرا جنينا ۝ اي لم يجمع في بطنها ولدا فهو اقرب الها والقول
الاول اقوى ان القران مصدر من قرا اذا تلى ۝ ومنه قول حسان
بن ثابت عثمان بن عفان رضي الله عنه ۝
ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا ۝ اي قراه
واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبه لاجتماعها
ومنه قول الشاعر واكتبها باسيار اي اجمعها واما الفرقان
فهو ايضا مصدر لانه فرق بين الحق والباطل والمومن والكافر فرقا وفرقانا
واما الذكر فسمي به لانه ذكر به للناس اخرتهم والاههم وما كانوا في
غفله عنه فهو ذكر لهم وقيل سمي بذلك لانه ذكر وشرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم وقومه وساير العلماء ۝ واما السوره فان قريشا ومن جاورها
من قبايل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانه يقولون سوره بغير همز وتميم
كلهم وغيرهم ايضا يهمزون ويقولون سؤره فاما من همز فهي عنده
كالبقيه من الشي والقطعه منه التي هي سؤر من اسار اذا ابقى ومنه سؤر ‹وسؤره مع›
الشراب ومنه قول الاعشى وهو ميمون بن قيس فبانت وقد اسارت في
الجواد صدعا على نايها مستطيرا ۝ اي ابقت فيه واما من لا يهمز فمنهم
من يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من يراها مشبهه
بسور البناء اي القطعه منه لان كل بناء فانما يبنى قطعه بعد قطعه وكل قطعه

منها

منها سوره وجمع سوره القران سور بفتح الواو وجمع سوره البناء سور بسكونها قال ابو عبيده انما اختير في هذا فكان سور القران قطعه
بعد قطعه حتى كمل منها القران ويقال ايضا للرتبه الرفيعه من المجد والملك
سوره ومنه قول النابغه الذبياني للنعمان بن المنذر ۝
الم تر ان الله اعطاك سوره ترى كل ملك دونها يتذبذب ۝ يعني الرتبه
اسما حتى كملت واما الايه فهي العلامه في كلام العرب ومنه قول
الاسير الموصي الى قومه العريانه ما اكلت معكم حشا فلما كانت الجمله من
القران علامه على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدي بها سميت ايه هذا قول
بعضهم وقيل سميت ايه لما كانت جمله وجماعه كلام كما تقول خرج بنو فلان
بايتنا اي بجماعتنا وقيل لما كانت علامه للفصل بين ما قبلها وما بعدها
سميت ايه وروى ايه عند سيبويه فعله بفتح العين اصلها اييه تحركت
الياء الاولى وما قبلها مفتوح فجات ايه وقال الكسائي اصل ايه اييه على
وزن فاعله حذفت الياء الاولى مخافه ان يلتزم فيها من الادغام ما
لزم في دابه وقال مكي في تعليل هذا الوجه سكنت الاولى وادغمت فجاءت
ايه على وزن فعله بسكون العين ابدلت الياء الساكنه الفا استثقالا للتضعيف
قاله الفراء وحكاه ابو علي عن سيبويه في ترجمه وكان من يرى قال بعض
الكوفيين اصلها اييه على فعله بكسر العين ابدلت الياء الاولى الفا لتعلل الكسر عليها
وانفتاح ما قبلها

باب القول في الاستعاذه

قال الله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه
اذا اردت ان تقرا او شرعت فاوقع الماضي موقع المستقبل لسوته واجمعوا على
استحسان ذلك والتزامه في كل قراه في غير صلاه واختلفوا في التعوذ في الصلاه
فابن سيرين وابراهيم النخعي وقوم يتعوذون في الصلاه في كل ركعه ويمتثلون امر
الله بالاستعاذه على العموم في كل قراه الصلاه وابو حنيفه والشافعي يتعوذان

في الركعة الاولى من الصلاة ويرى ان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة ومالك
رحمه الله لا يتعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان ولم يحفظ عن النبي عليه
السلام انه تعوذ في صلاة وحكى الزهراوي عن الحسن انه قال نزلت الآية في الصلاة
وندبنا الى الاستعاذة في غير الصلاة فليس بفرض قال غيره كانت فرضا على النبي
عليه السلام وحده ثم تأسينا به واما لفظ الاستعاذة فالذي عليه جمهور
الناس هو لفظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي عن ابن عباس
انه قال اول ما نزل جبريل على محمد قال له قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى سليمان بن سالم عن
ابن القسم رحمه الله ان الاستعاذة اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ان الله هو
السميع العليم بسم الله واما المقرئون فاكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم
الله تعالى وفي الجهة الاخرى كقول بعضهم اعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد
ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز ومعنى الاستعاذة
الاستجارة والتحيز الى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه والكلام
على المكتوبة يجيء في بسم الله فذلك الموضع اولى به ٥ واما الشيطان فاختلف
الناس في اشتقاقه فقال الحذاق هو فيعال من شطن اذا بعد لانه بعد عن الخير
ورحمة الله ٥ ومن اللفظ قولهم نوى شطون اي بعيدة **قال الاعشى**
نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين ومنه قيل للحبل
شيطان لبعد طرفيه وامتداده وقال قوم ان شيطانا مأخوذ من شاط يشيط
اذا هاج واحترق ونحوه اذ هذه افعاله فهو فعلان **قال ابو محمد** ويرد على
هذه الفرقة ان سيبويه حكى ان العرب يقول تشيطن فلان اذا فعل افاعيل الشيطان
فهذا بين انه تفيعل من شطن ولو كان من شاط لقالوا تشيط ويرد ايضا
عليهم ❀ ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاكبال ❀
مفعول كقتيل وجريح ونحوه ومعناه انه فهذا شاطن من شطن لا شك فيه ٥

واما

واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ونحوه ومعناه
انه رجيم باللعنة والمقت وعدم الرحمة قال المهدوي واجمع القراء
على اظهار الاستعاذة في اول قراءة سورة الحمد الا حمزة فانه اسرها
وروى المسيبي عن اهل المدينة انهم كانوا يستفتحون القراءة بالبسملة

القول في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه انه قال البسملة تيجان
السور وروي ان رجلا قال بحضرة النبي عليه السلام تعس الشيطان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم
الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من ذباب وقال علي بن الحسين
رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
ولوا على ادبارهم نفورا قال معناه اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم وروي
عن جابر بن عبد الله ان النبي عليه السلام قال له كيف تفتتح الصلاة يا جابر قلت
بالحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى ابو هريرة ان
النبي عليه السلام قال اتاني جبريل فعلمني الصلاة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ٥
قال ابو محمد وهذان الحديثان يقتضيان انها آية من الحمد ويرد ذلك
حديث ابي بن كعب الصحيح حتى نعلم سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل
ولا في القرآن مثلها قال فجعلت ابطئ في المشي رجاء ذلك فقال لي كيف تقرأ
اذا افتتحت الصلاة قال فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على آخرها
ويرده الحديث الصحيح يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين يقول العبد الحمد لله رب العالمين ويرده انه لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا عن ابي بكر ولا عن عمر ولا عن عثمان انهم قرءوا في صلاتهم بسم الله الرحمن
الرحيم ويرده عدد آيات السورة لان الاجماع انها سبع آيات الا ما روي
عن حسين الجعفي انها ست آيات وهذا شاذ لا يعول عليه وكذلك

وكذلك روي عن عمرو بن عبيد انه جعل اياك نعبد اية فهي على عده ثماني ايات وهذا
ايضا شاذ وقول الله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني هو الفصل في ذلك والشافعي
رحمه الله يعد بسم الله اية وكثير من قرا مكة والكوفة ولا يعدون انعمت عليهم
ومالك رحمه الله وابو حنيفة وجمهور الفقها والقرا لا يعدون البسملة اية والذي
يحتمله عندي حديث جابر وابي هريرة اذا صح ان النبي صلى الله عليه وسلم راى
قراة جابر وحكى انه امر الصلاة قراه في غير صلاة على جهة التعليم فامره
بالبسملة لهذا لا انها اية وكذلك في حديث ابي هريرة راها قراة تعليم
ولم يفعل ذلك مع ابي لانه قصد تخصيص السورة وتسميتها من الفضل بما لها فلم يدخل
معها ما ليس منها وليس هذا القصد في حديث جابر وابي هريرة والله اعلم
وقال ابن المبارك ان البسملة اية في كل سورة وهذا قول شاذ درد الناس عليها
وروى الشعبي والاعمش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم
حتى امر ان يكتب بسم الله فكتبها فلما نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله
الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها وروى عن ابن
شرحبيل ان جبريل اول ما جا النبي عليه السلام قال له قل بسم الله الرحمن الرحيم
وروي عن ابن عباس ان اول ما نزل به جبريل بسم الله الرحمن الرحيم وفي بعض طرق
خديجة وحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ورقة ان جبريل قال للنبي
قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها فقال اقرا فقال ما انا بقارئ الحديث والبسملة
تسعة عشر حرفا فقال بعض الناس ان رواية بلغتهم ان ملائكة النار الذين قال الله فيهم
عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك
وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله
استضلعوا قال ابو محمد وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم
وهي نظير قولهم في ليلة القدر انها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظة هي من كلمات
سورة انا انزلناه ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل ربنا

ولك

ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فانها بضعة وثلاثون حرفا قالوا
فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد رايت بضعة وثلاثين ملكا
يبتدرونها ايهم يكتبها اول والباء في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة
باسم تقديره ابتدائي مستقر او ثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة بفعل
تقديره ابتدات بسم الله فبسم الله في موضع رفع على مذهب البصريين وفي موضع
نصب على مذهب الكوفيين كذا اطلق القول قوم والظاهر من مذهب سيبويه
ان الباء متعلقة باسم كما تقدم وبسم الله في موضع نصب تعلقا بثابت
او مستقر بمنزلة في الدار من قولك زيد في الدار وكسرت الباء الحرف ليناسب
لفظها عملها او لكونها لا تدخل الا على الاسماء فخصت بالخفض الذي لا يكون
الا في الاسماء او ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف
في قول الاعشى اتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه
الزيت والفتل وحذفت الالف من بسم الله في الخط اختصارا او تخفيفا
لكثرة الاستعمال واختلف النحاة اذا كتبت باسم الرحمن وباسم القاهر
فقال الكسائي وسعيد الاخفش تحذف الالف وقال يحيى بن زياد
تحذف الا مع بسم الله فقط لان الاستعمال انما كثر فيه قال
ابو محمد فاما في غير اسماء الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الالف واسم
اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند البصريين مشتق من السمو
يقال سما يسمو افعل هذا بضم السين في قولك سمو ويقال سمي يسمى فعل
هذا بكسر وحذفت الواو من سمو وكسرت السين من سم كما قال الشاعر
باسم الذي في كل سورة سمه وسكنت السين من بسم اعلالا على
غير قياس وانما استدل على هذا الاصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير
سمي وفي الجمع اسماء وفي جمع الجمع اسامي وقال الكوفيون اصل اسم وسم من
السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لمن وضع له وحذفت فاؤه

اعتلالاً على غير قياس والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي
واما المعنى فيه فحسن لولا ما يوهم من ان يقال في التصغير وسيّم وفي الجمع
اوسام لان التصغير والجمع يردان الاسما الى اصولها وقد ذكر بعض المفسرين
في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد وقال الطبري رحمه الله
انه ليس موضع المسلة واخطأ في خطئه على المتكلمين في هذه المسلة ونحوها ولكن
حسب ما نرى وبك القول فيها فلنقل ان الاسم كزيد واسد وفرس قد يرد في الكلام
يراد به الذات كقولك زيد قايم والاسد شجاع وقد يرد يراد به التسمية ذاتها
كقولك اسد ثلثة احرف ففي الاول يقال الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى
وفي الثاني لا يراد به المسمى ومن الورود الاول قولك يا رحمن اغفر لي وقوله تعالى
الرحمن علم القران ومن الورود الثاني قولك الرحمن وصف لله تعالى واما
اسم الذي هو الف وسين وميم فقد يجري في لغة العرب مجرى الذات يقال ذات
ونفس واسم وعين بمعنى وعلى هذا حمل اكثر اهل العلم قوله سبح اسم ربك
الاعلى وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقوله ما تعبدون من دونه
الا اسما سميتموها انتم واباوكم وعضدوا ذلك بقول لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وقالوا ان لبيدا اراد التحية ❀ وقد يجري اسم في اللغة مجرى ذات العبارة وهو
الاكثر من استعمالها فمنه قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها على اشهر التاويلات
فيه ومنه قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من
احصاها دخل الجنة وعلى هذا الغوا استعمل النحويون الاسم في تصاريفها
فالذي يتحصل من هذا ان الاسما قد يجي يراد به ذوات المسميات وفي هذا يقال
الاسم هو المسمى وقد يجي يراد بها انفسها لا مسمياتها ومن ذلك ان مالكا رحمه الله
سيل عن الاسم اهو المسمى فقال ليس به ولا هو غيره يريد دايما في كل موضع
وهذا موافق لما قلناه والمكتوب الذي لفظه الله ابهر اسما الله تعالى

واكثرها

واكثرها استعمالاً وهو المتقدم لسايرها في الاغلب واما تجي الاخر اوصافا
واختلف الناس في اشتقاقه فقالت فرقة من اهل العلم هو اسم مرتجل
لا اشتقاق له من فعل وانما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى والالف
واللام لازمة له لا للتعريف ولا لغيره بل هكذا وضع الاسم وذهب كثير
من اهل العلم الى انه مشتق من أله الرجل اذا عبد وتاله اذا تنسك ومن ذلك
قول روبة بن العجاج لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تالهي
ومن ذلك قول الله تعالى ويذرك والاهتك على هذه القراءة فان ابن عباس
وغيره قال وعبادتك قالوا فاسم الله مشتق من هذا الفعل لانه الذي
يالهه كل خلق ويعبده حكاه النقاش في صدر سورة ال عمران فالاه فعال
من هذا واختلف كيف تعلل الاله حتى جا الله فقيل حذفت الهمزة حذفا
على غير قياس ودخلت الالف واللام للتعظيم على لاه وقيل بل دخلت على
الاله ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فجا الالاه ثم ادغمت اللام في اللام
وقيل ان اصل الكلمة لاه وعليه دخلت الالف واللام والاول اقوى
وروي عن الخليل ان اصل الاله ولاه وان الهمزة مبدلة من واو كما هي في اشاح
ووشاح واسادة ووسادة وقيل ان اصل الكلمة ولاه كما قال الخليل
الا انها ماخوذة من وله الرجل اذا تحير لانه تعالى تتحير الالباب في
حقايق صفاته والفكر في المعرفة به وحذفت الالف الاخيرة من الله
لئلا يشتكل بخط اللات وقيل طرحت تخفيفا وقيل هي لغة فاستعملت
في الخط ومنها قول الشاعر اقبل سيل جا من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة
والرحمن صفة مبالغة من الرحمة معناها انه انتهى الى غاية الرحمة كما دل
على الاشياء سكران وغضبان وهي صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر
وهي ابلغ من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة
ورحيما يقال لمن كثر منه ذلك والرحمن النهاية في الرحمة وقال بعض

الناس الرحمن والرحيم بمعنى واحد كالندمان والنديم نعم انهما من فعل واحد
ولكن احدهما ابلغ من الاخر واما المفسرون فعبروا عن الرحمن الرحيم بعبارات
فمنها ان الرحمن سمى الله الرحمن لجميع خلقه في الامطار و
الحواس والنعم العامة الرحيم بالمومنين في الهداية لهم واللطف بهم ومنها
ان ابا سعيد الخدري وابن مسعود رويا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الرحمن رحمن الدنيا والاخرة والرحيم رحيم الاخرة وقال ابو علي الفارسي
الرحمن اسم عام في جميع انواع الرحمة يختص به الله والرحيم انما هو في جهة
المومنين كما قال تعالى وكان بالمومنين رحيما **قال المولف** وهذه
كلها اقوال متقاربة وقال عطا الخراساني كان الرحمن فلما اختزل وسمى
مسيلمة الكذاب قال الله لنفسه الرحمن الرحيم فهذا الاقتران من الصفتين
ليس لاحد الا لله تعالى وهذا قول ضعيف لان بسم الله الرحمن الرحيم
كان قبل ان يتسمى مسيلمة وايضا فتسمى مسيلمة هذا لم يكن مما اصل وثبت
وقال قوم من العرب كانت لا تعرف لفظة الرحمن ولا كانت في لغتها
واستدلوا على ذلك بقول العرب وما الرحمن انسجد لما تامرنا وهذا القول
ضعيف وانما وقفت العرب على تعيين الاله الذي امروا بالسجود له لا على
نفس اللفظة واختلف في وصل الرحيم بالحمد فروى عن ام سلمة عن
النبي عليه السلام الرحيم الحمد يسكن الميم ويوقف عليها ويبتدا بالالف
مقطوعة وقراءة قوم من الكوفيين وقرا جمهور الناس الرحيم الحمد تعرب
الرحيم بالخفض ويوصل الالف من الحمد ومن شان من يقرا به اسكان الميم
ثم لما وصل حركها لا لثقلها ولم تعتد بالف الوصل فذلك سايغ والاول
احصر وحكى الكسائي عن بعض العرب انها تقرا الرحيم الحمد بفتح الميم وصلة
الالف كانه سكنت الميم وقطعت الالف ثم القيت حركتها على الميم وحذفت
ولم ترو هذه قراءة عن احد فيما علمت وهذا هو نظر يحيى بن زياد في قوله تعالى

الم الله

تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالى

قال ابن عباس وموسى بن
جعفر عن ابيه وعلي بن الحسين وقتادة وابو العالية ومحمد بن يحيى بن حبان
انها مكية ويويد هذا ان في سورة الحجر ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والسبع الطوال نزلت بعد الحجر بمدد ولا خلاف ان فرض الصلاة كان
بمكة وما حفظ انه كانت قط في الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين
وروي عن عطاء بن يسار وسوادة بن زياد والزهري محمد بن مسلم وعبد الله
بن عبيد ان سورة الحمد مدنية واما اسماوها فلا خلاف انها يقال لها
فاتحة الكتاب لان موضعها يعطي ذلك واختلف هل يقال لها ام الكتاب
فكره الحسن ابن ابي الحسن ذلك وقال ام الكتاب الحلال والحرام قال
الله تعالى ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وقال ابن
عباس وغيره يقال لها ام الكتاب وقال البخاري سميت ام الكتاب لانها
يبدا بكتابتها في المصحف ويبدا بها في الصلاة وفي تسميتها بام الكتاب حديث
رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القران فكره ذلك ابن سيرين
وجوزه جمهور العلماء قال يحيى بن يعمر ام القرى مكة وام خراسان مرو
وام القران سورة الحمد وقال الحسن بن ابي الحسن اسمها ام القران
واما المثاني فقيل سميت بذلك لانها تثنى في كل ركعة وقيل سميت
بذلك لانها استثنيت لهذه الامة فلم تنزل على احد قبلها ذخرا لها
واما فضل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي بن كعب انها لم تنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في القران
مثلها ويروى انها تعدل ثلثي القران وهذا القول اما ان يكون في المعاني
او يكون تفضيلا من الله تعالى وكذلك يجي عدل قل هو الله احد وعدل
اذا زلزلت وغيرها وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحمد لله رب العالمين فضل ثلاثين حسنة على ساير الكلام وورد حديث

لخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كتب له عشرون
حسنة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلثون حسنة وهذا الحديث
هو في الذي يقولها من المؤمنين مع اخراط التب ثواب لان قوله الحمد لله في
ضمنها التوحيد الذي هو معنى لا اله الا الله ففي قوله توحيد وحمد وفي قول لا اله
الا الله توحيد فقط فاما اذا اخذا موضعهما من شرح الملة ومحلهما من
دفع الكفر والاشراك فلا اله الا الله افضل والحاكم بذلك قول النبي صلى الله عليه
وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله
معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد وهو
اعم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر وشكره
حمدا والحمد المجرد هو ثنا بصفات المحمود من غير ان يسدي شيا فالحامد
من الناس قسمان الشاكر والمثني بالصفات وذهب الطبري الى ان الشكر
والحمد بمعنى واحد وذلك غير مرضي وحكي عن بعض الناس انه قال الشكر ثنا على
الله بافعاله وانعامه والحمد ثنا باوصافه **قال ابو محمد** وهذا
اصح معنى من انهما بمعنى واحد واستدل الطبري على انهما بمعنى بصحة قولك
الحمد لله شكرا انما خصصت به الحمد انه على نعمة من النعم وهو في الحقيقة
دليل على خلاف ما ذهب اليه لان قولك شكرا انما خصصت به الحمد انه
على نعمة من النعم واجمع السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من الحمد لله
وروي عن سفين بن عيينة ورؤبة بن العجاج الحمد لله بنصب الدال وهذا على
اضمار فعل وروي عن الحسن بن ابي الحسن وزيد بن علي الحمد لله بكسر الدال على
اتباع الاول الثاني وروي عن ابن ابي عبلة الحمد لله ثنا اثنا به على نفسه وفي
ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجي قولوا
اياك وقال هذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه **كما قال الشاعر**
واعلم انني ساكون رمسا اذا سار النواعج لا يسير

فقال

فقال السائلون لمن حفرتم فقال القائلون لهم وزير ⁂ المعنى المحفور
له وزير فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه وهذا كثير وقرات طائفة
رب بالنصب فقال بعضهم هو نصب على المدح وقال بعضهم هو على النداء
وعليه يجي اياك والرب في اللغة المعبود والسيد المالك والقائم بالامور
المصلح لما يفسد منها والملك يأتي اللفظة لهذا المعنى فما جا في معنى المعبود
قول الشاعر في صنم ارب يبول الثعلبان براسه لقد هان من بالت عليه
الثعالب ⁂ ومما جا بمعنى السيد المالك قولهم رب العبيد والمماليك
ومما جا بمعنى القائم بالامور الرئيس فيها **قول لبيد**
واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر
ومما جا بمعنى الملك **قول النابغة**
تخب الى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريفي وتالدي ⁂ ومن معنى
الاصلاح قولهم اديم مربوب اي مصلح **قال الشاعر**
كانوا كسالئة حمقا اذا حقنت سلاها في اديم غير مربوب ⁂ ومن
معنى الملك **قول صفوان بن امية يوم حنين لاخيه**
لان يربني رجل من قريش خير من ان يربني رجل من هوازن ومنه
قول ابن عباس في شان عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان فان كان
لا بد لان يربني رجل من بني عمي احب الي من ان يربني غيرهم ⁂ ذكره البخاري
في تفسير سورة براءة ومن ذلك **قول الشاعر**
ولست امرا افضت اليك ربابتي ومن قبل ربتني فضعت ربوب ⁂
وهذه الاستعمالات قد تداخلت فالرب على الاطلاق الملك رب
الارباب على كل جهة هو الله تعالى والعالمون جمع عالم وهو كل موجود
سوى الله يقال لجملته عالم ولاجزائه من الجن والانس وغير ذلك عالم عالم
وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث العالم متبدل في زمان آخر حسن جمعها

ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو مأخوذ من العلم والعلامة
لانه يدل على موجده كذا قال الزجاج وقد تقدم القول في الرحمن الرحيم
واختلف القراء في قوله تعالى مالك يوم الدين قال الفارسي وكذلك
قراها قتادة والاعمش قال مكي وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قراها كذلك بالالف وكذلك بالالف وكذلك قراها ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وطلحة وانس
وقرا بقية السبعة ملك يوم الدين وهي رواية عبد الوارث عنه
وروى عن نافع باشباع الكسرة من الكاف في ملك فقرا ملكي وهي لغة للعرب
ذكرها المهدوي وقرا ابو حيوة ملك بفتح الكاف وكسر اللام وقرا ابن السميقع
وعمر بن عبد العزيز والاعمش وابو صالح السمان وابو عبد الملك الشامي مالك
بفتح الكاف وهذا على النداء ليكون ذلك توطئة لقوله اياك وقد رد
الطبري على هذا وقال ان معنى السورة قولوا الحمد لله وعلى ذلك يجي
اياك واهدنا وذكر ايضا ان من فصيح كلام العرب الخروج من الغيبة الى
الخطاب وبالعكس **كقول ابي كبير الهذلي** ياويح
نفسي كان جلدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر **وكما**
قال لبيد باتت تشكي الي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
وكقول الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرا يحيى بن يعمر والحسن
ابن ابي الحسن وعلي بن ابي طالب ملك يوم الدين على انه فعل ماض وقرا
ابو هريرة مليك بالياء وكسر الكاف قال ابو علي ولم يمل احد من القراء الف
مالك وذلك جائز الا انه لا يقرا بما يجوز الا ان ياتي بذلك اثر مستفيض والملك
والملك بضم الميم وكسرها وما تصرف منهما راجع كله الى ملك بمعنى شد وضبط
ثم يختص كل تصريف من اللفظة بنوع من المعنى يدلك على الاصل في ملك **قول**
الشاعر ملكت بها كفي فانهرت فتقها وهذا يصف طعنة فاراد شددت

ومن

ومن ذلك قول اوس بن حجر

تملك باللبط الذي تحت قشرها كغرقئ بيض كنه القيض من عل
اراد شدد وهذا يصف صانع قوس ترك من قشرها ما يحفظ قلب القوس
الذي هو عود وليس بصفة للبط ومن ذلك قولهم املاك المراة واملاك لان
انما هو ربط النكاح كما قالوا عقدة النكاح اذ النكاح موضع شد وربط
فالمالك للشي شاد عليه ضابط له وكذلك الملك واحتج من قرا ملك
بان لفظة ملك اعم من لفظة مالك اذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا والملك
يدبر المالك في ملكه حتى لا يتصرف الا عن تدبير الملك وتتابع المفسرون على
سرد هذه الحجة وهي عندي غير لازمة لانهم اخذوا اللفظتين مطلقتين
لا بنسبة الى ما هو المملوك وفيه الملك فاما اذا كانت نسبة الملك
هي نسبة المالك فالمالك ابلغ مثال ذلك ان نقدر مدينة اهلة عظيمة
ثم نقدر لها رجلا يملكها اجمع او رجلا هو ملكها فقط انما له التدبير
والاحكام فلا شك ان المالك ابلغ تصرفا واعظم اذ اليه اجراء قوانين الشرع
فيها كما لكل احد في ماله ثم عنده زيادة التملك وملك الله تعالى ليوم الدين
هو على هذا الحد فهو مالك وملك والقراءتان حسنتان وحكى ابو علي في
حجة من قرا مالك يوم الدين ان اول من قرا ملك يوم الدين مروان بن الحكم
وانه قد يدخل في المالك ما لا يدخل في الملك فيقال مالك الدنانير والدراهم
والطير والبهائم ولا يقال ملكها ومالك في صفة الله تعالى يعم ملك اعيان
الاشياء وملك الحكم فيها وقد قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك قال
ابو بكر الاخبار الواردة تبطل ان اول من قرا ملك يوم الدين مروان بن
الحكم بل القراءة بذلك اوسع ولعل قائل ذلك اراد به اول من قرا في ذلك العصر او
البلد ونحوه **قال ابو محمد** وفي الترمذي ان النبي عليه السلام
وابا بكر وعمر قرؤوا ملك يوم الدين بغير الف وفيه ايضا انهم قرؤوا مالك

يوم الدين بالف وقال ابو بكر والاختيار اشهر عندي ملك يوم الدين لان
الملك والملك يجمعهما معنى واحد وهو الشد والربط كما قالوا املكت
العجين اي شددته الى غير ذلك من الامثله والملك افخم وادخل في المدح
والايه انما نزلت بالثنا والمدح لله سبحانه فالمعنى انه ملك الملوك في ذلك
اليوم لا ملك لغيره قال والوجه لمن قرا مالك ان يقول ان المعنى ان الله
تعالى يملك ذلك اليوم ان ياتي به كما يملك ساير الايام لكن خصصه
بالذكر لعظمه في جمعه وحوادثه قال ابو الحسن الاخفش يقال ملك بين
الملك بضم الميم لمعنى هذا المعنى وروى بعض البغداديين لي في هذا الوادي
ملك وملك وملك بمعنى واحد قال ابو علي حكى ابو بكر بن السراج
عن بعض من اختار القراه بملك ان الله سبحانه قد وصف نفسه بانه مالك
كل شي بقوله رب العالمين فلا فايده في قراءه من قرا مالك لانها تكرير قال
ابو علي ولا حجه في هذا لان في التنزيل اشيا على هذه الصوره تقدم العام
ثم ذكر الخاص كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور فالخالق يعم
وذكر المصور لما في ذلك من التنبيه على الصنعه ووجود الحكمه وكما قال
تعالى وبالاخره هم يوقنون بعد قوله الذين يومنون بالغيب والغيب يعم الاخره
وغيرها والرد على الكفره الجاحدين لها وكما قال تعالى الرحمن الرحيم
بعد ذكره لتخصيص المومنين في قوله تعالى وكان بالمومنين رحيما قال
ابو محمد وايضا فان الرب يتصرف في كلام العرب بمعنى الملك كقوله
ومن قبل ربتني فضعت ربوب ۞ وغير ذلك من الشواهد فتنعكس الحجه
على من قرا ملك يوم الدين والجر في ملك ومالك على كلتي القراتين هو على الصفه
للاسم المجرور قبله والصفات تجري على موصوفها اذا لم تقطع عنهم لمدح او ذم
والاضافه الى يوم الدين في كلتي القراتين من باب يا سارق الليله اهل الدار اتسع في
الظرف فنصب نصب المفعول به ثم وقعت الاضافه اليه على هذا الحد وليس

هذا كاضافه قوله وعنده علم الساعه لان الساعه مفعول بها على
الحقيقه اي انه يعلم الساعه وحقيقتها فليس امرها على ما الكفار عليه
من انكارها قال ابو محمد واما على المعنى الذي قاله ابن السراج ان
معنى مالك يوم الدين انه يملك مجيئه ووقوعه فان الاضافه الى اليوم
كاضافه المصدر الى الساعه لان اليوم على قوله مفعول به على الحقيقه
وليس اتسع فيه قال ابو علي ومن قرا مالك يوم الدين فاضاف اسم
الفاعل الى الظرف المتسع فيه فانه حذف المفعول من الكلام للدلاله
عليه تقديره مالك يوم الدين الاحكام ومثل هذه الايه في حذف
المفعول به مع الظرف قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فنصب
الشهر على انه ظرف والتقدير فمن شهد المصر في الشهر ولو كان الشهر
مفعولا للزم الصوم للمسافر لان شهادته الشهر كشهاده المقيم وشهد
يتعدى الى مفعول يدلك على ذلك قول الشاعر ويوما شهدناه سليما وعامرا
والدين لفظ يجي في كلام العرب على خمسه اوجه منها المله قال الله تعالى ان
الدين عند الله الاسلام الى كثير من الشواهد في هذا المعنى وسمى حظ
الرجل منها في اقواله واعماله واعتقاداته دينا فيقال فلان حسن الدين
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في رؤياه في قميص عمر الذي راه يجره
قيل فما اولته يا رسول الله قال الدين وقال علي ابن ابي طالب محبه العلما
دين يدان الله به ومن انحاء اللفظه الدين بمعنى العاده فمنه قول العرب
الريح عادت هيف لاديانها ومنه قول امري القيس كدينك من ام الحويرث
قبلها ۞ البيت ومنه قول الشاعر اهذا دينه ابدا وديني ۞ الى غير
ذلك من الشواهد يقال دين وديدن اي عاده ومن انحا اللفظه الدين
سيره الملك وملكته ومنه قول الشاعر لئن حللت بجو في بني اسد في دين
عمرو وحالت بيننا فدك ۞ اراد في موضع طاعه عمرو وسيرته ۞

وهذه الانحا الثلثه لا يفسر بها قوله ملك يوم الدين ومن انحا اللفظه الدين
الجزا فمن ذلك قول العبد الرماني * ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
اي جازيناهم **ومنه قول ... بن خفيل** اذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا
ومنه قول الاخر واعلم يقينا ان ملكك زايل واعلم بان كما تدين تدان *
وهذا النحو من المعنى هو الذي يصلح لتفسير قوله تعالى ملك يوم الدين اي
يوم الجزا على الاعمال والحساب بها كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن
جريج وقتاده وغيرهم قال ابو علي ويدل على ذلك قوله تعالى اليوم تجزى كل
نفس بما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون وحكى اهل اللغه دنته بفعله دينا
بفتح الدال ودينا بكسرها جزيته وقيل الدين المصدر والدين بكسر الدال الاسم
وقال مجاهد ملك يوم الدين اي يوم الحساب مدينين محاسبين **وقال ابو محمد**
اما هذا الشاهد فقد يتاول على غير هذا النحو فلم يبق الا
قول اللحياني **وقوله تعالى** اياك نعبد نطق المومن به اقرار بالربوبيه
وتذلل وتحقيق لعباده الله اذ سائر الناس يعبدون سواه من اصنام وغير ذلك
وقدم المفعول على الفعل اهتماما وشان العرب تقديم الاهم ويذكر ان
اعرابيا سب اخر فاعرض المسبوب عنه فقال له الساب اياك اعني فقال له الاخر
وعنك اعرض فقدما الاهم وقرا الفضل الرقاشي اياك بفتح الهمزه وهي لغه
مشهوره وقرا عمرو بن فايد بكسر الهمزه وتخفيف اليا وذلك انه كره تضعيف
اليا لثقلها وكون الكسره قبلها وهذا التخفيف رديء وان وقرا ابو السوار
الغنوي هياك نعبد وهياك نستعين بالها وهي لغه واختلف النحويون في
اياك فقال الخليل ايا اسم مضمر اضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف وحكى عن العرب
اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وقال المبرد ايا اسم مبهم اضيف
للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين اياك بكماله اسم مضمر يتغير اخره
وحكى عن بعضهم انه قال الكاف والها واليا هي الاسم المضمر لكنها لا تقوم بانفسها

ولا

ولا تكون الا متصله فاذا تقدمت الافعال جعلت ايا عمادا لها
فيقال اياك واياه واياي واذا تاخرت اتصلت بالافعال واستغني عن ايا
وحكي عن بعضهم ان ايا اسم مبهم يكنى به عن المنصوب وزيدت الكاف والها
واليا لتعرفه بين المخاطب والغايب والمتكلم ولا موضع لها من الاعراب
فهي كالكاف في ذلك وفي ارايتك زيدا ما فعل ونعبد معناه نعظم
الشرع والاوامر مع تذلل واستكانه والطريق المذلل يقال له معبد
وكذلك البعير **وقال طرفه**
تباري عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد * وتكرير
ايا لحسب اختلاف الفعلين ولاحتياج كل واحد منهما الى تاكيد واهتمام
ونستعين معناه نطلب العون منك في جميع امورنا وهذا كله تبري من
الاصنام وقرا الاعمش وابن وثاب والنخعي نستعين بكسر النون
وهي لغه لبعض قريش في النون والتاء والهمزه ولا يقولونها في يا الغايب
وانما ذلك في كل فعل سمي فاعله فيه زوايد او في ما ياتي من الثلاثي على فعل
يفعل بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل نحو علم وشرب وكذلك ما
جاء معتل العين نحو خال يخال فانهم يقولون تخال واخال ونستعين
اصله نستعون نقلت حركه الواو الى العين وقلبت يا لانكسار ما قبلها
والمصدر استعانه اصله استعوانا نقلت حركه الواو الى العين فلما انفتح
ما قبلها وهي في نيه الحركه انقلبت الفا فوجب حذف احد الالفين الساكنين
فقيل حذفت الاولى لان الثانيه مجلوبه لمعنى فهي اولى بالابقاء وقيل
حذفت الثانيه لان الاولى اصليه فهي اولى بالابقاء ثم لزمت الها عوضا من
المحذوف **وقوله تعالى** اهدنا رغبه لانها من المربوب الى الرب
وهكذا صيغه الامر كلها فاذا كانت من الاعلى فهي امر والهدايه في اللغه
الارشاد وكلها اذا تومّلت رجعت الى الارشاد فالهدى بمعنى

حلو الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وقوله تعالى
والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقوله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ثم قال ابو المعالي ويقول في الرفع الذون وفي
الذي يلازم واحده في الافراد والجمع تخفيفا لكثرة الاستعمال واختلف الناس
في المشار اليهم بانه انعم عليهم فقال ابن عباس وجمهور من المفسرين انه اراد صراط
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله تعالى ولو
انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من
لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا فالآية تقتضي ان هؤلاء على صراط مستقيم هو المطلوب في الحمد وقال
ابن عباس ايضا المنعم عليهم هم المؤمنون وقال الحسن بن الحسن المنعم عليهم اصحاب
محمد عليه السلام وحكى مكي وغيره من فرقة المفسرين ان المنعم عليهم مؤمنو بني اسرائيل
بدليل قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقال ابن عباس
المنعم عليهم اصحاب موسى قبل ان يبدلوا **قال ابو محمد** وهذا والذي قبله
سواء وقال قتادة بن دعامة المنعم عليهم الانبياء خاصة وحكى مكي عن ابي العالية
انه قال المنعم عليهم محمد عليه السلام وابو بكر وعمر **قال ابو محمد** وقد
تقدم ما حكاه عنه الطبري من انه فسر الصراط المستقيم بذلك على ما حكي فيتفق
الاول ويكون الصراط المستقيم صراط محمد عليه السلام وابو بكر وعمر وهذا
اقوم في المعنى لان تسمية اشخاصهم طريقا تجوز واختلف القراء في الهاء من عليهم
فقرا حمزة بضم الهاء واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرا الباقون جميعها
بكسر الهاء واختلفوا في الميم فروي عن نافع التخيير بين ضمها وسكونها وروي
عنه انه كان لا يعيب ضم الميم فدل ذلك على ان قراءته كانت بالاسكان وكان

عبد الله

عبد الله بن كثير يصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها او انكسرت فيقرا عليهمو ۝
وقلوبهمو وسمعهمو وابصارهمو وقرا ورش الهاء مكسورة والميم موقوفة
الا ان تلقى الميم الفا اصلية فتلحق في اللفظ واوا مثل قوله سواء عليهمو اانذرتهم
وكان ابو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي يكسرون الهاء ويسكنون الميم
فاذا لقي الميم حرف ساكن اختلفوا فكان عاصم وابن كثير ونافع يمضون على الكسر
الهاء وضم الميم مثل قوله تعالى عليهم الذلة ومن دونهم امراتين وما اشبه ذلك
وكان ابو عمرو يكسر الهاء والميم فيقول عليهمِ الذلة واليهمِ اثنين وما اشبهه وكان
الكسائي يضم الهاء والميم معا فيقرا عليهمُ الذلة ومن دونهمُ امراتين قال ابو بكر
احمد بن موسى وكل هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمها انما هو في الهاء الا الضم
او التسكين في مثل قوله منكم وانتم **قال ابو محمد** وحكى صاحب
الدلائل قال قرا بعضهم عليهمو بواو وضمتين وبعضهم بضمتين والقى الياء ۝
وبعضهم بكسر الهاء وضم الميم قال وذلك كله مروي عن الائمة ورؤساء اللغة
قال ابن جني حكى احمد بن موسى عليهمو وعليهمُ بضمة الميم من غير اشباع الى الواو
وعليهم بسكون الميم وقرا الحسن وعمرو بن فايد عليهمي وقوي عليهمِ بكسر الميم دون
اشباع الى الياء وقرا الاعرج عليهمُ بكسر الهاء وضم الميم من غير اشباع وهذه ۝
القراءات كلها بضم الهاء الا الاخيرة وبازاء كل واحدة منها قراءة بكسر الهاء
فيجيء في الجمع عشر قراءات ۝ **وقوله تعالى** غير المغضوب عليهم ولا الضالين
اختلف القراء في الراء من غير فقرا نافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي
بخفض الراء وقرا ابن كثير بالنصب وروي عنه الخفض قال ابو علي الخفض على ضربين
على البدل من الذين او على الصفة للنكرة كما تقول مررت برجل غيرك وانما وقع
هنا صفة للذين لان الذين هنا ليس بمقصود قصدهم فالكلام بمنزلة قولك اني
لامر فاكرمه قال والنصب في الراء على ضربين على الحال كانك قلت انعمت
عليهم لا مغضوبا عليهم وعلى الاستثناء كانك قلت الا المغضوب عليهم ويجوز

النصب على اعني وحكى نحو هذا عن الخليل ومما يحتج به لمن ينصب ان غير نكره فكره
ان يوصف بها المعرفه والاختيار الذي لا خفا به الكسر وقد روي عن ابن كثير
ما دل القولين ما لم يخرج عن اجماع قرا الامصار قال ابو بكر بن السراج والذي
اذ عندي في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفه وهذا شي فيه نظر وليس فلتفهم عني
ما اقول اعلم ان حكم كل مضاف الى معرفه ان يكون معرفه وانما تنكرت غير
ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك اذا قلت رايت غيرك فكل
شي سوى المخاطب فهو غيره وكذلك اذا قلت رايت مثلك كما ما صار اكثرين من اجل
المعنى فاما اذا كان شي معرفه له ضد واحد واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك
السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفه وذلك نحو قولك عليك
بالحركه غير السكون فكذلك قوله غير المغضوب لان من انعم عليه لا يعاقبه الا
من غضب عليه ومن لم يغضب عليه فهو الذي انعم عليه فمتى كانت غير على هذه
الصفه وقصد بها القصد فهو معرفه **قال ابو محمد** انفى ابو بكر
الذين على حد التعريف وجوز نعتها بغير لما فيه من تعريف غير في هذا الموضع
وغيره الى بكر وقف مع تنكير غير وذهب الى تعريف الذين من النكره اذ
هو اسم شايع لا يختص به معين وعلى هذا اجوز نعته بالنكره والمغضوب عليهم
اليهود والضالين النصارى هكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد
والسدي وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
بين من كتاب الله تعالى لان ذكر غضب الله على اليهود مذكور فيه لقوله
وباؤوا بغضب من الله وكقوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبه عند
الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت
اولئك شر مكانا فهولا اليهود بلا خلاف لقوله بعد ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت فقلنا لهم كونوا قرده خاسئين والغضب عليهم هو من الله تعالى وغضب
الله تعالى عباره عن اظهاره عليهم محنا وعقوبات وذله ونحو ذلك مما يدل

على

على انه قد ابعدهم عن رحمته بعدا موكدا اما بالعاقبه والنصارى كان محققوهم
على شرعه قبل ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد ضلوا واما
غير محققيهم فضلالهم متقرر منذ تفرقت اقوالهم في عيسى عليه السلام وقد
قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا
وضلوا عن سوا السبيل قال مكي رحمه الله حكاه دخلت لا في قوله ولا
الضالين لئلا يتوهم ان الضالين عطف على الذين قال وقيل هي مؤكده بمعنى
غير وحكى الطبري ان لا زائده وقال هي هنا على نحو ما هي عليه **في قول الراجز**
فما الوم البيض الا تسخرا . اراد ان تسخر **وفي قول الاحوص**
ويلحينني في اللهو الا احبه وللهو داع دايب غير غافل . قال الطبري
يريد ويلحينني في اللهو ان احبه **قال ابو محمد** وبيت الاحوص انما
معناه اراده ان لا احبه فلا فيه متمكنه قال الطبري ومنه قول الله ما
منعك الا تسجد وانما جاز ان يكون لا بمعنى الحذف لانها تقدمها الجحد
في صدر الكلام فسيق الكلام الاخر مناسبا للاول **قال الشاعر**
ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر . وقرا عمر بن الخطاب
وابي بن كعب غير المغضوب عليهم وغير الضالين وروي عنهما في الرا النصب
والخفض في الحرفين قال الطبري فان **قال** قايل ليس الضلال من صفه اليهود
كما ان النصارى عليهم غضب فلم خص كل فريق بذكر شي مفرد **قيل** هم
كذلك ولكن وسم الله لعباده كل فريق بما قد تكررت العباره عنه به وفهم
به امره **قال ابو محمد** وهذا غير شاف والقول في ذلك ان افاعيل اليهود
من اعتدايهم وتعنتهم وكفرهم مع رويتهم الايات وقتلهم الانبيا امور توجب
الغضب في عرفنا فسمى تعالى ما احل بهم غضبا والنصارى لم يقع لهم شي من ذلك
انما ضلوا من اول كفرهم دون ان يقع منهم ما يوجب غضبا فانما عليهم بل هو الذي
يعم كل كافر وان اجتهد فلهذا انفردت العباره عن الطايفتين بما ذكر وليس

في العبارة بالضالين تعلو للقدرية في أنهم أضلوا أنفسهم لأن هذا إنما
هو كقولك تهدم الجدار وتحركت الشجرة والهادم والمحرك غيرهما وكذلك
النصارى خلق الله الضلال فيهم وضلوا هم بكسبهم وقرأ أيوب السختياني
الضألين بهمزة غير ممدودة كأنه فر من التقاء الساكنين وهي لغة حكى أبو زيد
قال سمعت عمرو بن عبيد يقرأ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن فظننته
قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة وشأبة قال أبو الفتح وعلى هذه
اللغة قول كثير إذا ما العوالي بالعبيط احمأرت
وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فادهأمت
وأجمع الناس على أن عدد آي سورة الحمد سبع آيات العالمين آية الرحيم آية
الدين آية نستعين آية المستقيم آية أنعمت عليهم آية ولا الضالين آية
وقد ذكرنا في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ما ورد من خلاف ضعيف
في ذلك **القول في آمين** روى أبو هريرة وغيره عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة
في السماء تقول آمين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وروى أن جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب
وقت نزولها فقرأها فقال له قل آمين وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده المؤمن وروي أن النبي عليه السلام
سمع رجلا يدعو فقال أوجب إن ختم فقال له رجل بأي شيء يختم
يا رسول الله قال بآمين ومعنى آمين عند أكثر أهل العلم اللهم استجب أو أوجب
يا رب ونحو هذا قاله الحسن بن أبي الحسن وغيره ونص عليه أحمد بن
يحيى ثعلب وغيره وقال قوم هو اسم من أسماء الله روي ذلك عن جعفر بن
محمد ومجاهد وهلال بن يساف وقد روي أن آمين اسم خاتم يطبع به كتب
أهل الجنة التي توحد بالأيمان **قال أبو محمد** فمقتضى هذه الآثار أن

كل دا

كل داع ينبغي له في آخر دعائه أن يقول آمين وكذلك كل قارئ للحمد في غير
صلاة لكن ليس بجهر الترتيل وأما في الصلاة فقال بعض العلماء يقولها كل
مصل من إمام وفذ ومأموم قرأها أو سمعها وقال مالك رحمه الله في
المدونة لا يقول الإمام آمين ولكن يقولها من خلفه ويجوز ويقولها الفذ
وقد روي عن مالك أن الإمام يقولها إسرارا جهرا وروي عنه أن الإمام لا
يؤمن في الجهر وقال ابن حبيب يؤمن وقال ابن بكير هو مخير **قال أبو محمد**
الخلاف إنما هو في الإمام ولم يختلف في الفذ ولا في المأموم إلا أن
ابن نافع قال في كتاب ابن حارث لا يقولها المأموم إلا أن يسمع الإمام
يقول ولا الضالين وإذا كان ببعد لا يسمعه فلا يقل وقال ابن عبدوس
يتحرى قدر القراءة ويقول آمين وهي لفظة مبنية على الفتح لا لالتقاء الساكنين
وكان الفتح مع الياء أخف من سائر الحركات ومن العرب من يقول
أمين فيقصر **ومنه قول الشاعر** أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها ألفين
آمينا ومن العرب من يقول أمين بالقصر **ومنه قول الشاعر**
تباعد مني فطحل إذ رأيته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا واختلف
الناس في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة
فقيل في الإجابة وقيل في خلوص النية وقيل في الوقت والذي يرجح
أن المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية والإقبال على الرغبة
إلى الله بقلب سليم والإجابة تتبع حينئذ لأن من هذه حاله فهو على
الصراط المستقيم

تفسير سورة البقرة [illegible] الله تعالى

هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها
آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي واتقوا يوما ترجعون
فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال لسورة
البقرة فسطاط القرآن وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من

الاحكام والمواعظ وتعلمها عبد الله عبد الله بن عمر بفقهها وما تحتوي عليه
من العلوم في ثمانية اعوام وفيها خمسماية حكم وخمسة عشر مثلا وروى الحسن ابن
ابي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي القران افضل قالوا الله ورسوله
اعلم قال سورة البقرة ثم قال واي اية افضل قالوا الله ورسوله اعلم قال اية الكرسي
ويقال ان معاني ايات الرحمة والرجا والعذاب تنتهي فيها لثمانية وستين
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر
الاول واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وفي الحديث الصحيح
عن النبي عليه السلام انه قال تجي البقرة وال عمران يوم القيمة كانهما غيايتان
سرق او غمامتان سوداوان او كانهما ظلة من طير صواف تجادل عن
عن صاحبهما وفي البخاري انه عليه السلام قال من قرا الايتين من اخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه وروى ابو هريرة عنه عليه السلام انه قال ان البيت الذي
تقرا فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وروي عنه عليه السلام انه قال
لكل شي سنام وسنام القران سورة البقرة فيها اية هي سيدة اي القران
وهي اية الكرسي وعدد اي سورة البقرة مايتان وخمس وثمانون اية وقيل وست
وثمانون وقيل وسبع وثمانون **قوله تعالى** الم اختلف في الحروف التي في اوائل
السور على قولين فقال الشعبي عامر بن شرحبيل وسفين الثوري وجماعة من
المحدثين هي سر الله في القران وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجب
ان يتكلم فيها ولكن يومن بها وتمر كما جاءت وقال جمهور من العلما بل يجب
ان يتكلم فيها وتلتمس الفوايد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها واختلفوا في ذلك
على اثني عشر قولا فقال علي ابن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهما الحروف
المقطعة في القران هي اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف تاليفه منها وقال
ابن عباس ايضا هي اسما الله اقسم بها وقال زيد بن اسلم هي اسما للسور وقال

قتادة

قتادة هي اسما للقران كالفرقان والذكر وقال مجاهد هي فواتح السور
كما يقولون في اول الانشاد لشهير القصايد بل ولا بل **قال ابو محمد**
هذا النحو ابو عبيدة والاخفش وقال قوم هي حساب ابي جاد لتدل على
مدة امة محمد عليه السلام كما ورد في حديث حيي بن اخطب وهو قول ابي العالية
رفيع وغيره وقال قطرب وغيره هي اشارة الى حروف المعجم كانه يقول للعرب
انما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التي عرفتم فقولوا الم بمنزلة قولك ا ب
ت لتدل بها على التسعة والعشرين وقال قوم هي امارة قد كان الله جعلها
لاهل الكتاب انه سينزل على محمد كتابا في اول سورة منه حروف مقطعة
وقال ابن عباس هي حروف تدل انا الله اعلم انا الله ارى انا الله افضل
وقال ابن جبير عن ابن عباس هي حروف كل واحد منها اما ان يكون من اسم من
اسما الله واما من نعمة من نعمه واما من اسم ملك من ملايكته او نبي من
انبيايه وقال قوم هي تنبيه كما في الندا وقال قوم روي ان المشركين لما
اعرضوا عن سماع القران بمكة نزلت ليستغربوها فيفتحون لها اسماعهم
فيسمعون القران بعدها فتجب عليهم الحجة **قال ابو محمد** والصواب
ما قاله الجمهور ان تفسر هذه الحروف ويلتمس لها التاويل لانا نجد
العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التي
الحروف منها **كقول الشاعر** قلت لها قفي فقالت قاف ۞ اراد قالت
وقفت **وكقول القائل** بالخير خيرات وان شرا فا ۞ ولا اريد الشر
الا ان تا ۞ اراد وان شرا فشر واراد الا ان تشا والشواهد في هذا
كثيرة فليس كونها في القران مما تنكره العرب في لغتها فينبغي اذا كان
من معهود كلام العرب ان يطلب تاويله ويلتمس وجهه والوقف على هذه
الحروف على السكون لنقصانها الا اذا اخبرت عنها او عطفتها فانك
تعربها وموضع الم من الاعراب رفع على انه خبر ابتدا مضمر او على انه ابتدا

او نصب باضمار فعل او خفض بالقسم وهذا الاعراب متجه الرفع منه في بعض الاقوال
المتقدمة في الحروف والنصب في بعض والخفض في قول ابن عباس انها اسماء الله اقسم
بها **قوله تعالى** ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الاسم من
ذلك الذال والالف وقيل الذال وحدها والالف لتقوية واللام لبعد المشار اليه
وللتاكيد والكاف للخطاب وموضع ذلك رفع كانه خبر ابتداء او ابتداء او خبره
بعده واختلف في ذلك هنا فقيل هو بمعنى هذا او تكون الاشارة الى هذه الحروف
من القرآن **قال ابو محمد** وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر يتعلق به بعض
الغيبة وبهذا الى غائب هو من الثبوت والحضور بمنزلة وقرب وقيل هو على
بابه اشارة الى غائب واختلف في ذلك الغائب فقيل ما قد كان نزل من القرآن
وقيل التوراة والانجيل وقيل اللوح المحفوظ اي الكتاب الذي هو القدر وقيل
ان الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء فاشار
الى ذلك الوعد وقال الكسائي ذلك اشارة الى القرآن الذي في السماء لم ينزل
بعد وقيل ان الله قد كان وعد اهل الكتاب ان ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم
كتابا فالاشارة الى ذلك الوعد وقيل ان الاشارة الى حروف المعجم في قول
من قال الم حروف المعجم التي تحديتكم بالنظم منها ولفظ الكتاب ماخوذ من كتب
الشيء اذا جمعته وضممت بعضه الى بعض الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب
الناقة ورفع الكتاب يتوجه على البدل او على خبر الابتداء او على عطف البيان
ولا ريب فيه معناه لا شك فيه ولا ارتياب به والمعنى انه في ذاته لا
ريب فيه وان وقع ريب للكفار وقال قوم لفظ قوله لا ريب فيه لفظ
الخبر ومعناه النهي وقال قوم هو عموم يراد به الخصوص اي عند المؤمنين
قال ابو محمد وهذا ضعيف وقرا الزهري وابن محيصن ومسلم
بن جندب وعبيد بن عمير فيه بضم الهاء وكذلك اليه وعليه وبه ونصله
ونوله وما اشبه ذلك حيث وقع على الاصل وقرا ابن ابي اسحق منهم بضم

الهاء ووصلها بواو وهدى معناه رشاد وبيان وموضعه من الاعراب
رفع على انه خبر ذلك او خبر ابتداء مضمر او ابتداء وخبره في المجرور قبله
ويصح ان يكون موضعه نصبا على الحال من ذلك او من الكتاب ويكون العامل
فيه معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل معنى الاستقرار وفي هذا
القول ضعف **وقوله** للمتقين اللفظ ماخوذ من وقى وفعله اتقى على وزن
افتعل واصله الموتقيين استثقلت الكسرة على الياء فسكنت وحذفت لالتقاء
وابدلت الواو تاء على اصلهم في اجتماع الواو والتاء وادغمت التاء في التاء فصار
المتقين والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتثال اوامره واجتناب معاصيه كان
ذلك كان ذلك وقاية بينهم وبين عذاب الله **قوله تعالى** الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يؤمنون معناه
يصدقون ويتعدى بالباء وقد يتعدى باللام كما قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن
تبع وكما قال فما امن لموسى وبين التعديتين فرق وذلك ان المعدية باللام في
ضمنها تعدٍّ بالباء يفهم من المعنى واختلف القراء في همز يؤمنون فكان ابن كثير
ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون يؤمنون وما اشبهه مثل
ياكلون ويامرون ويؤمنون وكذلك مع تحريك الهمزة مثل يؤاخذكم ويؤده الا
ان حمزة كان يستحب ترك الهمز اذا وقف والباقون يقفون بالهمز وروى ورش عن
نافع ترك الهمز في جميع ذلك وقد روي عن عاصم انه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة وكان
ابو عمرو اذا ادرج القراءة او قرا في الصلوات اكثر باعيانها سنذكر في مواضعها
ان شاء الله واذا كان سكون الهمز علامة للجزم لم يترك همزها مثل ننساها
وهيئ لنا وما اشبهه **وقوله** بالغيب قالت طائفة معناه يصدقون
اذا غابوا وخلوا لا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا حضروا ويكفرون اذا غابوا
وقال اخرون عبارات المفسرين في مثل ذلك مختلفة فقالت فرقة الغيب في هذه
الاية الله عز وجل وقال اخرون القضاء والقدر وقال اخرون القرآن وما فيه

فيه من العيوب وقال آخرون الحشر والصراط والميزان والجنة والنار
قال ابو محمد وهذه اقوال لا تعارض بل يقع الغيب على جميعها فالغيب
في اللغة ما غاب عنك من امر ومن بطن الارض الذي يغيب فيه داخله
يقيمون معناه يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت
السوق وهذا تشبيه بالقيام من حالة خفاء قعودا او غيره ومنه قول
الشاعر واذا يقال اتيتم لم يبرحوا حتى تقيم الخيل سوق طعان
ومنه قول الشاعر اقمنا لاهل العراقين سوق الطعان فخافوا وولوا جميعا
واصل يقيمون يقومون نقلت حركة الواو الى القاف فانقلبت بالكون
الكسر قبلها والصلاة ماخوذة من صلى يصلي اذا دعا كما قال الاخر
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فان لجنب المرء مضطجعا
ومنه قول الاخر لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وان ذبحت صلى عليها وزمزما
فلما كانت الصلاة في الشرع دعاء انضاف اليه هيئات وقراءة سمي ذلك
باسم الدعاء وقال قوم هي ماخوذة من الصلا وهو عرق في وسط الظهر
ويفترق عند العجب فيكتنفه ومنه اخذ المصلي في سبق الخيل لانه ياتي مع صلوي
السابق فاشتقت الصلاة منه اما لانها جاءت ثانية للايمان فشبهت بالمصلي
من الخيل واما لان الراكع والساجد يثني صلويه قال ابو محمد والقول
انها من الدعاء احسن وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون كتبت متصلة
وما بمعنى الذي فحقها ان تكون منفصلة لان الجار والمجرور كشيء واحد وايضا
فلما خفيت نون من في اللفظ حذفت في الخط والرزق عند اهل السنة ما صح
الانتفاع به حلالا كان او حراما خلاف قول المعتزلة ان الحرام ليس برزق
وينفقون معناه هنا يوتون ما الزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من
غير ذلك قال ابن عباس ينفقون يوتون الزكاة احتسابا لها قال غيره الاية في
النفقة في الجهاد وقال الضحاك هي نفقات الرجل على اهله قال

ابو محمد

ابو محمد والاية تعم الجميع وهذه الاقوال تمثيل لا خلاف وقوله تعالى
والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اختلف المتاولون فيمن المراد بهذه
الاية وبالتي قبلها فقال قوم الايتان جميعا في جميع المومنين وقال اخرون هما
في مومني اهل الكتاب وقال اخرون الاية الاولى في مومني العرب والاية
الثانية في مومني اهل الكتاب وقال اخرون الاية الاولى في عبد الله بن سلام
وفيه نزلت قال ابو محمد فمن جعل الايتين في صنف واحد فاعراب
والذين خفض على العطف ويصح ان يكون رفعا على الاستيناف اي وهم الذين
ومن جعل الايتين في صنفين فاعراب الذين رفع على الابتداء وخبره اولئك
على هدى ويحتمل الخفض عطفا وقوله بما انزل اليك يعني القران وما انزل
من قبلك يعني الكتب السالفة وقرا ابو حيوة ويزيد بن قطيب بما انزل وما انزل
بفتح الهمزة فيهما خاصة والفعل على هذا يحتمل ان يسند الى الله تعالى ويحتمل
الى جبريل والاول اظهر واليوم والاخرة قيل معناه بالدار الاخرة وقيل
بالنشاة الاخرة ويوقنون معناه يعلمون علما متمكنا في نفوسهم واليقين
اعلى درجات العلم وهو الذي لا يمكن ان يدخله شك بوجه وقول مالك رحمه
الله فيحلف على يقينه ثم يخرج الامر على خلاف ذلك تجوز في العبارة على عرف
تجوز العرب ولم يقصد تحرير الكلام في اليقين وقوله تعالى اولئك
اشارة الى المذكورين واولاء جمع ذا وهو مبني على الكسر لانه ضعف لابهامه
عن قوة الاسماء وكان اصل البناء السكون فحرك لالتقاء الساكنين والكاف
للخطاب والهدى هنا الارشاد واولئك الثاني ابتداء والمفلحون خبره
وهم فصل لانه وقع بين معرفتين ويصح ان يكون هم ابتداء والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك والفلاح الظفر بالبغية وادراك الامل ومنه
قول لبيد اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من كان عقل وقد

وردت للعرب اشعار فيها الفلاح بمعنى البقاء كقوله ونرجو
الفلاح بعد عاد وحميرا وكقول الاخر لكل هم من الهموم سعة
والصبح والمسي لا فلاح معه . والفلاح ايضا ادراك الامل والظفر بالبغية
اذ هو راس ذلك وملاكه وحكى الخليل الفلاح على المعنيين قوله تعالى
ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ٥ معنى الكفر
ماخوذ من قولهم كفر اذا غطى وستر ومنه قول الشاعر في ليلة كفر النجوم
غمامها ، اي سترها ومنه سمي الليل كافرا لانه يغطي كل شي بسواده
قال الشاعر فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما القت ذكاء يمينها في كافر
ومنه قيل للزراع كفار لانهم يغطون الحب فكفر في الدين معناه غطى
قلبه بالرين عن الايمان او غطى الحق باقواله وافعاله واختلف فيمن نزلت
هذه الاية بعد الاتفاق على انها غير عامة لوجود الكفار قد اسلموا بعدها
فقال قوم هي فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن اراد الله تعالى ان يعلم
ان في الناس من هذه حاله دون ان يعين احد وقال ابن عباس نزلت
هذه الاية في حيي بن اخطب ونزلت في قادة الاحزاب وهم اهل القليب ببدر
قال ابو محمد هكذا حكي هذا القول وهو خطا لان قادة الاحزاب قد
اسلم كثير منهم وليسوا اهل القليب وانما ترتبت الاية في اصحاب القليب والقول
الاول مما حكاه هو المعتمد عليه فكل من عين احدا فانما مثل بمن كشف
الغيب بموته على الكفر انه في ضمن الاية وقوله سواء عليهم معناه معتدل
عندهم ومنه قول الشاعر وليل يقول الناس من ظلماته سواء صحيحات العيون
وعورها ٥ قال ابو علي في اللفظة اربع لغات سوى بكسر السين وسوى بضمها
والمد وهاتان لغتان معروفتان ومن العرب من يكسر السين ويمد ومنهم من يضم
اوله ويقصر وهاتان اللغتان معروفتان اقل من تلك ويقال سي بمعنى سواء

كما قالوا قي وقواء وسواء رفع على خبر ان او رفع على الابتداء وخبره ما بعده
والجملة خبر ان ويصح ان يكون خبر ان لا يؤمنون وقرا ابو عمرو وابن كثير
ونافع ءانذرتهم بهمزة مطولة وكذلك ما اشبه ذلك في جميع القران
وكذلك كانت قراءة الكسائي اذا خفف غير ان مد ابي عمرو اطول من
مد ابن كثير لانه يدخل بين الهمزتين الفا وابن كثير لا يفعل ذلك وروى قالون
واسمعيل ابن جعفر عن نافع ادخال الالف بين الهمزتين مع تخفيف الثانية
وروى عنه ورش تخفيف الثانية من غير ادخال الف فاما
عاصم وحمزة والكسائي اذا حققوا وابن عامر فبالهمزتين ءانذرتهم وما كان
مثله في كل القران وقرا ابن عباس وابن ابي اسحق بتحقيق الهمزتين وادخال
الف بينهما وقرا الزهري وابن محيصن انذرتهم بحذف الهمزة الاولى
وتدل ام على الالف المحذوفة وذكر مكي في هذه الاية ذكر جايزات
لم يقرا بها وحكاية مثل ذلك في كتب التفسير عنا والانذار الاعلام
بتخويف هذا حده وانذر فعل يتعدى الى مفعولين قال الله عز وجل
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقال انا انذرناكم عذابا قريبا
واحد المفعولين في هذه الاية محذوف لدلالة المعنى عليه وقوله
تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وانما
جرى عليه لفظ الاستفهام لان فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى
انك اذا قلت مخبرا سواء علي اقعدت ام ذهبت واذا قلت مستفهما اخرج
زيد ام قام فقد استوى الامران عندك هذان في الخبر وهذان في الا
ستفهام
وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ
الاستفهام لمشاركته اياه في الابهام وكل استفهام تسوية وان لم يكن
كل تسوية استفهاما وقوله تعالى ختم ماخوذ من الختم وهو الطبع
والخاتم الطابع وذهبت طايفة من المتاولين الى ان ذلك على الحقيقة وان

القلب على هذه الكيفية ينقبض مع زيادة الضلال والاعراض اصبعا اصبعا
وقال آخرون ان ذلك على المجاز وان ما يخلق الله في قلوبهم من الكفر والضلال
والاعراض عن الايمان سماه ختما وقال آخرون ممن حمله على المجاز ان الختم هاهنا
اسند الى الله تعالى لما كفر الكافرون واعرضوا عن عبادته وتوحيده كما
يقال اهلك المال فلانا وانما اهلكه سوء تصرفه فيه وقرا الجمهور وعلى
سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم وهو في قراءة الجمهور مصدر يقع للقليل
والكثير وايضا فلما اضيف الى ضمير جماعة دل المضاف اليه على المراد
ويحتمل ان يريد على مواضع سمعهم فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
والغشاوة الغطاء المغشي الساتر **ومنه قول النابغة**
هلا سألت بني ذبيان ما حسبي اذا الدخان تغشى الاشمط البرما
وقال آخر تبعتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي الومها • ورفع
غشاوة على الابتداء وما قبله خبره وقرا عاصم فيما روى المفضل الضبي
عنه غشاوة بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة والختم على
هذا التقدير في القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار والوقف على
قوله وعلى سمعهم وقرا الباقون غشاوة بالرفع قال ابو علي وقراءة الرفع اولى
لان النصب اما ان تحمله على ختم الظاهر فيعترض في ذلك انك حلت بين حرف
العطف والمعطوف به وهذا عندنا انما يجوز في الشعر واما ان تحمله على
فعل يدل عليه ختم تقديره وجعل على ابصارهم فيجي الكلام من باب متقلدا
سيفا ورمحا **وقول الآخر** علفتها تبنا وماء باردا ولا تكاد
تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار فقراءة الرفع احسن وتكون
الواو عاطفة جملة على جملة قال ولم اسمع من الغشاوة فعلا متصرفا بالواو
فاذا لم يوجد ذلك وكان معناها معنى ما اللام منه الياء من غشي يغشي
بدلالة قولهم الغشيان فالغشاوة من غشي كالجباوة من جبيت في ان الواو كانها

بدل من الياء اذ لم يعرف منه فعل كما لم يعرف من الجباوة وقال بعض المفسرين
الغشاوة على الاسماع والابصار والوقف على قوله على قلوبهم وقال آخرون
الختم في الجميع والغشاوة هي الختم وقد ذكرناه
اعتراض ابي علي على هذا القول وقرا ابو حيوة غشاوة بفتح الغين
والرفع وهي قراءة الاعمش وقال الثوري كان اصحاب عبد الله يقرؤونها
غشية بفتح الغين والياء والرفع وقرا الحسن غشاوة بضم الغين وقرئت
غشاوة بفتح الغين واصوب هذه القراءات المقروء بها ما عليه السبعة
من كسر الغين على وزن عمامة والاشياء التي هي ابدا مشتملة فهكذا يجيء وزنها
كالضمامة والعمامة والكنانة والعصابة والربابة وغير ذلك **وقوله
تعالى** ولهم عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله استوجبوا
ذلك وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه يتخلله فتور وبهذا التخلل
المتصور يصح ان يتفاضل العرضان كسوادين احدهما اشبع من الآخر اذ قد تخلل
الآخر ما ليس بسواد **قوله تعالى** ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون
الا انفسهم وما يشعرون ۝ كان اصل النون ان تكسر لالتقاء الساكنين لكنها
تفتح مع الالف واللام ومن قال استثقلت كسرتان تتوالى في كلمة على حرفين
فمعترض بقولهم من ابنك ومن اسمك وما اشبهه واختلف النحويون في
لفظة الناس فقال قوم هي من نسي فاصل ناس نسي فجا نيس تحركت الياء
وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا فقيل ناس ثم دخلت الالف واللام وقال
آخرون ناس اسم من اسماء الجموع دون هذا التعليل دخلت عليه الالف واللام
وقال آخرون اصل ناس اناس دخلت الالف واللام فجا الاناس حذفت
الهمزة فجا الناس وادغمت اللام في النون لقرب المخارج وهذه الآية
نزلت في المنافقين **وقوله تعالى** من يقول آمنا رجع من لفظ الواحد

إلى لفظ الجميع بحسب لفظ من ومعناها وحسن ذلك لأن الواحد قبل
الجميع في الآية ولا يجوز أن يرجع متكلم من لفظ جمع إلى توحيد لو قلت ومن الناس
من يقولون ويتكلم لم يجز وسمى الله تعالى يوم القيامة اليوم الآخر لأنه لا ليل بعده
ولا يقال يوم إلا لما تقدمه ليل ثم نفى الله تعالى الإيمان عن المنافقين
وفي ذلك رد على الكرامية في قولهم إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد
بالقلب واختلف المتأولون في قوله يخادعون الله فقال الحسن بن أبي الحسن
المعنى يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاف الأمر إلى الله تجوزا لتعلق
رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم في أن يفشي رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون إليهم أسرارهم فيتحفظون مما يكرهونه ويتنبهون من ضرر المؤمنين
على ما يحبونه وقال جماعة من المتأولين بل يخادعون الله والمؤمنين وذلك
بأن يظهروا من الإيمان خلاف ما أبطنوا من الكفر ليحقنوا دماءهم ويحرزوا
أموالهم ويظنون أنهم قد نجوا وخدعوا وفازوا وإنما خدعوا أنفسهم لحصولهم
في العذاب وما يشعرون بذلك واختلف القراء في يخادعون الثاني فقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو يخادعون وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
وما يخدعون وقرأ أبو طالوت عبد السلام بن شداد والجارود بن أبي سبرة
يُخدعون بضم الياء وقرأ قتادة ومورق العجلي يُخدّعون بضم الياء وفتح الخاء
وكسر الدال وشدها فوجه قراءة ابن كثير ومن ذكر إجراء تناسب اللفظ وإن
سمي الفعل الثاني باسم الفعل الأول المسبب له ويجيء ذلك **كما قال الشاعر**
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ٭ فجعل انتصاره
جهلا ويؤيد هذا المنزع في هذه الآية أن فاعل قد تجيء من واحد كعاقبت اللص
وطارقت النعل ونحوه أيضا هذه القراءة بأن ينزل ما خطر ببالهم ويحصل في
خواطرهم من الدخول في الدين والنفاق فيه والفكر في الأمر وضده في هذا
المعنى بمنزلة محاورة اثنين فيكون الفعل كأنه من اثنين **وقد قال الشاعر**

تذكر من أنّى ومن أين شربه يؤامر نفسيه كذي الهجمة الأبل **وأنشد ابن**
الأعرابي لم تدر ما لا ولست قائلها عمرك ما عشت آخر الأبد
٭ ولم تؤامر نفسيك ممتريا فيها وفي أختها ولم تكد **وقال الآخر**
يؤامر نفسيه وفي العيش فسحة أيستوقع الذوبان أم لا يطورها **وأنشد ثعلب**
عن ابن الأعرابي وكنت كذات الضبع لم تدر إذ بغت تؤامر نفسيها أتسرق أم
تزني ٭ ووجه قراءة عاصم ومن ذكر أن ذلك الفعل هو خدع لأنفسهم يمضي
عليها تقول خادعت الرجل بمعنى أعملت الحيل عليه فخدعته بمعنى تمت
عليه الحيلة ونفذ فيه المراد والمصدر خِدْع بكسر الخاء وخديعة حكى ذلك
أبو زيد فمعنى الآية وما يمضون التسوء إلا على أنفسهم وفيها ووجه قراءة
أبي طالوت أحد أمرين إما أن يقدر الكلام وما يخدعون إلا عن أنفسهم فحذف
حرف الجر ووصل الفعل كما قال الله تعالى واختار موسى قومه أي من قومه وإما
أن يكون يخدعون أعمل عمل ينتقصون لما كان المعنى وما ينتقصون ويستلبون
إلا أنفسهم ونحوه قول الله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ولا يقال
رفثت إلى المرأة لكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك ومنه قوله تعالى
هل لك إلى أن تزكى وإنما يقال هل لك في كذا ولكن لما كان المعنى أدعوك إلى أن
تزكى ساغ ذلك وحسن وهو باب سني من فصاحة الكلام **ومنه قول الفرزدق**
كيف تراني قالبا مجني قد قتل الله زيادا عني ٭ لما كانت قتل قد دخلها معنى
صرف ٭ **وقول الآخر** إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها
لما كانت رضيت قد تضمنت معنى أقبلت علي وأما الكسائي فقال في هذا
البيت وصل رضي بعلى لأن نقيضه وهو سخط وقد يجري الأمر في اللسان
مجرى نقيضها ووجه قراءة قتادة المبالغة في الخدع إذ هو مصير إلى عذاب
الله قال الخليل يقال خادع من واحد لأن في المخادعة مهلة كما يقال
عالجت المريض لمكان المهلة **قال أبو محمد** وهذا من دقيق نظره وكأنه

يردُ فاعل الى اثنين ولا بد من حيث ما فيه مماطله ومدافعه ومماطله وكانه
تقاوم في المعنى الذي جرى فيه فاعل **وقوله تعالى** وما يشعرون معناه
وما يعلمون علم يقظه وتنبه وهي لفظه ماخوذه من الشعار كان الشي
المتفطن له شعار النفس والشعار الثوب الذي يلي جسد الانسان وهو
ماخوذ من الشعر والشاعر المتفطن لغريب المعاني وقولهم ليت شعري معناه
ليت فطنتي تدرك ومن هذا المعنى **قول الشاعر**
عفوا بسهم فلم يشعر به احد ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح ** واختلف
ما الذي نفى الله عنهم ان يشعروا به فقالت طايفة وما يشعرون ان ضرر تلك
المخادعه راجع عليهم لخلودهم في النار وقال اخرون وما يشعرون ان الله
يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم امنا **قوله تعالى** في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
المرض عباره مستعاره للفساد الذي في عقايد هولا المنافقين وذلك
اما ان يكون شكا واما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحه ما يجحدون
ونحو هذا فسر المتاولون وقال قوم المرض غمهم بظهور امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرا الاصمعي عن ابي عمرو مرض بسكون الراء وهي لغه
في المصدر قال ابو الفتح وليس بتخفيف واختلف المتاولون في معنى
قوله فزادهم الله مرضا فقيل هو دعا عليهم وقيل هو خبر ان الله قد
فعل بهم ذلك وهذه الزياده هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين
فهي على هولا المنافقين عمى وكلما كذبوا ازداد المرض وقرا حمزه
فزادهم بكسر الزاي وكذلك ابن عامر وكان نافع يشم الزاي الى الكسر والاليم
الموجع والاليم معناه مولم **كما قال الشاعر** وهو عمرو بن معدي كرب
امن ريحانه الداعي السميع * بمعنى مسمع وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو

وابن عامر يكذبون بضم الياء وتشديد الذال وقرا الباقون بفتح الياء وتخفيف
الذال فالقراءه بالتثقيل يويدها قوله تعالى قبل وما هم بمومنين فهذا اخبار
بانهم يكذبون والقراءه بالتخفيف يويدها ان سياق الايات قبل انما هي اخبار
بكذبهم والتوعد بالعذاب الاليم متوجه على التكذيب وعلى الكذب
في مثل هذه النازله اذ هو منطوعلى الكفر وقراءه التثقيل ارجح واذا ظرف
زمان وحكي عن المبرد انها في قولك في المفاجاه خرجت فاذا زيد فانما
تضمنت المصدر كما تقتضيه ساير ظروف الزمان ومنه قولهم اليوم خمر وغدا
امر فمعناه وجودكم ووقوع امر والعامل في اذا في هذه الايه قالوا واصل
قيل قول نقلت حركه الواو الى القاف فقلبت ياء لانكسار ما قبلها وقرا الكسائي
قيل وغيض وسي وسيئت وحيل وسيق وجيء بضم اوايل ذلك كله وروي مثل
ذلك عن ابن عامر وروي ايضا عنه انه كسر غيض وجي اوايل القاف والجيم حيث وقع
من القران وضم نافع من ذلك كله حرفين سي وسيئت وكسر ما بقي وكان الحبر
وعاصم وابو عمرو وحمزه يكسرون اوايل هذه الحروف كلها والضمير في
لهم هو عايد الى المنافقين المشار اليهم قبل وقال بعض الناس الاشاره هنا
هي الى منافقي اليهود وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه في تفسير
هذه الايه لم يجي هولا بعد ومعنى قوله لم يمض وابل هم يجيون في كل
زمن ولا تفسدوا في الارض معناه بالكفر وموالاه الكفره وجمع
اسم من ضمير المرفوع مبني على الضم اذ كان اسما قويا يقع للواحد المعظم والاثنين
والجماعه فاعطي اسنى الحركات وايضا فلما كان في الاغلب ضمير جماعه
وضمير الجماعه في الاسما الظاهره بالواو اعطي الضمه اذ هي اخت الواو وقول
المنافقين انما نحن مصلحون يحتمل احد معنيين احدهما انهم لا يفسدون وهذا
استمرار منهم على النفاق والثاني ان يعتقدوا موالاه الكفار وينهوا عن انها
صلاح من حيث هم قرابه توصل والثالث انهم مصلحون بين الكفار والمومنين

فلذلك يدلطون الكفار وألا استفتاح كلام وان بكسر الالف استيناف
وهم الثاني رفع بالابتداء والمفسدون خبره والجملة خبر ان ويحتمل ان يكون
فصلا ويسميه الكوفيون العماد ويكون المفسدون خبر ان فعلى هذا لا موضع
لهم من الاعراب ويحتمل ان يكون تاكيدا للضمير في انهم فموضعه نصب ودخلت
الالف واللام في قوله المفسدون لما تقدم ذكر في قوله لا تفسدوا فكانه ضرب من العهد
ولو جاء الخبر عنهم ولم يتقدم من اللفظة ذكر لكان الا انهم مفسدون
قاله الجرجاني **قال ابو محمد** وهذه الالف واللام تتضمن المبالغة كما
تقول زيد هو الرجل اي حق الرجل وقد يستعمل [...] مقدمة تقتضي عهدا ولكن
بجملته حرف استدراك ويحتمل ان يراد هنا لا يشعرون انهم مفسدون
ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله يفضحهم وهذا مع ان يكون قولهم نحن
مصلحون اعتقادا منهم انه صلاح في صلة القرابة او اصلاح بين المومنين
والكافرين **قوله تعالى** وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا
أنومن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون المعنى
صدقوا محمدا وشرعه مثل ما صدق المهاجرون والمحققون من اهل يثرب
قالوا انكون كالذين خفت عقولهم والسفه الخفة والرقة الداعية الى الخفة
يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا هلهل النسج **ومنه قول ذي الرمة**
مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم
وهذا القول انما كانوا يقولونه في خفاء فاطلع الله عليه نبيه والمومنين
وقرر ان السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر انما هو في حيزهم وصفة لهم
واخبر انهم لا يعلمون انهم السفهاء للرين الذي على قلوبهم وقال قوم الآية
نزلت في منافقي اليهود والمراد بالناس عبد الله بن سلام ومن اسلم من بني اسرائيل
قال ابو محمد وهذا تخصيص لا دليل عليه ولقوا اصله لقيوا استثقلت

قالوا آمنا

الضمه

الضمة على الياء فسكنت فاجتمع الساكنان فحذفت الياء وقرا ابن السميفع
لاقوا الذين وهذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمومنين واظهار الكفر
في خلواتهم بعضهم مع بعض وكان المومنون يلبسونهم على ذلك لموضع القرابة
فلم يلبس عليهم الشهادات ولا تقرر تعيينهم في النفاق تقررا يوجب بوضوح
الحكم بقتلهم وكان ما يظهرونه من الايمان يحقن دماءهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة ان يتحدث
عنه انه يقتل اصحابه فتنفر الناس حسب ما قال عليه السلام لعمر بن
الخطاب حين قال له وقت قول عبد الله بن ابي بن سلول لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القصة دعني يا رسول الله اضرب عنق
هذا المنافق فقال دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فهذه
طريقة اصحاب مالك رحمه الله في معنى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المنافقين مع علمه بكفرهم في الجملة نص على هذا محمد بن الجهم واسمعيل
القاضي والابهري وابن الماجشون واحتج بقوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا
يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
قال قتادة معناه اذا هم اعلنوا النفاق قال مالك رحمه الله النفاق
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق
اذا شهد عليه بها دون استتابة لانه لا يظهر ما يستتاب منه وانما كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين
ليسن لامته ان الحاكم لا يحكم بعلمه اذ لم يشهد على المنافقين قال القاضي اسمعيل
لم يشهد على عبد الله بن ابي الا زيد بن ارقم وحده ولا على الجلاس بن سويد
الا عمير بن سعد ربيبه وحده ولو شهد على احد منهم رجلان بكفره
من نفاقه لقتل **قال ابو محمد** اقوى من انفراد زيد وغيره ان اللفظ ليس بصريح

كفرٍ وامارتهم من قوته الكفر قال القاضي رحمه الله السنة من يشهد عليه
بالزندقة فجحد واعلن بالايمان وتبرا من كل دين سوى الاسلام ان ذلك يمنع من اراقة
دمه وبه قال اصحاب الراي والطبري وغيرهم وقال الشافعي واصحابه وانما
منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين لما كانوا اظهروه من الاسلام
بالسنتهم مع العلم بنفاقهم لان ما يظهرونه يجب ما قبله فمن قال ان عقوبة الزنادقة
اشد من عقوبة الكفار فقد خالف معنى الكتاب والسنة وجعل شهادة الشهود
على الزنديق فوق شهادة الله على المنافقين قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون قال الشافعي وابو حنيفة وابن حنبل واهل الحديث كان المعنى
الموجب لكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين مع العلم
بهم ان الله تعالى نهاه عن قتلهم اذا اظهروا الايمان وصلوا وكذلك هو
الزنديق واحتج ابن حنبل بحديث عبيد الله بن عدي بن الخيار عن رجل من
الانصار في الذي شهد عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفاق فقال
اليس يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قالوا بلى ولا شهادة له قال اليس
يصلي قالوا بلى ولا صلاة له قال اولئك الذين نهاني الله عنهم وذكر ايضا
اهل الحديث ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فيهم لعل
الله سيخرج من اصلابهم من يؤمن بالله ويصدق المرسلين ويخلص العبادة لرب
العالمين قال ابو جعفر الطبري في كتاب اللطيف في باب المرتد ان الله تعالى
قد جعل الاحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم في سرائرهم دون احد من
خلقه فليس لاحد ان يحكم بخلاف ما ظهر لانه حكم بالظنون ولو كان ذلك لاحد
كان اولى الناس به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين
بما اظهروا ووكل سرائرهم الى الله وقد كذب الله ظاهرهم في قوله تعالى والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون قال ابو محمد فيفصل المالكيون على

الرموه

الرموه من هذه الاية بانها لم تعين اشخاصهم وانما جاء فيها توبيخ لكل مغموص
عليه بالنفاق وبقي لكل واحد منهم ان يقول لم ارد بها ولا انا الا مؤمن ولو عين
احد لما جب كذبه شيئا وقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم وصلت
خلوا بالى وعرفها ان تصل بالباء فتقول خلوت بفلان من حيث كانت خلوا في
هذا الموضع بمنزلة ذهبوا وانصرفوا اذ هو فعل معادل لقوله لقوا وهذا مثل
ما تقدم من قول الفرزدق قد قتل الله زيادا عني لما انزلها منزلة صرف ورد
وقال مكي يقال خلوت بفلان بمعنى سخرت به فجاءت الى في الاية رد الى غير
الاشتراك في الباء وقال قوم الى بمعنى مع وفي هذا ضعف ويأتي بيانه ان
شا الله في تفسير قوله من انصاري الى الله وقال قوم الى بمعنى الباء اذ حروف
المعاني تبدل بعضها من بعض وهذا ضعيف ياباه الخليل وسيبويه وغيرهما
واختلف المفسرون في المراد بالشياطين فقال ابن عباس رضي الله عنه هم رؤسا
الكفر وقال ابن الكلبي وغيره هم شياطين الجن قال ابو محمد
وهذا في هذا الموضع بعيد وقال جمع من المفسرين هم الكهان ولفظ الشيطنة
الذي معناه البعد عن الايمان والخير يعم جميع من ذكر والمنافقين حتى يقدر لكل
واحد شيطان غيره فمنهم الخالون ومنهم الشياطين ومستهزءون معناه نحن
هولاء الذين نصانعهم باظهار الايمان هزوا او نستخف بهم ومذهب سيبويه
رحمه الله ان تكون الهمزة مضمومة على الواو في مستهزءون وحكى عنه ابو علي انها تخفف
بين بين ومذهب ابي الحسن الاخفش ان تقلب الهمزة ياء قلبا صحيحا فيقرا
مستهزيون قال ابن جني حمل الياء الضمة بذكر الحال الهمزة المضمومة والعرب
تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة واكثر القراء على ما ذهب سيبويه وتعالى هزي
واستهزي بمعنى فهو كعجب واستعجب ومنه قول الشاعر
ويستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم قوله تعالى
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا

الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اختلف المفسرون في
هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل
ذلك كثيرا ومنه قول الشاعر ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وقال قوم ان الله تعالى يفعل بهم افعالا هي في تامل البشر هزو حسب ما يروى
ان النار تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم
وما يروى ان ابواب النار تفتح لهم فيذهبون الى الخروج نحاه المنجا ابن عباس
والحسن وقال قوم استهزاؤه هو استدراجهم من حيث لا يعلمون وذلك انهم بدرور
نعم الله الدنيا عليهم يظنون انه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم فهذا على
تامل البشر كانه استهزاء ويمدهم معناه يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد
معناه يملي لهم قال يونس بن حبيب وامده ما كان من غير التة تقول مد النهر
وامده نهر آخر ويقال امده قال اللحياني يقال لكل شيء دخل فيه مثله فكثره مده
يمده مدا وفي التنزيل والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ومادة الشيء ما يمده دخلت
فيه الهاء للمبالغة قال ابن قتيبة وغيره مددت الدواة وامددتها بمعنى
قال ابو محمد يشبه ان يجوز مددتها جعلت لها مدادا آخر وامددتها
جعلتها ذات مداد مثل قبر واقبر وحصر واحصر ومددنا القوم صرنا لهم انصارا
وامددناهم بغيرنا وحكى اللحياني ايضا امد الامير جنده بالخيل وفي التنزيل
وامددناكم باموال وبنين قال بعض اللغويين ويمدهم في طغيانهم اي يملي لهم ويلجهم
قال ابو محمد فيحتمل اللفظ ان يكون من المد الذي هو المطل والتطويل كما فسر
في عمه مدده ويحتمل ان يكون من معنى الزيادة في نفس الطغيان والطغيان الغلو
وتعدي الحد كما قال طغى الما وطغت النار وروي عن الكسائي انه قرا طغيانهم
ويعمهون معناه يترددون حيرة والعمه الحيرة من جهة النظر والعامه الذي كانه
لا يبصر من التحير في ظلام او فلاة وهم **وقوله** اولئك اشارة الى المتقدم ذكرهم
وهو رفع بالابتداء والذين خبره واشتروا اصله اشتريوا واصله اشتريو تحركت اليا

والفتح

وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا فحذفت لالتقاء الساكنين وقيل استثقلت
الضمة على اليا فسكنت وحذفت لالتقاء وحركت الواو بعد ذلك لالتقائها
بالساكن بعدها وخصت بالضم لوجوه منها ان الضمة اخت الواو واخف
الحركات عليها ومنها انه لما كانت واو جماعة ضمت كما فعل بالنون في نحن
ومنها انها ضمت اتباعا لحركة اليا المحذوفة بعدها قال ابو علي
صار الضم فيها اولى ليفصل بينها وبين واو او ولو اذ هذان حركا بالكسر وقرا
ابو السمال قعنب العدوي بفتح الواو في اشتروا الضلالة وقراها
يحيى بن يعمر بكسر الواو والضلالة والضلال التلف نقيض الهدى الذي هو
الرشاد الى المقصد واختلفت عبارة المفسرين عن معنى قوله اشتروا الضلالة
بالهدى فقال قوم اخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال آخرون استحبوا
الضلالة وتركوا الهدى كما قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وقال آخرون
الشرى هنا استعارة وتشبيه لما تركوا الهدى وهو معرض لهم ووقعوا بدله في
الضلالة واختاروها شبهوا بمن اشترى فكانهم دفعوا في الضلالة هداهم
اذ كان لهم اخذه وبهذا المعنى تعلق مالك رحمه الله في منع ان يشتري الرجل
على ان يتخير في كل ما يختلف احاد جنسه ولا يجوز فيه التفاضل وقال قوم
الآية فيمن كان امن من المنافقين ثم ارتد في باطنه وعقده وقرب الشرا من
الحقيقة على هذا **وقوله تعالى** فما ربحت تجارتهم حتى المثل بما يشبه ذلك
من لفظة الشرا واسند الربح الى التجارة كما قالوا ليل قائم ونهار صائم والمعنى
فما ربحوا في تجارتهم وقرا ابراهيم بن ابي عبلة فما ربحت تجاراتهم بالجمع
وقوله تعالى وما كانوا مهتدين قيل المعنى في شرائهم هذا وقيل على
الاطلاق وقيل في سابق علم الله وكل هذا يحتمله اللفظ **وقوله تعالى**
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون المثل والمثل والمثيل واحد

معناه التشبيه هكذا نص أهل اللغة والمماثلة المشابهة وقد يكون مثل الشيء جرما مثله وقد يكون ما تفعل النفس وتتوهمه من الشيء مثلا له فقوله تعالى مثلهم كمثل معناه أن الذي يتحصل في نفس الناظر في أمرهم كالذي يتحصل في نفس الناظر في أمر المستوقد وبهذا يزول الاشكال الذي في تفسير قوله تعالى مثل الجنة وفي تفسير قوله تعالى ليس كمثله شيء لأن ما يحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ونفي ما لا يجوز عليه ليس يماثله فيه شيء وذلك المتحصل هو المثل الأعلى الذي في قوله عز وجل ولله المثل الأعلى وقد جاء في تفسير أنه لا إله إلا الله هذه الجهة الوحدانية وقوله مثلهم رفع بالابتداء والخبر في الكاف وهي على هذا اسم كما هي في قول الأعشى

أتنتهون ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ويجوز أن يكون الخبر محذوفا تقديره مثلهم مستقر كمثل فالكاف على هذا حرف ولا يجوز ذلك في بيت الأعشى لأن المحذوف فاعل تقديره شيء كالطعن والفاعل لا يجوز حذفه عند جمهور النحويين ويجوز حذف خبر الابتداء إذا كان الكلام دالا عليه وجوز أبو الحسن الأخفش حذف الفاعل وأن يكون الكاف في بيت الأعشى حرفا ووحد الذي لأنه لم يقصد تشبيه الجماعة بالجماعة وإنما المقصد أن كل واحد من المنافقين فعله كفعل المستوقد والذي أيضا ليس بإشارة إلى واحد ولا بد إلى هذا الفعل ومع من واحد ومن جماعة قال النحويون الذي اسم مبهم يقع للواحد وللجميع واستوقد قيل معناه أوقد فذلك بمنزلة عجب واستعجب بمعنى قال أبو علي وبمنزلة هزئ واستهزأ وسخر واستسخر وعلا قرنه واستعلاه وقد جاء استفعل بمعنى أفعل أجاب واستجاب ومنه قول الشاعر

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأخلف لأهله واستخلف إذا جلب لهم الماء ومنه قول الشاعر

ومستخلفات من بلاد تنوفة لمصفرة الأشداق حمر الحواصل ومنه قول

الآخر

الآخر

سقاها فرواها من الماء مخلف

ومنه أوقد واستوقد قاله أبو زيد وقيل استوقد يراد به طلب من غيره أن يوقد له على المشهور من باب استفعل وذلك يقتضي حاجته إلى النار فانطفاؤها مع حاجته إليها أنكى لهم واختلف في أضاءت فقيل يتعدى لأنه نقل بالهمزة من ضاء ومنه قول العباس بن عبد المطلب في النبي عليه السلام

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

وعلى هذا فما في قوله ما حوله مفعوله وقيل أضاءت لا يتعدى لأنه يقال أضاء وضاء بمعنى فما زائدة وحوله ظرف واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد نارا فقالت طائفة هي فيمن كان آمن ثم كفر بالنفاق فقال إنه بمنزلة النار أضاءت وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقال الحسن بن أبي الحسن وغيره إنما يظهر المنافق في الدنيا من الإيمان فيحقن دمه ويحرز ماله ويناكح ويخالط كالنار التي أضاءت ما حوله فإذا مات صار إلى العذاب الأليم فذلك بمنزلة انطفائها وبقائه في الظلمات وقالت فرقة إن إقبال المنافقين إلى المسلمين وكلامهم معهم كالنار وانصرافهم إلى مردتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها وقالت فرقة المنافقين كانوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمنزلة عالية أظهروا أملا ففضحهم الله وأعلم بنفاقهم فسقطت المنزلة فكان ذلك كله بمنزلة النار وانطفائها وقالت فرقة منهم قتادة نطقهم بلا إله إلا الله والقرآن كإضاءة النار واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها قال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم في هذا القول على الذي ويصح شبه الآية بقول الشاعر

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لأن بقاء المستوقد في ظلمات

لا يبصر كبقاء المنافق على الاختلاف المتقدم وقال قوم جواب لما مضمر
وهو طفئت والضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا هو عن
حال يكون في الاخرة وهو قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب قال
ابو محمد وهذا القول غير قوي وقرا الحسن بن ابي الحسن وابو السمال
في ظلمات وكسرا ليك لغات اتباع الضم الضم والكسر الكسر او التخفيف
بان يعدل الى الفتح في الثاني او التخفيف بان يسكن الثاني وكل ذلك جائز
حسن فاما فعلات بالفتح فلا بد فيه من التثقيل اتباعا فقول ثمرة وثمرات
قال ابو محمد وذهب قوم في ظلمات بفتح اللام الى انه
جمع ظلم فهو جمع جمع والاصم الذي لا يسمع والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا
لم يفهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد ووصفهم بهذه الصفات
اذ اعمالهم من الخطا وقلة الاجابة كاعمال من هذه صفته وصم رفع على خبر ابتدا
فاما ان يكون ذلك على تقدير تكرار اولئك واما على اضمار وقرا عبد الله بن مسعود
وحفصة ام المومنين صما بكما عميا بالنصب ونصبه على الحال من الضمير في مهتدين
وقيل هو نصب على الذم وفيه ضعف واما من جعل الضمير في نورهم للمنافقين
لا للمستوقدين فنصب هذه الصفات على قوله على الحال من الضمير في تركهم قال
بعض المفسرين قوله تعالى فهم لا يرجعون اخبار منه تعالى انهم لا يومنون بوجه
وانما كان يصح هذا ان لو كانت الاية في معينين وقال غيره معناه فهم لا
يرجعون ما داموا على الحال التي وصفهم بها وهذا هو الصحيح لان الاية لم تعين
وكلهم معرض للرجوع ومدعو اليه قوله تعالى او كصيب من السما
فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر
الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضا
لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم
ان الله على كل شي قدير او للتخيير معناه مثلوهم بهذا او بهذا لا على

الاقتصار

الاقتصار على احد الامرين وقوله كصيب على كمثل الذي وقال الطبري او
بمعنى الواو قال ابو محمد وهذه عجمة والصيب المطر من صاب يصوب اذا
انحط من علو الى سفل ومنه قول علقمة بن عبدة كانهم صابت عليهم سحابة
صواعقها لطيرهن دبيب وقال الاخر فلست لانسي ولكن لملاك تنزل
من جو السماء يصوب ∴ واصل صيب صيوب اجتمعت الياء والواو
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت كما فعل في سيد وميت
وقال بعض الكوفيين اصل صيب صويب على مثال فعيل وكان يلزمه ان لا يعل
كما لم يعل طويل فبهذا يضعف هذا القول وقوله تعالى ظلمات بالجمع اشارة
الى ظلمة الليل وظلمة الدجن ومن حيث تتراكب وتتزيد جمعت وكون الدجن
مظلما هول وغم النفس بخلاف السحاب والمطر اذا انجلى دجنه فانه سار جميل
ومنه قول قيس بن الخطيم فما روضة من رياض القطا كان المصابيح حوذانها
باحسن منها ولا مزنة دلوح تكشف اغداجا نها ∴ واختلف العلماء في
الرعد فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك يزجر
السحاب وهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد
غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل
الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم الصوت المسموع قاله
علي بن ابي طالب وهذا هو المعلوم في لغة العرب وقد قال لبيد في جاهليته
فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد ∴ وروي عن ابن عباس
انه قال الرعد ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت وقيل الرعد اصطكاك
اجرام السحاب واكثر العلماء على ان الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب
واختلفوا في البرق فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو مخراق حديد بيد
الملك يسوق به السحاب وقال ابن عباس هو سوط نور بيد الملك يزجر
به السحاب وروي عن ابن عباس ان البرق ملك يتراءى وقال قوم البرق ما

وهذا قول ضعيف والصاعقة قال الخليل هي الواقعة الشديدة من صوت
الرعد يكون معها احيانا قطعة نار يقال انها من المخراق الذي بيد الملك وقيل
في قطعة النار انها ما يخرج من فم الملك عند غضبه وحكى الخليل عن قوم من العرب
الساعقة بالسين وقال النقاش يقال صاعقة وصعقة وصاقعة بمعنى
واحد وقرا الحسن بن ابي الحسن من الصواقع بتقديم القاف قال ابو عمرو وهي
لغة تميم وقرا الضحاك ابن مزاحم حذار الموت بكسر الحاء وبالف واختلف
المتاولون في المقصد بهذا المثل وكيف احوال المنافقين الموازنة لما في المثل
من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين مثل الله تعالى
القران بالصيب لما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه
من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة التي تكاد احيانا
ان تبهرهم هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعلهم اصابعهم في اذانهم
وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد
والزكاة ونحوه هي الصواعق **قال ابو محمد** وهذا كله صحيح بين
وروي عن ابن مسعود انه قال ان رجلين من المنافقين هربا من النبي صلى الله عليه وسلم
الى المشركين فاصابهما هذا المطر الذي ذكر الله وايقنا بالهلاك فقالا ليتنا
اصبحنا فناتي محمدا ونضع ايدينا في يده فاصبحا واتياه وحسن اسلامهما فضرب
الله ما نزل بهما مثلا للمنافقين وقال ايضا ابن مسعود ان المنافقين في مجلس
رسول الله كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا القران فضرب الله
المثل لهم **قال ابو محمد** وهذا وفاق لقول الجمهور الذي ذكرناه وقال
قوم الرعد والبرق هما بمثابة زجر القران ووعيده محيط بالكافرين معناه
بعقابه واخذه يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا
من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره وفي الكلام حذف مضاف ويكاد
فعل ينفي المعنى مع ايجابه ويوجبه مع النفي فهنا لم يخطف البرق الابصار

والخطف

والخطف الانتزاع بسرعة واختلف القراء في هذه اللفظة فقرا جمهور الناس
يخطف ابصارهم بفتح الياء والطاء وسكون الخاء على قولهم في الماضي خطف بكسر
الطاء وهي افصح لغات العرب وهي القرشية وقرا علي بن الحسين ويحيى بن
وثاب يخطف بفتح الياء وسكون الخاء وكسر الطاء على قول بعض العرب في الماضي
خطف بفتح الطاء ونسب المهدوي هذه القراءة الى الحسن وابي رجاء وذلك
وهم وقرا الحسن وابو رجاء وعاصم الجحدري وقتادة يخطف بفتح
الياء وكسر الخاء والطاء وتشديد الطاء وهذه اصلها يختطف ادغمت التاء في
الطاء وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين وحكى ابن مجاهد قراءة ولم ينسبها الى
احد يخطف بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء المكسورة قال ابو الفتح اصلها
يختطف نقلت حركة التاء الى الخاء وادغمت التاء في الطاء وحكى ابو عمرو الداني
عن الحسن ايضا انه قرا يخطف بفتح الياء والخاء وشدها وهذه ايضا اصلها
يختطف ادغم وكسرت الخاء للالتقاء وكسرت الياء اتباعا وقال عبد الوارث
رايتها في مصحف ابي بن كعب يتخطف بالتاء بين الياء والخاء وقال الفراء قرا
بعض اهل المدينة بفتح الياء وسكون الخاء وشد الطاء مكسورة قال ابو الفتح
انما هو اختلاس واخفاء فيلطف عندهم فيرون انه ادغام وذلك لا يجوز لانه
جمع بين ساكنين فيلطف عندهم فيرون انه ادغام وذلك لا يجوز لانه جمع بين
ساكنين دون عذر وحكى الفراء قراءة عن بعض الناس بضم الياء وفتح الخاء وشد
الطاء مكسورة **قال ابو محمد** كانه تشديد مبالغة لا تشديد تعدية
ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم تكاد حجج القران وبراهينه واياته
الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد قال يكاد
ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل فيه مشوا وهو ايضا جواب كلما واضاء
صلة ما ومن جعل اضاء يتعدى قدر له مفعولا ومن جعله بمنزلة ضاء
استغنى عن ذلك وقرا ابن ابي عبلة اضا لهم بغير همز وهي لغة وفي مصحف

ابي ابن كعب مروا فيه وفي قراءة ابن مسعود مضوا فيه وقرا الضحاك واذا أُظلم
بضم الهمزة وكسر اللام . قاموا معناه ثبتوا لانهم كانوا قياما ومنه قول
الاعرابي وقد اقام الدهر صعري بعد ان اقمت صعره . يريد اثبت الدهر
الدهر ومعنى الاية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القران وظهرت
الحجج انسوا ومشوا معه فاذا انزل من القران ما يعمون فيه ويضلون به او يكلفونه قاموا
اي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود ان معنى الاية كلما صلحت اموالهم وزروعهم
ومواشيهم وتوالت عليهم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة
او اصابتهم شدة سخطوه وثبتوا في نفاقهم وقال قوم معنى الاية كلما
خفي عليكم نفاقهم وظهر لكم منهم الايمان مشوا فاذا افتضحوا عندكم
قاموا ووحّد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجميع وحكى النقاش ان من العلما
من قرا باسماعهم وقرا ابرهيم ابن ابي عبلة ولو شا الله لاذهب اسماعهم وابصارهم
وخص الاسماع والابصار لتقدم ذكرها في الاية وشبه هذا المعنى في
حال المنافقين ان الله لو شا لاوقع بهم ما يخوفونه من الزجر والوعيد او
لفضحهم عند المومنين فسلط المومنين عليهم وبكل مذهب من هذين قال
قوم وقوله تعالى على كل شي قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما
يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا
صفته التي هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد
والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك وقوله جل وعز يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي
جعل لكم الارض فراشا والسما بنا وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون يا حرف ندا وفيه تنبيه واي هو المنادى
قال ابو علي الحلبي اي ابعد حروف النداء فيما فيه الالف واللام في حرف
النداء فكان بجمع ... وها تنبيه واسما الى المقصود وهي بمنزلة

ذا في الواحد والناس نعت لازم لاي وقال مجاهد يا ايها الناس حيث
وقع في القران مكي ويا ايها الذين امنوا مدني قال ابو محمد قد تقدم في
اول السورة انها كلها مدنية وقد صح في المدني يا ايها الناس واما قوله
في يا ايها الذين امنوا فصحيح وقوله تعالى اعبدوا ربكم معناه وحدوه
وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته اذ كانت العرب
مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك حجة عليهم ولعل في هذه الاية قال
كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى ترج
وتوقع وقال سيبويه ورؤسا اللسان هي على بابها والترجي والتوقع انما هو
في حيز البشر اي اذا تاملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم التقوى
ولعل متعلقة بقوله اعبدوا ويتجه تعلقها بخلقكم اي لما ولد كل مولود على
الفطرة فهو ان تامله متامل توقع له ورجا ان يكون متقيا ويتقون ماخوذ من
الوقاية واصله يوتقيون نقلت حركة اليا الى القاف وحذفت لالتقا
مع الواو الساكنة وادغمت الواو الاولى في التا وقوله الذي جعل
نصب على اتباع الذي المتقدم ويصح ان يكون مرفوعا على القطع وما ذكر مكي
من اضمار اعني او مفعول بيتقون فضعيف وجعل بمعنى صير في هذه الاية
لتعديها الى مفعولين وفراشا معناه يفترشونها ويستقرون عليها وما في
الارض مما ليس بفراش كالجبال والبحار فهو من مصالح ما يفترش منها لان
الجبال كالاوتاد والبحار يركب فيها الى سائر منافعها والسما قيل
هو اسم مفرد جمعه سماوات وقيل هو جمع واحده سماوة وكل ما ارتفع
عليك في الهوا فهو سما والهوا نفسه علو يقال له سما ومنه الحديث
خلق الله ادم طوله في السما ستون ذراعا واللفظة من السمو وتصاريفه
وقوله تعالى بنا تشبيه بما يفهم كما قال تعالى والسما بنيناها بايد وقال
بعض الصحابة بناها على الارض كالقبة وقوله وانزل من السما يريد

السحاب يسمى بذلك لحوزه الماء كان يلي السماء ويقاربها وقد سموا المطر سماه
لمجاورته ومنه قول الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
فهو الصافي رعيناه بتوسط المطر جعل السماء عشبا او اصل ماء موه يدل على
على ذلك قولهم في الجميع مياه وامواه وفي التصغير مويه وانطلق اسم الرزق على ما
يخرج من الثمرات قبل التملك اي هي معدة ان ينتفع بها فهي رزق وورد
هذه الاية بعض الناس قول المعتزلة ان الرزق ما يصح تملكه وليس الحرام برزق
والانداد واحدها ند وهو المقاوم والمضاهي كان مثلا او خلافا او ضدا او من
حيث قاوم وضاهى فقد حصل مماثلة ما وقال ابو عبيدة معمر والمفضل
الند الضد وهذا التخصيص منهما تمثيل لا حصر واختلف المتاولون من المخاطب
بهذه الاية فقالت جماعة من المفسرين المخاطب جميع المشركين فقوله على هذا
وانتم تعلمون يريد العلم الخاص في انه تعالى خلق وانزل الماء واخرج الرزق ولم
ينف الاية الجهالة عن الكفار وقيل المراد كفار بني اسرائيل فالمعنى تعلمون من
الكتب التي عندكم ان الله لا ند له وقال ابن فورك يحتمل ان يتناول الاية
المومنين فالمعنى لا ترتدوا ايها المومنون وتجعلوا لله اندادا بعد علمكم الذي
هو نفي الجهل بان الله واحد وهذه الاية تعطي ان الله تعالى اغنى الانسان
بنعمه هذه عن كل مخلوق فمن احوج نفسه الى بشر مثله بسبب الحرص والامل
والرغبة في زخرف الدنيا فقد اخذ بطرف من جعل ندا عصمنا الله بفضله وفهر
امالنا عليه قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
الريب الشك وهذه الاية تقتضي ان الخطاب المتقدم انما هو لجماعة المشركين
الذين تحدوا وتقدم تفسير لفظ سورة في صدر هذا التعليق وقرا
يزيد بن قطيب انزلنا بالف واختلف المتاولون على من يعود الضمير في قوله من مثله

فقال

فقال جمهور العلماء هو عائد على القران ثم اختلفوا فقال الاكثر من مثل
نظمه ووصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم الا التاليف الذي
خص به القران وبه وقع الاعجاز على قول حذاق اهل النظر وقال بعضهم من مثله
في غيوبه وصدقه وقدمه فالتحدي عند هولاء وقع بالقدم والاول ابين
ومن على هذا القول زايدة او لبيان الجنس وعلى القول الاول هي للتبعيض
او لبيان الجنس وقالت فرقة الضمير في قوله من مثله عائد على محمد صلى الله عليه
وسلم ثم اختلفوا فقالت طايفة من امي صادق مثله وقالت طايفة من
ساحر او كاهن او شاعر مثله على زعمكم ايها المشركون وقالت طايفة الضمير
عائد على الكتب القديمة التوراة والانجيل والزبور وقوله تعالى وادعوا
شهداكم معناه ادعوا استصراخ والشهدا من شهدهم وحضرهم
من عون ونصر قاله ابن عباس وقيل عن مجاهد ان المعنى ادعوا استحضاره
والشهدا جمع شاهد اي من يشهد لكم انكم عارضتم وهذا قول ضعيف وقال
الفرا شهداكم او هم بواديه الهتهم وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي فيما قلتم
من الريب هذا قول بعض المفسرين وقال غيره فيما قلتم من انكم تقدرون
على المعارضة ويويد هذا القول انه قد حكي عنهم في اية اخرى لو نشا لقلنا مثل
وقوله تعالى فان لم تفعلوا دخلت ان على لم لان لم تفعلوا معناه تركتم
الفعل بان لم تؤثر كما لا تؤثر في الماضي من الافعال وتفعلوا جزم بلم وجزمت
لم لانها اشبهت لا في التبري في انهما ينفيان فكما تحذف لا نون الاسم كذلك
تحذف لم الحركة او العلامة من الفعل وقوله ولن تفعلوا نصبت
لن ومن العرب من تجزم بها ذكره ابو عبيدة ومنه ~~وقوله تعالى~~ وقوله تعالى
فلن اعرض ابيت اللعن بالصفد وفي الحديث في منام عبد الله بن عمر فقيل
لي لن ترع هذا على تلك اللغة وفي قوله لن تفعلوا اثارة لهممهم وتحريك لنفوسهم
لتكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهو ايضا من الغيوب التي اخبر بها القران قبل

وقودها. **قوله تعالى** فاتقوا النار امر بالايمان وطاعة الله خرج في هذه الاية
المجردة وقرأ الجمهور وقودها بفتح الواو وقرأ الحسن بن ابي الحسن ومجاهد
وطلحة بن مصرف وابو حيوة وُقودها بضم الواو وفي كل القران الا ان طلحة
استثنى الحرف الذي في البروج وبفتح الواو هو الحطب وبضمها هو المصدر
وقد حكيا جميعا في الحطب وقد حكيا في المصدر وقال ابن جني ومن جاء عليهم الوقود
بالفتح في المصدر ومثله ولعت به ولوعا بفتح الواو وكله شاذ والباب
الضم. **وقوله** الناس عموم معناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء انه حطبها
وروي عن ابن مسعود في الحجارة انها حجارة الكبريت وخصت بذلك
لانها تزيد على جميع الاحجار بخمسة انواع من العذاب سرعة الاتقاد ونتن
الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان وقوة حرها اذا حميت
وفي قوله تعالى اعدت رد على من قال ان النار لم تخلق حتى الان وهو القول
الذي سقط فيه منذر بن سعيد وذهب بعض المتأولين الى ان هذه النار
المخصصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة وان غيرها هي للعصاة وقال
الجمهور بل الاشارة الى جميع النار لا الى نار مخصوصة وانما ذكر الكافرين ليحصل
المخاطبون في الوعيد اذ جلهم كفار فكانه قال اعدت لمن فعل فعلكم
وليس يقتضي ذلك انه لا يدخلها غيرهم وقرأ ابن ابي عبلة اعدها الله للكافرين
قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون
بشر مأخوذ من البشرة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثر
في بشرة الوجه والاغلب استعمال البشارة في الخير وقد تستعمل في الشر مقيدة
منصوصا على الشر المبشر به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ
البشارة فانما يحمل على الخير وفي قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من

في

يقول

يقول ان لفظة الايمان بمجردها يقتضي الطاعات لانه لو كان ذلك ما اعادها
وان في موضع نصب ببشر وقيل في موضع خفض على تقدير باء الجر وجنات
جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس وسميت
جنة لانها تجن من دخلها اي تستره ومنه المجن والجنن وجن الليل ومن تحتها
معناه من تحت الاشجار التي تتضمنها ذكر الجنة وقيل قوله من تحتها معناه
بازائها كما تقول داري تحت دار فلان وهذا ضعيف والانهار المياه في
مجاريها المتطاولة الواسعة لانها لفظة مأخوذة من انهرت اي وسعت
ومنه **قول قيس بن الخطيم** ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما
وراءها ومنه قوله عليه السلام ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه
ما وسع الذبح حتى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجري الماء وحده
تجوزا كما قال واسأل القرية **وكما قال الشاعر**
نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس وروي
ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على ارض الجنة منضبطة وقوله
كلما ظرف يقتضي الحصر وفي هذه الاية رد على من يقول ان الرزق من شرطه
التمليك **قال ابو محمد** ذكر هذا بعض الاصوليين وليس عندي ببين وقوله هذا
اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل
ان يكون تعجبا وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبرا من بعضهم لبعض
قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها
مثل صورتها والطعم يختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا وقال
ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات
وقال بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره
ما كان في الدنيا فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا **قال ابو محمد**
وقول ابن عباس الذي قبل هذا يرد على هذا القول بعض الرد وقال بعض المفسرين

المعنى هذا الذي وعدنا به فكأنهم قد رزقوه في الدنيا إذ
إذ وعد الله منجز وقال قوم إن ثمر الجنة إذا قطف منه شيء خرج في الحين في موضعه
مثله فهذه إشارة إلى الخارج في موضع المجني وقرأ جمهور الناس وأتوا بضم الهمزة
وضم التاء وقرأ هارون الأعور وأتوا بفتح الهمزة والتاء والفاعل على هذه
القراءة الولدان والخدام وأتوا على قراءة الجماعة أصله أتيوا نقلت حركة
الياء إلى التاء ثم حذفت للالتقاء **وقوله تعالى** متشابها قال ابن عباس ومجاهد
والحسن وغيرهم معناه يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في المنظر
ويختلف في الطعم وقال عكرمة يشبه ثمر الدنيا في المنظر ويباينه في جل
الصفات وقال قتادة متشابها **قال أبو محمد** كأنه يريد متناسبا
في كل صنف هو أعلى جنسه فهذا تشابه ما أو قيل متشابها أي مع ثمر الدنيا
في الأسماء لا في غير ذلك من هيئة وطعم وأزواج جمع زوج [illegible] والرجل
زوج المرأة ويقال في المرأة زوجة **ومنه قول الفرزدق**

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقال عمار بن ياسر في شأن عائشة أم المؤمنين والله إني لأعلم أنها زوجته في
الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم ذكره البخاري وغيره الحديث بطوله ومطهرة
أبلغ من طاهرة ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبزاق وسائر الأقذار الآدميات
وقيل من الآثام والخلود الدوام في الحياة أو الملك ونحوه وخلد بالمكان
إذا استمرت إقامته فيه وقد يستعمل الخلود مجازا فيما يطول وأما هذا الذي
في الجنة فهو أبدي حقيقة **قوله تعالى** إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا
فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به
إلا الفاسقين ذكر المفسرون أنه لما ضرب الله تعالى المثلين المتقدمين
في هذه السورة قال الكفار ما هذه الأمثال الله أجل من أن يضرب هذه
أمثالا فنزلت الآية وقال ابن قتيبة إنما نزلت لأن الكفار أنكروا ضرب

الأمثال

أمثالا ضرب الأمثال في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت وقال قوم
هذه الآية مثل للدنيا **قال أبو محمد** وهذا ضعيف يأباه رصف الكلام
واتساق المعنى ويستحيي أصله يستحيي عينه ولامه حرفا علة أعلت اللام منه
بأن استثقلت الكسرة على الياء فسكنت وقرأ ابن كثير في بعض الطرق عنه وابن
محيصن وغيرهما يستحي بكسر الحاء وهي لغة لتميم نقلت فيها حركة الياء الأولى
إلى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الياء الثانية فسكنت فحذفت إحداهما
للالتقاء واختلف المتأولون في معنى يستحيي في هذه الآية فرجح الطبري أن
معناه يخشى وقال غيره معناه يترك وهذا هو الأولى ومن قال يمتنع أو
يمنعه الحياء فهو يترك أو قريب منه ولما كان الجليل القدر في الشاهد لا
يمنعه من الخوض في نازل القول إلا الحياء من ذلك رد الله بقوله إن الله لا
يستحيي على القائلين كيف يضرب الله مثلا بالذباب ونحوه أي إن هذه
الأشياء ليست من نازل القول إذ هي من الفصيح في المعنى المبلغ أغراض المتكلم
إلى نفس السامع فليست مما يستحيى منه وحكى المهدوي أن الاستحياء في
هذه الآية راجع إلى الناس وهذا غير مرضي **وقوله تعالى** أن يضرب أن مع
الفعل في موضع نصب كأنها مصدر في موضع المفعول ومعنى يضرب مثلا
يبين ضربا من الأمثال أي نوعا كما تقول هذا من ضرب هذا والضرب المثل
ويحتمل أن يكون مثل ضرب البعث وضرب الذلة فيجيء المعنى أن يلتزم الحجة بمثل ومثلا
مفعول فقيل هو الأول وقيل هو الثاني قدم وهو في نية التأخير لأن ضرب في
هذا المعنى يتعدى إلى مفعولين واختلفوا في قوله ما بعوضة فقال قوم ما
صلة زائدة لا تفيد إلا شيئا من تأكيد وقيل ما نكرة في موضع نصب على
البدل من قوله مثلا وبعوضة نعت لما فوصفت ما بالجنس المنكر لإبهامها
حكى المهدوي هذا القول عن الفراء والزجاج وثعلب **قال أبو محمد** وقيل
غير هذا مما هو تخليط دعا إليه الظن أن يضرب إنما يتعدى إلى مفعول واحد

وقال بعض الكوفيين نصب بعوضة على تقدير اسقاط حرف الجر والمعنى ان يضرب
مثلا ما بين بعوضة وحكي عن العرب له عشرون ما ناقة فجملا وانكر ابو العباس
هذا الوجه **قال ابو محمد** والذي يترجح ان ما صلة مخصصة كما تقول
... ما فتعيد النكرة تخصيصا وتقريبا **ومنه قول امية بن ابي الصلت**
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا ... وبعوضة على هذا
مفعول بيضرب وقال قوم ما نكرة كانه قال شيئا والاول في هذا اشبه بها
قول حسان بن ثابت فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا
قال ابو محمد وقد تقدم نظير هذا القول والشبه بالبيت غير صحيح ۝
والبعوضة فعولة من بعض اذا قطع اللحم يقال بضع وبعض بمعنى وعلى هذا
قول الشاعر لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا
وقرا الضحاك وابراهيم وابن ابي عبلة ورؤبة بن العجاج بعوضة بالرفع
قال ابو الفتح وجه ذلك ان ما اسم بمنزلة الذي اي لا يستحيي ان يضرب الذي
هو بعوضة مثلا فحذف العائد على الموصول وهو مبتدا ومثله قراءة بعضهم تماما
على الذي احسن اي على الذي هو احسن وحكى سيبويه ما انا بالذي قائل لك شيئا
اي هو قائل وقوله تعالى فما فوقها من جعل ما الاولى صلة زائدة فما الثانية
عطف على بعوضة ومن جعل ما اسما فما الثانية عطف عليها وقال الكسائي
وابو عبيدة وغيرهما المعنى فما فوقها في الصغر وقال قتادة وابن جريج وغيرهما
المعنى في الكبر **قال ابو محمد** والكل محتمل والضمير فيه انه عائد على المثل
واختلف النحويون في ماذا فقيل هي بمنزلة اسم واحد بمعنى اي شيء اراد الله
وقيل ما اسم وذا اسم اخر بمعنى الذي فما في موضع رفع بالابتداء وذا خبره
ومعنى كلامهم هذا الانكار بلفظ الاستفهام وقوله مثلا نصب على التمييز
وقيل على الحال من ذا في بهذا والعامل فيه الاشارة والتنبيه واختلف
المتاولون في قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فقيل هو من قول الكافرين

اي ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس الى ضلالة والى هدى وقيل
بل هو خبر من الله تعالى انه يضل بالمثل الكفار الذين يعمون به ويهدي به المؤمنين
الذين يعلمون انه الحق وفي هذا رد على المعتزلة في قولهم ان الله لا يخلق الضلال
ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين من قول الله تعالى
ويحتمل ان يكون قوله تعالى ويهدي به كثيرا الى اخر الاية ردا من الله تعالى
على قول الكفار يضل به كثيرا والفسق الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا
خرجت من جحرها والرطبة اذا خرجت من قشرها والفسق في عرف الاستعمال
الشرعي الخروج من طاعة الله عز وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان
وقراءة جمهور الامة في هذه الاية يضل بضم الياء فيهما وروي عن ابراهيم بن ابي
عبلة انه قرا يضل بفتح الياء الاولى بالرفع ويهدي به كثيرا وما يضل بفتح الياء به الا
الفاسقون بالرفع قال ابو عمرو الداني هذه قراءة القدرية وابن ابي عبلة من ثقات
الشاميين ومن اهل السنة ولا تصح هذه القراءة عنه مع انها مخالفة خط
المصحف وروي عن ابن مسعود انه قرا في الاولى يضل بضم الياء وفي الثانية وما
يضل بفتح الياء به الا الفاسقون **قال ابو محمد** هذه قراءة متجهة لولا
مخالفة خط المصحف المجمع عليه **قوله تعالى وعز** الذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
اولئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم ۝ النقض رد ما ابرم على اوله
غير مبرم والعهد في هذه الاية التقدم بالشيء والوصاة به واختلف في
تعيين هذا العهد فقال بعض المتاولين هو الذي اخذه الله على بني ادم حين استخرجهم
من ظهر ابيهم ادم كالذر وقال اخرون بل نصب الادلة على وحدانية الله
تعالى بالسماوات والارض وسائر الصنعة هو بمنزلة العهد وقال اخرون بل

هذا العهد الذي اخذه الله على عباده بواسطة رسله ان يوحدوه ولا
يعبدوا غيره وقال اخرون بل هذا العهد هو الذي اخذه الله تعالى
على اتباع الرسل والكتب المنزلة ان يؤمنوا بمحمد عليه السلام وان لا يكتموا
امره قال ابو محمد فالاية على هذا في اهل الكتاب وظاهر ما قبل
وبعد انه في جميع الكفار وقال قتادة هذه الاية هي فيمن كان امن
بالنبي عليه السلام ثم كفر به فنقض العهد قال ابو محمد لم يسند
الطبري شيا من هذه الاقوال وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل
هذه الاية والضمير في ميثاقه يحتمل العود على العهد او على اسم الله تعالى
وميثاق مفعال من الوثاقة وهي الشد في العقد والربط ونحوه وهو في
هذه الاية اسم في موضع المصدر كما قال عمرو بن شييم
اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا اراد
بعد اعطائك وقوله تعالى ما امر الله به ان يوصل ما في موضع نصب
بيقطعون واختلف ما الشيء الذي امر بوصله فقال قتادة الارحام عامة
في الناس وقال غيره خاصة فيمن امن بمحمد عليه السلام كان الكفار
يقطعون ارحامهم وقال جمهور اهل العلم الاشارة في هذه الاية الى
دين الله وعبادته في الارض واقامة شرائعه وحفظ حدوده قال
ابو محمد وهذا هو الحق والرحم جزء من هذا وان في موضع نصب بدل من
ما او مفعول من اجله وقيل ان في موضع خفض بدل من الضمير في به وهذا
ويفسدون في الارض يعبدون غير الله ويجورون في الافعال اذ هي بحسب
شهواتهم والخاسر الذي نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز والخسران
النقص كما في ميزان او غيره وقوله تعالى كيف تكفرون لفظه لفظ
الاستفهام وليس به بل هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته
هذه وكيف في موضع نصب على الحال والعامل فيها تكفرون وتقديرها

اجاحدين

اجاحدين تكفرون اجاهلين تكفرون وكيف مبنية وخصت بالفتح لخفته ومن
قال ان كيف تقرير وتعجب فمعناه ان هذا الامر من حقه ان يتعجب منه
لغرابته وبعده عن المألوف من شكر المنعم والواو في قوله وكنتم واو الحال
واختلف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين فقال ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال
للشيء الدارس ميت ثم خلقهم واخرجهم الى الدنيا فاحياكم ثم اماتكم الموت
المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وقال اخرون كنتم امواتا بكون
ادم من طين قبل ان يحيى ثم نفخ فيه الروح فاحياكم باحياء ادم ثم يميتكم
على ما تقدم وقال قتادة كنتم امواتا في اصلاب ابائكم فاخرجكم الى
الدنيا فاحياكم كما تقدم وقال غيره كنتم امواتا في الارحام قبل نفخ
الروح ثم احياهم بالاخراج كما تقدم وقال ابن زيد ان الله تعالى اخرج نسم
بني ادم امثال الذر ثم اماتهم بعد ذلك فهو قوله وكنتم امواتا ثم احياهم
بالاخراج الى الدنيا ثم كما تقدم وقال ابن عباس وابو صالح كنتم امواتا بالموت
المعهود ثم احياكم للسؤال في القبور ثم اماتكم فيها ثم احياكم للبعث
وروي عن ابن عباس ايضا انه قال وكنتم امواتا بالخمول فاحياكم بان ذكرتم
وشرفتم بهذا الدين والنبي الذي جاءكم قال ابو محمد والقول الاول
هو اولى هذه الاقوال لانه الذي لا محيد للكفار عن الاقرار به واول
ترتيبه ثم ان قوله اولا وكنتم امواتا واسناده اخرا الاماتة اليه تبارك وتعالى
مما يقوي ذلك القول واذا اذعنت نفوس الكفار لكونهم امواتا معدومين
ثم للاحياء في الدنيا ثم للاماتة فيها قوي عليهم لزوم الاحياء الاخر وجاء
جحدهم له دعوى لا حجة عليها والضمير في اليه عائد على الله تعالى اي
الى ثوابه او عقابه وقيل هو عائد على الاحياء والاول اظهر وقرأ الجمهور
الناس ترجعون بضم التاء وفتح الجيم وقرأ ابن ابي اسحق وابن محيصن وابن يعمر وسلام

الى الدنيا ثم

والماضي عرقان ويعقوب الحضرمي يرجع ويرجعون وترجعون بفتح
الياء وفتح وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم وقد يقال
في الانسان خلق عند انشائه شيئا **ومنه قول الشاعر**
فلانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري **ومنه قول الاخر**
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة ولكم معناه للاعتبار
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده من نصب العبر الاحياء والاماتة والخلق
والاستواء الى السماء وتسويتها وقال قوم بل معنى لكم اباحة الاشياء
وتمليكها وهذا قول من يقول ان الاشياء قبل ورود السمع على الاباحة
بينته هذه الآية وخالفهم في هذا التاويل القائلون بالحظر والقائلون
بالوقف واكثر القائلين بالحظر استثنوا اشياء اقتضت حالها مع وجود
الانسان الاباحة كالتنفس والحركة ويرد على القائلين بالحظر بكل حظر في
القران وعلى القائلين بالاباحة بكل تحليل في القران واباحة ويترجح الوقف
اذا قدرنا نازلة لا يوجد فيها سمع ولا تتعلق به ومعنى الوقف انه ابدا استنفاد
جهد النظر فيما يحدث من النوازل وحكى ابن فورك عن ابن الصائغ انه قال لم
يخل العقل قط من السمع ولا نازلة الا وفيها سمع او لها تعلق به او لها
حال تستصحب قال فينبغي ان يعتمد على هذا ويغني عن النظر في حظر واباحة ووقف
وجميعا نصب على الحال **قوله تعالى** ثم استوى ثم هنا هي لترتيب
الاخبار لا لترتيب الامر في نفسه واستوى قال قوم معناه علا دون تكييف
ولا تحديد هذا اختيار الطبري والتقدير علا امره وقدرته وسلطانه
وقال ابن كيسان معناه قصد الى السماء **قال ابو محمد** اي بخلقه
واختراعه وقيل معناه كمل صنعه فيها كما تقول استوى الامر **قال ابو محمد**
وهذا قلق وحكى الطبري عن قوم ان المعنى اقبل وضعفه وحكى قوم ان المستوي
هو الدخان وهذا ايضا يأباه وصف الكلام وقيل المعنى استولى **كما قال الشاعر**

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وهذا انما يجيء في
قوله تعالى على العرش استوى والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة
وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان فسواهن قيل المعنى
جعلهن سواء وقيل سوى سطوحها بالاملاس وسبع نصب على البدل من الضمير
او على المفعول بسوى بتقدير حذف الجار من الضمير كانه قال فسوى منهن سبع
وقيل نصب على الحال وقال سواهن اما على ان السماء جمع واما على انه مفرد اسم
جنس فهو دال على الجمع **وقوله تعالى** وهو بكل شيء عليم معناه بالموجود
وتحقق علمه بالمعدوم من آيات اخر وهذه الآية تقتضي ان الارض
وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء
وبهذا تتفق معاني الآيات هذه والتي في سورة المؤمن وفي النازعات
قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
قالوا اتجعل فيها [من يفسد فيها] ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني
اعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم
قال معمر بن المثنى اذ زائدة والتقدير وقال ربك للملائكة قال ابو اسحق
الزجاج وهذا اجترام من ابي عبيدة **قال ابو محمد** وكذلك رد
عليه جميع المفسرين وقال الجمهور ليست بزائدة وانما هي متعلقة بفعل
مقدر تقديره واذكر اذ قال ربك وايضا فقوله خلق لكم ما في الارض
جميعا يقتضي ان يكون التقدير وابتدأ خلقكم اذ قال ربك للملائكة
واضافة رب الى محمد عليه السلام ومخاطبته بالكاف تشريف منه له واظهار
لاختصاصه به والملائكة واحدها ملك اصله ملأك على وزن مفعل من لاك
اذا ارسل وجمعه ملائكة على وزن مفاعلة وقال قوم اصل ملك مألك من
الالوك اذا ارسل وجمعه ملائكة على وزن معافلة وقال قوم اصل ملك مالك

من الملك إذا أرسل، ومنه قول عدي بن زيد: أبلغ النعمان عني مألكا ... أنه قد طال
حبسي وانتظاري. واللغتان مسموعتان لأك وألك. قلبت فيه الهمزة بعد
اللام فجاء وزنه مفعل، وجمعه ملائكة وزنه معافلة. وقال ابن كيسان: هو من ملك،
فالهمزة فيه زائدة كما زيدت في شمأل من شمل، فوزنه فعأل، ووزن جمعه فعائلة،
وقد يأتي في الشعر على أصله كما قال: فلست لإنسي ولكن لملأك ... تنزل من جو
السماء يصوب. وأما في الكلام فسهلت الهمزة وألقيت حركتها
على اللام أو على العين في قول ابن كيسان فقيل ملك، والهاء في الملائكة لتأنيث
الجموع غير حقيقي، وقيل هي للمبالغة كعلامة ونسابة، والأول أبين. وقال
أبو عبيدة: الهمزة في ملائكة مجتلبة لأن واحدها ملك. قال أبو محمد:
فهذا الذي جاء إليه ابن كيسان. وجاعل في هذه الآية بمعنى خالق، ذكره
الطبري عن أبي روق، ويقضي بذلك تعديها إلى مفعول واحد. وقال الحسن
وقتادة: جاعل بمعنى فاعل. وقال ابن سابط عن النبي عليه السلام إنه قال:
إن الأرض هنا يعني بها مكة لأن الأرض دحيت من تحتها، ولأنها مقر
من هلك قومه من الأنبياء، وإن قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن. وخليفة
معناه من يخلف. قال ابن عباس: كانت الجن قبل بني آدم في الأرض فأفسدوا
وسفكوا الدماء، فبعث الله إليهم قبيلا من الملائكة قتلهم وألحق فلهم بجزائر
البحار ورؤوس الجبال، وجعل آدم وذريته خليفة. وقال الحسن: إنما سمى الله
بني آدم خليفة لأن كل قرن منهم يخلف الذي قبله، الجيل بعد الجيل. قال
أبو محمد: ففي هذا القول يحتمل أن يكون بمعنى خالفة وبمعنى مخلوفة. وقال
ابن مسعود: إنما معناه خليفة مني في الحكم بين عبادي بالحق وبأوامري، يعني بذلك
آدم عليه السلام ومن قام مقامه بعده من ذريته. وقرأ زيد بن علي: خليقة
بالقاف. وقوله تعالى: قالوا أتجعل فيها الآية، قد علمنا قطعا أن الملائكة لا
تعلم الغيب ولا تسبق بالقول، وذلك عام في جميع الملائكة لأن قوله لا يسبقونه

بالقول خرج على جهة المدح لهم. قال القاضي ابن الطيب: فهذه قرينة العموم
فلا يصح مع هاذين الشرطين إلا أن يكون عندهم من إفساد الخليفة في الأرض
نبأ ومقدمة. قال ابن زيد وغيره: إن الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من
ذريته قوم يفسدون ويسفكون الدماء، فقالوا لذلك هذه المقالة. قال
أبو محمد: فهذا إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه أو من يعصي
الله من يستخلفه في أرضه وينعم عليه بذلك، وإما على طريق الاستعظام
والإكبار للفصلين جميعا الاستخلاف والعصيان. وقال أحمد بن يحيى
ثعلب وغيره: إنما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد
الجن وسفكهم الدماء في الأرض، فجاء قولهم أتجعل فيها الآية على سبيل
الاستفهام المحض هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا.
وقال آخرون: كان الله تعالى قد أعلم الملائكة أنه يخلق في الأرض خلقا يفسدون
ويسفكون الدماء، فلما قال لهم بعد ذلك إني جاعل، قالوا أتجعل فيها الآية
على جهة الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذي كان
أعلمهم به قبل أو غيره. والسفك صب الدم، هذا عرفه، وقد يقال سفك
كلامه في كذا إذا سرده. وقراءة الجمهور بكسر الفاء، وقرأ أبو حيوة وابن
أبي عبلة ويسفك بضم الفاء، وقرأ ابن أبي هرمز ويسفك بالنصب بواو
الصرف كأنه قال: من يجمع أن يفسد وأن يسفك. وقال المهدوي: هو
نصب في جواب الاستفهام. قال أبو محمد: والأول أحسن. وقولهم
ونحن نسبح بحمدك الآية إيهام تعجب عن هذه الحال. قال أبو محمد: وهذا
أحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم أتجعل. وقال آخرون: معناه
التمدح ووصف حالهم كما قال يوسف عليه السلام إني حفيظ عليم.
قال أبو محمد: وهذا الحسن مع التعجب والاستعظام لأن يستخلف الله
من يعصيه في قولهم أتجعل، وعلى هذا أدبهم بقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون

وقال قوم معنى الآية ونحن لو جعلتنا في الأرض واستخلفتنا نسبح بحمدك
وهذا أيضا حسن مع التعجب والاستعظام في قولهم أتجعل ومعنى نسبح
بحمدك ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح
الملائكة صلاتهم لله وقال قتادة تسبيح الملائكة سبحان الله على عرفها في
اللغة وبحمدك معناه نخلط التسبيح بالحمد ونصله به ويحتمل أن يكون قولهم
بحمدك اعتراضا بين الكلامين كأنهم قالوا ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا
على جهة التسليم أي وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك ونقدس لك قال
الضحاك وغيره معناه نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس
التطهير بلا خلاف ومنه الأرض المقدسة أي المطهرة ومنه بيت المقدس
ومنه القدس الذي يتطهر به وقال آخرون ونقدس لك معناه نقدسك
أي نعظمك ونطهر ذكرك مما لا يليق به قاله مجاهد وأبو صالح وغيرهما
وقال قوم نقدس لك معناه نصلي لك قال أبو محمد وهذا ضعيف
وقوله تعالى أعلم ما لا تعلمون أعلم فعل مستقبل وما في موضع نصب به
وقيل أعلم اسم وما في موضع خفض بالإضافة ولا يصح الصرف فيه بإجماع
من النحاة وإنما الخلاف في أفعل إذا سمي به وكان نكرة فسيبويه
والخليل لا يصرفانه والأخفش يصرفه واختلف أهل التأويل في المراد
بقوله ما لا تعلمون فقال ابن عباس كان إبليس لعنه الله قد أعجب ودخله
الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا وشرفه وقيل لما بعثه الله إلى
قتال الجن الذين كانوا أفسدوا في الأرض فهزمهم وقتلهم بجنده قال ابن
عباس أيضا فاعتقد أن ذلك لمزية له واستحق الكفر والمعصية في جانب
آدم عليه السلام قال فلما قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
وهي لا تعلم أن في نفس إبليس خلاف ذلك قال الله لهم إني أعلم ما لا تعلمون
يعني ما في نفس إبليس وقال قتادة لما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد

فيها

فيها وقد علم الله أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياء وفضلاء وأهل طاعة
قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون يعني أفعال الفضلاء من بني آدم وقوله تعالى
وعلم معناه عرف وتعليم آدم هنا عند قوم إلهام علمه ضرورة وقال قوم بل
تعليم بقول فإما بواسطة ملك أو بتكليم قبل هبوطه إلى الأرض فلا يشارك
موسى عليه السلام في خاصته وقرأ اليماني وعلم بضم العين على بناء الفعل
للمفعول آدم مرفوعا قال أبو الفتح وهي قراءة يزيد البربري وآدم أفعل مشتق
من الأدمة وهي حمرة تميل إلى السواد وجمعه أدم وأوادم كحمر والحامر
ولا ينصرف بوجه وقيل آدم وزنه فاعل مشتق من أديم الأرض كأن الملك
كأن الملك أدمها وجمعه آدمون وأوادم ويلزم قائل هذه المقالة صرفه
وقال الطبري آدم فعل رباعي سمي به وروي أن النبي عليه السلام أنه قال
خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الأبيض
والأسود والأسمر والسهل والحزن والطيب والخبيث واختلف المتأولون
في قوله الأسماء فقال الجمهور الأمة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه
عرض عليه الأشخاص قال أبو محمد والأول أبين ولفظة علمه يعطي
ذلك ثم اختلف الجمهور في أي الأسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد
علمه اسم كل شيء جميع المخلوقات دقيقها وجليلها وقال حميد الشامي علمه أسماء
النجوم فقط وقال الربيع بن خثيم علم أسماء الملائكة فقط وقال ابن زيد علمه أسماء
ذريته فقط وقال الطبري علمه أسماء ذريته والملائكة واختار هذا ورجحه
بقوله تعالى ثم عرضهم وحكى النقاش عن ابن عباس أنه تعالى علمه كلمة واحدة
عرف منها جميع الأشياء وقال آخرون علمه أسماء الأجناس كالجبال والخيل
والأودية ونحو ذلك دون أن يعين ما سمته ذريته منها وقال ابن قتيبة
علمه أسماء ما خلق في الأرض وقال قوم علمه الأسماء بلغة واحدة ثم وقع
الاصطلاح من ذريته في سواها وقال بعضهم علمه الأسماء بكل لغة تكلمت

لها دربه وقد غلا قوم في هذا المعنى حتى حكى ابن جني عن ابي على الفارسي انه
علم الله تعالى ادم كل شي حتى انه كان يحسن من النحو مثل ما احسن سيبويه ونحو
هذا من القول الذي هو بين الخطا من جهات وقال اكثر العلما علمه تعالى
منافع كل شي ولما يصلح وقال قوم عرض عليه الاشخاص عند التعليم
وقال قوم بل وصفها له دون اعراض اشخاص قال ابو محمد
وهذه كلها احتمالات قال الناس لها وقرا ابي ابن كعب ثم عرضها وقرا ابن
مسعود ثم عرضهن واختلف المتاولون هل عرض على الملايكة اشخاص الاسما
او الاسماء دون الاشخاص فقال ابن مسعود وغيره عرض الاشخاص وقال
ابن عباس وغيره عرض الاسماء فمن قال في الاسما بعموم كل شي قال عرضهم امة
امة امة ونوعا نوعا ومن قال في الاسما انها التسميات استقام على
قراة ابي عرضها ونقول في قراة من قرا عرضهم ان لفظ الاسماء يدل على
اشخاص فلذلك ساغ ان يقول للاسماء عرضهم وانبيوني معناه اخبروني
والنبا الخبر ومنه النبي وقال قوم يخرج من هذا الامر بالانبا تكليف
ما لا يطاق ويتقرر جوازه لانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل
التاويل ليس هذا على جهه التكليف وانما هو على جهه التقرير والتوقيف
وقوله تعالى هولا ظاهره حضور اشخاص وذلك عند العرض على الملايكة
وليس في هذه الايه ما يوجب ان الاسم اريد به المسمى كما ذهب اليه مكي
والمهدوي فمن قال تعالى عرض على الملايكة اشخاصا استقام له مع اللفظ
هولاء ومن قال انه انما عرض اسما فقط جعل الاشاره بها ولا الى اشخاص
الاسماء وهي غايبه اذ قد حضر ما هو منها بسبب وذلك اسماوها وكانه
قال لهم في كل اسم لاي شخص هذا قال ابو محمد والذي يظهر ان
الله تعالى علم ادم الاسماء وعرض مع ذلك عليه الاجناس اشخاصا ثم عرض
تلك على الملايكة وسالهم عن تسمياتها التي قد تعلمها ادم ثم ان ادم قال لهم

هذا

هذا اسمه كذا وها ولا لفظ مبنى على الكسر والقصر فيه لغة تميم وبعض قيس
واسد قال الاعشى هولا ثم هولا كلا اعطيت نعالا محذوه بنعال
وكنتم في موضع الجزم بالشرط والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد
محذوف والتقدير ان كنتم صادقين فانبيوني وقال ابن مسعود وابن عباس
وناس من اصحاب النبي عليه السلام معنى الايه ان كنتم صادقين في ان الخليفه
يفسد ويسفك وقال الحرون صادقين في اني ان استخلفتكم سبحتم بحمدي
وقدستم لي وقال الحسن وقتاده روى ان الملايكه قالت حين خلق الله ادم
ليخلق ربنا ما يشا فلن يخلق خلقا اعلم منا ولا اكرم عليه فاراد الله تعالى
ان يريهم من علم ادم وكرامته خلاف ما ظنوا فالمعنى ان كنتم صادقين
في جواب السوال عالمين بالاسما فلو لم لكلم بسبق الملايكة الاجتهاد وقالوا
سبحانك حكاه النقاش قال ولو لم يشترط عليهم الصدق في الانباء لجاز
لهم الاجتهاد كما اجاز للذي اماته الله مايه عام حين قال له كم لبثت
ولم يشترط عليه الاصابه فقال ولم يصب فلم يعنف
وهذا كله محتمل وحكى الطبري ان بعض المفسرين قال معنى ان كنتم اذ كنتم
قال الطبري وهذا خطا فان قال قايل ما الحكمه في قول الله تعالى اني
جاعل الايه قيل هذا منه امتحان لهم واختبار ليقع منهم ما وقع
ويوديهم تعالى من تعليم ادم وتكريمه بما ادب وسبحانك معناه تنزيها
لك وتبريا ان يعلم احد من علمك الا ما علمته وسبحانك نصب على المصدر
وقال الكساي نصبه على انه منادى مضاف وقال الزهراوي موضع
ما رفعا على انه بدل من خبر التبريه كما تقول لا اله الا الله اى لا اله في
الوجود الا الله وانت في موضع نصب تاكيد للضمير في انك او في موضع
رفع على الابتدا والعليم خبره والجمله خبر ان او فاصله لا موضع لها من
الاعراب والعليم معناه العالم ويزيد عليه معنا من المبالغه والتكثير

في المعلومات فجو الله عز وجل والحكيم معناه الحاكم كما قال عمرو بن معدي
كرب امن ريحانة الداعي السميع المسمع وجاء الحكيم على هذا من صفات
الفعل وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة الفرس مانعه ومنه
قول جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
قوله تعالى قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان
من الكافرين انبئهم معناه اخبرهم وهو فعل يتعدى الى مفعولين احدهما
بحرف جر وقد يحذف حرف الجر احيانا فيقول نبئت زيدا قال سيبويه
معناه نبئت عن زيد والضمير في انبئهم عائد على الملائكة بالجماع والضمير في
اسمائهم مختلف فيه حسب الاختلاف في الاسماء التي علمها ادم قال ابو علي
كلهم قرا انبئهم بالهمز وضم الهاء الا ما روي عن ابن عامر انبيهم بالهمز وكسر الهاء
وكذلك روى بعض المكيين عن ابن كثير وذلك على اتباع كسرة الهاء لكسرة الباء
فان حجز الساكن فحجزه لا يعتد به قال ابو عمرو الداني وقرا الحسن والاعرج
انبيهم بغير همز قال ابن جني وقرا الحسن انبيهم على وزن اعطهم وقد روي
عنه انبهم بغير همز قال ابو عمرو وقد روي مثل ذلك عن ابن كثير من طريق
القواس قال ابو الفتح اما قراءة الحسن انبيهم كاعطهم فعلى ابدال الهمزة
ياء على انك تقول انبيت كاعطيت وهذا ضعيف في اللغة لانه بدل لا تخفيف
والبدل عندنا لا يجوز الا في ضرورة شعر قال بعض العلماء ان في قوله تعالى
فلما انباهم نبوة لادم عليه السلام اذ امره ان ينبئ الملائكة بما ليس
عندهم من علم الله عز وجل ويجوز فتح الياء من اني وتسكينها قال الكسائي
رايت العرب اذا لقيت عندهم الياء همزة فتحوها قال ابو علي كان ابو عمرو
يفتح ياء الاضافة المكسور ما قبلها عند الهمزة المكسورة والمفتوحة

اذا كانت متصلة باسم او بفعل ما لم يطل الحرف فانه يستعمل فتحها نحو قوله
ولا تفتني الا وقوله فاذكروني اذكركم والذي خلقني واخرني الا على
الله ونحوه وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم
لان الله تعالى لا يغيب عنه شيء الكل معلوم له وما في موضع نصب باعلم
قال المهدوي ويجوز ان يكون قوله اعلم اسما بمعنى التفضيل في العلم فتكون
ما في موضع خفض بالاضافة قال ابو محمد فاذا قدر الاول اسما فلا
بد بعده من اضمار فعل ينصب غيب تقديره اني اعلم من كل اعلم غيب ولو لها
في الموضعين فعلا مضارعا اخصر وابلغ واختلف المفسرون في قوله تعالى ما تبدون
وما كنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وظواهرهم
وبواطنهم اجمع وحكى مكي ان المراد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها الاية
وحكى المهدوي ان ما تبدون قولهم لن يخلق ربنا ما شاء فان نعلو اعلم منا ولا
اكرم عليه فجعل هذا مما ابدوه لما قالوه وقال الزهراوي ما ابدوه
هو بدارهم للسجود لادم واختلف في المكتوم فقال ابن عباس وابن
مسعود المراد ما كتمه ابليس في نفسه من الكبر والكفر وتوجه قوله تكتمون
للجماعة والكاتم واحد في هذا القول على تجوز العرب واتساعها كما يقال لقوم
وجنى سفيه منهم انتم فعلتم كذا اي منكم فاعله قال ابو محمد وهذا مع
قصد تعنيف ومنه قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا
يعقلون وانما ناداه منهم عيينة وقيل الاقرع وقال قتادة المكتوم
ما اسره بعضهم الى بعض من قولهم لن يخلق ربنا ما شاء فجعل هذا ما كتموه لما
اسروه واذ من قوله واذ معطوفة على اذ المتقدمة وقول الله تعالى وخطابه
للملائكة متقرر قديم في الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب
كله في اوامر الله ونواهيه ومخاطباته وقلنا كلام العظيم عن نفسه بلفظ
الجمع وقوله الملائكة عموم فيهم وقرا ابو جعفر بن القعقاع للملائكة اسجدوا

برفع التاء للملائكة اتباعا لضمة ثالث المستقبل قال ابو علي وهذا خطأ وقال
الزجاج ابو جعفر من رؤساء القراء ولكنه غلط في هذا قال ابو الفتح لأن الملائكة
في موضع جر فالتاء مكسورة كسرة اعراب وهذا الذي ذهب اليه ابو جعفر
انما يجوز اذا كان ما قبل الهمزة حرفا ساكنا صحيحا نحو قوله تعالى وقالت
اخرج عليهن والسجود في كلام العرب الخضوع والتذلل **ومنه قول الشاعر**
ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور على
ان سجود الملائكة لادم ايماء وخضوع ذكره النقاش وغيره ولا يدفع الآية
ان يكونوا بلغوا غاية السجود **وقوله تعالى** فقعوا له ساجدين لا دليل
فيه لان الجاثي على ركبتيه واقع واختلف في حال السجود لادم فقال ابن
عباس تعبدهم الله بالسجود لادم والعبادة في ذلك لله وقال علي بن ابي
طالب وابن مسعود وابن عباس ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف عليه
السلام لا سجود عبادة وقال الشعبي انما كان آدم كالقبلة ومعنى لادم
الى ادم **قال ابو محمد** وفي هذه الوجوه كلها كرامة ادم عليه السلام وحكى
النقاش عن مقاتل ان الله انما امر الملائكة بالسجود لادم قبل ان خلقه
قال والقران يرد على هذا القول وقال قوم سجود الملائكة كان مرتين
والاجماع يرد هذا **وقوله تعالى** الا ابليس نصب على الاستثناء
المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الآية وكان خازنا وملكا
على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن
هو ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يكن قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس
ايضا قال واسمه الحارث وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا
في الارض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب معها
وحكاه الطبري عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال منقطع واحتج
بعض اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال صفة للملائكة لا يعصون الله

ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ورجح الطبري قول من قال ان ابليس كان
من الملائكة وقال ليس في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة والنسل فيه حين
غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله عز وجل كان من الجن ففسق
عن امر ربه يتخرج على انه عمل عملهم فكان منهم في هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا
لاستتارها قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا **وقال الاعشى في ذكر سليمان
عليه السلام** وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر
او على ان يكون نسبهم الى الجنة كما تنسب الى البصرة بصري لما كان خازنا عليها
وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي معرف قال الزجاج وزنه فعليل وقال ابن
عباس والسدي وابو عبيدة وغيرهم هو مشتق من الابلاس اذا ابعد عن الخير
وزنه على هذا افعيل ولم يصرفه هذه الفرقة لشذوذه وكسره واجروه
مجرى اسحاق من اسحقه الله وايوب من آب يؤوب مثل قيوم من قام يقوم
لما لم ينصرف هذه ولها وجه من الاشتقاق كذلك لم يصرف هذا وان
وجد اشتقاقه لقلته وشذوذه **ومن هذا المعنى قول العجاج**
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ∴ قال نعم اعرفه وابلسا اي تحير وبعد
عن العمارة والانس به **ومثله قول الاخر** وفي الوجوه صفرة وابلاس ومنه
قول الله تعالى فاذا هم مبلسون اي يائسون عن الخير مبعدون منه فيما يرون
وابى معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل في الكبرياء والاباية
مقدمة على الاستكبار في ظهورهما عليه والاستكبار والانفة مقدمة في
معتقده وروى ابن القسم عن مالك انه قال بلغني ان اول معصية كانت
الحسد والكبر والشح حسد ابليس ادم وتكبر وشح ادم في اكله من شجرة قد
نهي عن قربها وحكى المهدوي عن فرقة ان معنى وكان من الكافرين وصار من
الكافرين قال ابن فورك وهذا خطا ترده الاصول وقالت فرقة قد
كان تقدم قبل من الجن من كفر فشبهه الله بهم وجعله منهم لما فعل في

الكبر فهلم وذكر الطبري عن ابي العاليه انه كان يقول وكان من الكافرين
معناه من العاصين وتلك معصية كفر لانها عن معتقد **قال ابو محمد**
فاسد صدر منه وروي ان الله تعالى خلق خلقا اخرين فامرهم بذلك
فعصوا فاحرقهم ثم خلق الملايكه فامرهم بذلك فسجدوا **قال ابو محمد**
والاسناد في مثل هذا غير وثيق وقال جمهور المتاولين معناه وكان من الكافرين
اي في علم الله تعالى انه سيكفر لان الكافر حقيقة والمومن حقيقة هو الذي
علم الله منه الموافاه وذهب الطبري الى ان الله اراد بقصة ابليس
تقريع اشباهه من بني ادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد عليه السلام
مع علمهم بنبوته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم واختلف هل
كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنه ولا خلاف انه كان
عالما بالله قبل كفره فمن قال انه كفر جهلا قال انه سلب العلم عند كفره
ومن قال كفر عنادا قال كفر ومعه علمه قال والكفر عنادا مع
بقا العلم مستبعد الا انه عندي جايز لا يستحيل مع خذل الله لمن
يشا ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنه وبعد
اخراجه قال لادم اسكن انت وزوجك الجنه **قوله تعالى**
وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منها رغدا حيث شيتما
ولا تقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين اسكن معناه لازم للاقامة ولفظه لفظ الامر ومعناه
الاذن وانت تاكيد للضمير الذي في اسكن وزوجك عطف عليه والزوج
امراة الرجل وهذا اشهر من زوجه وقد تقدم والجنه البستان عليه
حظيره واختلف في الجنه التي اسكنها ادم هل هي جنة الخلد او جنة اعدت
لهما وذهب من لم يجعلها جنة الخلد الى ان من دخل جنة الخلد لا يخرج منها

وهذا

وهذا لا يمتنع الا ان السمع ورد ان من دخلها مثابا لا يخرج منها واما من
دخلها ابتدا كادم فغير مستحيل ولا ورد سمع بانه لا يخرج منها واختلف
متى خلقت حوا من ضلع ادم عليه السلام فقال ابن عباس حين انبا الملايكه
بالاسما واسجدوا له والقيت عليهم السنه وخلقت حوا فاستيقظ وهي
الى جانبه فقال فيما يزعمون لحمي ودمي وسكن اليها فجاءت الملايكه لتجرب
علمه فقالوا يا ادم ما اسمها فقال حوا قالوا ولم قال لانها خلقت من
شي حي ثم قال الله له اسكن انت وزوجك الجنه وقال ابن مسعود وابن عباس
ايضا لما اسكن ادم الجنه مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت حوا من
ضلعه القصرى ليسكن اليها ويانس بها فلما استيقظ راها فقال من انت
فقالت امراة خلقت من ضلعك لتسكن الي وحذفت النون من كلا للامر
والالف الاولى لحركة الكاف فحين حذفت الثانيه لاجتماع المثلين وهو
حذف شاذ ولفظ هذا الامر كلا معناه الاباحه بقرينه قوله حيث
شيتما والضمير في منها عايد على الجنه وقرا ابن وثاب والنخعي رغدا بسكون
الغين والجمهور على فتحها والرغد العيش الدار الهني الذي لا عنا فيه **ومنه قول**
امرء القيس بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد
ورغدا منصوب على الصفه لمصدر محذوف وقيل نصب هو على المصدر في
موضع الحال وحيث مبنيه على الضم ومن العرب من يبنيها على الفتح ومن
العرب من يعربها حسب موضعها بالرفع والنصب والخفض كقوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ومن العرب من يقول حوث وشيتما اصله شييتما حول
الى فعلها اخر كما هو ذا انفتح ما قبلها جا شاتما حذفت الالف الساكنه الممدوده
للالتقا وكسرت الشين لتدل على اليا فجا سيتما **قال ابو محمد** هذا تعليل
المبرد فاما سيبويه فالاصل عنده شيتما بكسر اليا نقلت حركة اليا الى الشين
وحذفت اليا بعد **قوله تعالى** ولا تقربا هذه الشجره معناه لا تقرباها

بالاكل لان الاباحة فيه وقعت قال بعض الحذاق ان الله لما اراد
النهي عن اكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضي الاكل وما يدعوا اليه وهو القرب
قال ابو محمد وهذا مثال بين في سد الذرايع وقرا ابن محيصن هذي
على الاصل والهاء في هذه بدل من اليا وليس في الكلام ها تانيث مكسور ما
قبلها غير هذه وتحتمل هذه الاشارة ان تكون الى شجرة معينة واحدة
او الى جنس وحكى هرون الاعور عن بعض العلما قراه الشجرة بكسر الشين
والشجر كل ما قام من النبات على ساق واختلف في هذه الشجرة
التي نهي عنها ما هي فقال ابن مسعود وابن عباس هي الكرم ولذلك حرمت علينا
الخمر وقال ابن جريج عن بعض الصحابة هي شجرة التين وقال ابن عباس ايضا
وابو مالك وعطية وقتادة هي السنبلة وحبها ككلى البقر احلى من
العسل والين من الزبد وروي عن ابن عباس ايضا انها شجرة العلم فيها ثمر كل
شي **قال ابو محمد** وهذا ضعيف لا يصح عن ابن عباس وحكى الطبري
عن يعقوب بن عتبة انها الشجرة التي كانت الملايكة تحنك بها للخلد
قال ابو محمد وهذا ايضا ضعيف قال واليهود تزعم انها الحنظلة
وانها كانت حلوة ومرت من حينيذ **قال ابو محمد** وليس في شي من هذا
التعيين ما يعضده خبر وانما الصواب ان يعتقد ان الله نهى ادم عن شجرة
فخالف هو اليها وعصى في الاكل منها وفي حظره تعالى على ادم في الشجرة
ما يدل على ان سكناه في الجنة لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شي ولا يومر
ولا ينهى وقيل ان هذه الشجرة كانت خصت بان تخرج اكلها الى البراز
فلذلك نهي عنها فلما اكلها ولم يكن الجنة موضع براز اهبط الى الارض
وقوله فتكونا في موضع جزم على العطف على لا تقربا ويجوز فيه النصب
على الجواب والناصب عند الخليل وسيبويه ان المضمرة وعند الجرمي الفاء
والظالم في اللغة الذي يضع الشي غير موضعه ومنه قولهم من اشبه اباه فما ظلم

ومنه

ومنه المظلومة الجلد لان المطر لم ياتها في وقته **ومنه قول عمرو بن قميه**
ظلم البطاح بها انهلال حريصة فصفا النطاف له بعيد المقلع
والظلم في احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصي
وهي مراتب وهو في هذه الاية دال على ان قوله لا تقربا على جهة الوجوب لا على
الندب لان من ترك المندوب لا يسمى ظالما فاقتضت لفظة الظلم قوة
النهي وازلهما ماخوذ من الزلل وهو في الاية مجاز لانه في الراي والنظر
وانما حقيقة الزلل في القدم قال ابو علي ازلهما يحتمل تاويلين احدهما
كسبهما الزلة والاخر من ان يكون زل اذا عثر وقرا حمزة فازالهما
ماخوذ من الزوال كانه المزيل لما كان اغواه مؤديا الى الزوال وهي قراءة الحسن
وابي رجا ولا خلاف بين العلما ان ابليس هو متولي اغوا ادم واختلف في
الكيفية فقال ابن عباس وابن مسعود وجميع العلماء اغواهما مشافهة ودليل
ذلك قوله تعالى وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقال بعضهم
ان ابليس لما دخل الى ادم كلمه في حاله فقال ادم ما احسن هذا لو ان خلدا
كان فوجد ابليس السبيل الى اغوايه فقال هل ادلك على شجرة الخلد وقال
بعضهم دخل الجنة في فم الحية وهي دابة اربع كالبختية بعد ان عرض نفسه
على كثير من الحيوان فلم يدخله الا الحية فخرج الى حوا واخذ شيا من الشجرة
وقال انظري ما احسن هذا فاغواها حتى اكلت ثم اغوى ادم وقالت له حوا
كل فاني قد اكلت فلم يضرني فاكل فبدت لهما سواتهما وحصلا في حكم
الذنب ولعنت الحية وردت قوايمها في جوفها وجعلت العداوة بينها
وبين بني ادم وقيل لحوا كما ادميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم كل
شهر وكذلك تحملين كرها وتضعين كرها تشرفين به على الموت مرارا
زاد الطبري والنقاش وتكونين سفيهة وقد كنت حليمة وقالت طايفة ان
ابليس لم يدخل الجنة الى ادم بعد ان اخرج منها وانما اغوى ادم بشيطانه

وسلطانه ووسوسته التي اعطاه الله تعالى كما قال النبي عليه السلام
ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والضمير في عنها عائد على الشجرة
في قراءة من قرأ ازلهما ويحتمل ان يعود على الجنة فاما من قرأ ازالهما فانه يعود
على الجنة فقط وهنا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فاكلا من الشجرة
وقال قوم الاكل من غير التي اشير اليها فلم يتأولا النهي واقعا على جميع جنسها
وقال آخرون تأولا النهي على الندب وقال ابن المسيب انما اكل آدم بعد
ان سقته حواء الخمر فكان في غير عقله **وقوله تعالى** فاخرجهما مما كانا فيه
يحتمل وجوها فقيل اخرجهما من الطاعة الى المعصية وقيل من نعمة الجنة الى
شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفل مكانة الذنب **قال ابو محمد**
وهذا كله يتقارب وقرأ حيوة اهبطوا بضم الباء ويفعل كثير في غير المتعدي
وهبط غير متعد في الهبوط النزول من علو الى سفل واختلف من المخاطب
بالهبوط فقال السدي وغيره آدم وحواء وابليس والحية وقال الحسن آدم
وحواء والوسوسة وقال غيره والحية لان ابليس قد كان اهبط قبل عند
معصيته وبعضكم لبعض عدو جملة في موضع الحال وافرد لفظ عدو من
حيث لفظه بعض وكل يجري مجرى الحد ومن حيث لفظه عدو ويقع
للواحد والجميع قال الله تعالى هم العدو فاحذرهم ولكم في الارض
مستقر اي موضع استقرار قاله ابو العالية وابن زيد قال السدي المراد
الاستقرار في القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحياة وحديث
وانس وغير ذلك **وانشد سليمان بن عبد الملك** حين وقف على قبر ابنه
ايوب اثر دفنه ❁ وقفت على قبر غريب بقفرة متاع قليل من حبيب مفارق
واختلف المتأولون في الحين ها هنا فقالت فرقة الى الموت وهذا قول من
يقول المستقر هو المقام في الدنيا وقالت فرقة الى حين الى يوم القيمة ❁
وهذا قول من يقول المستقر هو في القبور ويترتب ايضا على ان المستقر

في الدنيا على ان يراد بقوله ولكم اي لانواعكم في الدنيا استقرار ومتاع
قرنا بعد قرن الى يوم القيمة والحين المدة الطويلة من الدهر اقصرها في الايمان
والالتزامات سنة قال الله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وقد قيل
اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يثمر في كل ستة اشهر وقد يستعمل
الحين في المحاورات في القليل من الزمن وفي قوله تعالى الى حين فائدة
لادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التي وعد بالرجوع
اليها وهي لغير آدم دالة على المعاد وروي ان آدم نزل على جبل من جبال
سرنديب وان حواء نزلت بجدة وان الحية باصبهان وقيل ببيسان وان
ابليس نزل على الايلة **قوله تعالى** فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون المعنى فقال
الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وآدم رفع بتلقى وكلمات نصب بها
والتلقي من آدم هو الاقبال عليها والقبول لها والفهم وحكى مكي قولا انه
الهمها فانتفع بها وقرأ ابن كثير آدم بالنصب من ربه كلمات بالرفع
فالتلقي من الكلمات هو نيل آدم بسببها رحمة الله وتوبته واختلف المتأولون
في الكلمات فقال الحسن بن ابي الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقال مجاهد هي ان آدم قال سبحانك اللهم لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال ابن عباس هي ان آدم قال
اي رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال اي رب الم تنفخ في من روحك قال
بلى قال رب الم تسكني جنتك قال بلى قال ارأيت ان تبت واصلحت
ارجعتني انت الى الجنة قال نعم وقال عبيد بن عمير ان آدم قال اي رب ارأيت
ما عصيتك فيه اشيء كتبته علي ام شيء ابتدعته قال بل شيء كتبته عليك قال

اي رب كما كسبه علي فاغفر لي وقال قتادة الكلمات هي ان ادم قال اي رب
ارايت ان انا تبت واصلحت قال اذن ادخلك الجنة وقالت طايفة ان
ادم راى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع بذلك فهي الكلمات
وقالت طايفة ان المراد بالكلمات ندمه واستغفاره وحزنه وسماها كلمات
مجازا لما هي في خلقها صادرة عن كلمات وهي كن في كل واحدة منهن وهذا
قول يقتضي ان ادم لم يقل شيا الا الاستغفار المعهود وسيل بعض سلف
المسلمين عما ينبغي ان يقوله المذنب فقال يقول ما قال ابواه ربنا ظلمنا
انفسنا وما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وما قال يونس لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وتاب عليه معناه رجع به والتوبة
من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن
المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستانف وانما خص الله تعالى
ادم بالذكر هنا في التلقي والتوبة وحوا مشاركة له في ذلك باجماع لانه
المخاطب في اول القصة بقوله اسكن انت وزوجك الجنة فلذلك كملت
القصة بذكره وحده وايضا فلان المراة حرمة ومستورة فاراد
الله سبحانه تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله وعصى
ادم ربه   وروي ان الله تعالى تاب على ادم في يوم عاشوراء وكنية ادم
ابو محمد وقيل ابو البشر وقرا الجمهور انه هو بكسر الالف على القطع وقرا
ابن ابي عبلة انه بفتح الهمزة على معنى لانه وبنية التواب للمبالغة والتكثير
وفي قوله تعالى انه هو التواب تاكيد فايدته ان التوبة على العبد انما هي نعمة من الله
لا من العبد وحده ليلا يعجب التايب بل الواجب عليه شكر الله تعالى
في توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما حكما غير حكم
الاخر فعلق بالاول العداوة وعلق بالثاني اتيان الهدى وقيل كرر الامر
بالهبوط على جهة تغليظ الامر وتاكيده كما تقول لرجل قم قم وحكى

النقاش

النقاش ان الهبوط الثاني انما هو من الجنة الى السما والاول في ترتيب الاية انما
هو الى الارض وهو الاخر في الوقوع فليس في الامر تكرار على هذا وجميعا حال
من الضمير في اهبطوا وليس بمصدر ولا اسم فاعل ولكنه عوض منهما دال عليهما
كانه قال هبوطا جميعا او هابطين جميعا واختلف في المقصود بهذا الخطاب
فقيل ادم وحوا وابليس وذريتهم وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في
ادم وحوا لان ابليس لا ياتيه هدى وخوطبا بلفظ الجمع تشريفا لهما والاول
اصح لان ابليس مخاطب بالايمان باجماع وان في قوله فاما هي للشرط دخلت ما
عليها موكدة ليصح دخول النون المشددة فهي بمثابة لام القسم التي تجي لتجي
النون وفي قوله تعالى مني اشارة الى ان افعال العباد خلق لله تعالى واختلف
في معنى قوله هدى فقيل بيان وارشاد **قال ابو محمد** والصواب ان
يقال بيان ودعا وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الى ادم من الملايكة والى
بنيه من البشر هو ومن بعده وقوله تعالى فمن اتبع هداي شرط جوابه فلا خوف
عليهم قال سيبويه الشرط الثاني وجوابه هما جواب الاول في قوله فاما
ياتينكم وحكي عن الكسايي ان قوله فلا خوف عليهم جواب الشرطين جميعا
قال ابو محمد حكي هذا وفيه نظر ولا يتوجه ان يخالف سيبويه هنا وانما
الخلاف في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح فيقول سيبويه جواب
احد الشرطين محذوف لدلالة قوله فروح عليه ويقول الكوفيون فروح جواب
الشرطين   واما في هذه الاية فالمعنى يمنع ان يكون فلا خوف
جوابا للشرطين وقرا الجحدري وابن ابي اسحق هدي وهي لغة هذيل **قال ابو**
ذويب سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع
وكذلك يقولون عصي وما اشبهه وعلة هذه اللغة ان يا الاضافة
من شانها ان يكسر ما قبلها فلما لم يصح في هذا الوزن كسر الالف الساكنة
ابدلت يا وادغمت وقرا الزهري ويعقوب وعيسى الثقفي فلا خوف عليهم

نصب بالتبرية ووجهه انه أعم وابلغ في رفع الخوف ووجه الرفع انه اعدل
في اللفظ لينعطف المرفوع من قوله هم يحزنون على مرفوع ولا في قراءة الرفع عامله
عمل ليس وقرا ابن محيصن ما حكاه عنه فلا خوف بالرفع وترك التنوين وهي
ان تعمل لا عمل ليس لكنه حذف التنوين تخفيفا لكثرة الاستعمال ويحتمل قوله
تعالى ان لا خوف عليهم فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها
ويحتمل ان لا خوف عليهم يوم القيمة ولا هم يحزنون فيه ويحتمل ان يريد انه
يدخلهم الجنة حيث لا خوف ولا حزن وقوله تعالى والذين كفروا الاية عطف
جملة مرفوعة على جملة مرفوعة وقال وكذبوا وكان في الكفر كفاية لان لفظة
كفروا يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي ولا يجب بهذا خلود فبين ان الكفر
هنا هو الشرك بقوله وكذبوا باياتنا والاية هنا يحتمل ان يريد المتلوة ويحتمل
ان يريد العلامة المنصوبة وقد تقدم في صدر هذا الكتاب القول على لفظ اية
واولئك رفع بالابتدا واصحاب خبره والصحبة الاقتران بالشي في حالة ما في
زمن ما فان كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة وهكذا هي صحبة اهل
النار لها وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم اذ
مراتبهم متباينة اقلها الاقتران في الاسلام والزمن واكثرها الخلطة
والملازمة وهم فيها خالدون ابتدا وخبر في موضع الحال **قوله تعالى**
يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر
به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون يا حرف نداء مضمن معنى التنبيه
قال الخليل والعامل في المنادى فعل مضمر كانه يقول اريد وادعو وقال
ابو علي الفارسي العامل حرف النداء عضده معنى الفعل المضمر فقوي
عمله ويدل على ذلك انه ليس في حروف المعاني ما يلتيم بانفراده مع الاسماء
غير حرف النداء وبني منادى مضاف واسرايل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم

عليهم

عليهم السلام وهو اسم اعجمي يقال فيه اسرال واسرايل وتميم تقول اسراين
واسرا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله وحكى المهدوي
ان اسرا ماخوذ من الشدة في الاسر كانه الذي شد الله اسره وقوى خلقته وروي
عن نافع ترك همز اسرايل وعن الحسن والزهري وابن ابي اسحق والذكر في كلام
العرب على انحا وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضد النسيان والنعمة هنا
اسم الجنس فهي مفردة بمعنى الجمع وتحركت الياء من نعمتي لانها لقيت الالف
واللام ويجوز تسكينها واذا اسكنت حذفت للالتقاء وفتحها احسن لزيادة
حرف في كتاب الله وخصص بعض العلما النعمة في هذه الاية فقال الطبري
بعثه الرسل منهم وانزال المن والسلوى وانقاذهم من تعذيب ال فرعون
وتفجير الحجر وقال غيره النعمة ان دركهم من محمد صلى الله عليه وسلم وقال
اخرون ان نجيهم بعلم التوراة وجعلهم اهله وحملته **قال ابو محمد**
وهذه اقوال على جهة المثال والعموم في اللفظة هو الحسن وحكى مكي ان
المخاطب من بني اسرايل بهذا الخطاب هم المومنون بمحمد عليه السلام لان
الكافر لا نعمة عليه وقال ابن عباس وجمهور العلما بل الخطاب لجميع بني
اسرايل في مدة النبي عليه السلام مومنهم وكافرهم والضمير في عليكم
يراد به على ابايكم كما يقول العرب الم نهزمكم يوم كذا لوقعة كانت بين
الابا والاجداد ومن قال انما خوطب المومنون بمحمد عليه السلام ○
استقام الضمير في عليكم ويجي كل ما يوالي من الاوامر على جهة الاستدامة
وقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم امر وجوابه وقال الخليل
جزم الجواب فاما في الامر من معنى الشرط والوفا بالعهد وهذا التزام
ما تضمن من فعل وقرا الزهري اوف بفتح الواو وشد الفا للتكثير واختلف
المتاولون في هذا العهد اليهم فقال الجمهور ذلك عام في جميع اوامره
ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر محمد عليه السلام الذي في التوراة

وقيل العهد قوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة الآية وقال ابن جريج العهد
قوله تعالى لقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الآية وعهدهم هو ان يدخلهم الجنة
ووفاؤهم لعهد الله امارة لوفاء الله تعالى لهم بعهدهم لا علة له لان العلة لا
تتقدم المعلول وقوله واياي فارهبون الاسم اياي والياء ضمير كالكاف للمخاطب
وقيل اياي بجملته هو الاسم وهو منصوب باضمار فعل موخر تقديره واياي ارهبوا
فارهبون وامتنع ان يتقدم متقدما لان الفعل اذا تقدم لم يحسن ان يتصل به
الاضمار حينئذ فكان يجيء وارهبون والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد
وسقطت الياء بعد النون لانها راس آية وقرا ابن ابي اسحق بالياء وآمنوا
معناه صدقوا ومصدقا نصب على الحال من الضمير في انزلت وقيل من ما والعامل
فيه آمنوا وما انزلت كناية عن القرآن ولما معكم يعني من التوراة وقوله ولا
تكونوا اول كافر به هذا من مفهوم الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت
عنه حكمهما واحد والاول والثاني دخلا في النهي ولكن حذروا البدار
الكفر به اذ على الاول كفل من فعل المقتدي به ونصب اول على خبر كان
قال سيبويه اول افعل لا فعل له لاعتلال فائه وعينه قال غير سيبويه هو اوأل
من وأل اذا نجا خففت الهمزة وابدلت واوا وادغمت وقيل انه من آل فهو
أأول قلبت فجاء وزنه اعفل وسهل وابدل وادغم ووحد كافر وهو بنية الجميع لان
افعل اذا اضيف الى اسم متصرف من فعل جاز افراد ذلك الاسم والمراد
به الجماعة **قال الشاعر** فاذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا
فشر جياع ... وسيبويه يرى انها نكرة مختصرة من معرفة كانه قال
ولا تكونوا اول الكافرين به وقيل معناه ولا تكونوا اول فريق كافر به **قال
ابو محمد** وقد كان كفر قبلهم كفار قريش فانما معناه من اهل الكتاب اذ هم
منظور اليهم في مثل هذا لانهم حجة مظنون بهم علم واختلف في الضمير في
به على من يعود فقيل على محمد عليه السلام وقيل على التوراة اذ تضمنها قوله

لما معكم **قال ابو محمد** وعلى هذا القول يجيء اول كافر به مستقيما
على ظاهره في الاولية وقيل الضمير في به عائد على القرآن اذ تضمنه قوله انما
انزلت واختلف المتاولون في الثمن الذي نهوا ان يشتروه بالآيات فقالت
طائفة ان الاحبار كانوا يعلمون دينهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم
علم مجانا كما علمت مجانا اي باطلا بغير اجرة وقال قوم كانت للاحبار ماكلة
ياكلونها على العلم كالراتب فنهوا عن ذلك وقال قوم ان الاحبار اخذوا
رشا على تغيير قصة محمد عليه السلام في التوراة ففي ذلك قال تعالى ولا
تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقال قوم معنى الآية ولا تشتروا باوامري ونواهي
وآياتي ثمنا قليلا يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر وقد تقدم
نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ
قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة
الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون المعنى
ولا تخلطوا يقال لبست الامر بفتح الباء البسه اذا خلطته ومزجت بينه
بمشكله وحقه بباطله **واما قول الشاعر** وكتيبة لبستها بكتيبة
فالظاهر انه من هذا المعنى ويحتمل ان يكون من اللباس واختلف اهل
التاويل في المراد بقوله الحق بالباطل فقال ابو العالية قالت اليهود محمد نبي
مبعوث ولكن الى غيرنا فاقرارهم ببعثه حق وجحدهم انه بعث اليهم باطل
وقال الطبري كان من اليهود منافقون فما اظهروا من الايمان حق وما
ابطنوا من الكفر باطل وقال مجاهد معناه لا تخلطوا اليهودية والنصرانية
بالاسلام وقال ابن زيد المراد بالحق التوراة والباطل ما بدلوا فيها من
ذكر محمد عليه السلام وتلبسوا جزم بالنهي وتكتموا عطف عليه في موضع

جزم ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار ان واذا اضمرت ان كانت مع تكتموا
بتاويل المصدر وكانت الواو عاطفة على مصدر مقدر من تلبسوا كان الكلام
ولا يكن لبسكم الحق بالباطل وكتمانكم الحق وقال الكوفيون تكتمون نصب بواو الصرف
والحق يعني به امر محمد عليه السلام وقوله وانتم تعلمون جملة في موضع الحال
ولم يشهد لهم تعالى بعلم وانما نهاهم عن كتمان ما علموا ويحتمل ان يكون شهادة
عليهم بعلم حق مخصوص في امر محمد عليه السلام ولم يشهد لهم بالعلم على الاطلاق
ولا تكون الجملة على هذا في موضع الحال وفي هذه الالفاظ دليل على تغليظ
الذنب على من واقعه على علم وانه اعصى من الجاهل واقيموا الصلاة معناه
اظهروا هيئتها وادموها بشروطها وذلك تشبيه باقامة القاعد الى
حال ظهور **ومنه قول الشاعر** واذا يقال اتيتم لم يبرحوا حتى تقيم الخيل
سوق طعان **هو** وقد تقدم القول في الصلاة والزكاة في هذه الاية
هي المفروضة بقرينة اجماع الامة على وجوب الامر بها والزكاة ماخوذة
من زكا الشي اذا نما وزاد وسمي الاخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو
بالبركة او بالاجر الذي يثيب الله به المزكي وقيل الزكاة ماخوذة من
التطهير يقال زكا فلان اي طهر من دنس الجرحة والاغفال فكان الخارج
من المال يطهر من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين الا ترى النبي عليه السلام
سمى ما يخرج في الزكاة اوساخ الناس وقوله واركعوا مع الراكعين
قال قوم جعل الركوع لما كان من اركان الصلاة عبارة عن
الصلاة كلها وقال انما خص الركوع بالذكر لان بني اسرائيل لم يكن في صلاتهم
ركوع وقالت فرقة انما قال مع لان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود
الجماعة فامرهم بقوله مع بشهود الجماعة والركوع في اللغة الانحناء بالشخص
قال لبيد أخبر اخبار القرون التي مضت أدب كاني كلما قمت راكع
ويستعار ايضا في الانحطاط في المنزلة قال الاضبط **قال الاضبط بن قريع**

قوله تعالى ولا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
اتامرون خرج مخرج الاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير
والطاعات ويقع على كل واحد منها اسم بر وتنسون معناه تتركون كما قال الله
تعالى نسوا الله فنسيهم واختلف المتاولون في المقصود بهذه الاية فقال
ابن عباس كان الاحبار يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا
هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان
الاحبار اذا استرشدهم احد من العرب في اتباع محمد عليه السلام دلوه
على ذلك وهم لا يفعلونه وقال ابن جريج كان الاحبار يحضون الناس على طاعة
الله وكانوا هم يواقعون المعاصي وقالت فرقة كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون
وقوله وانتم تتلون معناه تدرسون وتقرؤون ويحتمل ان يكون المعنى تتبعون
اي في الاقتداء بها والكتاب التوراة وهي تنهاهم عما هم عليه من هذه الصفة
الذميمة وقوله افلا تعقلون معناه افلا تمنعون انفسكم من مواقعة هذه الحال
المردية لكم والعقل الادراك المانع من الخطا ماخوذ منه عقال البعير اي
يمنعه من التصرف ومنه المعقل اي موضع الامتناع وقوله واستعينوا
بالصبر والصلاة قال مقاتل معناه على طلب الاخرة وقال غيره المعنى استعينوا
بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله وبالصلاة على
نيل الرضوان وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ايضا ومنه الحديث
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما
روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن
الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرا واستعينوا بالصبر والصلاة
وقال مجاهد الصبر في هذه الاية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر
وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما في ان الصيام
يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتخشع

ويقرأ فيها القرآن الذي يذكر بالآخرة وقال قوم الصبر على بابه والصلاة
الدعاء وتجيء هذه الآية على هذا القول مشبهة لقوله تعالى إذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله لأن الثبات هو الصبر وذكر الله هو الدعاء
واختلف المتأولون في قوله وإنها لكبيرة على أي شيء يعود الضمير فقيل على
الصلاة وقيل على الاستعانة التي يقتضيها قوله استعينوا وقيل على العبادة
التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة وقالت فرقة على إجابة محمد
عليه السلام **قال أبو محمد** وفي هذا ضعف لأنه لا دليل من الآية
عليه وقيل يعود الضمير على الكعبة لأن الأمر بالصلاة إنما كان إليها **قال**
أبو محمد وهذا أضعف من الذي قبله وكبيرة معناه ثقيلة شاقة والخاشعون
المتواضعون المخبتون والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون
وتواضع ويظنون في هذه الآية قال الجمهور معناه يوقنون وحكى المهدوي وغيره
أن الظن هنا يصح أن يكون على بابه ويضمر في الكلام بذنوبهم فكأنهم يتوقعون
لقاءه مذنبين **قال أبو محمد** وهذا تعسف والظن في كلام العرب قاعدته
الشك مع ميل إلى أحد معتقديه وقد يقع الظن موقع اليقين في الأمور المحققة
لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس لا تقول العرب في رجل مرئي حاضر أظن
هذا إنسانا وإنما تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس بعد كهذه الآية وكقوله
تعالى فظنوا أنهم مواقعوها **وكقول دريد بن الصمة**
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم بالفارسي المسرد وقوله تعالى
أنهم ملاقوا ربهم أن وجملتها تسد مسد مفعولي ظننت والملاقاة هي للعقاب
والثواب ففي الكلام حذف مضاف ويصح أن تكون الملاقاة هاهنا بالرؤية
التي عليها أهل السنة وورد بها متواتر الحديث وحكى المهدوي أن الملاقاة هنا
مفاعلة من واحد مثل عافاك الله **قال أبو محمد** وهذا ضعيف لأن لقي
يتضمن معنى لاقى وليست كذلك الأفعال كلها بل فعل خلاف في المعنى لفاعل

وملاقوا

وملاقوا أصله ملاقون لأنه بمعنى الاستقبال فحذفت النون تخفيفا فلما حذفت
سكنت الإضافة هنا تشبيها بالأسماء وهي إضافة غير محضة لأنها لا تعرف وكان
الكوفيون ما في اسم الفاعل الذي هو بمعنى الحال من معنى الفعل يقتضي إثبات النون
وإعماله وكونه وما بعده اسمين يقتضي حذف النون والإضافة وراجعون
قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج إلى الحساب والعرض ويقوي هذا
القول الآية المتقدمة قوله تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون
والضمير في إليه عائد على الرب تعالى وقيل على اللقاء الذي يتضمنه ملاقوا
قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة وفائدة ذلك أن الخطاب
الأول يصح أن يكون للمؤمنين ويصح أن يكون للكافرين منهم وهذا المتكرر
إنما هو للكافرين بدلالة ما بعده وأيضا فإن فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحجة
على ذكر آلاء الله وحسن خطابهم بقوله وفضلتكم على العالمين لأن تفضيل
آبائهم وأسلافهم تفضيل لهم وفي الكلام اتساع قال قتادة وابن زيد وابن جريج
وغيرهم المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيهم النبوة المتكررة والملك
لأن الله تعالى يقول لأمة محمد عليه السلام كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله
واتقوا يوما نصب يوما باتقوا على السعة والمعنى اتقوا عذاب يوم أو هول
يوم ثم حذف ذلك وأقام اليوم مقامه ويصح أن يكون نصبه على الظرف
لا للتقوى لأن يوم القيامة ليس بيوم عمل ولكن معناه جيئوا متقين يوما ولا تجزي
معناه لا تغني وقال السدي معناه لا تقضي ويقوي قوله شيئا وقيل المعنى
لا تكافي ويقال جزا وأجزا بمعنى واحد وقد فرق بينهما قوم فقالوا أجزي بمعنى قضى

وكلا فأوجزا بمعنى أغنى وكفى وقرأ أبو السمال لا تجزئ بضم التاء والهمز وفي
الكلام حذف قال البصريون التقدير لا تجزي فيه ثم حذف فيه وقال غيرهم
حذف ضمير متصل بتجزي تقديره لا تجزيه على أنه يقبح حذف هذا الضمير في الخبر
وإنما يحسن في الصلاة وقال بعض البصريين التقدير لا تجزي فيه فحذف حرف
الجر واتصل الضمير ثم حذف الضمير بتدريج وقوله تعالى ولا يقبل منها
شفاعة قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء وقرأ الباقون بالياء من تحت على المعنى إذ
تأنيث الشفاعة ليس بحقيقي والشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان لأن
الشافع والمشفوع له شفع وكذلك الشفيع فيما لم يقسم وسبب هذه الآية أن
بني إسرائيل قالوا نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه وسيشفع لنا آباؤنا فأعلمهم الله تعالى عن يوم
القيامة أنه لا تقبل فيه الشفاعات ولا تجزي نفس عن نفس وهذا إنما هو في الكافرين
للإجماع وتواتر الحديث بالشفاعة في المؤمنين وقوله تعالى ولا يؤخذ
منها عدل قال أبو العالية العدل الفدية **قال أبو محمد** وعدل الشيء هو الذي
يساويه قيمة وقدرًا وإن لم يكن من جنسه والعِدل بكسر العين هو الذي يساوي
الشيء من جنسه وفي جرمه وحكى الطبري أن من العرب من يكسر العين من معنى الفدية
فأما واحد الأعدال فبالكسر لا غير والضمير في قوله ولا هم عائد على الكافرين
الذين اقتضتهم الآية ويحتمل أن يعود على النفسين المتقدم ذكرهما لأن اثنين
جمع أو لأن النفس للجنس وهو جمع وحصرت هذه الآية المعاني التي اعتادها
بنو آدم في الدنيا فإن الواقع في شدة من آدمي لا يتخلص إلا بأن يشفع له أو ينصر
أو يفتدى وقوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون أي خلصناكم وآل أصله
أهل قلبت الهاء ألفًا كما عمل في ماء ولذلك ردها التصغير إلى
الأصل فقيل أهيل ومويه ۝ وقد قيل في آل إنه اسم غير أهل أصله أول وتصغيره
أويل وإنما نسب الفعل إلى فرعون وهم إنما كانوا يفعلونه بأمره وسلطانه
لتوليهم ذلك بأنفسهم قال الطبري ويقتضي هذا أن من أمره ظالم فقتل

احد

أحدًا فقتله مأمورًا فهو المأخوذ به وآل الرجل قرابته وشيعته وأتباعه
ومنه قول أراكة الثقفي فلا تبك ميتًا بعد ميت أجنه علي وعباس وآل
أبي بكر ۝ يعني المؤمنين الذين قبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأشهر
في آل أن يضاف إلى الأسماء لا إلى البقاع والبلاد ويقال أهل مكة وأهل المدينة
وفرعون اسم لكل من ملك من العمالقة مصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب
بن الريان وقال ابن إسحق الوليد بن مصعب وروي أنه كان من أهل إصطخر
ورد مصر فاتفق له فيها الملك وكان أصل كون بني إسرائيل بمصر نزول إسرائيل
بها زمن ابنه يوسف عليهم السلام ويسومونكم معناه يأخذونكم ويلزمونكم
إياه ومنها المساومة بالسلعة وسامه خطة خسف ويسومونكم إعرابه رفع
على الاستئناف والجملة في موضع نصب على الحال أي سائمين لكم سوء العذاب
ويجوز أن لا تقدر فيه الحال ويكون وصف حال ماضية وسوء العذاب أشده
وأصعبه قال السدي كان يصرفهم في الأعمال القذرة ويذبح الأبناء ويستحيي
النساء وقال غيره صرفهم على الأعمال الحرث والزراعة وغير ذلك وكان قومه
جندًا ملوكًا وقرأ الجمهور يذبحون بشد الباء المكسورة على المبالغة وقرأ ابن
محيصن يذبحون بالتخفيف والأول أرجح إذ الذبح متكرر وكان فرعون على
ما روي قد رأى في منامه نارًا خرجت من بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر فأولت له
رؤياه أن مولودًا من بني إسرائيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن
إسحق وابن عباس وغيرهما إن الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون قد أظلك زمن مولود
من بني إسرائيل يخرب ملكك وقال ابن عباس أيضًا إن فرعون وقومه تذاكروا
وعد الله لإبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا فأمر عند ذلك بذبح ۝
الذكور من المولودين في بني إسرائيل ووكل بكل عشر نساء رجلًا يذبح الذكور
يحفظ من يحمل منهن وقيل وكل بذلك القوابل وقالت طائفة معنى يذبحون
أبناءكم يذبحون الرجال ويسمون أبناء لما كانوا كذلك واستدل هذا القائل

بقوله تعالى نساءكم **قال أبو محمد** والصحيح من التأويل أن الأبناء
هم الأطفال الذكور والنساء هم الأطفال الإناث وعبر عنهن باسم النساء
بالمآل وليذكرهن بالاسم الذي في وقته يستخدمن ويمتهن ونفس الاستحياء
ليس بعذاب ولكن العذاب بسببه وقع الاستحياء ويذبحون بدل من يسومون
وقوله تعالى وفي ذلكم إشارة إلى جملة الأمر إذ هو خبر فهو كمفرد
حاضر والبلاء معناه امتحان واختبار ويكون البلاء في الخير والشر وقال
قوم الإشارة بذلكم إلى التنجية من بني إسرائيل فيكون البلاء على هذا
في الخير أي وفي تنجيتكم نعمة من الله عليكم وقال جمهور الناس الإشارة
إلى الذبح ونحوه والبلاء هنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه وامتحان
وحكى الطبري وغيره في قصص هذا الموضع أن موسى عليه السلام أوحى الله إليه أن
يسري من مصر ببني إسرائيل فأمرهم موسى أن يستعيروا الحلي والمتاع من القبط
وأحل الله ذلك لبني إسرائيل فسرى بهم موسى من أول الليل فأعلم فرعون
فقال لا يتبعهم أحد حتى يصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك
حتى أصبح وأمات الله تلك الليلة كثيرا من أبناء القبط فاشتغلوا في الدفن
وخرجوا في الاتباع مشرقين وذهب موسى إلى ناحية البحر حتى بلغه وكانت
بنو إسرائيل نيفا على ستمائة ألف وكانت عدة فرعون ألف ألف ومائتي ألف
وحكى غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو إسرائيل
أنهم غير ناجين فقال يوشع بن نون لموسى أين أمرت فقال هكذا وأشار
إلى البحر فركض يوشع فرسه فيه حتى بلغ الغمر ثم رجع فقال لموسى أين أمرت
فوالله ما كذبت ولا كذبت فأشار إلى البحر وأوحى الله تعالى إليه
أن اضرب بعصاك البحر وأوحى إلى البحر أن انفرق لموسى إذا ضربك فباتت
البحر تلك الليلة يضطرب فحين أصبح ضرب موسى البحر وكناه أبا خالد
فانفرق وكان ذلك في يوم عاشوراء **قوله تعالى** وإذ فرقنا بكم

البحر

البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين
ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون
فرقنا معناه جعلناه فرقا وقرأ الزهري فرّقنا بتشديد الراء ومعنى بكم
بسببكم وقيل لما كانوا بين الفرق وقت جوازهم فكأنه بهم فرق وقيل معناه
لكم والباء عوض اللام وهذا ضعيف والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق
البحر عرضا جزعا من ضفة إلى ضفة وإنما فرق من موضع إلى موضع آخر في
ضفة واحدة وكان ذلك الفرق يقرب موضع النجاة ولا يلحق في البر
إلا في أيام كثيرة بسبب جبال وأوعار حائلة وذكر العامري أن موضع
خروجهم من البحر كان قريبا من برية فلسطين وهي كانت طريقهم وقيل انفرق
البحر عرضا وانفرق البحر على اثني عشر طريقا طريق لكل سبط فلما دخلوها
قالت كل طائفة غرق أصحابنا وجزعوا فقال موسى اللهم أعني على أخلاقهم
السيئة فأوحى الله إليه أن أدر عصاك على البحر فأدارها فصار في الماء
فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضا وجازوا وجبريل وراءهم على ماذيانة
يحث بني إسرائيل ويقول لآل فرعون مهلا حتى يلحق آخركم أولكم فلما وصل
فرعون إلى البحر أراد الدخول فيه فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة
فاتبعها الفرس ودخل آل فرعون وميكائيل خلفهم فلما لم يبق إلا ميكائيل
في ساقتهم على الضفة وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا وتنظرون قيل معناه
بأبصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل معناه ببصائركم للاعتبار لأنهم كانوا
في شغل عن الوقوف والنظر بالأبصار وقيل إن آل فرعون طفوا على الماء
فنظروا إليهم وقيل المعنى وأنتم بحال من ينظر لو نظر كما تقول هذا الأمر
منك بمرأى ومسمع أي بحال تراه وتسمعه إن شئت قال الطبري
وفي أخبار القرآن على لسان محمد عليه السلام بهذه المغيبات التي لم تكن

من علم العرب ولا وقفنا الا في حوى علم بني اسرائيل دليل واصح عندي بني اسرائيل
وقام عليهم بنبوة محمد عليه السلام وقرأ الجمهور واعدنا وقرأ ابو عمرو
ووعدنا ورجحه ابو عبيد وقال ان المواعدة لا تكون الا من البشر قال ابو محمد
وليس هذا بصحيح لان قبول موسى لوعد الله والتزامه وارتقابه يشبه المواعدة
وموسى اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف والقبط على ما يروى يقولون للماء
مو وللشجر شا فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سمي موسى قال ابن
اسحق هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق
بن ابرهيم الخليل ونصب اربعين على المفعول الثاني ولا يجوز نصبها على الظرف
في هذا الموضع وهي فيما روي ذو القعدة وعشر ذي الحجة وخص الليالي دون
الايام بالذكر اذ الليلة اقدم من اليوم وقبله في الرتبة ولذلك وقع بها
التاريخ قال النقاش وفي ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لامكن
ان يعتقد انه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام
واصل اربعين ليلة بايامها قال ابو محمد حدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت
الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل ابن الجوهري رحمه الله يعظ الناس
بهذا المعنى في الخلوة بالله والدنو منه في الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن
كل طعام وشراب ويقول اين حال موسى في القرب من الله ووصال ثمانين
الدهر من قوله حين سار الى الخضر لفتاه في بعض يوم آتنا غداءنا وقال المفسرون
على ان الاربعين كلها ميعاد وقال بعض البصريين وعده راس الاربعين ليلة قال
ابو محمد وهذا ضعيف وقوله ثم اتخذتم قرأ اكثر السبعة بالادغام وقرأ
ابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه باظهار الدال وثم للمهلة ولتدل على
ان الاتخاذ بعد المواعدة واتخذ وزنه افتعل من الاخذ قال ابو علي هو من تخذ
لا من اخذ وانشد

وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها نسيفا كأفحوص القطاة المطرق

دهب

ونصب العجل باتخذتم والمفعول الثاني محذوف تقديره اتخذتم العجل الاها
واتخذ قد يتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا وقد يتعدى الى مفعولين احدهما هو الآخر في المعنى كقوله تعالى اتخذوا
ايمانهم جنة وكقوله آلهة وغيرها والضمير في بعده يعود على موسى وقيل على انطلاقه
للتكلم اذ المواعدة تقتضيه وقيل على الوعد وقصص هذه الآية ان موسى
عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر قال لهم ان الله تعالى سينجيكم
من آل فرعون وينفلكم حليهم ومتاعهم الذي كان امرهم باستعارته وروي انهم
استعاروه برأيهم فنفلهم الله ذلك بعد خروجهم وقال لهم موسى عن الله تعالى
انه ينزل عليكم كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم فلما جازوا البحر طلبوا
موسى بما قال لهم من امر الكتاب فخرج لميعاد ربه وحده وقد اعلمهم بالاربعين
ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة ثم قالوا هذه اربعون من الدهر وقد اخلفنا
الموعد وبدى تعنتهم وخلافهم وكان السامري رجلا من بني اسرائيل يسمى موسى
بن ظفر وقيل لم يكن من بني اسرائيل بل كان غريبا فيهم وكان قد عرف جبريل
عليه السلام وقت عبرهم البحر وقالت طائفة انكر هيئته فعرف انه ملك
وقالت طائفة كانت ام السامري ولدته عام الذبح فجعلته في غار واطبقت
عليه فكان جبريل عليه السلام يغذوه باصابع نفسه فيجد في اصبع لبنا وفي اصبع
عسلا وفي اصبع سمنا فلما رآه وقت جواز البحر عرفه فاخذ من تحت
حافر فرسه قبضة تراب والقي في روعه انه لن يلقيها على شيء ويقول له كن
كذا الا كان فلما خرج موسى لميعاده قال هرون لبني اسرائيل ان ذلك الحلي
والمتاع الذي استعرتم من القبط لا يحل لكم فجيئوا به حتى تأكله النار التي
كانت العادة ان تنزل على القرابين وقيل بل اوقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع
ذلك فيها فجعلوا يطرحون وقيل بل امرهم ان يضعوه في حفرة دون نار حتى
يجيء موسى وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلا وقيل ان السامري

كان في اصله من قوم يعبدون البقر فكان يعجبه ذلك وقيل بل كانت
بنوا اسرايل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر فقالوا يا موسى اجعل لنا
الاها كما لهم الهة فوعاها السامري وعلم ان من تلك الجهة يفتنون ففتنت
بني اسرايل بالعجل وطلب منهم طايفة تعبدونه فاعتزلهم هرون بمن تبعه فجا
موسى من ميعاده فغضب حسب ما ياتي قصصه في مواضعه من القران ان شا الله
ثم اوحى الله اليه انه لن يتوب على بني اسرايل حتى يقتلوا انفسهم ففعلت بنوا
اسرايل حتى يقتلوا انفسهم ففعلت بنوا اسرايل ذلك فروي انهم لبسوا
السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد والقى الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا
يقتل الابن اباه والاخ اخاه فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين الفا عفى
الله عنهم وجعل من مات شهيدا وتاب على البقية فذلك قوله ثم عفا
عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين
لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طايفة جلس الذين عبدوا
بالافنية وخرج يوشع بن نون ينادي ملعون من حل حبوته وجعل الذين لم يعبدوا
يقتلونهم وموسى في خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم وانما
عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على احد الاقوال او بقتلهم قراباتهم
على الاقوال الاخر لانهم لم يغيروا المنكر حين عبدوا العجل وانما اعتزلوا
وكان الواجب عليهم ان يقاتلوا من عبده وانتم ظالمون ابتدا وخبره في موضع
الحال وقد تقدم تفسير الظلم والعفو تغطية الاثر واذهاب الحال
الاول من الذنب او غيره ولا يستعمل العفو بمعنى الصفح الا في الذنب وعفى
عنهم عز وجل اي عن من بقي منهم لم يقتل ولعلكم ترجي لهم في حقهم وتوقع منهم
لا في حق الله عز وجل لانه كان يعلم ما يكون منهم وقوله تعالى واذ اتينا موسى
الاية اذ عطف على ما ذكر من النعم والكتاب هو التوراة باجماع من المتاولين
واختلف في الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التوراة ايضا كرر المعنى

لاختلاف

لاختلاف اللفظ ولانه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل ولفظة الكتاب لا يعطي
وقال اخرون الكتاب التوراة والفرقان ساير الايات التي اوتي موسى عليه السلام
لانها فرقت بين الحق والباطل وقال اخرون الفرقان النصر الذي فرق بين حالهم
وحال ال فرعون بالنجاة والغرق وقال ابن زيد الفرقان انفراق البحر له
حتى صار فرقا وقال الفرا وقطرب معنى هذه الاية اتينا موسى الكتاب ومحمد
الفرقان قال ابو محمد وهذا ضعيف ولعلكم تهتدون ترج وتوقع
مثل الاول قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم
ذلكم خير لكم عند باريكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون هذا القول من موسى عليه السلام كان بامر من الله تعالى وحذف
اليا في يا موسى لان الندا موضع حذف وتخفيف والمضمر في اتخاذكم
في موضع خفض على اللفظ وفي موضع رفع بالمعنى والعجل لفظة عربية اسم
لولد البقرة وقال قوم سمي عجلا لانه استعجل قبل مجي موسى قال
ابو محمد وليس هذا القول بشي واختلف هل بقي العجل من ذهب فقال
ذلك الجمهور وقال الحسن بن ابي الحسن صار لحما ودما والاول اصح وتوبوا
معناه ارجعوا عن المعصية الى الطاعة وقرا الجمهور باريكم باظهار
الهمزة وكسرها وقرا ابو عمرو باريكم باسكان الهمزة وروى عنه سيبويه
اختلاس الحركة وهو احسن وهذا التسكين يحسن في توالي الحركات وقال
وقراه ابي عمرو وباريكم لحن قال ابو محمد وقد روي عن العرب
التسكين في حروف الاعراب قال الشاعر اذا اعوججن قلت صاحب
قوم وقال امرو القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل
وقال اخر قالت سليمى اشتر لنا سويقا وقال اخر وقد بدا هنك من المئزر

وقال جرير ونهر تيرى فلن يعرفكم العرب وقال ابو صالح اللهم اما شعري شهد
قد خلط الجلجلان ومن انكر التسكين في حرف الاعراب فحجته ان ذلك
لحن من حيث كان علما للاعراب قال ابو علي واما حركة البنا فلم تختلف
النحاة في جواز تسكينها مع توالي الحركات وقرا الزهري باريكم بكسر الباء من غير
همز وروت عن نافع وقرا قتاده فاقتالوا انفسكم وقال هي من الاستقاله
وقال ابو الفتح اما اقتالوا فهذه افتعل ويحتمل ان يكون عينها واوا كاقتادوا ويحتمل
ان يكون ياكاقتاس والتصريف يضعف ان يكون من الاستقاله ولكن قتاده رحمه
الله ينبغي ان يحسن الظن به في انه لم يورد ذلك الا بحجه عنده وقوله تعالى
فتاب عليكم قبله محذوف تقديره ففعلتم وقوله عليكم معناه على الباقين
وجعل الله تعالى القتل لمن قتل شهاده وتاب على الباقين وعفى عنهم قال بعض
الناس فاقتلوا في هذه الايه معناه بالتوبه واماته عوارض النفوس من شهوه
وتعت وغضب واحتج بقوله عليه السلام في الثوم والبصل فليمتهما طبخا
وبقول حسان ثمت ماراد تك عن النقايص حتى لاحرنك بالفضايل
وقوله تعالى واذ قلتم ياموسى يريد السبعين الذين اختارهم موسى واختلف
في وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل اختارهم
يستغفروا لبني اسرائيل وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر
وطلب بالميعاد والاول اصح وقصة السبعين ان موسى عليه السلام لما رجع
من تكليم الله ووجد العجل قد عبد قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل نحن
لم نكفر ونحن اصحابك ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين
فلم يجد الا ستين فاوحى الله اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا
وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن
يتاخر فاوحى الله اليه ان من تاخر له اجر من مضى فتاخر يوشع بن نون وكالوب بن
يوقنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء

ثلاثا ويغتسلوا الى اليوم الثالث واستخلف هرون على قومه ومضى حتى
اتى الجبل فالقى عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وحيل بينهم وبين موسى
بالنور فوقعوا سجودا قال السدي وغيره سمعوا كلام الله يامر وينهى فلم
يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع ويعبر لهم ففعل
فلما فرغوا وخرجوا بدلت طائفة ما سمعوا من كلام الله فذلك قوله تعالى
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطربت ايمانهم وامتحنهم الله بذلك
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره ولم يطلبوا من الرويه محالا اما انه
عند اهل السنه ممتنع في الدنيا من طريق السمع فاخذتهم حينئذ الصاعقه فاحترقوا
وماتوا موت همود يعتبر به الغير وقال قتاده ماتوا وذهبت ارواحهم ثم
ردوا لاستيفاء اجالهم فحين حصلوا في ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه
فيهم ويقول اي رب كيف ارجع الى بني اسرائيل وقد اهلكتهم ولا يؤمنون
لي ابدا وقد خرجوا معي وهم الاخيار قال ابو محمد يعني هم بحال الخير
وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل
فذلك قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وقال ابن فورك
يحتمل ان يكون معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرويه عن طريقه بقولهم
لموسى ارنا وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام وجهرة مصدر في موضع
الحال والاظهر انها من الضمير في نؤمن والجهره العلانيه ومنه الجهر ضد
السر وجهر الرجل الامر كشفه وقرا سهل بن شعيب وحميد بن قيس
جهرة بفتح الهاء وهي لغة مسموعة عند البصريين فيما فيه حرف الحلق ساكنا
قد انفتح ما قبله والكوفيون يجيزون فيه الفتح وان لم يسمعوه قال
ابو محمد ويحتمل ان يكون جهرة مع كاهر حتى نرى الله كاشفين هذا الامر
وقرا عمر وعلي رضي الله عنهما فاخذتكم الصعقه ومضى في صدر السورة معنى
الصاعقه والصعقه ما يحدث بالانسان من الصاعقه وتنظرون معناه الى

حالكم **قوله تعالى** ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا
عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم
خطاياكم وسنزيد المحسنين اجاب تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام
واحياهم من ذلك الهمود او الموت ليستوفوا آجالهم وتاب عليهم والبعث
هنا الاثارة كما قال من بعثنا من مرقدنا وقال قوم انهم لما احيوا وانعم عليهم
بالتوبة سالوا موسى ان يجعلهم الله انبياء فذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم
لعلكم تشكرون اي على هذه النعمة والترجي انما هو في حق البشر ونزلت
الالواح بالتوراة على موسى في تلك المدة هذا قول جماعة وقال آخرون ان
الالواح نزلت في ذهابه الاول وحده وذهب المفسرون في تظليل الغمام ان
بني اسرائيل لما كان من امرهم ما كان من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا في
فحص التيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت
وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص اربعين سنة
يتيهون في مقدار خمسة فراسخ او ستة ۞ روي انهم كانوا يمشون النهار كله
وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس فندم موسى على دعائه عليهم
فقيل له لا تأس على القوم الفاسقين وروي انهم ماتوا باجمعهم في فحص التيه
ونشا بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام
فانزل الله عليهم المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام
قالوا بم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور في وسط محلتهم وذكر مكي عمود
نار فقالوا من لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا باللباس فاعطوا ان لا يبلى
لهم ثوب ولا يخلق ولا يدرن وان تنمو صغارها حسب نمو الصبيان ومعنى
ظللنا جعلناه ظللا والغمام السحاب لانه يغم وجه السماء اي يستره

وقال

وقال مجاهد هو ابرد من السحاب وهو ارق واصفى وهو الذي ياتي الله فيه يوم
القيامة **قال ابو محمد** يأتي امره وسلطانه وقضاؤه وقيل الغمام ما ابيض من
السحاب والمن صمغة حلوة هذا قول فرقة وقيل هو عسل وقيل هو شراب
حلو وقيل الذي ينزل اليوم على الشجر وقيل المن خبز الرقاق مثل النقي وقيل هو
الترنجبين وقيل الزنجبيل وفي بعض هذه الاقوال بعد وقيل المن مصدر يعني
به جميع ما من الله به مجملا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب مسلم الكماة
مما من الله به على بني اسرائيل وماؤها شفاء للعين فقيل اراد عليه السلام ان الكماة
نفسها مما انزل نوعها على بني اسرائيل وقيل انه اراد لا تعب في الكماة ولا جذاذ
ولا حصاد فهي منة دون تكلف وروي ان المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس كالثلج فياخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه
الا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان السبت
يوم عبادة والمن هنا اسم جمع لا واحد له من لفظه والسلوى طير باجماع المفسرين
قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع بن انس وغيرهم قيل هو السماني بعينه
وقيل طائر مثل الحمرة مثل السماني وقيل طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب وقال
الاخفش جمعه وواحده بلفظ واحد قال الخليل السلوى جمع واحدته سلواة
قال الكسائي السلوى واحده جمعها سلاوي والسلوى اسم مقصور لا يظهر فيه
الاعراب لان آخره الف والالف حرف هوائي اشبه الحركة فاستحالت
حركته ولو حرك لرجع حرفا آخر وقد غلط الهذلي **فقال** الذ من السلوى اذا
ما نشورها ۞ ظن السلوى العسل وقوله تعالى كلوا الاية معناه وقلنا
كلوا فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه والطيبات هنا قد جمعت الحلال
واللذيذ وقوله تعالى وما ظلمونا يقدر قبله فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر
والمعنى وما وضعوا فعلهم في موضع مضرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم
حيث لا يجب وقال بعض المفسرين ما ظلمونا ما نقصونا والمعنى يرجع الى ما

حصناه والقرية المدينة لانها سميت بذلك لانها تقرت اي اجتمعت ومنه قريت
الما في الحوض اي جمعته والاشارة بهذا الى بيت المقدس قال عمر بن شبة كانت
قاعدة ومسكن ملوك ولما خرج ذرية بني اسرائيل من التيه امروا بدخول القرية
المشار اليها واما الشيوخ فماتوا فيه وروي ان موسى عليه السلام مات
في التيه وكذلك هرون عليه السلام وحكى الزجاج عن بعضهم ان موسى وهرون
لم يكونا في التيه لانه عذاب والاول اكثر وكلوا اباحة وتقدم معنى الرغد وهي
ارض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا والباب قال مجاهد هو
باب في مدينة بيت المقدس يعرف الى اليوم بباب حطة وقيل هو باب القبة
التي كان يصلي اليها موسى وروي عن مجاهد ايضا انه باب في الجبل الذي كلم عليه
موسى كالفرضة وسجدا قال ابن عباس معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا
لا على هيئة متعينة والسجود يعم هذا كله لانه التواضع ومنه قول الشاعر
ترى الاكم فيه سجدا للحوافر ٭ وروي ان الباب خفض لهم ليقصر ويدخلوا
عليه متواضعين وحطة فعلة من حط يحط ورفعه على خبر ابتدا كانهم قالوا
حطة لذنوبنا هذا تقرير الحسن بن ابي الحسن وقال الطبري التقدير دخولنا الباب
كما امرنا حطة وقيل امروا ان يقولوها مرفوعة على هذا اللفظ وقال عكرمة
وغيره امروا ان يقولوا لا اله الا الله لتحط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل
لهم استغفروا وقولوا ما يحط ذنوبكم وقال اخرون قيل لهم ان يقولوا هذا الامر
حق كما اعلمنا قال ابو محمد وهذه الاقوال الثلاثة تقتضي النصب وقرا
ابراهيم بن ابي عبلة حطة بالنصب وحكي عن ابن مسعود وغيره انهم امروا بالسجود
وان يقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم ويقولون حنطة حبة حمراء في
شعرة ويروى غير هذا من الالفاظ وقرا نافع يغفر بالياء من تحت مضمومة
وقرا ابن عامر تغفر بالتاء من فوق مضمومة وقرا ابو بكر عن عاصم يغفر بفتح
الياء على معنى يغفر الله وقرا الباقون نغفر بالنون وقرات طائفة تغفر كان

الحطة

الحطة تكون سبب الغفران والقراء السبعة على خطاياكم غير ان الكسائي
كان يميلها وقرا الجحدري تغفر لكم خطيئتكم بضم التاء من فوق ورفع الخطيئة
وقرا الاعمش يغفر بالياء من اسفل مفتوحة خطيئتكم نصبا وقرا قتادة
مثل الجحدري وروي عنه انه قرا بالياء من اسفل مضمومة خطيئتكم رفعا
وقرا الحسن البصري يغفر لكم خطيئاتكم اي يغفر الله وقرا ابو حيوة تغفر بالتاء من
فوق مرفوعة خطيئاتكم اي يغفر الله بالجمع ورفع التاء وحكى الاهوازي انه قرئ
خطاياكم بهمز الالف وسكون الياء الاخرة وحكى ايضا انه قرئ بسكون الاولى وهمز
الاخرة قال الفرا خطايا جمع خطية بالهمز واصله خطايئ فقدمت على
الياء فجا خطائي ابدلت الياء الفا بدلا لازما فانفتحت الهمزة التي قبلها فجا
خطاءا همزة بين الفين وهي من قبيلهما فكانها ثلاث الفات فقلبت الهمزة
ياء فجات خطايا وقال سيبويه اصله خطايئ همزت اليا كما فعل في
مداين وكتايب فاجتمعت همزتان فقلبت الثانية كما فعل في مداين وكتايب
فاجتمعت همزتان فقلبت الثانية ياء ثم اعلت على ما تقدم وقوله تعالى
وسنزيد المحسنين عدة المعنى اذا غفرت الخطايا بدخولكم وقولكم زيد
بعد ذلك لمن احسن وكان من بني اسرائيل من دخل كما امر وقال لا اله الا
الله فتقبل فهم المراد بالمحسنين هنا قوله تعالى فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا
تعثوا في الارض مفسدين ٥ روي انهم لما جاوزوا الباب دخلوا من
قبل ادبارهم القهقرى وفي الحديث انهم دخلوا يزحفون على استاههم
وبدلوا فقالوا حبة في شعرة وحكى الطبري انهم قالوا انطي سمقاثا ازبه
وتفسيره ما تقدم والرجز العذاب وقال ابن زيد ومقاتل وغيرهما

ان الله تعالى بعث على الذين بدلوا ودخلوا على غير ما امروا الطاعون فاذهب
منهم سبعين الفا وقال ابن عباس اماتَ الله منهم في ساعة واحدة نيفا على عشرين
الفا وقرا ابن محيصن رُجزا بضم الراء وهي لغة في الرجز والرجز ايضا اسم صنم
مشهور والباء في قوله بما متعلقة بانزلنا وهي باء السبب ويفسقون معناه يخرجون
عن طاعة الله وقرا النخعي وابن وثاب يفسِقون بكسر السين يقال فسَق يفسُق بضم
السين وكسرها واذ متعلقة بفعل مضمر تقديره اذكر واستسقى معناه
طلب السقيا وعرف استفعل طلب الشي وقد جاء غير ذلك كقوله استغنى
الله بمعنى غني وقولهم استعجب بمعنى عجب ومثل بعض الناس في هذا بقولهم استنسر
البغاث واستنوق الجمل اذ هي بمعنى انتقل من حال الى حال وكان هذا
الاستسقا في فحص التيه فامره الله تعالى بضرب الحجر آية منه وكان الحجر من
جبل الطور على قدر راس الشاة يلقى في كسر جوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في
وسط محلتهم وضربه موسى وذكر انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم يجدونه
في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الآية ولا خلاف انه كان
حجرا منفصلا مربعا تطرد من كل جهة ثلث عيون اذا ضربه موسى واذا
استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره فضربه
فانفجرت والانفجار انصداع شي عن شي ومنه الفجر والانبجاس في الماء اقل
من الانفجار واثنتا معربة دون اخواتها لصحة معنى التثنية وانما ثني واحد
مع واحد وهذا انما ثني اثنان مع واحد فلو بنيت لرد ثلاثة واحدا او جاز
اجتماع علامتي التانيث في قوله اثنتي عشرة لبعد العلامة من العلامة ولانهما
في شيئين وانما منع ذلك في شي واحد نحو مسلمات وغيره وقرا ابن وثاب وابن ابي
ليلى وغيرهما عشِرة بكسر الشين وروي ذلك عن ابي عمرو والاشهر عنه الاسكان
وهي لغة تميم وهو نادر لانهم يخففون كثيرا وثقلوا في هذه وقرا الاعمش
عشَرة بفتح الشين وهي لغة ضعيفة وروي عنه كسرها وتسكينها والاسكان

لغة

لغة الحجاز وعينا نصب على التمييز والعين اسم مشترك وهي هنا منبع الماء
واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط
في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب عليه
السلام والمشرب المفعل موضع الشرب كالمشرع موضع الشروع في الماء
وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا تعداها وفي الكلام محذوف تقديره
وقلنا لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الماء المتفجر من الحجر المنفصل وهذه
الاحوال حسنت اضافة الرزق الى الله والا فالجميع رزقه وان كان فيه
تكسب العبد ولا تعثوا معناه ولا تفرطوا في الفساد يقال عثا الرجل يعثي
او عثا يعثو عثيا اذا افسد اشد فساد والاولى هي لغة القران والثانية
شاذة وتقول العرب عثا يعثو اعثوا ولم يقرا بهذه اللغة لانها توجب
ضم الثاء من تعثوا وتقول العرب عاث يعيث اذا افسد وعث يعث كذلك
ومنه عثة الصوف وهي السوسة التي تلحسه ومفسدين حال وتكرر
المعنى لاختلاف اللفظ وفي هذه الكلمات اباحة النعم وتعدادها
والتقدم في المعاصي والنهي عنها **قوله تعالى** واذ قلتم يا موسى لن
نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا
بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا
المن والسلوى بطعام واحد وهما طعامان لانهما كانا يوكلان واحدا
ولتكرارهما سوا ابدا قيل لهما طعام واحد ولغة بني عامر فادع بكسر
العين ويخرج جزم بما تضمنه الامر من معنى الجزا او بنفس الامر على مذهب
سيبويه مضمر تقديره مأكولا مما تنبت الارض وقال الاخفش من في

قوله مما زايده وما مفعوله ورأى سيبويه ان تكون ملغاة في غير النفي
كقولهم ما رايت من احد ومن في قوله من بقلها لبيان الجنس وبقلها بدل باعادة
الحروف والبقل كل ما تنبته الارض من النجم والقثا جمع قثاة وقرا طلحه
بن مصرف ويحيى بن وثاب وقثايها بضم القاف وقال ابن عباس واكثر
المفسرين الفوم الحنطه وقال مجاهد الفوم الخبز وقال عطا وقتاده
الفوم جميع الحبوب التي يمكن ان تختبز كالحنطه والفول والعدس
ونحوه وقال الضحاك الفوم الثوم وهي قراه عبد الله بن مسعود
بالثا وروي ذلك عن ابن عباس والثا تبدل من الفا كما قالوا مغافير ومغاثير
وجدف وجدث ووقعوا في عاثور شر وعافور شر على ان البدل لا يقاس عليه والاول
اصح انها الحنطه

واستشهد ابن عباس بقول احيحه بن الجلاح

قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا ٭ ورد المدينه عن زراعه فوم ٥
يعني حنطه وقال ابن دريد الفوم الزرع او الحنطه وازد السراه يسمون
السنبله فوما والاستبدال طلب وضع الشي موضع الاخر وادنى ماخوذ
عند ابي اسحق الزجاج من الدنو اي القرب في القيمه وقال علي بن سليمان
هو مهموز من الدني البين الدناه بمعنى الاخس الا انه خففت همزته وقال
غيره هو ماخوذ من الدون اي الاحط فاصله ادون افعل قلب فجا افلع
وقلبت الواو الفا لتطرفها وقرا زهير الكسائي ادنا ومعنى الايه ٥
استبدلون البقل والقثا والفوم والعدس والبصل التي هي ادنى بالمن
والسلوى الذي هو خير والوجه الذي يوجب فضل المن والسلوى على
الشي الذي طلبوه يحتمل ان يكون تفاضلهما في القيمه لان هذه البقول
لا خطر لها وهذا قول الزجاج ويحتمل ان يفضل المن والسلوى لانه
الطعام الذي من الله به وامرهم باكله وفي استدامته امر الله وشكر
النعمه اجر وذخر في الاخره والذي طلبوا عار من هذه الخصال فكان

أدنى في هذا الوجه ويحتمل ان يفضل في الطيب واللذه لان البقول
لا محاله ادنى من هذا الوجه ويحتمل ان يفضل في حسن الغذا ونفعه فالمن
والسلوى خير لا محاله في هذا الوجه ويحتمل ان يفضل من جهه
انه لا كلفه فيه ولا تعب والذي طلبوا لا يجي الا بالحرث والزراعه
والتعب فهو ادنى في هذا الوجه ويحتمل ان يفضل في انه لا مريه في
حله وخلوصه لنزوله من عند الله والحبوب والارض يتخللها
البيوع والغصوب وتدخلها الشبه فهو ادنى في هذا الوجه

قال ابو محمد

وفي ترتيب الفضل للمن والسلوى بهذه الوجوه كلها وفي الكلام
حذف تقديره فدعى موسى ربه فاجابه فقال لهم اهبطوا وتقدم ذكر
معنى الهبوط وكان القادم على قطر منصب عليه فهو من نحو الهبوط وجمهور
الناس يقرون مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف الا ما روي عن بعض
مصاحف عثمان رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره ممن صرفها
اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القران من
امرهم بدخول القريه وبما تظاهرت به الروايه انهم سكنوا الشام
بعد التيه وقالت طايفه ممن صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا
بما في القران من ان الله اورث بني اسرايل ديار ال فرعون واثارهم واجا
زوا صرفها لخفتها وتشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يجيز هذا وقال
غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن تغلب وغيرهما
اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف ابي بن كعب
وقالوا هي مصر فرعون

قال الاعمش

هي مصر التي عليها صالح بن علي وقال اشهب قال لي مالك هي
مصر قريتك مسكن فرعون قوله تعالى فان لكم ما سالتم يقتضي انه
وكلهم الى انفسهم وقرا النخعي وابن وثاب سالتم بكسر السين وهي لغه

وضربت عليهم الذلة والمسكنة معناه الزموها وقضى عليهم بها كما يقال ضرب الامير
البعث وكما قالت العرب ضربة لازب اى الزام ملزوم او صح لازم فسما والمصدر
الى المفعول بالمعنى وكما يقال ضرب الحاكم على اليد اى حجر والزم ومنه ضرب الدهر
ضربانه اى الزم الزمانة والذلة فعلة من الذل كانها الهيئة والحال والمسكنة
من المسكين قال الزجاج هى ماخوذة من السكون وهى هيئة زى الفقر وخضوعه
وان وجد هو ذى غنى فلا تخلوا من زى الفقر ومهانته قال الحسن وقتادة المسكنة
الفاقة والحاجة اى الجزية وقال ابو العالية المسكنة الفاقة والحاجة
وباؤا بغضب من الله معناه مروا متحملين له تقول بؤت بكذا اى تحملته **وقول**
مهلهل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب والغضب بمعنى الارادة
صفة ذات وبمعنى اظهاره على العبد بالمعاقبة صفة فعل والاشارة بذلك
ضرب الذلة وما بعده والباء فى بانهم بالسبب وقال المهدوى ان الباء بمعنى اللام
والمعنى لانهم والايات هنا تحتمل ان يراد بها التسع وغيرها مما جرى والعادة
وهو علامة لصدق الاتي به ويحتمل ان يراد ايات التوراة التى هى كايات القران وقرا
الحسن بن ابى الحسن وتقتلون بالتاء على الرجوع الى خطابهم وروى عنه ايضا بالياء
وقرا نافع بهمز النبيين وكذلك حيث وقع فى القران الا فى موضعين فى سورة
الاحزاب ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان ادبلا مد ولا همز ولا تدخلوا بيوت
النبى الا وانما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد وترك الهمز فى
جميع ذلك الباقون فاما من همز فهو عنده من انبا اذا اخبر واسم فاعله منبى فقيل نبى
بمعنى منبى كما قيل سميع بمعنى مسمع واستدلوا بما جاء من جمعه على نباه **قال الشاعر**
يا خاتم النباء انك مرسل بالحق كل هدى الاله هداكا فهكذا كما
يجمع فعيل فى الصحيح كظريف وظرفاء وشهيد قال ابو على زعم سيبويه انهم يقولون
فى تحقير النبوة كان مسيلمة نبوته نبيئة سوء وكلهم يقولون تنبأ مسيلمة
فاتفاقهم على ذلك دليل على ان اللام همزة واختلف القائلون بترك الهمز فى نبى فمنهم

من

من اشتق اشتقاق من همز ثم سهل الهمز ومنهم من قال هو مشتق من نبا ينبو
اذا ظهر فالنبى الطريق ومنهم من قال هو مشتق من نبا ينبو اذا ظهر فالنبى
الطاهر وكان النبى من عند الله طريق الهدى والنجاة **وقال الشاعر**
لما وردن نبيا واستتب بنا مستحنفر كخطوط السيح منسحل واستدلوا
بان الاغلب فى جمعه انبياء كفعيل فى المعتل ولى وصفى واصفياء وحكى الزهراوى انه
يقال نبوء اذا ظهر فهو نبى والطريق الظاهر نبى بالهمز وروى ان رجلا قال للنبى عليه
السلام السلام عليك يا نبى الله وهمز فقال له النبى عليه السلام لست بنبى الله وهمز
ولكن نبى الله ولم يهمز قال ابو على ضعف سند هذا الحديث ومما يقوى ضعفه
انه عليه السلام قد انشده المادح يا خاتم النباء ولم يؤثر فى ذلك انكار والجمع
كالواحد وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب الذى اتوه ومعلوم
انه لا يقتل نبى بحق ولكن من حيث قد يتخيل لذلك وجها فصرح قوله بغير الحق
عن شنعة الذنب ووضوحه ولم يجترم قط نبى ما يوجب قتله وانما اباح الله تعالى
من اباح منهم وسلط عليه كرامة لهم وزيادة فى منازلهم كمثل من يقتل فى سبيل
الله من المومنين قال ابن عباس وغيره لم يقتل قط من الانبياء الا من لم يومر بقتال
وكل من امر بقتال نصر وقوله تعالى ذلك رد على الاول وتاكيد للاشارة
اليه والباء فى بما بالسبب ويعتدون معناه يتجاوزون الحد والاعتداء التجاوز
للحد فى كل شى وعرفه فى الظلم والمعاصى **قوله تعالى** ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم
من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين اختلف المتاولون
فى المراد بالذين امنوا فى هذه الاية فقال سفيان الثورى هم المنافقون فى امة محمد
عليه السلام كانه قال ان الذين امنوا فى ظاهر امرهم وقرنهم باليهود والنصارى

والصابئين ثم بيّن حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم فمعنى قوله من آمن في
المؤمنين المذكورين من حقق وأخلص وفي سائر الفرق المذكورة من دخل في الإيمان وقالت
فرقة الذين آمنوا هم المؤمنون حقا بمحمد عليه السلام وقوله من آمن بالله يكون فيهم بمعنى من
ثبت ودام وفي سائر الفرق بمعنى من دخل فيه وقال السدي هم أهل الحقيقة ممن لم يلحق محمدا
صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل والذين هادوا
كذلك ممن لم يلحق محمدا عليه السلام والصابئين كذلك وقال أيضا نزلت في أصحاب
سلمان الفارسي وذكر له الطبري قصة طويلة وحكاها أيضا ابن إسحق مقتضاها
عبادة عظيمة فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ذكر له خبرهم وسأله عنهم
فنزلت هذه الآية وروي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أول الإسلام
وقرر الله بها أن من آمن بمحمد عليه السلام ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره ثم نسخ ما قرر من ذلك بقوله تعالى
ومن يبتغ غير الإسلام دينا وردت الشرائع كلها إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك لقولهم هدنا إليك أي تبنا فاسمهم
على هذا من هاد يهود **وقال الشاعر** إني امرؤ من مدحتي هائد أي
تائب وقيل نسبوا إلى يهودا بن يعقوب فلما عربت الاسم لحقه التغيير
كما تغير العرب في بعض ما عربت من لغة غيرها وحكى الزهراوي أن التهويد
النطق في سكون ووقار ولين **وأنشد**
وخود من اللائي تسمعن بالضحى قريض الردافى بالغناء المهود .:. قال ومن
هذا سميت اليهود وقرأ أبو السمال هادَوا بفتح الدال والنصارى لفظة مشتقة
من النصر إما لأن قريتهم تسمى ناصرة ويقال نصريا ويقال نصرتا وإما لأنهم
تناصروا وإما لقول عيسى من أنصاري إلى الله قال سيبويه واحدهم نصران
ونصرانة كندمان وندمانة **وأنشد**
فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف **وأنشد الطبري**

يطل إذا والعشي معتقا ونضحي لديه وهو نصران شامس .:. قال سيبويه
إلا أنه لا يستعمل في الكلام إلا بياء نسب قال الخليل واحد النصارى نصري
كمهري ومهارى والصابي في اللغة من خرج من دين إلى دين ولهذا كانت
العرب تقول لمن أسلم قد صبأ وقيل إنما سمتهم بذلك لما أنكروا الآلهة
تشبيها بالصابئين في الموصل الذين لم يكن لهم دين إلا قولهم لا إله إلا الله وطائفة
همزته وجعلته من صبأت النجوم إذا طلعت وصبأت ثنية الغلام إذا
خرجت قال أبو علي يقال صبأت على القوم بمعنى طرأت فالصابي التارك
لدينه الذي شرع له إلى دين غيره كما أن الصابي على القوم تارك لأرضه ومنتقل
إلى سواها وبالهمز قرأ القراء غير نافع فإنه لم يهمزه ومن لم يهمز جعله من صبا
يصبو إذا مال وجعله قبل الهمزة ياء وسيبويه لا يجيزه إلا في الشعر وأما
المشار إليهم في قوله تعالى والصابئين فقال السدي هم فرقة من أهل الكتاب
وقال مجاهد هم قوم لا دين لهم ليسوا بيهود ولا نصارى وقال ابن أبي
نجيح هم قوم تركت دينهم بين اليهودية والمجوسية لا تؤكل ذبائحهم وقال
ابن زيد هم قوم يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة
الموصل وقال الحسن ابن أبي الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون
القبلة ويصلون الخمس ويقرؤون الزبور رآهم زياد بن أبي سفيان فأراد وضع
الجزية عنهم حتى عرف أنهم يعبدون الملائكة ومن في قوله من آمن بالله في موضع
نصب بدل من الذين والفاء في قوله فلهم داخلة بسبب الإبهام الذي في
من ولهم أجرهم ابتداء وخبر في موضع خبر إن ويحتمل أن يكون من في موضع رفع
بالابتداء ومعناها الشرط والفاء في قوله فلهم موطئة أن تكون الجملة جوابها
ولهم أجرهم خبر من والجملة كلها خبر إن والعائد على الذين محذوف لا بد من
تقديره وتقديره من آمن منهم بالله وفي الإيمان باليوم الآخر اندرج الإيمان
بالرسل والكتب ومنه يفهم لأن البعث لم يعلم إلا بأخبار رسل الله عنه تبارك

وتعالى وجمع الضمير في قوله تعالى لهم اجرهم بعد ان وحد في امن لان من يقع
على الواحد والتثنية والجمع فجائز ان تخرج ما بعدها مفردا على لفظها او مثنى
او مجموعا على معناه كما قال عز وجل ومنهم من يستمع اليك فجمع على المعنى وكقوله
تعالى ومن يطع الله والرسول يدخله جنات تجري قال خالدين فيها فجمع على
المعنى **وقال الفرزدق** تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب
يصطحبان فبنى على المعنى واذا ما جرى ما بعد من على اللفظ فجائز ان
يخالف به بعد على اللفظ لان الالباس يدخل في الكلام وقرا الحسن ولا خوف بنصب
على التبرية واما الرفع على الابتدا وقد تقدم القول في مثل هذه الاية وقوله
تعالى واذ اخذنا ميثاقكم اذ معطوفة على التي قبلها والميثاق مفعال من وثق
يثق مثل ميزان من وزن يزن والطور اسم الجبل الذي نوجي موسى عليه قاله ابن
عباس وقال مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم الطور اسم لكل جبل
ويستدل على ذلك **بقول العجاج** دانى جناحيه من الطور فمر تقضي البازي اذا البازي
كسر وقال ابن عباس ايضا الطور كل جبل ينبت وكل جبل لا ينبت فليس بطور
قال ابو محمد وهذا كله على ان اللفظ عربي وقال ابو العالية ومجاهد
هي سريانية اسم لكل جبل **وقصة الاية** ان موسى عليه السلام لما جا
بني اسرائيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة قال لهم خذوها
والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم
خذوها فقالوا لا فامر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين
طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج
الله تعالى البحر من ورائهم واضرم نارا من ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم
خذوها وعليكم الميثاق الا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر
واحرقكم النار فسجدوا توبة لله واخذوا التوراة بالميثاق وقال الطبري
عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم على

شق

70

شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله قالوا لا سجدة افضل
من سجدة تقبلها الله ورحم بها فامروا سجودهم على شق واحد **قال ابو محمد**
والذي لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان في قلوبهم لا انهم
امنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة وقد اختصرت ما سرد في قصص هذه
الاية وقصدت صحة الذي تقتضيه الفاظ الاية وخلط بعض الناس صعقة
هذه القصة بصعقة السبعين **وقوله** تعالى خذوا ما اتيناكم
بقوة في الكلام حذف تقديره وقلنا خذوا وما اتيناكم معناه اعطيناكم وبقوة
قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد وقيل بكثرة درس وقال ابن دريد
معناه بتصديق وتحقيق قال الربيع معناه بطاعة الله واذكروا ما فيه
اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه والضمير
عائد على ما اتيناكم وهي التوراة وتقدير صلة ما واذكروا ما استقر فيه
ولعلكم تتقون ترجٍّ في حق البشر **وقوله** تعالى ثم توليتم من بعد ذلك
الاية تولى تفعل واصله الاعراض والادبار عن الشي بالجسم ثم استعمل في الاعراض
عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وفضل الله رفع بالابتدا
والخبر مضمر عند سيبويه لا يجوز اظهاره للاستغنا تقديره فلولا فضل
الله عليكم تدارككم ورحمته عطف على فضل قال قتادة فضل الله الاسلام
ورحمته القران وهذا على ان المخاطب بقوله عليكم لفظا ومعنى من كان
في مدة محمد عليه السلام والجمهور على ان المراد بالمعنى من سلف ولكنتم جواب
لولا ومن الخاسرين خبر كان والخسران النقصان وتوليتم من بعد ذلك
اما بالمعاصي فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان يكون توليهم
بالكفر فكان فضل الله بان لم يعاجلهم بالاهلاك ليكون من ذريتهم من يومن
او يكون المراد من لحق محمدا صلى الله عليه وسلم وقد قال ذلك قوم وعليه يتجه
قول قتادة ان الفضل الاسلام والرحمة القران ويتجه ايضا ان يراد بالفضل

والرحمة ادراكهم مدة محمد صلى الله عليه وسلم **قوله تعالى** ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
علمتم معناه عرفتم كما تقول علمت زيدا بمعنى عرفته فلا يتعدى الا الى مفعول
واحد واعتدوا معناه تجاوزوا الحد بصيد من الاعتداء وفي السبت
معناه في يوم السبت ويحتمل ان يريد في حكم السبت والسبت ماخوذ
اما من السبوت الذي هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع
لان الاشياء فيه سبتت وتم خلقها **وقصة اعتدائهم** ان الله
عز وجل امر موسى بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به سائر الانبياء فذكر موسى
ذلك لبني اسرائيل عن الله وامرهم بالتشرع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت
فاوحى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا وامتحنهم فيه بان
امرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت
الحيتان تاتي يوم السبت حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن بن ابي الحسن وقيل
حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك اما بالهام من الله تعالى او بامر لا
يعلل واما بان فهمها معنى الامنة التي في اليوم مع تكراره حتى فهمت
ذلك الا ترى ان الله تعالى قد الهم الدواب معنى الخوف الذي في يوم الجمعة
من امر القيامة يقضي بذلك قول النبي عليه السلام وما من دابة الا وهي مصيخة
يوم الجمعة فرقا من الساعة وامثال حمام مكة قد فهم الامنة اما انها متصلة
فقرب امرها فيهما وكان امر بني اسرائيل بايلة على البحر فاذا ذهب السبت
ذهب الحيتان فلم تظهر الى السبت الاخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت
فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما
ذهب السبت جاء فاخذه فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر

رجل في غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت خرج الحوت
وحصل في الحفير فاذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت فجاء بعد
السبت فاخذه ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت
علانية وباعوه في الاسواق فكان هذا من اعظم الاعتداء وكانت من بني اسرائيل
فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منه فرقة لم تعص ولم تنه فقيل
نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين وكونوا لفظة امر وهو امر
التكوين كقوله تعالى لكل شيء كن فيكون ولم يؤمروا في المصير الى حال
المسخ بشيء يفعلونه ولا لهم فيه تكسب وخاسئين معناه مبعدين
اذلاء صاغرين كما يقال للكلب وللمطرود اخسأ تقول خسأته فخسأ
وموضعه من الاعراب النصب على الحال او على خبر بعد خبر وروي في
قصصهم ان الله تعالى مسخ العاصين قردة بالليل فاصبح الناجون الى
مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احدا من الهالكين فقالوا ان للناس
لشانا ففتحوا عليهم الابواب كما كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة
يعرفون الرجل والمراة وقد قيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين
العاصين القرية بجدار تبريا منهم فاصبحوا ولم تفتح الهالكين فتسوروا
عليهم الجدار فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض وروي عن النبي عليه
السلام وثبت ان الممسوخ لا ينسل ولا ياكل ولا يشرب ولا يعيش
اكثر من ثلاثة ايام ووقع في كتاب مسلم عنه عليه السلام ان امة
من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان الممسوخ ينسل
فان كان اراد هذا فهو ظن منه عليه السلام في امر لا مدخل له في
التبليغ ثم اوحي اليه بعد ذلك ان الممسوخ لا ينسل ونظير ما قلناه
نزوله عليه السلام على مياه بدر وامره باطراح تذكير النخل وقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتكم بامر من امور الدنيا فانما انا بشر وروي

عن مجاهد في تفسير هذه الآية انه انما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم
كافهام القردة **قال ابو محمد** والاول اقوى والضمير في جعلناها يحتمل
العود على المسخة والعقوبة ويحتمل على الامة التي مسخت ويحتمل على القردة
ويحتمل على القرية اذ معنى الكلام يقتضيها وقيل يعود على الحيتان وفي هذا
القول بعد والنكال الزجر بالعقاب والنكل والانكال قيود الحديد
فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن ان يفعل ذلك الفعل قال
السدي ما بين يدي المسخة ما قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب
بعدها مثل تلك الذنوب **قال ابو محمد** وهذا قول جيد وقال غيره
ما بين يديها اي من حضرها من الناس وما خلفها اي لمن يجي بعدها وقال
ابن عباس لما بين يديها اي من بعدهم من الناس ليحذروا وينتهوا وما خلفها لمن
بقي منهم عبرة **قال ابو محمد** وما اراه يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما
لان دلالة ما بين اليد ليست كما في القول وقال ابن عباس ايضا لما بين يديها
وما خلفها اي من القرى **قال ابو محمد** فهذا ترتيب اجرام لا ترتيب في الزمن
وموعظة مفعلة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه الذين نهوا ونجوا
وقالت فرقة معناه لامة محمد عليه السلام واللفظ يعم كل متق من كل امة
وقوله تعالى واذ قال موسى الآية عطف على ما تقدم والمراد تذكيرهم
بنقض سلفهم الميثاق وقرأ ابو عمرو يامركم باسكان الراء وروي عنه اختلاس
الحركة وقد تقدم القول في مثله في بارئكم وسبب هذه الآية على ما روي ان
رجلا من بني اسرائيل اسن وكان له مال فاستبطا ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل
ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه في سبط اخر ليأخذ
ديته ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسرائيل في قريتين متجاورتين فالقاه
الى باب احدى المدينتين وهي التي لم تقتل فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى
وجده قتيلا فتعلقوا بالسبط او بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها فانكروا

قتله فوقع بين بني اسرائيل في ذلك لجاجة حتى دخلوا المدينة في السلاح
فقال اهل النهي منهم أنقتل ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام
فقصوا عليه القصة وسألوه البيان فاوحى الله اليه ان يذبحوا بقرة فيضرب
القتيل بها ببعضها فيحيى ويخبر بقاتله فقيل لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فكان جوابهم ان قالوا اتتخذنا هزؤا وقرأ الجحدري ايتخذنا هزوا بالياء على معنى
ايتخذنا الله وقرأ حمزة هزؤا باسكان الزاي والهمز وهي لغة وقرأ عاصم بضم
الزاي والهاء والهمز وقرأ ايضا دون همز هزوا وحكاه ابو علي وقرأت طائفة من القراء
بضم الهاء والزاي والهمز بين بين وروي عن ابي جعفر وشيبة ضم الهاء وتشديد
الزاي ضم الياء وتشديد الزاي هزا هذا القول من بني اسرائيل ظاهر فساد اعتقاد
من قاله ولا يصح ايمان من يقول لنبي قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامر
بكذا اتتخذنا هزوا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم
لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء
والمعصية على نحو ما قال القائل للنبي عليه السلام في قسمة غنائم حنين ان
هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وكما قال له الاخر اعدل يا محمد وكل محتمل
والله اعلم وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل معنيين
احدهما الاستعاذة من الجهل في ان يخبر عن الله تعالى مستهزئا والاخر من
الجهل كما جهلوا في قولهم اتتخذنا هزوا لمن يخبرهم عن الله **قوله تعالى**
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان
بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان
البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون هذا تعنيت منهم وقلة طواعية
لو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا
فشدد الله عليهم قاله ابن عباس وابو العالية وغيرهما ولغة بني عامر ادع

بكر العين وما استفهام رفع بالابتدا وهي خبره ورفع فارض على النعت للبقرة على
مذهب الاخفش او على خبر ابتدا مضمر تقديره لا هي فارض والفارض المسنة الهرمة
التي لا تلد قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم يقول فرضت تفرض بفتح العين في
الماضي فروضا ويقال فرضت بضم العين ويقال للكل ما قدم وطال امره فارض
وقال الشاعر يا رب ذي ضغن على فارض له قروء كقروء الحائض
والبكر من البقر التي لم تلد من الصغر وحكى ابن قتيبة انها التي ولدت ولدا
واحدا والبكر من النساء التي لم يمسها الرجل والبكر من الاولاد الاول
ومن الحاجات الاول والعوان التي قد ولدت مرة بعد مرة قاله مجاهد وحكاه
اهل اللغة ومنه قول العرب العوان لا تعلم الخمرة وحرب عوان اذا قوتل فيها
مرتين فما زاد ورفعت عوان على خبر ابتدا مضمر تقديره هي عوان وجمعها عون
بسكون الواو وسمع عون بتحريكها بالضم وبين بابها ان تضاف الى اثنين واضيف
هنا الى ذلك اذ ذلك يشار به الى المثنيات عند سيبويه نازل منزلة ما ذكرت
وهي اشارة الى مفرد على بابه وقد ذكر اشارات تخالف ايضا من على بابها وقوله فافعلوا
ما تؤمرون تجديد للامر وتاكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه وما رفع بالابتدا
ولونها خبره قال ابن زيد وجمهور الناس في قوله صفرا انها كانت كلها صفرا
قال مكي عن بعضهم حتى القرن والظلف وقال الحسن بن ابي الحسن وسعيد
بن جبير كانت صفرا القرن والظلف فقط وقال الحسن ايضا صفرا معناه سودا
قال ابو محمد وهذا شاذ لا يستعمل مجازا الا في الابل وبه فسر قول
الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
والفقوع نعت مختص بالصفرة كما خص احمر بقاني واسود حالك وابيض ناصع
واخضر ناضر ولونها فاعل بفاقع وتسر الناظرين قال وهب بن منبه كانت
كان شعاع الشمس يخرج من جلدها ومعناه تعجب الناظرين ولهذا قال ابن عباس
وغيره الصفرة تسر النفس وحض ابن عباس على لباس النعال الصفر حكاه عنه

النقاش

النقاش وحكى نهي ابن الزبير ويحيى بن ابي كثير عن لباس النعال السود لانها
تهم وقال ابو العالية والسدي تسر الناظرين معناه في سمنها ومنظرها
كله وسالوا بعد هذا كله عما هي سؤال متحير قد احسوا مقت المعصية
والبقر جمع بقرة ويجمع ايضا على باقر وبه قرا ابن يعمر وعكرمة ويجمع على بقير
وبيقور ولم يقرا بهما فيما علمت وقرا السبعة تشابه فعلا ماضيا وقرا الحسن
تشابه بشد الشين وضم الهاء اصله تتشابه وهي قراءة يحيى بن يعمر فادغم
وقرا ايضا تشابه بتخفيف الشين على حذف التاء الثانية وقرا ابن مسعود
يشابه بالياء وادغام التاء وحكى المهدوي عن المعيطي يشبه بشد الشين والباء
دون الالف وحكى ابو عمرو الداني قراءة متشبه اسم فاعل من تشبه وحكى
ايضا يتشابه وفي استثنائهم في هذا السؤال الاخير انابة ما وانقياد ودليل
ندم وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي عليه السلام انه قال لولا ما
استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا والضمير في انا هو اسم ان ومهتدون الخبر
واللام للتاكيد والاستثناء اعتراض قدم على ذكر الاهتداء تهمما به
وقوله تعالى قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا
تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما
كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم
تعقلون ذلول مذللة بالعمل والرياضة تقول بقرة مذللة بينة الذل بكسر
الذال ورجل ذليل بين الذل بضم الذال وذلول نعت لبقرة او على اضمار هي
وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بنصب اللام وتثير الارض معناه
بالحراثة وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة اي لا ذلول
مثيرة وقال قوم تثير فعل مستانف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت
تحرث ولا تسقي ولا يجوز ان تكون هذه الجملة في موضع الحال لانها من نكرة

ونسقي الحرث معناه بالسانيه او غيرها من الالات والحرث ما حرث وزرع
ومسلمه بنا مبالغه من السلامه قال ابن عباس وقتاده وابو العاليه معناه
من العيوب وقال مجاهد معناه من الشيات والالوان وقال قوم معناه
من العمل ولا شيه فيها اي لا خلاف في لونها صفرا كلها لا بياض فيها ولا حمره ولا
سواد قاله ابن زيد وغيره والموشي المختلط الالوان ومنه وشي الثوب تزيينه
بالالوان ومنه الواشي لانه يزين كذبه بالالوان من القول والثور الاشيه الذي
فيه بلقه يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشيه
كل ذلك بمعنى البلقه وهذه الاوصاف في البقره سببها انهم شددوا
فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق في سوال الانبيا مذموم وقصه
هذه البقره ما روي ان رجلا من بني اسرائيل ولد له ابن وكانت له
عجله فارسلها في غيضه وقال اللهم اني استودعك هذه العجله لهذا
الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك كان قد استودع
الله عجله لك فاذهب فخذها فذهب فلما راته البقره جاءت اليه حتى اخذ
بقرنيها وكانت مستوحشه فجعل يقودها نحو امه فلقيه بنو اسرائيل
ووجدوا بقرته على الصفه التي امروا بها وروت طائفه انه كان من بني اسرائيل
برا بابيه فنام ابوه يوما وتحت راسه مفاتيح مسكنه فمر به بايع جوهر فسامه
فيه بستين الفا فقال له ابن النائم اصبر حتى ينتبه ابي وانا اخذه منك بسبعين
الفا فقال صاحب الجوهر انبه اباك وانا اعطيكه بخمسين الفا فدام ذلك
حتى بلغه مايه الف وانحط صاحب الجوهر الى ثلثين الفا فقال له ابن النائم
والله لا اشتريته منك بشي برا بابيه فعوضه الله منه ان وجدت البقره
عنده وقال قوم وجدت عند عجوز تعول يتامى كانت البقره لهم قال ابو
محمد الى غير ذلك من اختلاف في قصتها هذا معناه فلما وجدت البقره
ساموا اصحابها فاشتط عليهم وكانت قيمتها على ما روي عن عكرمه ثلاثه

دنانير

دنانير فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه
في ملكه فاشتروها منه بوزنها مره قاله عبيده السلماني وقيل بوزنها مرتين
وقال السدي بوزنها عشره مرار وقال مجاهد كانت لرجل يبر امه
واخذت منه بملء جلدها دنانير وحكى مكي ان هذه البقره نزلت من السما ولم
تكن من بقر الارض وحكى الطبري عن الحسن انها كانت وحشيه والان مبني
على الفتح ولم يعرف بهذه الالف واللام الا ترى انها لا تفارقه في الاستعمال
واما بني لانه ضمن معنى حرف التعريف ولانه واقع موقع المبهم اذ معناه هذا الوقت
وهو عباره عما بين الماضي والمستقبل وقري قالوا الان بسكون اللام وهمزه بعدها
وقالوا الان بمده على الواو وفتح اللام دون همز وقالوا لان بحذف الواو من اللفظ
دون همز وقالوا الان بقطع الالف الاولى وان كانت الف الوصل كما يقال يا الله
وجيت بالحق معناه عند من جعلهم عصاه بينت غايه البيان وجيت بالحق الذي
طلبناه الا انه كان حقا قبل ذلك بغير حق ومعناه عند ابن زيد الذي حمل محاورتهم
على الكفر الان صدقت وادعوا في هذه الحال حين بين لهم انها سائمه وقيل
انهم عينوها مع هذه الاوصاف وقالوا هذه بقره فلان وهذه الايه تعطي
ان الذبح اصل في البقر وان نحرت اجزات وقوله تعالى وما كادوا
يفعلون عباره عن تثبطهم في ذبحها وقله مبادرتهم الى امر الله تعالى وقال محمد
بن كعب القرظي كان ذلك منهم لغلا البقره وكثره ثمنها وقال غيره كان ذلك
خوف الفضيحه في امر القاتل وقيل كان ذلك للجحود من قله انقيادهم وتعنتهم على
الانبياء وقد تقدم قصص القتيل الذي يراد بقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والمعنى
قلنا لهم اذكروا اذ قتلتم نفسا وادارأتم اصله تدارأتم ادغمت التاء في الدال
فتعذر الابتدا بمدغم فجلبت الف الوصل ومعناه تدافعتم اي دفع بعضكم قتل
القتيل الى بعض قال الشاعر صادف درء السيل درءا يدفعه وقال الاخر
مثل اندرأ درء الخصوم يقول مثل حد الصمصامه الهندواني والضمير

في قوله فيها عائد على النفس وقيل على القتلة وقرأ ابو حيوة وابو السوار الغنوي
واذ قتلتم نسمة فادّارأتم وقرأت فرقة فتدارأتم على الاصل وموضع ما نصب بمخرج
والمكتوم هو امر القتيل وقوله اضربوه ببعضها آية من الله تعالى على يدي موسى
عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيا ويخبر بقاتله فقيل
ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل جواز البحر وانهم
داموا في طلب البقرة اربعين سنة وقال القرظي لقد امروا بطلبها وما هي
في صلب ولا رحم بعد وقال السدي ضرب بالبضعة التي بين الكتفين وقال مجاهد
وقتادة وعبيدة السلماني ضرب بالفخذ وقيل ضرب باللسان وقيل بالذنب
وقال ابو العالية بعظم من عظامها وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى
الآية الاشارة بذلك الى الاحياء الذي تضمنته قصص الآية اذ في الكلام حذف
تقديره فضربوه فحيي وفي هذه الآية حض على العبرة ودلالة على البعث في
الآخرة وظاهرها انها خطاب لبني اسرائيل حينئذ حكى لمحمد عليه السلام ليعتبر
به الى يوم القيامة وذهب الطبري الى انها خطاب لمعاصري محمد عليه السلام
وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروي ان هذا القتيل لما حيي
واخبر بقاتله عاد ميتا كما كان واستدل مالك رحمه الله بهذه النازلة على تجويز
قول القتيل وان تقع معه القسامة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله
بغافل عما تعملون افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قست اي صلبت وجفت وهي عبارة
عن خلوها من الانابة والاذعان لآيات الله تعالى وقال ابن عباس المراد قلوب
ورثة القتيل لانهم حين حيي وقال انهم قتلوه عادوا الى حال موته انكروا قتله
وقالوا كذب بعد ما رأوا هذه الآية العظمى لكن بعد ان حكم الله تعالى بقتلهم قال

عبيدة السلماني ولم يورث قاتل من حينئذ قال ابو محمد ومثله جا
شرعنا وحكى مالك رحمه الله في الموطأ ان قصة احيحة بن الجلاح في عمه هي
كانت سببا ان لا يرث قاتل ثم ثبت ذلك الاسلام كما ثبت كثيرا من نوازل
الجاهلية وقال ابو العالية وقتادة وغيرهما انما اراد الله قلوب بني اسرائيل
جميعا في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك وقوله تعالى فهي كالحجارة الآية
الكاف في موضع رفع خبر لهي تقديره فهي مثل الحجارة واشد مرتفع بالعطف
على الكاف او على خبر ابتداء مقدر تقديره او هي اشد وقسوة نصب على التمييز والعرب
او انها للشك وذلك لا يصح في هذه الآية واختلف في معنى او هنا فقالت طايفة
هي بمعنى الواو كما قال تعالى آثما او كفورا اي وكفورا وكما قال الشاعر
نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر اي وكانت له
وقالت طايفة هي بمعنى بل كقوله تعالى الى مائة الف او يزيدون المعنى بل يزيدون
وقالت طايفة معناها التخيير اي شبهوها بالحجارة تصيبوا او باشد من
الحجارة تصيبوا وقالت فرقة هي على بابها في الشك ومعناه عندكم ايها
المخاطبون وفي نظركم ان لو شاهدتم قسوتها لشككتم اهي كالحجارة او اشد من
الحجارة وقالت فرقة هي على جهة الابهام على المخاطب ومنها قول ابي الاسود
احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة او عليا ∴ ولم يشك ابو الاسود
وانما قصد الابهام على السامع وقد عورض ابو الاسود في هذا فاحتج بقول الله
عز وجل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال قال ابو محمد وهذه
الآية مفارقة لبيت ابي الاسود ولا يتم معنى الآية الا باو وقالت فرقة انما اراد
الله تعالى ان فيهم من قلبه كالحجر ومنهم من قلبه اشد من الحجر فالمعنى فهي فرقتان
كالحجارة او اشد ومثل هذا قولك اطعمتك الحلو والحامض تريد انه لم تخرج ما
اطعمته عن هذين وقالت فرقة انما اراد عز وجل انها كانت كالحجارة يرجى لها الرجوع
والانابة كما تتفجر الانهار ويخرج الماء من الحجارة ثم زادت قلوبهم بعد ذلك قسوة

بأن صادفت في حد من لا يرجى إنابته فصارت أشد من الحجارة فلم تخل أن كانت
كالحجارة طورًا أو أشد طورًا وقرأ أبو حيوة قساوة والمعنى واحد وقوله
تعالى وإن من الحجارة الآية معذرة للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم في معنى قلة
القسوة وقال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بني آدم وقرأ قتادة
وإن مخففة من الثقيلة وكذلك في الثانية والثالثة وفرق بينها وبين النافية
لام التأكيد في لما وما في موضع نصب اسم إن ودخلت اللام على اسم إن لما حال
بينها المجرور ولو اتصل الاسم بإن لما حال بينها المجرور ولو اتصل الاسم بأن لم
يصح دخول اللام لثقل اجتماع تأكيدين وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون وبا[illegible]
وكسر الجيم ووحد الضمير في منه حملا على لفظ ما وقرأ أبي بن كعب والضحاك
منها الأنهار حملا على الحجارة والأنهار جمع نهر وهو ما كثر ماؤه جريا من الأخاديد
وقرأ طلحة بن مصرف لما بتشديد الميم في الموضعين وهي قراءة غير متجهة ويشقق
أصله يتشقق أدغمت التاء في الشين وهذه عبارة عن العيون التي لم تعظم حتى تكون
أنهارا أو عن الحجارة التي تشقق وإن لم يجر ماء منفسح وقرأ ابن مصرف ينشقق
بالنون وقيل في هبوط الحجارة تفيؤ ظلالها وقيل المراد الجبل الذي جعله الله
دكا وقيل إن الله خلق في بعض الأحجار خشية وحياة يهبطها من علو تواضعا
ونظير هذه الحياة حياة الحجر المسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وحياة الجذع
الذي حن لفقد رسول الله عليه السلام وقيل لفظة مجاز لما كانت الحجارة يعتبر
بخلقها ويخشع بعض مناظرها أضيف تواضع الناظر إليها كما قالت العرب ناقة
تاجرة أي تبعث من رآها على شرائها وقال مجاهد ما تردى حجر من رأس جبل
ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه إلا من خشية الله نزل بذلك القرآن
وقال مثله ابن جريج وحكى الطبري عن فرقة أن الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت
الإرادة للجدار في قوله تعالى يريد أن ينقض **وكما يقول زيد الخيل**
بجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر **وكما قال جرير**

والجبال

والجبال الخشع أي من رأى الحجر هابطا تخيل فيه الخشية **قال أبو محمد**
وهذا قول ضعيف لأن براعة معنى الآية تختل به بل القوي أن الله تعالى يخلق
للحجارة قدرا ما من الإدراك تقع به الخشية والحركة وبغافل في موضع نصب
خبر ما لأنها الحجازية يقوي ذلك دخول الباء في الخبر وإن كانت الباء قد تجيء
شاذة مع التميمية وقرأ ابن كثير عما يعملون بالياء والمخاطبة على هذا لمحمد عليه
السلام وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي
كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على تعني إيمانهم بعد إذ سلفت لأسلاف
هؤلاء اليهود أفاعيل سوء وهؤلاء على ذلك السنن والفريق اسم جمع لا واحد له
من لفظه كالحزب وقال مجاهد والسدي عني بالفريق هنا الأحبار الذين حرفوا
التوراة في صفة محمد عليه السلام وقيل المراد كل من حرف في التوراة شيئا حكما أو
غيره كفعلهم في آية الرجم ونحوها وقال ابن إسحاق والربيع عني السبعون الذين
سمعوا مع موسى ثم بدلوا بعد ذلك **قال أبو محمد** وفي هذا القول ضعف
ومن قال إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى واختصاصه
بالتكليم وقرأ الأعمش كلم الله وتحريف الشيء إمالته من حال إلى حال وذهب
ابن عباس رضي الله عنه إلى أن تحريفهم وتبديلهم إنما هو بالتأويل ولفظ التوراة
باق وذهب جماعة من العلماء إلى أنهم بدلوا ألفاظا من تلقائهم وأن ذلك ممكن في التوراة
لأنهم استحفظوها وغير ممكن في القرآن لأن الله تعالى تضمن حفظه **قوله تعالى**
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا
يظنون المعنى وهم أيضا إذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع في إيمانهم ويحتمل أن
يكون هذا الكلام مستأنفا مقطوعا من معنى الطمع فيه كشف سرائرهم وورد
في التفسير أن النبي عليه السلام قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن

صح

فقال كعب بن الاشرف ووهب بن يهودا واشباههما اذهبوا فتجسسوا
اخبار من امن بمحمد وقولوا لهم امنا واكفروا اذا رجعتم فنزلت هذه الايه
وقال ابن عباس نزلت في منافقين من اليهود وروي عنه ايضا نزلت في قوم من
اليهود قالوا لبعض المومنين نحن نومن انه نبي لكن ليس الينا وانما هو اليكم
خاصه فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوته وقد كنا نستفتح به فهذا الذي
فتح الله عليهم من علمه واصل خلا خلو تحركت الواو وفتح ما قبلها فانقلبت
الفا وقال ابو العاليه وقتاده ان بعض اليهود تكلم بما في التوراه من صفه محمد
عليه السلام فقال لهم كفره الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي عرفكم في
صفه محمد عليه السلام فيحتجون عليكم اذ تقرون به ولا تومنون به وقال السدي
ان بعض اليهود حكى لبعض المسلمين ما عذب به اسلافهم فقال بعض الاحبار
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب فيحتجون عليكم ويقولون نحن اكرم على
الله حين لم يفعل بنا مثل هذا وفتح على هذا التاويل بمعنى حكم وقال مجاهد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبني قريظه يا اخوه الخنازير والقرده
فقال الاحبار لاتباعهم ما عرف هذا الا من عندكم اتحدثونهم وقال ابن زيد
كانوا اذا سيلوا عن شي قالوا في التوراه كذا وكذا فكره الاحبار
ذلك ونهوا في الخلوه عنه ففيه نزلت الايه والفتح في اللغه ينقسم اقساما
تجمعها المعنى التوسعه وازاله الابهام قال هذا يرجع الحكم وغيره
والفتاح هو القاضي بلغه اليمن ويحاجوكم من الحجه واصله من حج اذا قصد
لان المتحاجين كل واحد منهما يقصد غلبه الاخر وعند ربكم معناه في الاخره
وقيل عند بمعنى في اي فيكونون احق به وقيل المعنى عند ذكر ربكم وقوله
افلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى
للمومنين اي فلا تعقلون ان بني اسرايل لا يومنون وهم بهذه الاحوال والعقل
علوم ضروريه وقرا الجمهور اولا يعلمون بالياء من اسفل وقرا ابن محيصن اولا

تعلمون

تعلمون بالتاء خطابا للمومنين والذي اسروه كفرهم والذي اعلنوه قولهم امنا
هذا في ساير اليهود والذي اسره الاحبار صفه محمد صلى الله عليه وسلم والمعرفه
به والذي اعلنوه الجحد به ولفظ الايه يعم الجميع واميون هنا عباره عن جهله
بالتوراه قال ابو العاليه ومجاهد وغيرهما المعنى ومن هولاء اليهود
المذكورين بالايه منبهه على عامتهم واتباعهم اي انهم ممن لا يطمع في ايمانهم لما غمرهم
من الضلال وقيل المراد بالاميين هنا قوم ذهب كتابهم لذنوب ركبوها
فصاروا اميين وقال عكرمه والضحاك هم في الايه نصارى العرب وقيل عن
علي بن ابي طالب انه قال هم المجوس والضمير في منهم على هذه الاقوال للكفار
اجمعين وقول ابي العاليه ومجاهد اوجه هذه الاقوال وقرا ابو حيوه
وابن ابي عبله اميون بتخفيف الميم والامي في اللغه الذي لا يكتب ولا يقرا في
كتاب نسب الى الام اما لانه بحال امه من عدم الكتاب لا بحال ابيه اذ
النسا ليس من شغلهن الكتاب قاله الطبري واما لانه بحاله التي ولدته امه فيها
لم ينتقل عنها وقيل نسب الى الامه وهي القامه والخلقه كانه ليس له من
الادميين الا ذلك وقيل نسب الى الامه على سذاجتها قبل ان تعرف المعارف فانها لا
تقرا ولا تكتب ولذلك قال النبي عليه السلام انا امه اميه لا نحسب ولا نكتب
الحديث والالف واللام في الكتاب للعهد ويعني به التوراه في قول ابي العاليه
ومجاهد والاماني جمع امنيه وقرا ابو جعفر وشيبه ونافع في بعض ما روي
عنه اماني بتخفيف الياء واصل امنيه امنويه على وزن افعوله ويجمع هذا الوزن
على افاعيل وعلى هذا جا بتخفيف الياء وجمع على افاعل فعلى هذا جا اماني ادغمت
الياء في الياء فجا اماني واختلف في معنى اماني فقالت طايفه هي هنا من تمنى
الرجل اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرا وانما يقول بظنه شيا
سمعه فيتمنى انه من الكتاب وقال اخرون هي من تمنى اذا تلا ومنه قوله تعالى
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ومنه قول الشاعر

تمني كتاب الله اول ليله واخره لاقى حمام المقادر ❁ فمعنى الايه انهم
لا يعلمون الكتاب الا سماع شي لا علم لهم بصحته وقال الطبري هي من تمنى الرجل
اذا حدث بحديث مختلق كذب وذكر اهل اللغه ان العرب تقول تمنى الرجل
اذا كذب واختلق الحديث ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت ولا تغنيت
منذ اسلمت فمعنى الايه ان منهم اميون لا يعلمون الكتاب الا انهم يسمعون من الاحبار
اشيا مختلفه يظنونها من الكتاب وان نافيه بمعنى ما والظن هنا على بابه في الميل
الى احد الجانبين قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم
يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدوده قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف
الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئه واحاطت
به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا الصا(لحات)
اولئك اصحاب الجنه هم فيها خالدون الذين في هذه الايه يراد بهم الاحبار
والروسا قال الخليل الويل شده الشر وقال الاصمعي الويل القبوح وهو مصدر
لا فعل له ويجمع على ويلات والاحسن فيه اذا انفصل الرفع لانه يقتضي الوقوع
ويصح النصب على معنى الدعا اي الزمه الله ويلا وويل وويح وويس وويب
يتقارب في المعنى وقد فرق بينها قوم وروى سفيان وعطا بن يسار ان الويل
في هذه الايه واد يجري بفنا جهنم من صديد اهل النار وروى ابو سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واد في جهنم بين جبلين يهوي فيه
الهاوي اربعين خريفا وقال ابو عياض انه صهريج في جهنم وحكى الزهراوي عن
اخر انه باب من ابواب جهنم والذين يكتبون هم الاحبار الذين بدلوا التوراه
وقوله بايديهم بيانا لجرمهم واثباتا لمجاهرتهم الله وفرق بين من كسب وبين
من امر اذ المتولي للفعل اشد مواقعه ممن لم يتوله وان كان رايا له قال
ابن السراج هي كنايه عن انه من تلقايهم دون ان ينزل عليهم وان لم تكن حقيقه

في

في كتب ايديهم والذي بدلوا هو صفه محمد عليه السلام ليستديموا رياستهم
ومكاسبهم وقال ابن اسحق كانت صفته في التوراه اسمر ربعه فردوه
ادم طويلا وذكر السدي انهم كانوا يكتبون كتبا يبدلون فيها صفه النبي
عليه السلام ويبيعونها من الاعراب ويبثونها في اتباعهم ويقولون هي من عند
الله قال ابو محمد وتناسق هذه الايه على التي قبلها يعطي ان هذا
الكتب والتبديل انما هو للاتباع الاميين الذين لا يعلمون الا ما قري لهم والثمن
قيل عرض الدنيا وقيل الرشا والماكل التي كانت لهم ووصفه بالقله ❁
اما لفنايه واما لكونه حراما وكرر الويل لتكرار الحالات التي استحقوه
بها ويكسبون معناه من المعاصي والخطايا وقيل من المال الذي تضمنه ذكر الثمن
وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الايه روى ابن زيد وغيره ان سببها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال (عليه السلام صح اصل)
كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الايه وقال ان السبب ان اليهود
قالت ان الله تعالى اقسم ان يدخلهم النار اربعين يوما عدد عبادتهم العجل
قاله ابن عباس وقتاده وقالت طايفه قالت اليهود ان في التوراه ان طول
جهنم مسيره اربعين سنه وانهم يقطعون في كل يوم سنه حتى يكملوها وتذهب
جهنم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وابن جريج انهم قالوا ان مده الدنيا
سبعه الاف سنه وان الله تعالى يعذبهم بكل الف سنه يوما واتخذتم اصله
اتخذتم وزنه افتعلتم من الاخذ سهلت الهمزه الثانيه لامتناع جمع همزتين فجا
ايتخذتم فاضطربت اليا في التصريف جات الفا في ياتخذ وواوا في موتخذ فبدلت
بحرف جلد ثابت وهو التا وادغمت فلما دخلت في هذه الايه الف التقرير
استغني عن الف الوصل ومذهب ابي علي ان اتخذتم من تخذ لا من اخذ وقد تقدم
ذكر ذلك وقال اهل التفسير العهد من الله في هذه الايه الميثاق والموعد وقال
ابن عباس وغيره معناه هل قلتم لا اله الا الله وامنتم واطعتم فتدلون بذلك

وتعلمون أنكم خارجون من النار **قال أبو محمد** فعلى هذا التأويل الأول
يجيء المعنى هل عاهدكم الله على هذا الذي تدعون وعلى التأويل الثاني هل
أسلفتم عند الله أعمالاً توجب ما تدعون وقوله فلن يخلف الله عهده
اعتراض أثناء الكلام وبلى رد بعد النفي بمنزلة نعم بعد الإيجاب وقال الكوفيون أصلها
بل التي هي للإضراب عن الأول وزيدت عليها الياء ليحسن الوقف عليها وضمنت
الياء معنى الإيجاب والإنعام بما يأتي بعدها وقال سيبويه هي حرف مثل بل
وغيره ونفي في هذه الآية رد لقول بني إسرائيل لن تمسنا النار فرد الله عليهم
وبين الخلود في النار والجنة بحسب الكفر والإيمان ومن شرط في موضع رفع بالابتدا
وأولئك ابتدا ثان وأصحاب خبره والجملة خبر الأول والفاء موطئة أن تكون الجملة
جواب الشرط وقالت طائفة السيئة الشرك كقوله ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار والخطيئات كبائر الذنوب وقرأ قوم خطيئته بالإفراد
وقال قوم السيئة الكبائر وأفردها وهي بمعنى الجمع لما كانت تدل على الجنس
كقوله وإن تعدوا نعمة الله والخطيئة الكفر **قال أبو محمد** ولفظة
الإحاطة تقوي هذا القول وهي مأخوذة من الحائط المحدق بالشيء وقال الربيع
بن خثيم والأعمش والسدي وغيرهم معنى الآية مات بذنوب لم يتب منها
وقال الربيع أيضا المعنى مات على كفره وقال الحسن ابن أبي الحسن والسدي
كل ما توعد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة والخلود في هذه الآية على الإطلاق
والتأبيد في المشركين ومستعار بمعنى الطول والدوام في العصاة وإن علم
انقطاعه كما تقول ملك خالد ويدعى للملك بالخلد وقوله تعالى والذين
آمنوا الآية يدل هذا التقسيم على أن قوله من كسب سيئة الآية في الكفار لا في
العصاة ويدل على ذلك أيضا قوله وأحاطت به خطيئته لأن العاصي مؤمن فلم
تحط به خطيئته ويدل على ذلك أيضا أن الرد كان على كفار ادعوا أن النار لا
تمسهم إلا أياما معدودة فهم المراد بالخلود والله أعلم **قوله تعالى**

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا
وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون المعنى واذكروا
إذ أخذنا وقال مكي رحمه الله هذا هو الميثاق الذي أخذ عليهم حين أخرجوا
من صلب آدم كالذر **قال أبو محمد** وهذا ضعيف وإنما هو ميثاق
أخذ عليهم وهم عقلاء في حياتهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من أنبيائهم
عليهم السلام وأخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء من أسفل وقرأ الباقون بالتاء من فوق حكاية ما
قيل لهم وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود لا تعبدوا على النهي قال سيبويه لا تعبدون
متعلق بقسم والمعنى وإذ استحلفناهم والله لا تعبدون وقالت طائفة تقدير
الكلام بأن لا تعبدوا إلا الله ثم حذفت أن وارتفع الفعل لزوالها فلا تعبدون
على هذا معمول لحرف النصب وحكي عن قطرب أن لا تعبدون إلا الله في موضع
الحال أي أخذنا ميثاقهم موحدين **قال أبو محمد** وهذا إنما يتجه على
قراءة ابن كثير ونظام الآية يدفعه مع كل قراءة وقال قوم لا تعبدون إلا الله
نهي في صيغة خبر ويدل على ذلك أن في قراءة أبي لا تعبدوا والباء في قوله وبالوالدين
قيل هي متعلقة بالميثاق عطفا على الباء المقدرة أولا على قول من قال التقدير بأن
لا تعبدوا وقيل تتعلق بقوله إحسانا والتقدير قلنا لهم لا تعبدون إلا الله
وأحسنوا إحسانا بالوالدين ويعترض هذا القول بأن المصدر قد تقدم
عليه ما هو معمول له وقيل تتعلق الباء بأحسنوا المقدر والمعنى وأحسنوا
بالوالدين إحسانا وهذا قول حسن وقدم اللفظ بالوالدين تهمما فهو نحو قوله
تعالى إياك نعبد وفي الإحسان تدخل أنواع بر الوالدين كلها وذي عطف
على الوالدين والقربى بمعنى القرابة وهو مصدر كالرجعى والعقبى وهذا يتضمن

الامر بصله الرحم واليتامى جمع يتيم كندم وندامى واليتم في بني ادم فقد الاب
وفي البهايم فقد الام وقال عليه السلام لا يتم بعد بلوغ وحكى الماوردي ان اليتم
تعالى في بني ادم في فقد الام وهذا يتضمن الرافه باليتامى وحفظه اموالهم والمساكين
جمع مسكين وهو الذي لا شي له لانه مشتق من السكون وقد قيل ان المسكين
هو الذي له بلغه من العيش وهو على هذا مشتق من السكن وهذا يتضمن الحض
على الصدقه والمواساه وتفقد احوال المساكين وقوله تعالى وقولوا للناس
امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله في قوله وبالوالدين وقرا حمزه والكسائي
حسنا بفتح الحا والسين قال الاخفش هما بمعنى واحد كالبخل والبخل قال الزجاج
وغيره بل المعنى في القراتين وقولوا قولا حسنا بفتح السين او قولا ذا حسن بضم
الحا وقرا قوم حسنى مثل فعلى ورده سيبويه لان افعل وفعلى لا تجي الا بمعرفه
الا ان يزال عنهما معنى التفضيل وتبقى مصدرا كالعقبى فذلك جايز وهو
وجه القراه بها وقرا عيسى بن عمر وعطا بن ابي رباح حسنا بضم الحا والسين
وقال ابن عباس معنى الكلام قولوا لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج
قولوا لهم حسنا في الاعلام بما في كتابكم من صفه محمد عليه السلام وقال
سفين الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو العاليه
معناه قولوا لهم الطيب من القول وجازوهم باحسن ما تحبون ان تجازوا
به وهذا حض على مكارم الاخلاق وحكى المهدوي عن قتاده ان قوله تعالى
وقولوا للناس حسنا منسوخ بايه السيف
وهذا على ان هذه الامه خوطبت بمثل هذا اللفظ في صدر الاسلام واما
الخبر عن بني اسرايل وما امروا به فلا نسخ فيه وقد تقدم القول في اقامه الصلاه
وزكاتهم هي التي يعطونها وتنزل النار على ما تقبل ولا تنزل على ما لم تقبل ولم تكن
كزكاه امه محمد عليه السلام وروي عن ابن عباس انه قال الزكاه التي امروا
بها طاعه الله والاخلاص وقوله تعالى ثم توليتم الايه خطاب لمعاصري

محمد عليه السلام

80

محمد عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم اذ هم كلهم بتلك السبيل قال نحوه
ابن عباس وغيره وثم مبنيه على الفتح ولم تجر مجرى رد وشد لانها لا تتصرف
وضمت التاء الاخيره من توليتم لان تا المفرد اخرت الفتح وتا المونث
اخرت الكسر فلم يبق للتثنيه والجمع الا الضم وقليلا نصب على الاستثناء
قال سيبويه المستثنى منصوب على التشبيه بالمفعول قال المبرد هو
مفعول خفيف لان تقديره استثنيت كذا والمراد بالقليل جميع مومنيهم
قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره والقله على هذا هي في
عدد الاشخاص ويحتمل ان تكون القله في الايمان اذ لم يبق حين عصوا وكفروا
اخرهم بمحمد عليه السلام الا ايمان قليل اذ لا ينفعهم والاول اقوى وقرا قوم
الا قليل برفع القليل وروي عن ابي عمرو وهذا على بدل قليل من الضمير
في توليتم وجاز ذلك مع ان الكلام لم يتقدم فيه نفي لان توليتم معناه
النفي كانه قال ثم لم يفوا بالميثاق الا قليل والسفك صب الدم وسرد
الكلام وقرا طلحه بن مصرف وشعيب بن ابي حمزه لا يسفكون بضم
الفاء وقرا ابو نهيك يسفكون بضم الفاء وكسر الفاء وتضعيفها ولغيره
لا يسفكون كما تقدم في لا يعبدون ودماكم جمع دم وهو اسم منقوص
اصله دمي بسكون الميم وحركت في التثنيه لتدل الحركه على التغيير
الذي في الواحد وقوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه
ولا ينفي بعضكم بعضا بالفتنه والنفي ولما كانت ملتهم واحده
وامرهم واحد وكانوا في الامم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم لبعض
ونفي بعضهم بعضا قتلا لانفسهم ونفيا لها وكذلك حكم كل جماعه
خاطب بهذا اللفظ في القول وقيل في لا يسفكون دماكم اي لا يقتل احد
فيقتل قصاصا فكانه سفك دم نفسه لما سبب ذلك ولا يفسد في
الارض فينفى فيكون قد اخرج نفسه من دياره وهذا تاويل فيه تكلف

وانما كان الامر ان الله تعالى قد اخذ على بني اسرائيل في التوراة ميثاقا
ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا ينفيه ولا يسترقه ولا يدعه يسبى والى غير
ذلك من الطاعات وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان
هذا الميثاق اخذ عليكم والزمتموه فيحتمل في هذه اللفظة ان يكون من
الاقرار الذي هو ضد الجحد ويتعدى بالباء او يكون من الاقرار الذي هو
ابقاء الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق ملتزما وقوله وانتم تشهدون
قيل الخطاب يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حضور
اخذ الميثاق والاقرار وقيل ان المراد من كان في مدة محمد عليه السلام
والمعنى وانتم شهداء اي بينة ان هذا الميثاق اخذ على اسلافكم فمن بعدهم
منكم **قوله تعالى** ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم
وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى
اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون هؤلاء دال على ان المخاطبة للحاضرين
لا تحتمل ردا الى الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن
حذفه عند سيبويه مع المبهمات لا تقول هذا اقبل وقيل تقديره اعني هؤلاء
وقيل هؤلاء بمعنى الذين فالتقدير ثم انتم الذين تقتلون فتقتلون صلة لهؤلاء ومنه
قول يزيد بن مفرغ الحميري عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق
وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن بن احمد شيخنا هؤلاء رفع بالابتداء وانتم
خبر مقدم وتقتلون حال بها تم المعنى وهي كانت المقصود فهي غير مستغنى عنها
وانما جاءت بعد ان تم الكلام في المسند والمسند اليه كما تقول هذا زيد منطلقا
وانت قد قصدت الاخبار بانطلاقه لا الاخبار بان هذا هو زيد وهذه
الاية خطاب لقريظة والنضير وبني قينقاع وذلك ان النضير وقريظة

حالفت

حالفت الخزرج فكانوا اذا وقعت الحرب بين بني قيلة ذهبت كل طائفة
من بني اسرائيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وكانوا مع ذلك يفدي بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة وهم قد خالفوها
بالقتال والاخراج وقرا الحسن بن ابي الحسن تقتلون بضم التاء الاولى وكسر
الثانية وشددها على المبالغة والديار مباني الاقامة وقال الخليل محلة القوم
دارهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي تظاهرون بتخفيف الظاء وهذا على حذف
التاء الثانية من تتظاهرون وقرا بقية السبعة تظاهرون بتشديد الظاء على ادغام
التاء في الظاء وقال ابو حيوة تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء وقرا مجاهد
وقتادة تظهرون بفتح التاء وشد الظاء والهاء مفتوحة دون الف ورويت هذه
عن ابي عمرو ومعنى ذلك على كل قراءة تتعاونون وهو ماخوذ من الظهر كان
المتظاهرين يسند كل واحد منهما ظهره الى صاحبه والاثم العهد الراتبة على
العبد من المعاصي والمعنى بمكتسبات الاثم والعدوان تجاوز الحدود والظلم
وحسن لفظ الاتيان من حيث هو في مقابلة الاخراج فيظهر التضاد المقبح
لفعلهم في الاخراج وقرا حمزة اسرى تفدوهم وقرا نافع وعاصم والكسائي اسارى
تفادوهم وقرا ابو عمرو وابن عامر وابن كثير اسارى تفدوهم وقرا قوم
اسرى تفادوهم واسارى جمع اسير والاسير ماخوذ من الاسر وهو الشد
سمي بذلك لانه يوسر اي يشد وثاقه ثم كثر استعماله حتى لزم وان لم يكن ربط
ولا شد واسير فعيل بمعنى مفعول ولا يجمع بواو ونون وانما يكسر على اسرى
واسارى والقياس فيه اسرى لان فعيلا بمعنى مفعول الاصل فيه ان يجمع على فعلى
كقتلى وجرحى والاصل في فعلان ان يجمع على فعالى بفتح الفاء وفعالى بضمها كسكران
وكسلان وسكارى وكسالى قال سيبويه فقالوا في جمع كسلان كسلى شبهوه باسرى
كما قالوا اسارى شبهوه بكسالى ووجه الشبه ان الاسر يدخل على المرء مكرها
كما يدخل الكسل وفعالى انما يجي فيما كان افة يدخل على المرء وتفادوهم معناه في

اللغة تطلقونهم بعد ان تأخذوا عنهم شيا قاله ابو علي **قال ابو محمد**
وفاديت نفسي اذا اطلقتها بعد ان دفعت شيا فعلى هذا فدى بمعنى قرب
اي دفعت فيه مالا نفسي ومنه قول العباس للنبي عليه السلام
اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا وهما فعلان يتعديان الى
مفعولين الثاني منهما بحرف جر تقول فديت زيدا بمال وفاديته بمال وقال
قوم في قراءة تفادوهم مفاعلة في اسرى ياسري قال ابو علي كل واحد من الفريقين
فعل الاسر دفع الاسير والمأسور منه دفع ايضا اما اسيرا واما غيره
والمفعول الثاني محذوف وقوله تعالى وهو محرم قيل في هو انه ضمير
الامر تقديره والامر محرم عليكم واخراجهم في هذا القول بدل من هو
وقيل هو فاصلة وهذا مذهب الكوفيين وليست هنا بالتي هي عماد ومحرم
على هذا ابتداء واخراجهم خبره وقيل هو الضمير المقدر في محرم قدم
واظهر وقيل هو ضمير الاخراج تقديره واخراجهم محرم عليكم وقوله
تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب يعني التوراة والذي امنوا به فدا الاسارى
والذي كفروا به قتل بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم
وبيان لقبح فعلهم وروي ان عبد الله بن سلام مر على راس الجالوت بالكوفة
وهو يفادي من النساء من لم يقع عليه العرب ولا يفادي من وقع عليه فقال
له ابن سلام اما انه مكتوب عندك في كتابك ان تفاديهن كلهن ثم
يوعدهم عز وجل والخزي الفضيحة والعقوبة يقال خزي الرجل يخزى خزيا
اذا ذل من الفضيحة وخزي يخزى خزاية اذا استحيا واختلف في المراد
بالخزي هاهنا فقيل القصاص فيمن قتل وقيل ضرب الجزية عليهم غابر الدهر
وقيل قتل قريظة واجلاء النضير وقيل الخزي الذي توعد به الامة من
الناس هو غلبة العدو والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيها
واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود في جهنم

وقرا

وقرا الحسن وابن هرمز يردون بالياء وقوله تعالى وما الله بغافل الآية قرا
نافع وابن كثير يعملون بالياء على ذكر الغائب وبالخطاب بالاية لامة محمد صلى
الله عليه وسلم والاية واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل
كافر وعاص وقرا الباقون بالتاء على الخطاب ويحتمل ان يكون في سرد الاية
وهو الاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد عليه السلام فقد روي ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان بني اسرائيل قد مضوا وانتم الذين
تعنون بهذا يا امة محمد يريد وبما يجري مجراه **قوله تعالى** اولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد اتينا
موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما
يومنون جعل الله تعالى ترك الاخرة واخذ الدنيا مع قدرتهم على التمسك
بالاخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا وهذه الى عبد صرفها مالك
رحمه الله في فقه البيوع اذ لا يجوز الشرا على ان يختار المشتري في كل ما تختلف
صفة احاده ولا يجوز فيه التفاضل كاللحم المتوحه وغيرها ولا
يخفف العذاب في الاخرة ولا هم ينصرون لا في الدنيا ولا في الاخرة والكتاب
التوراة ونصب على المفعول الثاني لاتينا وقفينا ماخوذ من القفا تقول
قفيت فلانا بفلان اذا اتبعته من قبل قفاه ومنه قفا يقفو اذا اتبع
وهذه الاية مثل قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وكل رسول
جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليه السلام
وقرا الحسن ويحيى بن يعمر بالرسل ساكنة السين ووافقهما ابو عمرو اذا
انضاف ذلك الى مضمر نحو رسلنا ورسلهم والبينات الحجج التي اعطاها الله
عيسى وقيل هي اياته من احياء وابراء وخلق طير وقيل هي الانجيل

والآية تعم جميع ذلك وأيدناه معناه قويناه والأيد القوة وقرأ ابن محيصن
والأعرج وحميد آيَدْناه وقرأ ابن كثير ومجاهد روح القدس بسكون
الدال وقرأ الجمهور بضم القاف والدال وفيه لغة بفتحهما وقرأ أبو حيوة
بروح القدس بواو وبسكون الدال وقال ابن عباس روح القدس هو
الاسم الذي كان يحيي به الموتى وقال ابن زيد هو الإنجيل كما سمى الله تعالى
القرآن روحا وقال السدي والضحاك والربيع وقتادة روح القدس جبريل
عليه السلام وهذا أصح الأقوال وقد قال النبي عليه السلام لحسان
بن ثابت اهج قريشا وروح القدس معك ومرة قال له وجبريل معك
وقال الربيع ومجاهد القدس اسم من أسماء الله تعالى كالقدوس والإضافة
على هذا إضافة الملك إلى المالك وتوجهت لما كان جبريل من عباد الله تعالى وقيل
القدس الطهارة وقيل القدس البركة وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم
وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ والتقرير بلمانه بنيهم يقوم
سوقهم آخر النهار وروي سبعين نبيا ثم تقوم سوق بقلهم آخر النهار وفي
تهوى ضمير حذف من صلة ما لطول اللفظ والهوى أكثر ما يستعمل فيما
ليس بحق وهذه الآية من أسرى بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال
أبو بكر ولم يهو ما قلت واستكبرتم من الكبر وفريقا مفعول مقدم
وقرأ جمهور القراء غلف بإسكان اللام على أنه جمع أغلف مثل أحمر وحمر
والمعنى قلوبنا عليها غلف وغشاوات فهي لا تفقه قاله ابن عباس وقال
قتادة المعنى عليها طابع وقالت طائفة غلف بسكون اللام جمع غلاف وأصله
غلف بتثقيل اللام فخفف قال أبو محمد وهذا قلما يستعمل إلا
في الشعر وقرأ ابن عباس والأعرج وابن محيصن غُلُف بتثقيل اللام جمع
غلاف أصله غلف وروي عن أبي عمرو فالمعنى هي أوعية للعلم والمعارف
بزعمهم فهي لا تحتاج إلى علم محمد عليه السلام وقيل المعنى فكيف يعزب عنها

عليه السلام

علم محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم بقوله بل لعنهم الله وبل في هذه
الآية نقض للأول وإضراب عنه ثم بين تعالى أن السبب في نفورهم عن الإيمان
إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم وهذا هو الجزاء على
الذنب بذنب أعظم منه واللعن الإبعاد والطرد وقليلا نعت لمصدر
محذوف تقديره فإيمانا قليلا ما يؤمنون والضمير في يؤمنون للحاضرين محمد
عليه السلام ويتجه قلة هذا الإيمان إما لأن من آمن لمحمد عليه السلام منهم
قليل فيقل لقلة الرجال قال هذا المعنى قتادة وإما لأن وقت إيمانهم عند
ما كانوا يستفتحون به قبل مبعثه قليل إذ قد كفروا بعد ذلك وإما لأنهم
لم يبق لهم بعد كفرهم غير التوحيد على غير وجهه إذ هم مجسمون فقد قللوه بجحدهم
الرسول وتكذيبهم التوراة وإنما يقل من حيث لا ينفعهم وكذلك على هذا
التأويل يجيء التقدير إيمانا قليلا وعلى الذي قبله فزمنا قليلا وعلى الذي قبله
فعددا من الرجال قليلا وما في قوله ما يؤمنون زائدة مؤكدة وقليلا نصب
بيؤمنون قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما
معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا
بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على
غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن
بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء
الله من قبل إن كنتم مؤمنين الكتاب القرآن ومصدق لما معهم يعني
التوراة وروي أنه في مصحف أبي بن كعب مصدقا بالنصب ويستفتحون
معناه أن بني إسرائيل كانوا قبل مبعث النبي عليه السلام قد علموا خروجه
بما عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا أنه منهم فكانوا إذا حاربوا
الأوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي الذي قد أظل

وقيته لغلبناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه يستنصرون
وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين
وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز في ذلك الوقت كانوا
يستفتحون على سائر العرب ويستنصرون بخروج النبي صلى الله عليه وسلم
المنتظر كانت تعلمهم اي الاخبار وكتابهم به فانهم كانوا علموا صفة المبعث
وما عرفوا هو محمد عليه السلام وشرعه ويظهر من هذه الايات العناد
منهم وان كفرهم كان مع معرفة ومعاندة ولعنة الله معناه ابعاد
الله لهم وخزيهم لذلك واختلف النحاة في جواب لما ولما الثانية في هذه
الاية فقال ابو العباس المبرد جوابها في قوله كفروا واعيدت لما
الثانية لطول الكلام ويفيد ذلك تقرير الذنب وتاكيدا وقال الزجاج
لما الاولى لا جواب لها للاستغناء عن ذلك بدلالة الظاهر من الكلام عليه
قال ابو محمد فكانه محذوف وقال الفرا جواب لما الاولى في الفا
وما بعدها وجواب لما الثانية كفروا وبئس اصلها بئس سهلت الهمزة
ونقلت الى الباء حركتها وقيل في بئس بئس اتباعا للكسرة وهي مستوفية
للذم كما نعم مستوفية للمدح واختلف النحويون في ما في هذا الموضع فمذهب
سيبويه ان ما فاعلة بئس ودخلت عليها بئس كما تدخل على اسما الاجناس
والنكرات لما اشبهتها في الابهام والتقدير على هذا القول بئس الذي
اشتروا به انفسهم ان يكفروا كقولك بئس الرجل زيد وما في هذا القول موصولة
وقال الاخفش ما في موضع نصب على التمييز كقولك بئس رجلا زيد فالتقدير
بئس شيئا ان يكفروا او اشتروا به انفسهم في هذا القول صفة ما وقال
الفرا بئس وما بمنزلة شي واحد ركب كحبذا وفي هذا القول اعتراض لان حبذا فعل
يبقى بلا فاعل وانما انكف ايذا حروفا وقال الكسائي ما واشتروا بمنزلة اسم
واحد قائم بنفسه فالتقدير بئس اشتراؤهم انفسهم ان يكفروا وهذا

ايضا

ايضا معترض لان بئس لا تدخل على اسم معين معرف بالاضافة الى الضمير
وقال الكسائي ايضا ان ما في موضع نصب على التفسير وثم ما اخرى مضمرة فالتقدير
بئس شيئا ما اشتروا به انفسهم وان يكفروا في هذا القول بدل من ما
المضمرة ويصح في بعض الاقوال المتقدمة ان يكون ان يكفروا في موضع خفض
بدلا من الضمير في به واما في القولين الاولين فان يكفروا ابتدا وخبره
فيما قبله واشتروا بمعنى باعوا لان شرى واشترى بمعنى باع وبمعنى ابتاع
وما انزل الله يعني به القران ويحتمل ان يراد به التوراة لانهم اذ كفروا
بعيسى ومحمد عليهما السلام فقد كفروا بالتوراة ويحتمل ان يراد به الجميع
من توراة وانجيل وقران لان الكفر بالبعض يلزم الكفر بالكل وبغيا
مفعول من اجله او في موضع خفض بتقدير بان ينزل وقرا ابو عمرو وابن كثير
ان ينزل بالتخفيف في النون والزاي ومن فضله يعني من النبوة والرسالة ومن
يشا يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان
من العرب ويدخل في المعنى عيسى صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله
قد تفضل عليه وباوا معناه مضوا متحملين لما لم يذكروا انهم باوا به
وبغضب معناه من الله تعالى لكفرهم بمحمد عليه السلام على غضب متقدم
من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لقولهم العزير بن الله وقيل
لكفرهم بعيسى عليه السلام قال ابو محمد فالمعنى على غضب قد
باء اسلافهم حظ هولاء منه وافر بسبب رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم
لها وقال قوم المراد بقوله بغضب على غضب التاكيد وتشديد الحال عليهم
لانه اراد غضبين معللين بقصتين ومهين ماخوذ من الهوان وهو ما اقتضى
الخلود في النار لان من لا يخلد من عصاة المسلمين انما عذابه كعذاب الذي
تقام عليه الحدود لا هوان فيه بل هو تطهير له وقوله تعالى واذا قيل
لهم يعني اليهود انهم اذا قيل لهم امنوا بالقران الذي انزل على محمد عليه السلام

قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنون التوراه وبما وراه قال قتاده اي ما بعده
قال الفرا اي ما سواه ويعني به القران واذا تكلم رجل او فعل فعلا فاجاد قيل
له ما وراء ما اتيت به شي اي ليس ياتي بعده ووصف الله تعالى القران بانه الحق
ومصدقا حال موكدة عند سيبويه وهي غير منتقلة وقد تقدم معناها في الكلام
ولم يبق لها الا معنى التاكيد وانشد سيبويه على الحال المؤكدة
انا ابن داره معروفا بها نسبي وهل بداره يا للناس من عار ولما معهم
يراد به التوراه وقوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله رد من الله تعالى عليهم في
انهم امنوا بما انزل عليهم وتكذيب منه لهم في ذلك واحتجاج عليهم ولا يجوز الوقف
على فلم لنقصان الحرف الواحد الا ان البزي وقف عليه بالهاء وسائر القرا
يسلون الميم وخاطب الله من حضر محمدا عليه السلام من بني اسرائيل بانهم قتلوا
الانبيا لما كان ذلك من فعل اسلافهم وجا تقتلون بلفظ الاستقبال وهو بمعنى
المضي لما ارتفع الاشكال بقوله من قبل واذا لم يشكل فجائز سوق الماضي بمعنى
المستقبل وسوق المستقبل بمعنى الماضي قال الحطيئة
شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر وفايده سوق
الماضي في موضع المستقبل الاشاره الى انه في الثبوت كالماضي الذي قد
وقع وفايده سوق المستقبل في معنى الماضي الاعلام بان الامر مستمر الا ترى
ان حاضري محمد عليه السلام لما كانوا راضين بفعل اسلافهم بقي لهم من قتل
الانبيا جزء وان كنتم شرط والجواب متقدم وقالت فرقة ان نافية
بمعنى ما قوله تعالى ولقد جاكم موسى بالبينات ثم اتخذتم
العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم
قل بيسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مومنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا

بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين البينات التوريه والعصاه وفرق
البحر وغير ذلك من ايات موسى عليه السلام ثم اتخذتم تدل على انهم فعلوا
ذلك بعد مهلة من النظر في الايات وذلك اعظم في ذنبهم وقد تقدمت
قصة اتخاذهم العجل والضمير في قوله من بعده عايد على موسى عليه السلام
اي من بعده حين غاب عنكم في المناجاه ويحتمل ان يعود الضمير في بعده على المجي
وهذه الايه رد عليهم في ان من امن بما انزل عليه لا يتخذ العجل وقد تقدم ذكر
اخذ الميثاق ورفع الطور وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة يعني التوريه والشرع
وبقوة اي بعزم ونشاط وجد واسمعوا معناه هنا واطيعوا وليس معناه الامر
بادراك القول فقط وقالت طايفة من المفسرين انهم قالوا سمعنا وعصينا
ونطقوا بهذه الالفاظ مبالغة في التعنت والمعصية وقالت طايفة
ذلك مجاز ولم ينطقوا سمعنا وعصينا ولكن فعلهم اقتضاه كما قال الشاعر
امتلا الحوض وقال قطني وهذا ايضا احتجاج عليهم في كذب قولهم نومن
بما انزل علينا وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل التقدير حب العجل والمعنى
جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن العجل في قلوبهم
وقال قوم ان معنى قوله واشربوا في قلوبهم العجل شربهم الما الذي القي
فيه موسى براده العجل وذلك انه برده بالمبرد ورماه في الما وقيل لبني اسرائيل
اشربوا من ذلك الما فشرب جميعهم فمن كان يحب العجل خرجت براده الذهب
على شفته قال ابو محمد وهذا قول يرده قوله تعالى في قلوبهم وروي
ان الذين تبين فيهم حب العجل اصابهم من ذلك الما الجبن وقوله تعالى
بكفرهم يحتمل ان تكون با السبب ويحتمل ان تكون بمعنى مع وقوله تعالى قل بيسما
الايه امر لمحمد عليه السلام ان يوبخهم بانه بيس هذه الاشيا التي فعلتم وامركم
بها ايمانكم الذي زعمتم في قولكم نومن بما انزل علينا وما في موضع رفع والتقدير بيس
الشي قتل واتخاذ عجل وقول سمعنا وعصينا ويجوز ان تكون ما في موضع نصب

وان كنتم شرط وقد ياتي الشرط والشارط يعلم ان الامر على احد الجهتين
كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته وقد
علم عيسى عليه السلام انه لم يقله وكذلك ان كنتم مومنين والقايل يعلم انهم
غير مومنين ولكنه اقام الحجة بقياس بين وقال قوم ان هنا نافية بمنزلة ما
كالتي تقدمت وقرا الحسن ومسلم بن جندب يامركم بهو ايمانكم برفع الها
وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة الاية امر لمحمد عليه السلام
ان يوبخهم والمعنى ان كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي
حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم كانت وخالصة
خبرها ويجوز ان يكون نصب خالصة على الحال وعند الله خبر كان ومن دون
الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد عليه السلام ومن تبعه ويحتمل ان
يراد العموم التام وهو قول اليهود فيما حفظ عنهم وقرا ابن ابي اسحق
بكسر الواو من تمنوا لالتقاء الساكنين وحكى الاهوازي عن ابي عمرو انه قرا تمنوا الموت
بفتح الواو وحكى عن غيره اختلاس الحركة في الرفع وقراءة الجماعة بضم
الواو وهذه اية بينة اعطاها الله رسوله محمدا عليه السلام لان اليهود
قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلك من القول فامر الله نبيه ان
يدعوهم الى تمني الموت وان يعلمهم ان من تمناه منهم مات ففعل النبي عليه السلام
ذلك فعلم اليهود صدقه فاحجموا عن تمنيه فرقا من الله لقبح اعمالهم ومعرفتهم
بكذبهم في قولهم نحن ابناء الله وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى
منعهم من التمني وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الاية لنبيه والمراد بهو
تمنوا اريدوه بقلوبكم واسالوه هذا قول جماعة من المفسرين وقال ابن عباس
المراد فيه السوال فقط وان لم يكن بالقلب وقال ايضا هو وغيره انما
امروا بالدعاء بالموت على اردى الحزبين من المومنين او منهم وذكر المهدوي
وغيره ان هذه الاية كانت مدة حياة النبي عليه السلام ارتفعت بموته

والصحيح

والصحيح ان هذه النازلة من موقف تمني الموت انما كانت اياما كثيرة عند
نزول الاية وهي بمنزلة دعاية النصارى من اهل نجران الى المباهلة وقالت فرقة
ان سبب هذا الدعاء الى تمني الموت ان النبي عليه السلام اراد به هلاك
الفريق المكذب او قطع حجتهم لا ان علته قولهم نحن ابناء الله ثم اخبر تعالى
عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه ابدا ظرف زمان واذا كانت ما بمعنى الذي
يحتاج الى عائد تقديره قدمته واذا كانت مع قدمت بمثابة المصدر غنيت
عن الضمير هذا قول سيبويه والاخفش يرى الضمير في المصدر ايضا واضاف ذنوبهم
واجترامهم الى الايدي واسند بعد ذلك اليها اذ الاكثر من كسب الخير والشر
انما هو بها فحمل جميع الاشيا على ذلك وقوله تعالى والله عليم بالظالمين
ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد لان الله عليم بالظالمين وغيرهم ففايدة
تخصيصهم حصول الوعيد **قوله تعالى** ولتجدنهم احرص
الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما
هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان
عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمومنين من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال فان
الله عدو للكافرين ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
وجد في هذا المعنى يتعدى الى مفعولين لانها من افعال النفس ولذلك
صح تعديها الى الضمير المتكلم **في قول الشاعر**
تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
وقال النبي عليه السلام في الضب انه لم يكن بارض قومي فاجدني اعافه وحرصهم
على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله تعالى وقوله تعالى
ومن الذين اشركوا المعنى واحرص من الذين اشركوا لان مشركي العرب
لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا الا ترى الى **امرئ القيس** تمتع من الدنيا فانك فان

والضمير في احدهم يعود في هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم في
حياة ثم استونف الاخبار عن طايفة من المشركين انهم يود احدهم وهم
المجوس لان تشميتهم للعاطس لفظ بلغتهم معناه عش الف سنة وكان الكلام
ومن المشركين قوم يود احدهم وفي هذا القول تشبيه بني اسرائيل بهذه الفرقة
من المشركين وخص الالف بالذكر لانه نهاية العقد في الحساب وقوله
تعالى وما هو بمزحزحه اختلف النحاة في هو فقيل هو ضمير الاحد المتقدم
بالتقدير وما احدهم بمزحزحه وخبر الابتداء في المجرور وان يعمر فاعل
لمزحزحه وقالت فرقة هو ضمير التعمير التقدير وما التعمير بمزحزحه والخبر
في المجرور وان يعمر بدل من التعمير في هذا القول وقالت فرقة هو ضمير الامر
والشان وقد رد هذا القول ابو حفظ من النحاة من ان الامر والشان انما
يفسر بجملة سالمة من حرف جر وقد جوز ابو علي ذلك في بعض مسايله الحلبيات
وحكى الطبري عن فرقة انها قالت هو عماد وقيل ما عملت حجازية وهو اسمها
والخبر بمزحزحه والزحزحة الابعاد والتنحية وفي قوله والله بصير بما
يعملون بالتاء من فوق وهذا على الرجوع الى خطاب المتوعدين من بني اسرائيل
وقوله من كان عدوا لجبريل الاية دال على سبب لم يتقدم له ذكر
في ما مضى من الايات ولكن اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا
واختلف في كيفية ذلك فقيل ان يهود فدك قالوا للنبي عليه السلام
نسالك عن اربعة اشيا فان عرفتها اتبعناك فسالوه عما حرم اسرائيل على
نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسالوه عن الشبه في الولد فقال اي ماء علا
كان الشبه له وسالوه عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وسالوه
عمن يجيه من الملايكة فقال جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك
الحرب والشدايد والجدب ولو كان الذي يجيك ميكاييل ملك الرحمة والخصب
والامطار لاتبعناك وقيل ان عمر بن الخطاب كان يتكرر على بيت المدراس

فاستحلفهم

فاستحلفهم بالذي انزل التوراة على موسى بطور سينا اتعلمون ان محمدا نبي قالوا
نعم قال فلم تهلكون في تكذيبه قالوا صاحبه جبريل وهو عدونا وذكروا انهم
قالوا سبب عداوتهم له انه حمى بخت نصر حين بعثوا اليه قبل ان يملك من
يقتله فنزلت هذه الاية لقولهم وفي جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من
غير همز وبها قرا نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرا ابن كثير
وروي عنه انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقرا جبريل وميكال
فلا ازال اقرؤهما ابدا كذلك وجبرئيل بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء وياء
بين الهمزة واللام وبها قرا حمزة والكساي وحكاها الكساي عن عاصم وجبرائيل
بالف بعد الراء ثم همزة وبها قرا عكرمة وجبرائيل بزيادة ياء بعد الهمزة
وجبراييل بيايين وبها قرا الاعمش وجبرئل بفتح الجيم والراء وهمزة ولام
مشددة وبها قرا يحيى بن يعمر وجبرال لغة فيه وجبرين بكسر الجيم والراء
وياء ونون قال الطبري هي لغة بني اسد ولم يقرا بها وجبريل اسم اعجمي عربته
العرب فلها فيه هذه اللغات فبعضها هي موجودة في ابنية العرب وتلك
ادخل في التعريب كجبريل الذي هو كقنديل وبعضها خارج عن ابنية العرب وتلك
كمثل ما عربته العرب ولم تدخله في بنائها كابريسم وفرند واجر ونحوه
وذكر ابن عباس رضي الله عنه وغيره ان جبر وميك وسراف
هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل اسم الله تعالى ويقال فيه ال
ومنه قول ابي بكر الصديق حين سمع سجع مسيلمة هذا كلام لم يخرج من ال
وقوله تعالى فانه نزله على قلبك الضمير في فانه عايد على الله عز وجل
والضمير في نزله عايد على جبريل والمعنى بالقران وساير الوحي وقيل الضمير في انه
عايد على جبريل وفي نزله على القران وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل
والعلم وتلقي المعارف وجات المخاطبة بالكاف في قلبك اتساعا في العبارة
اذ ليس ثم من يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكاف واما على قوله

فانه نزله على قلبك لكن حسن هذا لان الحسن في كلام العرب ان تحرز اللفظ الذي
تقوله المامور بالقول وحسن ان تقصد المعنى الذي تقوله فتسرده مخاطبه له كما
تقول لرجل قل لقومك لا يهينوك فكذلك هي الاية ونحو من هذا قول الفرزدق
الم تراني يوم جو سويقة بكيت فنادتني هنيدة ما ليا فاحرز المعنى ولو كان
عن هنيدة ما لك وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة
ومصدقا حال من ضمير القران في نزله وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله
تعالى وهدى ارشاد والبشرى اكثر استعمالها في الخير ولا تجي في الشر الا
مقيدة ومقصد هذه الاية تشريف جبريل عليه السلام وذم معاديه وقوله
تعالى من كان عدوا لله الاية وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام واعلام
ان عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب
طاعته ومعاداة اوليائه ومعاداة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة
عليه وذكر جبريل وميكائيل وقد كان ذكر الملائكة عمهما تشريفا لهما وقيل
خصا لان اليهود ذكروهما ونزلت الاية بسببهما فذكرهما واجب لئلا تقول
اليهود انا لم نعاد الله وجميع ملائكته وقرا نافع ميكائيل بهمزة دون يا
وقرا بها ابن كثير في بعض ما روي عنه وقرا ابن عامر وابن كثير ايضا وحمزة
والكسائي ميكائيل بعد الهمزة وقرا ابو عمرو وعاصم ميكال وروي عن
ابن كثير مثل قراءة ابي النوم كما ذكرنا وقرا ابن محيصن ميكئل بهمزة دون الف
وقرا الاعمش ميكاييل بياين وظهر الاسم في قوله فان الله لئلا يشكل عود
الضمير وجات العبارة بعموم الكافرين لان عود الضمير على من يشكل سواء
افردته او جمعته ولو لم نبال بالاشكال وقلنا المعنى يدل السامع على القصد
للزم تعيين قوم بعداوة الله لهم ويحتمل ان الله قد علم ان بعضهم يؤمن فلا ينبغي
ان يطلق عليه عداوة الله للمال وروي ان رجلا من اليهود لقي عمر بن الخطاب
فقال له ارايت جبريل الذي يزعم صاحبك انه يجيئه ذاك عدونا فقال له عمر

من كان عدوا لله الى اخر الاية فنزلت على لسان عمر قال ابو محمد
وهذا الخبر يضعف من جهة معناه وقوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات
بينات ذكر الطبري ان ابن صوريا قال للنبي عليه السلام يا محمد ما جيت
بامر بينة فنزلت هذه الاية والفاسقون هنا الخارجون عن الايمان فهو
فسق الكفر والتقدير وما يكفر بها احد الا الفاسقون لان الايجاب لا يجي الا
بعد تمام المعنى قوله تعالى اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل
اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت قال سيبويه الواو واو
العطف دخلت عليها الف الاستفهام وقال الاخفش هي زايدة وقال
الكسائي هي او وفتحت تسهيلا وقراها قوم او ساكنة الواو وتجي بمعنى بل كما
تقول القايل لاضربنك فيقول المجيب او يكفي الله قال ابو محمد وهذا
كله متكلف واو في هذا المثال متمكنة في التقسيم والصحيح قول سيبويه
وقرى عهدوا وعهدا والنبذ الطرح والالقاء ومنه النبيذ والمنبوذ والفريق
اسم جمع لا واحد له من لفظه ويقع على اليسير والكثير من الجمع ولذلك فرقت
اكثر النابذين بقوله بل اكثرهم لما احتمل الفريق ان يكون الاقل ولا يؤمنون في هذا
التاويل حال من الضمير في اكثرهم ويحمل الضمير العود على الفريق ويحتمل العود على
جميع بني اسرايل وهم اذم لهم والعهد الذي نبذوه هو ما اخذ عليهم في التوراه
من امر محمد عليه السلام وفي مصحف ابن مسعود نقضه فريق وقوله تعالى
ولما جاءهم رسول يعني به محمدا عليه السلام وما معهم هو التوراة ومصدق
نعت لرسول وقرا ابن ابي عبلة مصدقا بالنصب والماحب بها
الشي لجوب غيره وهي طرف زمان وجوابها في نبذ الذي يجي والكتاب الذي

او توراة وكتاب الله مفعول لنبذ والمراد القران لان التكذيب
به نبذ وقيل المراد التوراة لان مخالفتها والكفر بما اخذ عليهم فيها نبذ
وورا ظهورهم مثل لان ما يجعل ظهريًا فقد زال النظر اليه جملة والعرب
تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وقال الفرزدق
تميم ابن مر لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا على جوابها وكانهم لا
يعلمون تشبيه بمن لا يعلم اذ فعلوا فعل الجاهل فيجي من اللفظ انهم كفروا
على علم وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الاية يعني اليهود وقال ابن زيد والسدي
المراد من كان في عهد سليمن وقال ابن عباس المراد من في عهد النبي عليه
السلام وقيل الجميع وتتلوا قال عطا معناه تقرا من التلاوة وقال ابن
عباس تتلوا تتبع كما يقال جا القوم يتلوا بعضهم بعضا وتتلوا بمعنى تلت
فالمستقبل وضع موضع الماضي وقال الكوفيون المعنى ما تتلو وقرا الحسن
والضحاك الشياطون بالواو وقوله على ملك سليمان اي عهد ملك سليمان
وقيل المعنى في ملك سليمان يعني في قصصه وصفاته واخباره وقال
الطبري اتبعوا بمعنى فضلوا وعلى ملك سليمان اي على معنى شرعه ونبوته وحاله
الذي تلته الشياطين قيل انهم كانوا يلقون الى الكهنة الكلمة من الحق معها
المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه
فلما مات قالت الشياطين سحرا وتعلمه فجمعه سليمان كما تقدم
وقيل ان سليمان عليه السلام كان يملي على كاتبه اصف بن برخيا علمه وخزنه
فلما مات اخرجته الجن وكتبت بين كل سطرين سطرا من سحر ونسبت ذلك
الى سليمان وقيل ان اصف تواطا مع شياطين على ان يكتبوا سحرا وينسبونه
الى سليمان بعد موته وقيل ان الجن كتبت ذلك بعد سليمان واختلقته
ونسبته اليه وقيل ان الجن والانس حين زال ملك سليمان عنه اتخذ بعضهم
السحر والكهانة علما فلما رجع سليمان الى ملكه تتبع كتبهم في الافاق ودفنها

اي الذي كان على عهد سليمان
وقيل [illegible]

فلما

فلما مات قال شيطان لبني اسرائيل هل ادلكم على كنز سليمان الذي به سخر له
الجن والريح هو هذا السحر فاستخرجته بنوا اسرائيل وانتشر فيهم ونسبوا سليمان
الى السحر وكفروا الى ذلك حين براه الله على لسان محمد عليه السلام وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان في الانبياء قال بعض اليهود انظروا
الى محمد يذكر سليمان في الانبيا وما كان الا ساحرا وقوله تعالى وما كفر
سليمان تبرية من الله تعالى لسليمان ولم يتقدم في الاية ان احدا نسبه الى
الكفر ولكنها انه نزلت في السبب المتقدم ان اليهود نسبته الى السحر والسحر
والعمل به كفر ويقتل الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال
الشافعي يسئل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه فان تاب والا قتل وقال
مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل واختلف في
ساحر الذمة فقيل يقتل وقال مالك لا يقتل الا ان قتل بسحره ويضمن ما جنى
ويقتل ان جنا منه بما لم يعاهد عليه وقرا نافع وعاصم وابن كثير وابو عمرو
بتشديد النون من لكن ونصب الشياطين وقرا حمزة والكسائي وابن عامر
بتخفيف النون ورفع الشياطين قال بعض الكوفيين التشديد احب الي اذا
دخلت عليها الواو ولان المخففة بمنزلة بل وبل لا يدخل عليها الواو وقال
ابو علي ليس دخول الواو عليها بمعنى يوجب التشديد وهي مثقلة ومخففة
بمعنى واحد الا انها لا تعمل اذا خففت وكفر الشياطين اما بتعليمهم السحر
واما بعلمهم به واما بتكفيرهم سليمان به وكل ذلك كان والناس المعلمون
اتباع الشياطين من بني اسرائيل والسحر مفعول ثان ويعلمون موضع
يعلمون نصب على الحال او رفع على خبر ثان وقوله تعالى وما انزل
على الملكين ببابل هاروت وماروت ما عطف على السحر فهي مفعوله
وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر على الملكين فتنة للناس ليكفر
به من اتبعه ويومن به من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل

على الملكين الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجها دون السحر او على القول انه تعالى
انزل السحر عليهما للعلم على جهة التحذير منه والنهي عنه **قال ابو محمد**
والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير بمباديه وقيل ان ما عطف على ما
في قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود
قالوا ان الله انزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك وقرا ابن عباس والحسن
والضحاك وابن ابزى الملكين بكسر اللام وقال ابن ابزى هما داود وسليمان
وعلى هذا القول ايضا فما نافية وقال الحسن هما علجان كانا ببابل ملكين فما على
هذا القول غير نافية وقرا كذلك ابو الاسود الدولي وقال هما هاروت
وماروت فهذا كقول الحسن وبابل لا ينصرف للتانيث والتعريف وهي قطر من
الارض واختلف اين هي فقال قوم هي في العراق وما والاه وقال ابن مسعود
لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقال قتادة هي من نصيبين الى راس العين
وقال قوم هي بالمغرب **قال ابو محمد** وهذا ضعيف وقال قوم هي
جبل دماوند وهاروت وماروت بدل من الملكين على قول من قال
هما ملكان ومن قرا ملكين بكسر اللام وجعلهما داود وسليمان او جعل
الملكين جبريل وميكائيل جعل هاروت وماروت بدلا من الشياطين في قوله
ولكن الشياطين وقال هما شيطانان ويجي يعلمون اما على ان الاثنين جمع واما على
تقدير اتباع لهذين الشيطانين الذين هما الراس ومن قال كانا علجين قال هاروت
وماروت بدل من قوله الملكين وقيل هما بدل من الناس في قوله يعلمون الناس
وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع ووجه البدل من الشياطين في
قوله تتلوا الشياطين او من الشياطين الثاني على قراءة من خفف لكن ورفع او على
خبر ابتداء مضمر تقديره هما هاروت وماروت وروي من قال انهما ملكين
ان الملايكة مقتت حكام بني ادم وزعمت انها لو كانت بمثابتهم من البعد عن الله
لاطاعت حق الطاعة فقال الله لهم اختاروا ملكين يحكمان بين الناس فاختاروا

هاروت

90

هاروت وماروت فكانا يحكمان فاختصمت اليهما امراة ففتنا بها
فراوداها فابت حتى يشربا الخمر ويقتلا ففعلا وسالتهما عن الاسم الذي
يصعدان به الى السماء فعلماها اياه فتكلمت به فعرجت فمسخت كوكبا فهي
الزهرة وكان عمر يلعنها **قال ابو محمد** وهذا كله ضعيف وبعيد
على ابن عمر رضي الله عنه وروي ان الزهرة نزلت اليهما في صورة امراة من
فارس فجرى لهما ما ذكر فاطلع الله الملايكة على ما كان من هاروت وماروت
فتعجبوا ونفيا الى الارض لانهما خيرا بين عذاب الاخرة او عذاب الدنيا
فاختارا عذاب الدنيا فهما في سرب الارض معلقين يصفقان باجنحتهما
وروت طايفة انهما يعلمان السحر في موضعهما ذلك واخذ عليهما الا يعلما
احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وهذا القصص يزيد في بعض الروايات
وينقص في بعض ولا يقطع منه بشي فلذلك اختصر **قوله تعالى**
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبيس ما شروا
انفسهم لو كانوا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ذكر ابن الاعرابي في الياقوتة ان يعلمان
بمعنى يعلمان ويشعران **كما قال كعب بن زهير**
تعلّم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليد
وحمل هذه الاية على ان الملكين انما نزلا يعلمان الناس السحر وينهيان عنه
وقال الجمهور بل التعليم على عرفه فلا تكفر قالت فرقة بتعلم السحر وقالت
فرقة باستعماله وحكى المهدوي ان قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر استهزاء
لانهما انما يقولانه لمن تحققا ضلاله ومن في قوله من احد زايدة بعد النفي
وقوله تعالى فيتعلمون قال سيبويه التقدير فهم يتعلمون وقيل هو معطوف

الى قوله يعلمون الناس وضعفه الزجاج وقيل هو معطوف على موضع ما يعلمان
لان قوله وما يعلمان وان دخلت عليها ما النافية فمضمنه الايجاب في التعليم
وقيل التقدير فيأتون فيتعلمون واختاره الزجاج والضمير في يعلمان هو لهاروت
وماروت الملكين او الملكين العلجين على ما تقدم والضمير في منهما قيل
هو عائد عليهما وقيل على السحر وعلى الذي انزل ويفرقون معناه فرقة العصمة
وقيل معناه يوخذون الرجل عن المراة حتى لا يقدر على وطيها فهي ايضا
فرقة وقرا الحسن والزهري وقتادة المر براء مكسورة خفيفة وروي عن
الزهري بشد الرا وقرا ابن ابي اسحق المرء بضم الميم وهمزة وهي لغة هذيل
وقرا الاشهب العقيلي المرء بكسر الميم وهمزة وروت عن الحسن وقرا جمهور
الناس المرء بفتح الميم وهمزة والزوج هنا امراة الرجل وكل واحد منهما
زوج الاخر ويقال للمراة زوجة **قال الفرزدق**
وان الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع الى اسد الشرى يستبيلها وقرا
الجمهور بضارين وقرا الاعمش بضاري به من احد فقيل حذف النون تخفيفا
وقيل حذفت للاضافة الى احد وحيل بين المضاف والمضاف اليه بالمجرور
وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ويضرهم معناه في الاخرة ولا ينفعهم فيها
ايضا وان نفع في الدنيا بالمكاسب فالمراعاة انما هو امر الاخرة والضمير في علموا
عائد على بني اسرائيل حسب الضماير المتقدمة وقيل على الشياطين وقيل على
الملكين وهما جمع وقال اشتراه لانهم كانوا يعطون الاخرة على ان يعطوا
والخلاق النصيب والحظ وهو هنا بمعنى الجاه والقدر واللام في قوله
لمن المتقدمة للقسم المؤذنة بان الكلام قسم لا شرط وتقدم الكلام في بيسما
وشروا معناه باعوا وقد تقدم مثله والضمير في يعلمون عائد على بني اسرائيل
باتفاق ومن قال ان الضمير في علموا عائد عليهم خرج هذا الثاني على المجاز اي لما
علموا عمل من لا يعلم كانوا كانهم لا يعلمون ومن قال ان الضمير في علموا عائد على

الشياطين او الملكين قال ان اولئك علموا ان لا خلاق لمن اشتراه وهولاء
لم يعلموا انه على الحقيقة وقال مكي الضمير في علموا لعلما اهل الكتاب وفي قوله
لو كانوا يعلمون للمتعلمين منهم وقوله ولو انهم امنوا موضع ان رفع
المعنى لو وقع ايمانهم ويعني الذين اشتروا السحر ولو تقتضي جوابا فقال قوم
جوابها لمثوبة لانها مصدر يقع للمضي والاستقبال وجواب لو لا يكون
الا ماضيا او معناه وقال الاخفش لا جواب للو في هذه الاية مظهرا
ولكنه مقدر اي لو امنوا لاثيبوا وقرا قتادة وابو السمال وابن بريدة
لمثوبة بسكون الثاء وفتح الواو وهو مصدر ايضا كمشورة ومشورة
ومثوبة رفع بالابتدا وخير خبره والجملة خبر ان والمثوبة عند جمهور
الناس بمعنى الثواب والاجر وهذا هو الصحيح وقال قوم معناه
لرجعة الى الله من ثاب يثوب اذا رجع واللام فيها لام القسم لان لام
الابتدا مستغنى عنها وهذه لا غنا عنها وقوله لو كانوا يعلمون يحتمل
نفي العلم عنهم ويحتمل ان يراد لو كانوا يعلمون علما ينفع وقرا جمهور الناس
راعنا من المراعاة بمعنى فاعلنا اي ارعنا نرعك وفي هذا جفا ان يخاطب
به احد نبيه وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده وتعزيره وتوقيره
فقال من ذهب الى هذا المعنى ان الله تعالى نهى عنه لهذه العلة ولا مدخل
لليهود في الاية على هذا التاويل بل هو نهي عن كل مخاطبة فيها استوا
مع النبي عليه السلام وقالت طائفة هي لغة كانت الانصار تقولها
فقالها رفاعة بن زيد بن التابوت للنبي عليه السلام ليا بلسانه وطعنا
كما كان يقول اسمع غير مسمع فنهى الله المومنين ان تقال هذه اللفظة
قال ابو محمد ووقف هذه اللغة على الانصار تقصير بل هي لغة
جميع العرب فاعل من المراعاة فكانت اليهود تصرفها الى الرعونة يظهرون
انهم يريدون المراعاة ويبطنون انهم يريدون الرعونة التي هي الجهل وحكى

المهدوي عن قوم ان هذه الاية على هذا التاويل ناسخة لفعل قد كان مباحا
وليس في هذه الاية شروط النسخ لان الاول لم يكن شرعا متقررا وقرا الحسن
بن ابي الحسن وابن ابي ليلى وابن محيصن وابو حيوة راعنا بالتنوين وهذه من
معنى الجهل وهذا محمول على ان اليهود كانت تقوله فنهى الله المومنين عن
القول المباح سد ذريعة لئلا يتطرق منه اليهود الى المحظور اذ المومنون
انما كانوا يقولون راعنا دون تنوين وفي مصحف ابن مسعود راعونا وهي
شاذة ووجهها انهم كانوا يخاطبون النبي عليه السلام كما تخاطب الجماعة
يظهرون بذلك اكبارا وهم يريدون في الباطن فاعولا من الرعونة وانظرنا
مضمومة الالف والظا معناها انتظرنا وامهل علينا ويحتمل ان يكون
المعنى تفقدنا من النظر وهذه لفظة مخلصة لتعظيم النبي عليه السلام على
المعنيين والظاهر عندي استدعا نظر العين المقترن بتدبر الحال وهذا هو معنى
راعنا فبدلت للمومنين اللفظة ليزول تعلق اليهود وقرا الاعمش وغيره
انظرنا بقطع الالف وكسر الظا بمعنى اخرنا وامهلنا حتى نفهم عنك ونتلقى منك
واما نهي الله تعالى في هذه الاية وامر وحض بعد على السمع الذي في ضمنه الطاعة
واعلم ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما وهو المولم واسمعوا معطوف
على قولوا لا على معمولها **قوله تعالى** ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته
من يشا والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها الم تعلم ان الله على كل شي قدير المعنى ولا من المشركين وعم الذين
كفروا ثم بين اجناسهم من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان ليس في
الالف واللام في الذين انها ليست للعهد يراد بها معين ومعنى الاية ان ما
امرناكم به من ان تعظموا نبيكم خير من الله منحكم اياه وذلك لا يوده
الكفار ثم يتناول اللفظ كل خير غير هذا وان مع الفعل بتاويل المصدر

ومن

ومن زائدة في قول بعضهم ولما كان ود نزول الخير منتفيا قام ذلك مقام الجحد
الذي يلزم ان يتقدم من الزائدة على قول سيبويه والخليل واما الاخفش فيجيز
زيادتها في الواجب وقال قوم من للتبعيض لانهم يريدون ان لا ينزل على
المومنين من الخير قليل ولا كثير ولو زال معنى التبعيض لساغ لقائل ان يقول
نريد ان لا ينزل خير كامل ولا نكره ان ينزل بعض فاذا نفي ود نزول البعض
فذلك احرى في نزول خير كامل والرحمة في هذه الاية عامة لجميع انواعها
التي قد منحها الله عباده قديما وحديثا وقال قوم الرحمة هي القران وقال قوم
نبوة محمد عليه السلام وهذه اجزا الرحمة العامة التي في لفظ الاية وقوله
تعالى ما ننسخ من اية او ننسها الاية النسخ في كلام العرب على وجهين
احدهما النقل كنقل كتاب من اخر والثاني الازالة فاما الاول
فلا مدخل له في هذه الاية وورد في كتاب الله تعالى انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون واما الثاني الذي هو الازالة وهو الذي في هذه الاية وهو
منقسم في اللغة على ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت
الشمس الظل والاخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الاثر وورد النسخ
في الشرع حسب هذين الضربين والناسخ حقيقة هو الله تعالى ويسمى
الخطاب الشرعي ناسخا اذ به يقع النسخ وحد الناسخ عند حذاق اهل
السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه
لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه والنسخ جائز على الله تعالى عقلا لانه ليس
يلزم عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة
بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله
تعالى يعلم الى اي وقت ينتهي امره بالحكم الاول ويعلم نسخه له بالثاني والبدا
لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغير ارادة وذلك محال
في جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا ولذلك لم يجوزوه

فضلوا والمنسوخ عند ايمتنا الحكم الثابت نفسه لا ما ذهبت اليه المعتزلة
من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذي قادهم الى ذلك مذهبهم في ان
الاوامر ارادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله حسن وقد قامت الادلة
على ان الامر لا يرتبط بالارادة وعلى ان الحسن والقبح في الاحكام انما هو من جهة
الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص
لم يتناوله العموم قط ولو ثبت قطعا تناول العموم لشيء ما ثم اخرج ذلك الشيء عن
العموم لكان نسخا لا تخصيصا والنسخ لا يجوز في الاخبار وانما هو مخصوص بالاوامر
والنواهي **ورد** بعض المعترضين الامر خبرا من قال ليس معناه واجب عليكم ان
تفعلوا كذا فهو خبر **والجواب** ان يقال في ضمن المعنى الا ان انسخه
عنكم وارفعه فكما يتضمن لفظ الامر ذلك الاضمار كذلك يتضمن هذا الاستثنا
وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الاثقل الى الاخف كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت
لاثنين وقد ينسخ الاخف الى الاثقل كنسخ يوم عاشورا والايام المعدودة برمضان
وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة كالقبلة وقد ينسخ الشيء لا الى بدل كصدقة
النجوى والنسخ التام ان ينسخ التلاوة والحكم وذلك كثير ومنه قول ابي
بكر الصديق رضي الله عنه كنا نقرا لا ترغبوا عن اباكم فانه كفر وقد ينسخ التلاوة
دون الحكم كاية الرجم وكقوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ
احدهما دون الاخر ونسخ القران بالقران والسنة بالسنة وهذه العبارة
مراد بها الخبر المتواتر القطعي وينسخ خبر الواحد بخبر الواحد وهذا كله متفق
عليه وحذاق الامة على ان القران ينسخ بالسنة وذلك موجود في قوله عليه
السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر مسائل مالك وابى ذلك الشافعي والحجة عليه
من قوله اسقاطه الجلد في حد الزنا عن الثيب الذي يرجم فانه لا مسقط لذلك
الا السنة فعل النبي عليه السلام وكذلك للحذاق الاجماع على ان السنة تنسخ

بالقران

بالقران وذلك موجود في القبلة فان الصلاة الى الشام لم يكن قط في كتاب الله
وفي قوله فلا ترجعوهن الى الكفار فان رجوعهن انما كان بصلح النبي عليه السلام
لقريش وللحذاق على تجويز نسخ القران بخبر الواحد عقلا واختلفوا هل
وقع ذلك شرعا فذهب ابو المعالي وغيره الى وقوعه في نازلة مسجد قباء في التحول
الى القبلة وابى ذلك قوم ولا يصح نسخ نص بقياس اذ من شروط القياس ان لا يخالف
نصا وهذا كله في مدة النبي عليه السلام واما بعد موته واستقرار الشرع ف
اجمعت الامة انه لا نسخ ولهذا كان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به اذ انعقاده
بعد النبي عليه السلام فاذا وجدنا اجماعا يخالف نصا فنعلم ان الاجماع استند
الى نص ناسخ لا نعلمه نحن وقال بعض المتكلمين النسخ الثابت متقرر في جهة كل احد
علم الناسخ او لم يعلمه والذي عليه الحذاق انه من لم يبلغه الناسخ فهو متعبد بالحكم
الاول فاذا بلغه الناسخ طرا عليه حكم النسخ والحذاق على جواز نسخ الحكم قبل
فعله وهو موجود في كتاب الله تعالى في قصة الذبح وقرا جمهور الناس ما ننسخ
بفتح النون من نسخ وقرات طايفة ما ننسخ بضم النون من انسخ وبها قرا ابن عامر
وحده من السبعة قال ابو علي الفارسي ليست لغة لانه لا يقال نسخ وانسخ بمعنى
ولا هي للتعدية لان المعنى يجي ما نكتب من اية اي ما ننزل فيجي القران كله على هذا
منسوخا وليس الامر كذلك فلم يبق الا ان يكون المعنى ما نجده منسوخا كما
تقول احمدت الرجل وابخلته بمعنى وجدته محمودا او بخيلا قال ابو علي وليس
نجده منسوخا الا بان ننسخه فيتفق القراءتان في المعنى وان اختلفتا في اللفظ
وقد خرج قراءة هذه القراءة المعنى على وجهين احدهما ان يكون
المعنى ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ او ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله اي ذلك
فعلنا فانا نأتي بخير من المؤخر المتروك او بمثله فيجي الضميران في منها ومثلها عائدين
على الضمير في ننساها والمعنى الاخر ان يكون ننسخ من النسخ بمعنى الازالة ويكون
التقدير ما ننسخك اي نبيح لك نسخه كانه لما نسخه الله اباح لنبيه تركه بذلك

النسخ وسمي بذلك لاباحته انساخا وما شرطيه وهي مفعوله بتنسخ وتنسخ
جزم بالشرط واختلف القراء في قوله ننسها فقرا نافع وحمزه والكساي وعاصم وابن
عامر وجمهور من الناس ننسها بضم النون الاولى وسكون الثانيه وكسر السين
وترك الهمزه وهذه من انسي المنقول من نسي وقراتها فرقه كما تقدم الا
انها همزت بعد السين فهذه بمعنى التاخير يقول العرب انسا الله الدين وغيره
انسيته انساء اذا اخرته وقرات طايفه او ننسها بفتح النون وسكون الثانيه
وفتح السين وهذه بمعنى الترك ذكرها مكي ولم ينسبها وذكرها ابو عبيد البكري
في كتاب اللالي عن سعد بن ابي وقاص واراه وهم وقرا سعد بن ابي وقاص او
تنسها بتاء على مخاطبه النبي عليه السلام ونون بعدها ساكنه وفتح السين هكذا
قال ابو الفتح وابو عمرو الداني فقيل لسعد ان سعيد بن المسيب يقروها
بنون اولى مضمومه وسين مكسوره فقال ان القوم لم ينزل على المسيب ولا
على ال المسيب وتلا سنقريك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت
وقرا سعد بن المسيب فيما ذكر عنه ايضا او تنسها بضم التاء اولا وفتح
السين وسكون النون بينهما وهذه من النسيان وقرا الضحاك ابن مزاحم
وابو رجاء ننسها بضم النون الاولى وفتح الثانيه وسين مكسوره مشدده
وهذه ايضا من النسيان وقرا عمر بن الخطاب وابن عباس وابرهيم النخعي
وعطاء بن ابي رباح ومجاهد وعبيد بن عمير وابن كثير وابو عمرو ننساها
بنون مفتوحه واخرى بعدها ساكنه وسين مفتوحه والف بعدها مهموزه
وهذه من التاخير يقول العرب نسات الابل عن الحوض انساها نسا اي
اخرتها وكذلك يقال انسا الابل اذا اراد في ظميها يوما او يومين او اكثر من
ذلك معنى اخرها من الورود وقرات فرقه مثل هذه القراه الا انها بتاء مفتوحه
اولا على مخاطبه النبي صلى الله عليه وسلم واسناد الفعل اليه وقرا ابو حيوه
مثل ذلك الا انه ضم التاء اولا وقرا ابي بن كعب او ننسك بضم الاولى وكسر

الثانيه

الثانيه وسين مكسوره وكاف مخاطبه وفي مصحف سالم مولى ابي حذيفه
او ننسكها مثل قراءه ابي الا انه زاد ضمير الايه وقرا الاعمش ما ننسك
من ايه او ننسخها نجي بمثلها وهكذا ثبت في مصحف عبد الله بن مسعود
قال ابو محمد وهذه القراات لا تخلو كل واحده منها ان تكون
من النسي او الانساء بمعنى التاخير او تكون من النسيان والنسيان في كلام
العرب يجي في الاغلب ضد الذكر وقد يجي بمعنى الترك فالمعاني الثلاثه
مقوله في هذه القراات فما كان منها يترتب في لفظه النسيان الذي هو ضد
الذكر فمعنى الايه ما ننسخ من ايه او نقدر نسيانك فتنساها حتى
جمله وتذهب فانا ناتي بما هو خير منها لكم او مثله في المنفعه وما كان من
هذه القراات يحمل على معنى الترك فان الايه معه يترتب فيها اربعه معان
احدها ما ننسخ على وجوه النسخ او نترك غير منزل عليك فانا لا بد ان
ننزل رفقا بكم خيرا من ذلك او مثله حتى لا ينقص الدين عن حد كماله والمعنى
الثاني او نترك تلاوته وان رفعنا حكمه فيجي النسخ على هذا رفع التلاوه
والحكم والمعنى الثالث او نترك حكمه وان رفعنا تلاوته فالنسخ على
هذا ايضا رفع التلاوه والحكم والمعنى الرابع او نتركها غير منسوخه
الحكم ولا التلاوه فالنسخ على هذا المعنى هو على جميع وجوهه ويجي
الضميران في منها او مثلها عايدين على المنسوخه فقط وكان الكلام ان
نسخنا او ابقينا فانا ناتي بخير من المنسوخه او مثلها وما كان من هذه
القراات يحمل على معنى التاخير فان الايه معه يترتب فيها المعاني الاربعه
التي في الترك اولها ما ننسخ او نوخر انزاله والثاني ما ننسخ النسخ الاكمل
او نوخر حكمه وان ابقينا تلاوته والثالث ما ننسخ النسخ الاكمل او
نوخر تلاوته وان ابقينا حكمه والرابع ما ننسخ او نوخره مثبتا لا ننسخه
ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك وبعض هذه المعاني اقوى من بعض

لكن ذكر معنى الترك جميعها لانها تحتمل وقد قال جميعها العلماء اما
نصًّا واما اشارة فكملناها وقال الزجاج ان القراءة ننسها بضم
النون وسكون الثانية وكسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك لانه لا يقال انسي
بمعنى ترك وقال ابو علي وغيره ذلك متجه لانه بمعنى نجعلك تتركها وكذلك
ضعّف الزجاج ان تحمل الاية على النسيان الذي هو ضد الذكر وقال ان هذا
لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نسي قرانا وقال ابو علي وغيره ذلك جائز وقد
وقع ولا فرق بين رفع الاية بنسخ او بتنسية واحتج الزجاج بقوله تعالى
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اي لم نفعل قال ابو علي معناه لم نذهب
بالجميع **قال ابو محمد** على معنى ازالة النعمة كما توعد وقد حكى الطبري
القول عن اقدم من الزجاج ورد عليه والصحيح في هذا ان نسيان النبي عليه
السلام لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يثبت قرانا جائز فاما النسيان الذي
هو افة في البشر فالنبي عليه السلام معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ
ما لم يحفظه احد من اصحابه واما بعد ان يحفظ فجائز عليه ما يجوز على
البشر لانه بلغ وادى الامانة ومنه الحديث حين اسقط اية فلما فرغ من
الصلاة قال ابي القوم ابي قال نعم يا رسول الله فقال فلم لم تذكرني قال حسبت
انها رفعت فقال النبي عليه السلام لم ترفع ولكني نسيتها ولفظة خير في
الاية صفة تفضيل والمعنى بانفع لكم ايها الناس في عاجل ان كانت الناسخة
اخف وفي اجل ان كانت اثقل وبمثلها ان كانت مستوية وقال قوم خير في
الاية مصدر ومن لابتداء الغاية **قال ابو محمد** ويعلو هذا القول
قوله تعالى او مثلها الا ان يعطف المثل على الضمير في منها دون اعادة حرف
الجر وذلك معترض وقوله تعالى الم تعلم ان ظاهره الاستفهام ومعناه
التقرير والتقرير يحتاج الى معادل كالاستفهام المحض فالمعادل هنا
على قول جماعة ام تريدون وقال قوم ام هنا منقطعة فالمعادل على قولهم

محذوف تقديره ام علمتم وهذا كله على ان المقصود بمخاطبة النبي عليه السلام
مخاطبة امته واما ان كان هو المخاطب وحده فالمعادل محذوف لا غير
وكلا القولين مروي وفي معنى الاية ان الله تعالى ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء ويفعل
في احكامه ما شاء هو قدير على ذلك وعلى كل شيء وهذا لانكار اليهود النسخ
وقوله على كل شيء عموم والشيء في كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل على
المبالغة من قدر يقدر بفتح العين يقدر بكسرها ومن العرب من يقول قدر بكسر العين
يقدر بفتحها **قوله عز وجل** الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسالوا رسولكم
كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند
انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على
كل شيء قدير الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع الضمير في لكم
دال على ان المراد خطاب النبي عليه السلام خطاب امته والولي فعيل من ولي اذا
جاور ولصق فالناصر والمعين والقائم بالامر والحافظ له كلهم مجاور بوجه
ما والنصير فعيل من النصر وهو اشد مبالغة من ناصر وقوله تعالى ام تريدون
قالت فرقة ام رد على الاستفهام الاول فهي معادلته وقالت فرقة ام
استفهام مقطوع من الاول كانه قال اتريدون وهذا موجود في كلام
العرب وقالت فرقة ام هنا بمعنى بل والف الاستفهام قال مكي وغيره
هذا يضعف لان ام لا تقع بمعنى بل الا اذا اعترض المتكلم بشك فيما يورده
قال ابو محمد وليس كما قال مكي لان بل قد تكون للاضراب عن اللفظ الاول
لا عن معناه وانما يلزم ما قال على احد معنيي بل وهو الاضراب عن اللفظ
والمعنى ونعم ما قال سيبويه بل للترك الكلام واخذ في غيره وقال ابو
العالية ان هذه الاية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي عليه السلام ليت

ذنوبنا حرج مجرى ذنوب بني اسرائيل في تعجيل العقوبة في الدنيا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قد اعطاكم الله خيرا مما اعطى بني اسرائيل وتلا ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما **قال ابو محمد** فهي اضافة
الرسول الى الامة على هذا بحسب الامر في نفسه وحسب اقرارهم وقال ابن عباس
ان رافع بن حريملة اليهودي سال النبي عليه السلام بتحجير عيون وغير ذلك
وقيل ان كفار قريش سالوا النبي عليه السلام ان ياتيهم بالله جهرة وقيل
سالوه ان ياتي بالله والملائكة قبيلا وقال مجاهد سالوه ان يرد الصفا
ذهبا فقال لهم نعم وهو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ونكصوا **قال
ابو محمد** فهي على هذه الاقوال اضافة الرسول اليهم حسب الامر في
نفسه لا على اقرارهم وما سيل موسى عليه السلام هو ان يرى الله جهرة وقرا
الحسن بن ابي الحسن وغيره سيل بكسر السين وياء وهي لغة يقال سلت اسال
ويحتمل ان يكون من همز ابدل الهمزة ياء على غير قياس ثم كسر السين من اجل اليا
وقرا بعض القرا بتسهيل الهمزة بين الهمزة والياء مع ضم السين وكنى عن الاعراض
عن الايمان والاقبال على الكفر بالتبدل وقال ابو العالية الكفر هنا
الشدة والايمان الرخا **قال ابو محمد** وهذا ضعيف الا ان يريد انهما
مستعارتين اي الشدة على نفسه والرخا لما عبارة عن العذاب او التنعيم
واما المتعارف فمن شدة امور الدنيا ورخايها فلا يفسر الاية به وضل اخطا
الطريق والسواء من كل شي الوسط والمعظم ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم
وقال عيسى بن عمر كتبت حتى انقطع سواي **وقال حسان بن ثابت يرثي النبي
السلام على ما ذكر السخاوي وغيره** يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد
وقال ابو عبيدة هو حيي بن اخطب وهو عندي ومنه والسبيل عبارة عن
الشريعة التي انزلها الله لعباده فلما كانت كالسبب الى نيل رحمته كانت كالسبيل
اليها وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب ود كثير مفعول يود وهو نعت

لنكره

لنكره وحذف الموصوف النكرة قلق ولكن جاز هنا لانها صفة متمكنة
موقع الاشكال منزلة فريق قال الزهري عنى كثير واحد وهو كعب بن الاشرف
وهذا الحامل وقوله يردونكم يرد عليه وقال ابن عباس المراد بها حيي بن اخطب
حيي وابو ياسر **قال ابو محمد** وفي الفصل الاسبع فيجي العبارة متمكنة والكتاب
هنا التوراة ولو هنا منزلة ان لا يحتاج الى جواب وقيل جوابها في ود لو يردونكم
لو دوا ذلك **قال ابو محمد** ذاله على الجواب لان من شرطه ان يكون
مستاخرا عن لو وكفارا مفعول ثان ويحتمل ان يكون حالا وحسدا مفعول له وقيل
هو مصدر في موضع الحال واختلف في تعلق قوله من عند انفسهم فقيل
يتعلق بود لانه بمعنى ودوا وقيل يتعلق بقوله حسدا فالوقف على قوله كفارا
والمعنى على هذين القولين انهم لم يجدوا ذلك في كتاب ولا امروا به فهو من
تلقايهم ولفظة الحسد تعطي هذا فجاء من عند انفسهم تاكيدا والزاما كما قال
تعالى يقولون بافواههم ويكتبون الكتاب بايديهم ولا طاير يطير بجناحيه وقيل
يتعلق بقوله يردونكم فالمعنى انهم ودوا الردة بان يكون من تلقايهم اي باغوايهم
وتزيينهم واختلف في سبب هذه الاية فقيل ان حذيفة ابن اليمان وعمار بن
ياسر اتيا بيت المدراس فاراد اليهود صرفهم عن دينهم فثبتا عليه
وقيل انما هذه الاية تابعة في المعنى لما تقدم من نهي الله عن متابعة
اقوال اليهود في راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل خير ويودون ان
يردوا المومنين كفارا والحق المراد في هذه الاية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وصحة ما المسلمون عليه وهذه الاية من الظواهر في صحة الكفر عنادا
واختلف اهل السنة في جواز ذلك والصحيح عندي جوازه عقلا وبعده وقوعا
ويترتب في كل اية بعضه ان المعرفة تسلب في ثاني حال من العناد
والعفو ترك العقوبة وهو من عفت الاثار والصفح الاعراض عن المذنب
كانه يولي صفحة العنق وقال ابن عباس هذه الاية منسوخة بقوله

تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا
اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا في نفس الامر كان
التوقيف على مدته قال ابو محمد وهذا على من جعل الامر المشترط اوامر
الشرع او قتل قريظه واجلا النضير ولما من جعله لحال بني ادم فيدخل
النسخ في هذه الايه بعينها لانه لا تختلف ان ايات الموادعه المطلقه
قد نسخت كلها والنسخ هو مجي الامر في هذه الغايه وقيل مجي الامر هو
فرض القتال وقيل قتل قريظه واجلا النضير وقال ابو عبيد في هذه
الايه انها منسوخه بالقتال لان كل ايه فيها ترك القتال فهي مكيه منسوخه
قال ابو محمد وحكمه بان هذه الايه مكيه ضعيف لان معاندات
اليهود انما كانت بالمدينه وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير مقتضله
في هذا الموضع وعد للمومنين قوله تعالى واقيموا الصلاه
واتوا الزكاه وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون
بصير وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى
على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي وهم يتلون الكتاب قال فرقه
من الفقها ان قوله تعالى واقيموا الصلاه عموم وقالت فرقه هو من مجمل القران
والمرجح ان ذلك عموم من وجه ومجمل من وجه فعموم من حيث الصلاه الدعا
فحمله على مقتضاه ممكن وخصصه الشرع بهيات وافعال واقوال ومجمل من حيث
الاوقات وعدد الركعات لا يفهم من اللفظ بل السامع فيه مفتقر الى
التفسير وهذا كله في اقيموا الصلاه واما الزكاه فمجمله لا غير وقال الطبري
انما امر الله هنا بالصلاه والزكاه لتحط ما تقدم من ميلهم الى قول
اليهود راعنا لان ذلك نهي عن نوعه امر المومنين بما يحطه والخبر المقدم

منقص

منقص لانه فعل بمعنى تجدوه وتجدوا ثوابه وجزاه وذلك
عند الله وجوده وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر في اللفظ معناه
الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا
وقال النصارى لن يدخل الجنه الا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق
نوعيهم على تفرق قولهم وهذا هو الايجاز واللف وهود جمع هايد مثل
عايد وعوذ ومعناه التايب الراجع ومثله في الجمع بازل وبزل وحايل وحول
وباير وبور وقيل هو مصدر يوصف به الواحد والجميع كفطر وعدل ورضى
وقال الفرا اصله يهود فحذفت ياه على غير قياس وقرا ابي بن كعب الا من
كان يهوديا او نصرانيا وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم امنيه وهم قطعوا
قبل بقوله فتمنوا الموت وامر محمدا صلى الله عليه وسلم بدعايهم الى اظهار
البرهان وقيل ان هاتي هاتوا اصليه من هاتا يهاتي وامت نصرف
هذه اللفظه كلها الا مومنه وقيل هي عوض من همزه اتي وقيل ها
تنبيه والوصل همزة اتي الحذف والبرهان الدليل الذي يوقع اليقين
قال الطبري طلب الدليل هنا يقضي باثبات النظر ويرد على من ينفيه
وقول اليهود لن تمي حسنت بعده بلى اذ هي رد بالايجاب في جواب النفي
حرف مرتجل لذلك وقيل هي بل زيدت عليها اليا لتزيل عنها حد النسق الذي
في بل واسلم معناه استسلم وخضع ودان ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل
واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا ... وخص الوجه
بالذكر لانه اشرف ما يلي من الانسان وموضع الحواس وفيه يظهر العز
والذل ولذلك يقال وجه الامر اي معظمه واشرفه قال الاعشى
واول الحكم على وجهه ليس قضاي بالهوى الجاير ويصح ان يكون الوجه
في هذه الايه المقصد وهو محسن جمله في موضع الحال وعاد الضمير في له
على لفظ من وكذلك في قوله اجره وعاد في عليهم على المعنى وكذلك في

يجوّزون وقرأ ابن محيصن فلا خوف بحذف الالف واللام والخوف لما هو متوقع والحزن هو لما قد وقع وقوله تعالى وقالت اليهود الاية معناه ادّعى كل فريق انه احق برحمة الله من الاخر وسبب الاية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي صلى الله عليه وسلم فتسابوا وكفر اليهود بعيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة **قال ابو محمد** وفي هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وصحة نبوته وكلاهما تضمن صدق محمد عليه السلام فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفي كتبهم خلاف ما قالوا وفي قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد عليه السلام على ملازمة القرآن والوقوف عند حدوده كما قال الحبر فيس في عمر بن الخطاب وكان وقافا عند كتاب الله والكتاب الذي يتلونه قيل التوراة والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل التوراة لان النصارى تمتثلها فالالف واللام للعهد **قوله تعالى** كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم اختلف في المراد بقوله لا يعلمون فقال الجمهور عنى بذلك كفار العرب لانهم لا كتاب لهم وقال عطاء المراد امم كانت قبل اليهود والنصارى وقال قوم المراد اليهود وكانه اعيد قولهم **قال ابو محمد** وهذا ضعيف واخبرهم الله تعالى بانه يحكم بينهم والمعنى بان يثيب من كان على شيء اي شيء حق ويعاقب من كان على غير شيء وقال الزجاج المعنى يريهم عيانا من يدخل الجنة ومن يدخل النار ويوم القيامة سمي بذلك لقيام الناس من القبور اذ لكم مبدا الجمع ملى اليوم

يوم القيامة

وفي

وفي الاستمرار بعده وقوله كانوا بصيغة الماضي حسن على من اعاد يوم الحكم وليس هذا من موضع الماضي موضع المستقبل لان اختلافهم ليس في ذلك اليوم بل في الدنيا وقوله تعالى ومن اظلم الاية من رفع بالابتداء واظلم خبره والمعنى لا احد اظلم واختلف في المشار اليه من هذا الصنف الظالم فقال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلي ببيت المقدس ويطرحون فيه الاقذار وقال قتادة والسدي المراد الروم الذين اعانوا بخت نصر على تخريب بيت المقدس حين قتلت بنو اسرائيل يحيى بن زكرياء عليه السلام وقيل المعني بخت نصر وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه الاية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيامة او خرب مدينة اسلام لانها مساجد وان لم يكن موقوفة اذ الارض كلها مسجد لهذه الامة والمشهور مسجد بكسر الجيم ومن العرب من يقول مسجد بفتحها وان يذكر في موضع نصب اما على تقدير حذف من وتسلط الفعل واما على البدل من المساجد وهو بدل الاشتمال الذي شان البدل فيه ان يعلو بالمبدل منه ويختص به او يقوم به صفة ويجوز ان يكون مفعولا من اجله ويجوز ان يكون في موضع خفض على اسقاط حرف الجر ذكره سيبويه ومن قال من المفسرين ان الاية بسبب بيت المقدس جعل الخراب الحقيقي الموجود ومن قال هي بسبب المسجد الحرام جعل منع عمارته خرابا اذ هو داع اليه ومن جعل الاية في النصارى روى انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصراني بيت المقدس الا اوجع ضربا قاله قتادة والسدي ومن جعلها في قريش قال كذلك نودي بامر النبي عليه السلام لا يحج مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وهذا لانه ليس بامر من منعهم من المساجد لكنها نظرة الى ذلك وبراءة فيها وعد للمومنين ووعيد للكافرين ومن جعل الاية في النصارى قال الخزي قتل الحربي والجزية للذمي وقيل الفتوح الكائنة

في الاسلام كمعموريه وهرقله وغير ذلك ومن حملها في فرس حمل الخزي عليهم في الفتح وقتلهم والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافرا وخزي رفع بالابتدا وخبره في المجرور والمشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب اي انهما له ملك وما بينهما من الجهات والمخلوقات وخصهما بالذكر وان كانت جملة المخلوقات كذلك لان سبب الاية اقتضى ذلك واينما شرط وتولوا الجزم به والجواب في قوله فثم والمعنى فاين ما تولوا الوجوه واليه لان ولي ان كان غالب استعمالها الادبار فانها تقتضي انه يقبل الى ناحية تقول وليت عن كذا والى كذا وقرا الحسن تولوا بفتح التا واللام وثم مبنية على الفتح وهي في موضع نصب على الظرف ووجه الله معناه وجهه اليه كما تقول سافرت في وجه كذا اي في جهة كذا واختلف الناس في تاويل الوجه الذي جاء مضافا الى الله تعالى في مواضع من القران فقال الحذاق ذلك راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز كلام العرب اذ كان الوجه اظهر الاعضا في الشاهد واجلها قدرا وقال بعض الايمة تلك صفة ثابتة بالسمع زايدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى وضعف ابو المعالي هذا القول ويتجه في بعض المواضع كهذه الاية ان يراد بالوجه الجهة التي فيها رضاه وعليها ثوابه كما تقول تصدقت لوجه الله تعالى ويتجه في هذه الاية خاصة ان يراد بالوجه الجهة التي وجهنا اليها في القبلة حسب ما ياتي في احد الاقوال وقال ابو منصور في المقنع يحتمل ان يراد بالوجه هنا الجاه كما تقول فلان وجه القوم اي موضع شرفهم فالتقدير فثم جلال الله وعظمته واختلف المفسرون في هذه الاية فقال قتادة اباح الله لنبيه عليه السلام بهذه الاية ان يصلي المسلمون حيث شاوا فاختار النبي عليه السلام بيت المقدس حينيذ ثم نسخ ذلك كله بالتحول الى الكعبة وقال مجاهد والضحاك معناها اشارة الى الكعبة اي حيث كنتم من المشرق والمغرب فانتم قادرون على التوجه الى الكعبة

التي

التي هي وجه الله الذي وجهكم اليه **قال ابو محمد** وعلى هذا فهي ناسخة لبيت المقدس وقال ابن زيد كانت اليهود قد استحسنت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وقالوا ما اهتدى الا بنا فلما حول الى الكعبة قالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي فنزلت ولله المشرق الاية وقال ابن عمر نزلت هذه الاية في صلاة النافلة في السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعي الاية عامة ايما تولوا في سفر فانكم ومساعيكم فثم وجه الله اي موضع رضاه وثوابه ووجهه رحمته التي يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيمن اجتهد في القبلة فاخطا وورد في ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة واعلموا اعلامات فلما اصبحوا راوا انهم قد اخطوا فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت هذه الاية وذكر قوم هذا الحديث على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مع القوم في السفر وذلك خطا وقال ايضا قتادة نزلت هذه الاية في النجاشي وذلك انه لما مات دعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى الصلاة عليه فقال قوم كيف نصلي على من لم يصل الى القبلة قط فنزلت هذه الاية ان النجاشي كان يقصد وجه الله وان لم يبلغه التوجه الى القبلة وقال ابن جبير نزلت الاية في الدعا لما نزلت ادعوني استجب لكم قال المسلمون الى اين ندعو فنزلت فاين ما تولوا فثم وجه الله وقال المهدوي وقيل هذه الاية متصلة في المعنى بالتي قبلها اي لا يمنعكم تخريب مسجد من اداء العبادات فان المسجد المخصوص للصلاة ان خرب فثم وجه الله موجود حيث توليتم وقال ايضا وقيل نزلت الاية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا انه يوسع على عباده في الحكم دينه يسر عليم بالنيات التي هي ملاك العمل وان اختلفت ظواهره في قبلة وما اشبهها **قوله تعالى**

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا
يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت
قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون قرا هذه الاية عامة القرا وقالوا
بواو تربط الجملة بالجملة او تعطف على سعى وقرا ابن عامر وغيره قالوا بغير
واو قال ابو علي وكذلك هي في مصاحف اهل الشام وحذف هذه الواو
يتجه من وجهين احدهما ان هذه الجملة مرتبطة في المعنى بالتي قبلها فذلك
يقتضي عن الواو والاخر ان تستانف هذه الجملة ولا يراعى ارتباطها بما تقدم
واختلف على من يعود الضمير في قالوا فقيل على النصارى لانهم قالوا المسيح
ابن الله **قال ابو محمد** وذكرهم اشبه بسياق الاية وقيل على
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله وقيل على كفرة العرب لانهم قالوا الملائكة
بنات الله وسبحانه مصدر معناه تنزيها لله وتبرئة مما قالوا وما رفع بالابتدا
والخبر في المجرور او بالاستقرار المقدر اي كل ذلك له ملك والذين قالوا
ان الله اتخذ ولدا داخل في جملة ما في السموات والارض ولا يكون الولد الا
من جنس الوالد لا من المخلوقات المملوكات والقنوت في اللغة الصلاة
ومعنى الاية ان المخلوقات كلها تقنت لله اي تخشع وتطيع والكفار
والجمادات قنوتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد
ظله وهو كاره وبديع مصروف من مبدع كبصير من مبصر ومثله قول عمرو
بن معدي كرب امن ريحانة الداعي السميع يريد المسمع والمبدع
المخترع المنشي ومنه اصحاب البدع ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في صلاة رمضان نعمت البدعة هذه وخص السموات بالذكر لانها اعظم
ما يرى من مخلوقاته جل وعلا وقضى معناه قدر وقد يجي بمعنى امضى ويتجه
في هذه الاية المعنيان فعلى مذهب اهل السنة قدر في الازل وامضى فيه وعلى

مذهب

مذهب المعتزلة امضى عند الخلق والايجاد والامر واحد الامور وليس
هنا بمصدر امر يامر ويكون رفع على الاستيناف قال سيبويه معناه
فهو يكون وقال غيره يكون عطف على يقول واختاره الطبري وقرره وهو خطا
من جهة المعنى لانه يقتضي ان القول مع التكوين والوجود وتكلم ابو علي الفارسي
في هذه المسئلة بما هو فاسد من جهة الاعتزال لا من جهة العربية
وقرا ابن عامر فيكون بالنصب وضعفه ابو علي ووجهه مع ضعفه
على ان يشفع له شبه اللفظ وقال احمد بن موسى في قراءة ابن عامر هذا
لحن **قال ابو محمد** لان الفاء لا تعمل في جواب الامر الا اذا كانا
فعلين مطرد فيهما معنى الشرط تقول اكرم زيدا فيكرمك والمعنى ان
تكرم زيدا يكرمك وفي هذه الاية لا يتجه هذا لانه يجي تقديره ان
يكن يكن ولا معنى لهذا والذي يطرد فيه معنى الشرط هو ان يختلف
الفاعلان او الفعلان فالاول اكرم زيدا فيكرمك والثاني الزم زيدا
فيسودك وتلخيص المعتقد في هذه الاية ان الله عز وجل لم يزل امرا للمعدومات
بشرط وجودها قادرا مع تاخر المقدورات عالما مع تاخر وقوع المعلومات
فكل ما في الاية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المامورات اذ المحدثات
تجي بعد ان لم تكن وكل ما يسند الى الله عز وجل من قدرة وعلم وامر فهو
قديم لم يزل ومن جعل من المفسرين قضى بمعنى امضى عند الخلق والايجاد
فكان اظهار المخترعات في اوقاتها المؤجلة لها كن اذ التامل يقتضي
ذلك على نحو قول الشاعر وقالت الاقراب للبطن الحق **قال ابو محمد**
وهذا كله يجري مع قول المعتزلة والمعنى الذي تقتضيه عبارة كن هو قديم
بالذات والوضوح التام في هذه المسئلة يحتاج اكثر من هذا البسط وقوله
تعالى وقال الذين لا يعلمون الاية قال الربيع والسدي كفار العرب
قال ابو محمد وقد طلب عبد الله بن ابي امية وغيره من النبي عليه السلام

نحو هذا انتفى عنهم العلم لانهم لا كتاب عندهم ولا اتباع نبوة وقال مجاهد
هم النصارى لانهم المذكورون في الاية اولا ورجحه الطبري وقال ابن
عباس المراد من كان على عهد النبي عليه السلام من اليهود لان رافع بن
حرملة قال للنبي عليه السلام اسمعنا كلام الله وقيل الاشارة بقوله لا
يعلمون الى جميع هذه الطوائف لان كلهم قال هذه المقالة او نحوها
ويكون الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ولولا تحضيض بمعنى هلا
كما قال **الاشهب بن رميلة**

تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وليست هذه لولا التي تعطي منع الشي لوجوب غيره وفرق بينهما ان هذه في التحضيض
لا يليها الا الفعل مظهرا او مقدرا وعلى بابها في المنع للوجوب يليها
الابتدا وجرت العادة بحذف الخبر والاية هنا العلامة الدالة وقد تقدم
القول في لفظها والذين من قبلهم اليهود والنصارى في قول من جعل
الذين لا يعلمون العرب او النصارى واليهود وهم اليهود نعت لمصدر محذوف
ويصح ان يعمل فيه قال وتشابهت القلوب هنا هي في طلب ما لا يصح او في الكفر
وان اختلفت ظواهرهم وقرا ابن ابي اسحق وابو حيوة تشابهت بشد
الشين قال ابو عمرو الداني وذلك غير جائز لانه فعل ماض وقوله تعالى
قد بينا الايات لقوم يوقنون لما تقدم ذكر الذين اضلهم الله حتى كفروا
بالانبيا وطلبوا ما لا يجوز لهم اتبع ذلك بذكر الذين بين لهم ما ينفع ويقوم
به الحجة لكن البيان وقع وتحصل للموقنين فلذلك خصهم بالذكر ويحتمل ان
يكون المعنى قد بينا البيان الذي هو خلق الهدى فكان الكلام قد هدينا من
هدينا واليقين اذا اتصف به العلم خصصه وبلغ به نهاية الوثاقة وقوله
تعالى بينا قرينة تقتضي ان اليقين صفة لعلمهم وقرينة اخرى وهي ان الكلام
مدح لهم واما اليقين في استعمال الفقهاء اذا لم يتصف به العلم فانه احط من

العلم

العلم لان العلم عندهم معرفة المعلوم على ما هو به واليقين معتقد يقع للموقن
في حقه والشي على خلاف معتقده ومنه قول مالك رحمه الله في الموطا في مسئلة
الحالف على الشي يتيقنه والشي في نفسه على غير ذلك **قال ابو محمد**
واما حقيقة الامر فاليقين هو الاخص وهو ما علم على الوجه الذي لا يمكن
ان يكون الا عليه **قوله تعالى** انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان
هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواهم بعد الذي جاك من العلم ما لك من الله
من ولي ولا نصير الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون به ومن
يكفر به فاولئك هم الخاسرون المعنى بشيرا لمن امن ونذيرا لمن كفر
وقرا نافع وحده ولا تسئل بالجزم على النهي وفي ذلك معنيان احدهما الا
تسئل عن جهة التعظيم لحالهم من العذاب كما تقول فلان لا تسئل عنه تعني انه
في نهاية تشهره من خير او شر والمعنى الثاني روي فيه ان النبي عليه السلام
قال ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت ولا تسئل وحكى المهدوي ان النبي
عليه السلام قال ليت شعري اي ابوي احدث موتا فنزلت **قال ابو محمد**
وهذا خطا ممن رواه او ظنه لان اباه مات وهو في بطن امه وقيل ابن شهر وقيل
ابن شهرين وماتت امه بعد ذلك بخمس سنين منصرفة من المدينة من زيارة
اخواله فهذا اما لا يتوهم انه خفي على النبي عليه السلام وقرا باقي السبعة
ولا تسئل بضم التاء واللام وقرا قوم ولا تسئل بفتح التاء وضم اللام ويتجه
في هاتين القراءتين معنيان احدهما الخبر انه لا يسئل عنهم او لا يسال هو عنهم
والاخر ان يراد معنى الحال كانه قال غير مسئول او غير سائل عنهم عطفا على
قوله بشيرا ونذيرا وقرا ابي بن كعب وما تسئل وقرا ابن مسعود ولن
تسئل وهاتان القراءتان تؤيدان معنى القطع والاستيناف في غيرهما والجحيم
احدى طبقات النار ويقال رضي يرضى رضى ورضى ورضوانا وحكي

مرضاً مستدّ ودّاً وقال ملتهم وهما ملتان مختلفتان معنى لن يرضى اليهود
حتى تتبع ملتهم فجمعهم لتجاز الا ان ذلك مفهوم والملة الطريقة وقد لخصت
اللفظة بالشرايع والدين وطريق مُملّ اي قد اثر المشي فيه وروي ان سبب هذه
الاية ان اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدنة
ووعدوه ان يتبعوه بعد مدة خداعا منهم فاعلمه الله ان اعطا الهدنة لا
تنفع عندهم واطلعه على سر خداعهم وقوله تعالى قل ان هدى الله
هو الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله الذي يضعه في قلب من يشاء هو
الهدى الحقيقي لا ما يدعيه هولاء ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام ولين
اتبعت اهواهم الاية فهذا شرط خوطب به النبي عليه السلام وامته معه
داخله فيه واهذا اجمع هذا ولما كانت مختلفة جمعت ولو حمل
على افراد الامه لقيل هواهم والولي الذي يتولى الاصلاح والحياطة والنصر
والمعونه ونصير بنا مبالغة في اسم الفاعل على من نصر وقوله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب الاية الذين رفع بالابتدا واتيناهم الكتاب صلة وقال
قتادة المراد بالذين في هذا الموضع من اسلم من محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب
على هذا التاويل القران وقال زيد المراد من اسلم من بني اسرائيل والكتاب على هذا
التاويل التوراة وانبياهم معناه اعطيناهم وقال قوم هذا مخصوص في
الاربعين الذين وردوا مع جعفر بن ابي طالب في السفينة فاثنى عليهم فاثنى الله
عليهم ويحتمل ان يراد بالذين العموم في موسى بن اسرائيل والمومنين من العرب
ويكون الكتاب اسم الجنس ويتلونه معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال الامر والنهي
وقيل يتلونه يقرونه حق قراءته وهذا ايضا يتضمن الاتباع والامتثال
ويتلونه اذا اريد بالذين الخصوص فمن اهتدى يصح ان يكون خبر الابتدا
ويصح ان يكون يتلونه في موضع الحال والخبر اولئك واذا اريد بالذين العموم
لم يكن الخبر الا اوليك ويتلونه حال لا يستغنى عنها وفيها الفايدة لانه

لوكان

لوكان الخبر في يتلونه لوجب ان يكون كل مومن يتلو الكتاب حق تلاوته
وحق مصدر والعامل فيه فعل مضمر وهو بمعنى افعل ولا تجوز اضافته الى
واحد معرف وانما جازت ههنا لان تعرف التلاوة باضافتها الى الضمير
ليس بتعريف محض وانما هو بمنزلة قولهم رجل واحد امه ونسيج وحده والضمير
في به عايد على الكتاب وقيل يعود على محمد عليه السلام لان متبعي التوراة
يجدونه فيها فيومنون به **قال ابو محمد** ويحتمل عندي ان يعود
الضمير على الهدى الذي تقدم وذلك انه ذكر كبار اليهود والنصارى في
اول الاية وحذر رسوله من اتباع اهواهم واعلمه بان هدى الله هو
الهدى الذي اعطاه وبشره بهم ذكر له ان المومنين التالين لكتاب الله
هم المومنون بذلك الهدى المقتدون بانواره والضمير في يكفر به يحتمل من
العود ما ذكر في الاول واولئك هم الخاسرون ابتدا وعماد وخبر او
وابتدا وابتدا وخبر والثاني وخبره خبر الاول والخسران نقصان الحظ
قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن
قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
قرا الحسن وغيره نعمتي بتسكين اليا تخفيفا لان اصلها التحريك كتحريك
الضماير لك وبكم حذفها الحسن لالتقاء وفي السبعة من تحرك اليا ومنهم
من يسكنها وان قدرنا فضله بني اسرائيل مخصوصة في كثرة الانبيا وغير
ذلك فالعالمون عموم مطلق وان قدرنا تفضيلهم على الاطلاق فالعالمون عالموا
زمانهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم افضل منهم بالنص وقد تقدم القول
على مثل هذه الاية التي قبله ينصرون ومعنى لا تنفعها شفاعة انه ليست ثم وليس
المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد وانما نفى ان يكون ثم شفاعة على حد ما هي

في الدنيا واما الشفاعه التي هي في تعجيل الحساب فليست بنافعه لهولا
الكفره في خاصتهم واما الاخيره التي هي باذن من الله في اهل المعاصي
من المومنين فهي بعد ان ياخذ حقه وليس لهولاء المتوعدين من الكفار منها
شي والعامل في اذ فعل تقديره واذكر اذ وابتلا معناه اختبر وابرهيم
يقال ان تفسيره بالعربيه اب رحيم وقرا ابن عامر في جميع سورة البقره
ابرهام وقدم على الفاعل للاعتنا اذ كون الرب مبتليا معلوم فانما يهتم
السامع بمن ابتلي وكون المفعول متصلا بالفاعل موجب تقديم المفعول
فانما بني الكلام على هذا الاهتمام واختلف اهل التاويل في الكلمات فقال ابن
عباس هي ثلثون منها هي الاسلام كله لم يتمه احد كاملا الا ابرهيم
عليه السلام عشره منها في براة التايبون العابدون الايه وعشره في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات وعشره في سال سايل وقال ابن عباس ايضا وقتاده
الكلمات عشر خصال خمس منها في الراس المضمضه والاستنشاق وقص
الشارب والسواك وفرق الراس وقيل بدل فرق الراس اعفا اللحيه وخمس في
الجسد تقليم الظفر وحلق العانه ونتف الابط والاستنجا بالما والاختتان
وقال ابن عباس ايضا هي عشر خصال ست في البدن واربع في الحج الختان وحلق
العانه ونتف الابط وتقليم الاظفار وقص الشارب والغسل يوم الجمعه
والطواف بالبيت والسعي ورمي الجمار والافاضه وقال الحسن بن ابي الحسن
هي الخلال الست التي امتحن الكوكب والقمر والشمس والنار والهجره والختان
بها
وقيل بدل الهجره الذبح وقالت طايفه هي مناسك الحج خاصه وروي ان
الله عز وجل اوحى اليه ان تطهر فتطهر ثم ان تطهر فاستنشق ثم ان تطهر فاستاك
ثم ان تطهر فحلق عانته ثم ان تطهر فاخذ من شاربه ثم ان تطهر فقلم اظفاره
ثم ان تطهر فاقبل على جسده ينظر ماذا يصنع فاختتن بعد مايه وعشرين سنه
قال ابو محمد وفي البخاري انه اختتن وهو ابن ثمانين سنه بالقدوم قال

الراوي فاوحى الله اليه اني جاعلك للناس اماما ياتمون بك في هذه الخصال
ويقتدي بك الصالحون قال ابو محمد وهذا اقوى الاقوال في تفسير
هذه الايه وعلى هذه الاقوال كلها فابرهيم هو الذي اتم وقال مجاهد
وغيره ان الكلمات هي ان الله عز وجل قال لابرهيم اني مبتليك بامر فما هو قال
تجعلني للناس اماما قال الله نعم قال ابرهيم تجعل البيت مثابه قال الله نعم قال
ابرهيم وامنا قال الله نعم قال وترينا مناسكنا وتتوب علينا قال الله نعم قال ابرهيم
تجعل هذا البلد امنا قال الله نعم وترزق اهله من الثمرات قال الله نعم قال
ابو محمد فعلى هذا القول فالله تعالى هو الذي اتم وقد طول المفسرون في
هذا وذكروا اشيا ضعيفه تركتها واختصرتها وانما سميت هذه الخصال كلمات لانها
اقترنت بها اوامر هي كلمات وروي ان ابرهيم لما اتم هذه الكلمات او اتمها
الله عليه كتب الله له براة من النار فذلك قوله تعالى وابرهيم الذي وفى والامام
القدوه ومنه قيل لخيط البنا امام وهو هنا اسم مفرد وقيل في غير هذا
الموضع هو جمع ام ووزنه فاعل اصلها امام فجي مثل قايم وقيام وجايع وجياع
ونايم ونيام وجعل الله تعالى ابرهيم اماما لاهل طاعته فلذلك اجمعت
الامم على الدعوى فيه والله اعلم انه كان حنيفا وقول ابرهيم عليه
السلام ومن ذريتي هو على جهه الرغبه الى الله اي ومن ذريتي يا رب فاجعل
وقيل هذا منه على جهه الاستفهام عنهم اي ومن ذريتي يا رب ماذا يكون
والذريه ماخوذه من ذرا يذروا او من ذرى يذري او من ذرا يذرا وهي افعال
تتقارب معانيها وقد طول في تعليلها ابو الفتح وغيره وقوله تعالى
قال لا ينال عهدي اي قال الله والعهد فيما قال قتاده الامان من عذاب الله
وقال الربيع والضحاك العهد الدين دين الله تعالى وقال ابن عباس معنى الايه
لا عهد عليك لظالم ان تطيعه ونصب الظالمين لان العهد ينال كما ينال وقرا
قتاده وابو رجا والاعمش الظالمون بالرفع فاذا اولنا العهد الدين او الامان

او ان لا طاعة لظالم فالظلم في الاية ظلم الكفر لان العاصي المومن ينال الدين
والامان من عذاب الله وتلزم طاعته اذا كان ذا امر واذا اولنا العهد النبوه
او الامامة في الدين فالظلم ظلم المعاصي فما زاد قوله تعالى واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل ان طهرا بيتي للطايفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر
قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبيس المصير قوله
واذ عطف على اذ المتقدمة والبيت الكعبة والمثابة يحتمل ان يكون من ثاب اذا
رجع لان الناس يثوبون اليها اي ينصرفون ويحتمل ان يكون من الثواب اي يثابون
هناك قال الاخفش دخلت الها فيها للمبالغة لكثرة من يثوب اي يرجع لانه
قل ما يفارق احد البيت الا وهو انه لم يقض منه وطرا فهي كنسابة وعلامة
وقال غيره هي هاء تانيث المصدر فهي مفعلة اصلها مثوبة نقلت حركة الواو
الى الثاء فانقلبت الواو الفا لانفتاح ما قبلها وقيل هو على تانيث البقعة كما يقال
مقام ومقامة وقرا الاعمش مثابات على الجمع وقال ورقة بن نوفل في الكعبة
مثاب لافناء القبايل كلها تخب اليها اليعملات الطلايح وامنا معناه
ان الناس يغيرون ويقتتلون حول مكة وهي امنة من ذلك يلقى الرجل قاتل ابيه
فلا يهيجه لان الله تعالى جعل لها في النفوس حرمة وجعلها امنا للناس والطير
والوحوش وخصص الشرع من ذلك الخمس الفواسق على لسان النبي عليه السلام
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وجمهور الناس واتخذوا بكسر
الخاء على جهة الامر قال انس بن مالك وغيره ومعنى ذلك ما روي عن عمر رضي
الله عنه انه قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي عسى ربه ان طلقكن
وقلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام
ابرهيم مصلى قال ابو محمد فهذا امر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال المهدوي

وقيل

وقيل ذلك عطف على قوله اذكروا فهذا امر لبني اسرايل وقال الربيع بن انس
ذلك امر لابرهيم ومتبعيه فهي من الكلمات كانه قال اني جاعلك للناس اماما
واتخذوا وذكر المهدوي ان ذلك عطف على الامر الذي يتضمنه قوله جعلنا
البيت مثابة لان المعنى ثوبوا وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على
جهة الخبر عمن اتخذه من متبعي ابرهيم وقال معطوف على قوله واذ جعلنا
دون تقدير اذ فهي جملة واحدة وعلى تقدير واذ جعلنا واختلف في مقام ابرهيم
فقال ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخاري الحجر الذي كان اسمعيل يناوله
اياها في بناء البيت وغرقت قدماه فيه وقال الربيع بن انس هو حجر ناولته
اياه امراته فاغتسل عليه وهو راكب جاءته من شق ثم من شق فغرقت رجلاه
فيه حين اعتمد عليه وقال فريق من العلما المقام المسجد الحرام وقال عطا
ابن ابي رباح المقام عرفة والمزدلفة والجمار وقال ابن عباس مقامه مواقف
الحج كلها وقال مجاهد مقامه الحرم كله ومصلى موضع صلاة هذا قول من
قال المقام الحجر ومن قال بغيره قال مصلى مدعا على اصل الصلاة وقوله تعالى وعهدنا
العهد في اللغة على اقسام هذا منها الوصية بمعنى الامر وان في موضع نصب
على تقدير بان وحذف الخافض وقال سيبويه انها بمعنى اي مفسرة فلا موضع
لها من الاعراب وطهرا قيل معناه ابنياه واسساه على طهارة ونية وطهارة
فهي مثل قوله اسس على التقوى وقال مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة الاوثان
وقيل من الفرث والدم قال ابو محمد وهذا ضعيف لا تعضده
الاخبار وقيل من الشرك واضاف الله البيت الى نفسه تشريفا للبيت وهي اضافة
مخلوق الى خالق ومملوك الى مالك والطايفين ظاهره اهل الطواف وقاله عطا
وغيره وقال ابن جبير معناه للغربا الطارين على مكة والعاكفين قال ابن جبير
هم اهل البلد المقيمون وقال عطا هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس المصلون
وقال غيره المعتكفون قال ابو محمد والعكوف في اللغة اللزوم للشي

والاقامة عليه كما **قال الشاعر** عكف النبيط يلعبون الفنزجاه فمعناه

الملازمين للبيت ارادة وجه الله والركع السجود المصلون وخص الركوع والسجود

بالذكر لانهما اقرب احوال المصلي الى الله تعالى وكل مقيم عند بيت الله ارادة ذات

الله فلا يخلو من احدى هذه الاوجه الثلاث اما ان يكون في صلاة او في طواف وان

كان في شغل من دنيا فحال العكوف من مجاورة البيت لا يفارقه وقوله

تعالى قال ابرهيم الاية في دعاء ابرهيم الاية عليه السلام لذريته وغيرهم بكذا الامن

ورغد العيش واجعل لفظه الامر وهو في حق الله رغبة ودعاء وآمنا معناه من الجبابرة

والمسلطين والعدو المستاصل والمثلات التي تحل بالبلاد وكانت مكة وما يليها

حين ذلك قفرا لا ماء فيه ولا نبات فبارك الله حولها كالطايف وغيره وانبت

فيها انواع الثمرات وروي ان الله تعالى لما دعاه ابرهيم امر جبريل فاقتلع

فلسطين وقيل بقعة من الاردن وطاف بها حول البيت سبعا وامرها نوح فسميت

الطايف بسبب ذلك الطواف واختلف في تحريم مكة متى كان فقالت فرقة

جعلها الله حراما يوم خلق السموات والارض وقالت فرقة حرمها ابرهيم **قال**

ابو محمد والاول قاله النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ثاني يوم الفتح والثاني

قاله ايضا النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح عنه اللهم ان ابرهيم حرم مكة واني

حرمت المدينة ما بين لابتيها حرام ولا تعارض بين الحديثين لان الاول

اخبار بسابق علم الله فيها وقضايه وكون الحرمة مدة ادم واوقات عمارة

القطر بايمان والثاني اخبار بتجديد ابرهيم لحرمتها واظهاره ذلك بعد الدثور

وكل مقال من قائلي الاخبار حسن في مقامه عظم الحرمة ثاني يوم الفتح

على المومنين باسناد التحريم الى الله تعالى وذكر ابرهيم عند تحريمه المدينة

مثالا لنفسه ولا محالة ان تحريم المدينة هو ايضا من قبل الله تعالى ومن

نافذ قضايه وسابق علمه ومن بدل امن قوله اهله وخص ابرهيم المومنين بدعايه

وقوله تعالى ومن كفر الاية قال ابي بن كعب وابن اسحق وغيرهما هذا القول

من الله عز وجل لابرهيم وقروا فامتعه بضم الهمزة وفتح الميم وشد التاء

ثم اضطره بقطع الالف وضم الراء وكذلك قرا السبعة حاشى ابن عامر فانه

قرا فامتعه بضم الهمزة وسكون الميم وتخفيف التاء ثم اضطره بقطع الالف

وقرا يحيى بن وثاب فامتعه كما قرا ابن عامر ثم اضطره بكسر الهمزة على

لغة قريش في قولهم لا اخال وقرا ابي بن كعب فنمتعه ثم نضطره

ومن شرط والجواب في فامتعه وموضع من رفع على الابتداء والخبر

ويصح ان يكون موضعها نصبا على تقدير وارزق من كفر فلا يكون شرطا

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هذا القول هو من ابرهيم عليه السلام وقروا

فامتعه بفتح الهمزة وسكون الميم ثم اضطره بوصل الالف وفتح الراء وقرات فرقة

وتحورها الخط وقرا ابن محيصن ثم اطره بادغام الضاد في الطاء وقرا يزيد بن ابي

حبيب ثم اضطره بضم الطاء **قال ابو محمد** كان ابرهيم عليه السلام

دعا للمومنين وعلى الكافرين وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل وهو

نعت اما لمصدر كانه قال متاعا قليلا واما الزمان كانه قال وقتا قليلا

او زمانا قليلا والمصير مفعل من صار يصير وبيس اصلها بيس

وقد تقدمت في بيسما وامتعه معناه اخوله للدنيا وابقيه فيها بقاء

قليلا لا مدبار منغص واصل المتاع الزاد ثم استعمل فيما يكون احرام الانسان

او عطايه او انعاله **قال الشاعر** وقفت على قبر غريب بقفرة متاع قليل

من حبيب مفارق ومنه متع الزوجات ويضطر الله الكافر الى النار حامله

على كفره **قوله تعالى** واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل

ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا

امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث

فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز

الحكيم والمعنى واذكر اذ والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس وقال

القواعد هي الجدر **قال القاضي أبو محمد** وفي هذه الجدر والقواعد من النساء جمع
قاعد وهي التي قعدت عن الولد وحذفت تاء التأنيث لأنه لا دخول للمذكر
فيه هذا قول بعض النحاة وقد شذ جاء فيها مع اشتراك المذكر كقولهم
ناقة ضامر ومذهب الخليل أنه متى حذفت تاء التأنيث زال الجري على
الفعل وكان ذلك على النسب والبيت هنا الكعبة بإجماع واختلف بعد رواة
القصص فقيل إن آدم أمر ببنائه فبناه ثم دثر ودرس حتى دل عليه إبراهيم
فرفع قواعده وقيل إن آدم هبط به من الجنة وقيل إنه لما استوحش في الأرض
حين نقص طوله وفقد أصوات الملائكة أهبط إليه وهو كالدرة وقيل كالياقوتة
وقيل إن البيت كان ربوة حمراء وقيل بيضاء ومن تحته دحيت الأرض وإن
إبراهيم ابتدأ بناءه بأمر الله ورفع قواعده والذي يصح من هذا كله أنه ولا
يترجح شيء من ذلك إلا بسند يقطع العذر وقال عبيد بن عمير رفعها إبراهيم
وإسماعيل معا وقال ابن عباس رفعها إبراهيم وإسماعيل يناوله الحجارة وقال
علي بن أبي طالب رفعها إبراهيم وإسماعيل طفل صغير **قال أبو محمد**
ولا يصح هذا عن علي رضي الله عنه لأن الآية والآثار ترده وإسماعيل عطف
على إبراهيم وقيل هو مقطوع على الابتداء وخبره فيما بعد قال الماوردي إسماعيل
أصله اسمع يا إيل **قال أبو محمد** وهذا ضعيف وتقدير الكلام يقولان
ربنا تقبل منا وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ذكره مكي يقولا
وقالت فرقة التقدير وإسماعيل يقول ربنا وحذف لدلالة الظاهر عليه
وكل هذا أدل على أن إسماعيل لم يكن طفلا في ذلك الوقت وخصا هاتين الصفتين
لتناسبهما مع حالهما أي السميع لدعائنا والعليم بنياتنا وقوله واجعلنا
بمعنى صيرنا يتعدى إلى مفعولين ومسلمين هو المفعول الثاني وكذلك كانا
فإنما أرادا التثبيت والدوام والإسلام في هذا الموضع الإيمان والأعمال جميعا
وقرأ ابن عباس وعوف مسلمين على الجمع ومن في قوله من ذريتنا للتبعيض وخص

من الذرية بعضا لأن الله تعالى كان قد أعلمه أن منهم ظالمين والأمة الجماعة
وحكى الطبري أنه أراد بذلك العرب خاصة وهو ضعيف لأن دعوته
ظهرت في العرب وفيمن آمن من غيرهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي أرنا بكسر الراء
وقرأ ابن كثير أرنا بإسكان الراء وقرأ أبو عمرو بين الإسكان والكسر والأصل
أرئنا حذفت الياء للجزم ونقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت تخفيفا
واستثقل بعد من سكن الراء الكسرة كما استثقلت في فخذ وهنا من الإجحاف
ما ليس في فخذ وقالت طائفة أرنا من رؤية البصر وقالت طائفة من رؤية
القلب وهو الأصح ويلزم قائله أن يتعدى الفعل منه إلى ثلاثة مفعولين وينفصل
بأنه يوجد معدى بالهمزة من رؤية القلب كغير المعدى قال حطائط بن يعفر
أخو الأسود بن يعفر أريني جوادا مات هزلا لأنني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
وقال قتادة المناسك معالم الحج وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال لما فرغ
إبراهيم من بناء البيت ودعا بهذه الدعوة بعث الله إليه جبريل فحج به وقال
ابن جريج المناسك المذابح أي مواضع الذبح وقال فريق من العلماء
المناسك العبادات كلها ومنه الناسك أي العابد وفي قراءة ابن مسعود
وأرهم مناسكهم كأنه يريد الذرية والتوبة الرجوع وعرفه شرعا من الشر إلى
الخير وتوبة الله على العبد رجوعه به وهدايته له واختلف في معنى طلبهم
التوبة وهم أنبياء معصومون فقالت طائفة طلبا التثبيت والدوام
وقيل أرادا من بعدهما من الذرية كما تقول برني فلان وأكرمني وأنت تريد في
ولدك وذريتك وقيل وهو الأحسن عندي إنهما لما عرفا المناسك وبنيا
البيت وأطاعاه أرادا أن يسنا للناس أن ذلك الموقف وتلك المواضع
مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبة وقال الطبري إنه ليس أحد من
خلق الله إلا بينه وبين الله معان يحب أن يكون أحسن مما هي وأجمعت الأمة
على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة

واختلف في غير ذلك من الصغائر والذي أقول إنهم معصومون من الجميع وإن قول
النبي صلى الله عليه وسلم إني لأتوب إلى الله في اليوم وأستغفره سبعين مرة إنما هو
رجوعه من حالة إلى أرفع منها لتزيد علومه واطلاعه على أمر الله فهو يتوب من المنزلة
الأولى إلى الأخرى والتوبة هنا لغوية وقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم الآية وهذا هو الذي أراد النبي عليه السلام بقوله أنا دعوة أبي ابرهيم وبشرى
عيسى ومعنى منهم أن يعرفوه ويتحققوا فضله ويشفق عليهم ويحرص ويتلوا في
موضع الحال والآيات آيات القرآن والكتاب القرآن ونسب التعليم إلى النبي صلى الله
عليه وسلم من حيث هو يعطي الأمور التي ينظر فيها ويعلم طرق النظر بما لقيه الله إليه
ووحيه وقال قتادة الحكمة السنة وبيان النبي عليه السلام الشرائع
وروى ابن وهب عن مالك أن الحكمة الفقه في الدين والفهم الذي هو سجية
ونور من الله تعالى ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير ومعنى الزكاة لا
يخرج عن التطهير أو التنمية والعزيز الذي يغلب ويتم مراده ولا يرد والحكيم
المصيب مواقع الفعل المحكم لها **قوله تعالى** ومن يرغب عن
ملة ابرهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين
إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب
يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون من استفهام في موضع
رفع بالابتداء ويرغب خبره والمعنى يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها والملة
الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذي معناه الرقة والخفة واختلف
في نصب نفسه فقال الزجاج سفه بمعنى جهل وعداه بالمعنى وقال غيره
سفه بمعنى أهلك وحكى ثعلب والمبرد أن سفه بكسر الفاء يتعدى كسفّه بفتح
الفاء وشدها وحكي عن أبي الخطاب أنها لغة وقال الفراء نصبها على التمييز
قال أبو محمد لأن السفه يتعلق بالنفس والرأي والخلق فكأنه ميزها من هذه
ورأى أن هذه التعريف ليس بمحض لأن الضمير فيه الإبهام الذي يجب من وكان

الكلم

الكلام إلا من سفه نفسا وقال البصريون لا يجوز التمييز مع هذا التعريف وإنما
النصب على تقدير حذف في فلما انحذف حرف الجر قوي الفعل وهذا يجري على
مذهب سيبويه فيما حكاه من قولهم ضرب فلان الظهر والبطن أي في الظهر
والبطن وحكى مكي أن التقدير إلا من سفه قوله نفسه على أن نفسه تأكيد
حذف المؤكد وأقيم التوكيد مقامه قياسا على النعت والمنعوت **قال
أبو محمد** وهذا قول متحامل واصطفى افتعل من الصفوة معناه تخير الأصفى
وأبدلت التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الإطباق ومعنى هذا الاصطفاء
أنه نبأه واتخذه خليلا وفي الآخرة يتعلق باسم فاعل مقدر من الصلاح
ولا يصح تعلقه بالصالحين لأن الصلة لا تتقدم الموصول هذا على أن تكون
الألف واللام بمعنى الذي وقال بعضهم الألف واللام هنا للتعريف ويستقيم
الكلام وقيل المعنى أنه في عمل الآخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف
وقوله تعالى إذ قال له ربه أسلم العامل في إذ اصطفيناه وكان هذا
القول من الله حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والإسلام هنا على أتم
وجوهه وقرأ نافع وابن عامر وأوصى وقرأ الباقون ووصى والمعنى واحد
إلا أن وصى يقتضي التكثير والضمير في بها عائد على كلمته التي هي أسلمت لرب
العالمين وقيل على الملة المتقدمة والأول أصوب لأنه أقرب مذكور وقرأ
عمرو بن فائد الأسواري ويعقوب بالنصب على أن يعقوب داخل فيمن أوصى
واختلف في إعراب رفعه فقال قوم من النحاة التقدير ويعقوب أوصى بنيه
أيضا فهو عطف على ابرهيم وقال بعضهم هو مقطوع منفرد بقوله يا بني فتقدير
الكلام ويعقوب قال يا بني واصطفى هنا معناه تخير صفوة الأديان والألف
واللام في الدين للعهد لأنهم قد كانوا عرفوه وكسرت إن بعد أوصى لأنها بمعنى
القول ولذلك سقطت أن التي تقتضيها أوصى في قوله أن يا بني وقرأ ابن مسعود
والضحاك أن يا بني بثبوت أن وقوله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون إيجاز بليغ

وذلك ان المقصود منهم امرهم بالاسلام والدوام عليه فاتى ذلك بلفظ موجز
يقتضي المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت
ولا يدري متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت الا وهو عليه فقد توجه من وقت الامر
دايما لازما وحكى سيبويه فيما يشبه هذا المعنى قوله لا ارينك هاهنا وليس الى
المامور ان يحجب ادراك الامر عنه فاما المقصود اذهب وزل عن هاهنا
فجا بالمقصود بلفظ يزيد معنى الغضب والكراهيه وانتم مسلمون ابتدا وخبر
في موضع الحال **قوله تعالى** ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الاهك واله ابايك ابرهيم
واسمعيل واسحق الاها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين هذا الخطاب لليهود
والنصارى الذين انتحلوا الانبيا صلوات الله عليهم ونسبوهم الى اليهودية
والنصرانية فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية
الاسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ اشهدتم يعقوب وعلمتم بما اوصى فتدعون
عن علم اي لم تشهدوا بل انتم تفترون وام تكون بمعنى الف الاستفهام في صدر
الكلام لغة يمانية وحكى الطبري ان ام يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم
صدره وهذا منه ومنه ام يقولون افتراه وقال قوم انها بمعنى بل والتقدير بل
شهدا اسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما اوصى به ولكنكم تغيرتم جحداه
ونسبتموهم الى غير الحنيفية عنادا او الاظهر انها التي بمعنى بل والف الاستفهام
معا وشهدا جمع شاهد اي حاضر ومعنى الاية حضر يعقوب مقدمات
الموت والا فلو حضر الموت لما امكن ان يقول شيا وقدم يعقوب على جهة تقديم
الاهم والعامل في اذ شهدا واذ قال بدل من اذ الاولى وعبر عن المعبود بما
تجربة لهم ولم يقل من لئلا يطرق لهم الاهتدا وانما اراد ان يختبرهم وايضا فالمعبودات

المتعارفه من دون الله جمادات كالاوثان والنار والشمس والحجارة فاستفهمهم
عما يعبدون من هذه ومن بعدي اي من بعد موتي وحكى ان يعقوب حين خير كما تخير الانبيا
اختار الموت وقال امهلوني حتى اوصي بني واهلي فجمعهم وقال لهم هذا فاهتدوا
وقالوا نعبد الاهك الاية فاروه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى ودخل
اسمعيل في الابا لانه عم وقد قال النبي عليه السلام في العباس ردوا علي ابي اني
اخاف ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقال عنه في موطن اخر
هذا بقية ابايي ومنه قوله عليه السلام انا ابن الذبيحين على القول المشهور في ان
اسحق هو الذبيح وقرا الحسن وابن يعمر والجحدري وابو رجا واله ابيك
واختلف بعد فقيل هو اسم مفرد اراد ابرهيم وحده وقال بعضهم هو جمع سلامة
وحكى سيبويه اب وابون وابين **قال الشاعر** فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا
بالابينا :: وقال ابن زيد يعني بقوله اسمعيل لانه اسن من اسحق والها بدل من
الاهك وكرره لفايدة الصفة بالوحدانية وقيل انها حال وهو قول حسن
لان الغرض اثبات حال الوحدانية ونحن له مسلمون ابتدا وخبر اي كذلك كنا
ونحن ونكون ويحتمل ان يكون في موضع الحال والعامل نعبد والتاويل الاول امدح قوله
تعالى قد خلت في موضع رفع نعت لامة ومعناه ماتت وصارت الى الخلا
من الارض ويعني بالامة الانبيا المذكورين والمخاطب في هذه الاية اليهود
والنصارى اي انتم ايها المنتحلون لهم اليهودية والنصرانية ذلك لا ينفعكم
ان كسبتم شرا وفي هذه الاية رد على الجبرية القايلين لا اكتساب للعبد
ولا تسلون عما كانوا يعملون يسحبهم دينا وقولهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا نظير قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصب ملة باضمار
فعل اي بل نتبع ملة وقيل نصب على الاغرا وقرا الاعرج وابن ابي عبلة بل ملة
بالرفع والتقدير بل الهدى ملة وحنيفا حال وقيل نصب باضمار فعل لان الحال
تعلق من المضاف اليه والحنف الميل ومنه الاحنف لمن مالت احدى قدميه

الاخرى والحنيف في الدين الذي مال عن الاديان المكروهة الى الحق وقال قوم
الحنف الاستقامة وسمي المعوج القدمين احنف تفاؤلا كما قيل سليم ومفازة والحنيف
الحنيفي في الدين المستقيم على جميع طاعة الله عز وجل وقد خصص بعض المفسرين
فقال قوم الحنيف الحاج وقال اخرون المختتن وهذه احوال الحنيف ونفى الاشراك
فانتفت عبادة الاوثان واليهودية لقولهم عزير ابن الله والنصرانية لقولهم المسيح
ابن الله **قوله تعالى** قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان
امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم
الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
هذا الخطاب لامة محمد عليه السلام علمهم الله الايمان وما انزل الينا يعني
به القران وصحت اضافة الانزال اليهم من حيث هم المامورون المنهيون فيه
وابرهيم واسمعيل يجمعان براهم وسماعل هذا هو اختيار سيبويه والخليل
وقال قوم براهيم وقال الكوفيون براهمة كما يقال في التصغير بريه والاسباط
هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر
ودينة بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف وابن يامين
وولد له من سريتين دان ونفتال وجاد واشر والسبط في بني اسرائيل
بمنزلة القبيلة في ولد اسمعيل فسموا الاسباط لانه كان لكل واحد
منهم سبط وما اوتي موسى هو التوراة واياته وما اوتي عيسى هو الانجيل
والايمان بالله مدين الله واحد وان اختلفت احكام الشرائع ولا نفرق بين
احد منهم اي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما يفعلون وفي الكلام حذف تقديره
بين احد منهم وبين نظيره فاختصر لفهم السامع والضمير في له عائد على اسم الله عز وجل
وقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به الاية خطاب لمحمد عليه السلام وامته

والمعنى

والمعنى ان صدقوا تصديقا مثل تصديقكم فالمماثلة وقعت بين الايمانين
هذا قول بعض المتاولين وقيل الباء زائدة مؤكدة والتقدير امنوا مثل والضمير
في به عائد كالضمير في له فكان الكلام فان امنوا بالله مثل ما امنتم به ويظهر
عود الضمير على ما وقيل مثل زائدة كما هي في قوله ليس كمثله شي
وقالت طائفة هذا من مجاز الكلام تقول هذا امر لا يفعله مثلك اي لا تفعله
انت فالمعنى فان امنوا بالذي امنتم به هذا قول ابن عباس وقد حكاه عنه الطبري
قراءة ثم اسند اليه انه قال لا تقولوا فان امنوا بمثل ما امنتم به فانه **قال**
ابو محمد وهذا على جهة التفسير اي هكذا فليتاول وحكاها ابو عمرو الداني
وقيل ان ام في هذا الموضع غير معادلة على الفراس وجه ذلك اختلاف معنى
الاسمين وانما ليسا قسمين بل المحاجة موجودة في دعواهم الانبيا عليهم السلام
ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجة لانهم ان قالوا ان الانبيا المذكورين
على اليهودية والنصرانية كذبوا لانه قد علم ان هذين الدينين حدثا بعدهم
وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا الى دينهم اذ تقرون
بالحق **وقوله** تعالى قل انتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم اذ لا جواب المفطور
الا ان الله تعالى اعلم ومن اظلم لفظه الاستفهام والمعنى لا احد اظلم منه
واياهم اراد تعالى بكتمان الشهادة واختلف في الشهادة هنا ما هي فقال مجاهد
والحسن والربيع هي ما في كتبهم من الانبياء على الحنيفية لا على ما ادعوهم وقال
قتادة وابن زيد هي ما عندهم من الامر بتصديق محمد عليه السلام واتباعه والاول
اشبه بسياق معنى الاية واستودعهم الله تعالى هذه الشهادة ولذلك قال
من الله فمن على هذا متعلقة بعنده فكان المعنى شهادة تحصلت له من الله ويحتمل
ان يتعلق من بكتم اي كتمها من الله وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
وعيد واعلام انه لا يترك امرهم سدى وان اعمالهم تحصل ويجازون عليها
والغافل الذي لا يفطن للامور اهمالا منه ماخوذ من الارض الغفل وهي التي

لا معلم بها وقوله تعالى تلك امة الا به كررها عن قرب لانها تضمنت معنى
التهديد والتخويف اي اذا كان اوليك الانبيا على امامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم
فانتم اجرى فوجب التاكيد فلذلك كررها ولترداد ذكرهم في معنى غير الاول
قوله تعالى سيقول السفها من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت
لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس
لروف رحيم أعلم الله تعالى في هذه الاية انهم سيقولون في شان تحول
المومنين من الشام الى الكعبة ما ولاهم والسفها هم الخفاف الاحلام والعقول
والسفه الخفة والهلهلة وثوب سفيه اي غير متقن النسج **ومنه قول ذو الرمة**
مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم اي استخفتها
وخص بقوله من الناس لان السفه يكون في جمادات وحيوانات والمراد من السفها
ها جميع من قال ما ولاهم وقالها فرق واختلف في تعيينهم فقال ابن عباس قالها الاحبار
منهم وذلك انهم جاووا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك
عن قبلتنا ارجع اليها واتبعن عن ابن عباس والله اعلم وقوله وان تولوا
اي اعرضوا المعني به اليهود والنصارى والشقاق المشاقة والمحادة والمخالفة
اي في شقاق لك هم في شق وقيل شاق معناه شق كل واحد وصل ما
بينه وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيهم اياه ويغلبه عليهم وكان
ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة واجلا النضير وهذا الوعد وانجازه
من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والسميع لقول كل قايل والعليم بما ينبغي ان
ينفذ في عباده وصبغة الله شريعته وسنته وفطرته قال كثير من المفسرين
وذلك ان النصارى لهم ما يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى ذلك وقيل

سمي الدين صبغة استعارة من حيث تظهر اعماله وسمته على المتدين كما يظهر
الصبغ في الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغرا وقيل بدل من ملة وقيل نصب
على المصدر الموكد لان ما قبله من قوله فقد اهتدوا هو في معنى يلبسون او
يتجللون صبغة الله وقيل النعت ونحن له مسلمون صبغة الله فهي متصلة بالاية
المتقدمة وقال الطبري من قرا برفع ملة متصلة قرا برفع صبغة **قال ابو محمد**
وقد ذكرتها عن الاعرج وابن ابي عبلة ونحن له عابدون ابتدا وخبر **قوله تعالى**
قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون
ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل
عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسلون عما كانوا
يعملون معنى الاية قل يا محمد لهولاء اليهود والنصارى الذين زعموا انهم ابنا الله
واحباوه وادعوا انهم اولى بالله منكم لقدم اديانهم وكتبهم اتحاجوننا في
الله اي تجادلوننا الحجة على دعواكم والرب واحد وكل مجازى بعمله فاي
تاثير لقدم الدين ونحوا بقوله ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم فكيف يدعون
ما نحن اولى به منكم وقرا ابن محيصن اتحاجونا بادغام النون في النون وحذف
الجمع بين ساكنين لان الاول حرف مد ولين فالمد كالحركة ومن هذا الباب
دابة وشابة وفي الله معناه في دينه والقرب منه والحظوة لديه وقوله
تعالى ام تقولون عطف على الف الاستفهام المتقدمة وهذه القراة بالتاء
من فوق قراها ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ام يقولون بالياء من اسفل وام على هذه القراة
منقطعة ذكره الطبري وحكي عن بعض النحاة انها ليست بمنقطعة لانك
اذا قلت اتقوم ام يقوم عمرو فالمعنى ايكون هذا ام هذا **قال ابو محمد**
وهذا المثال غير جيد لان القايل فيه واحد والمخاطب واحد والقول في الاية

من اثنين والمخاطب اثنان عن ان وانما يتجه معادلة ام للالف على الحكم المعنوي
كان معنى قل اتحاجوننا اتحاجون يا محمد ام تقولون ويوم يك يريدون فتنته
وقال السدي قالها بعض اليهود والمنافقون استهزاء وذلك انهم قالوا
يشتاق الرجل الى وطنه وقالت طايفه قالها كفار قريش لانهم قالوا اما ولاه
عن قبلته ما رجع الينا الا لعلمه انا على الحق وسيرجع الى ديننا كلهم وولاهم
معناه صرفهم والقبلة فعلة هيه المقابل للشي فهي كالقعدة والاكلة
وجعل المستقبل موضع الماضي في قوله سيقول دلالة على استدامة ذلك وانهم
يستمرون على ذلك القول ونص ابن عباس وغيره ان الايه نزلت بعد قولهم وقوله
تعالى قل لله المشرق والمغرب اقامه حجه اى له ملك المشارق والمغارب وما
بينهما ويهدي من يشا اشاره الى هدايه الله تعالى هذه الامه الى قبله ابرهيم
والصراط الطريق واختلف العلما هل كانت صلاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بيت المقدس بامر من الله في القران او بوحي غير متلو فذكر ابن فورك
عن ابن عباس قال اول ما نسخ من القران القبله وقال الجمهور بل كان امر قبلة بيت
المقدس بوحي غير متلو وقال الربيع خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في النواحي
فاختار بيت المقدس ليستالف بها اهل الكتاب ومن قال كان بوحي غير
متلو قال كان ذلك لتحيير الله من ليس من العرب لانهم كانوا يالفون الكعبه
وينافرون بيت المقدس وغيره واختلف كم صلى الى بيت المقدس ففي البخاري
سته عشر او سبعه عشر شهرا وروي عن انس بن مالك تسعه او عشره اشهر
وروي عن غيره ثلثه عشر شهرا وحكي عن ابرهيم بن اسحاق انه قال اول امر الصلاة
انما فرضت بمكه ركعتين في اول النهار وركعتين في اخره ثم كان الاسرا في ليله
سبعه عشر من شهر ربيع الاخر قبل الهجره بسنه ففرضت الخمس وام فيها
جبريل وكانت اول صلاه الظهر وتوجه بالنبي عليه السلام الى بيت المقدس
ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينه في ربيع الاول وتمادى الى بيت

المقدس الى رجب من سنه اثنين وقيل الى جمادى وقيل الى نصف شعبان وقوله
تعالى وكذلك جعلناكم امه وسطا الكاف متعلقه بالمعنى الذي في
قوله يهدي من يشا اي كما هديناكم الى قبله ابرهيم وشريعته كذلك جعلناكم
امه وامه مفعول معناه عدلا وروي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتظاهرت به عباره المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشي كما تقول وسط
البيت القلاده انفس حجر فيها والامير وسط الجيش وكقوله تعالى قال
اوسطهم والوسط باسكان السين ظرف ومبني على الفتح وقد جا متمكنا
في بعض الروايات في بيت الفرزدق
اتته بمجلوم كان جبينه صلاءه ورس وسطها قد تفلقا والضمير عائد
على الصلاه وروي بفتح الطاء والضم عائد على الجابيه فاذا قلت حفرت وسط
الدار كان المعنى مختلف قال بعض العلما امة محمد صلى الله عليه وسلم لم تغل في الدين
كما فعلت اليهود ولا افترت كالنصارى فهي متوسطه فهي اعلاها وخيرها
من هذه الجهه وقال النبي عليه السلام خير الامور اوساطها اي خيارها
وقد يكون العلو والخير في الشي اما بانه انفس جنسه واما ان يكون بين الافراط
والتقصير فهو خيار من هذه الجهه وشهدا جمع شاهد في هذا الموضع
فاختلف المفسرون في المراد بالناس في هذا الموضع فقالت فرقه هم جميع الجنس وانه
محمد صلى الله عليه وسلم يشهد يوم القيمه للانبيا على اممهم بالتبليغ وذلك ان
نوحا يناكره امته في التبليغ فيقول له امه محمد نحن نشهد لك فيشهدون فيقول
الله لهم كيف شهدتم على ما لم تحضروا فيقولون اي ربنا جانا رسولك ونزل الينا
كتابك فنحن نشهد بما عهدت الينا واعلمتنا به فيقول الله تعالى صدقتم وروي
في هذا المعنى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته تشهد لكل
نبي ناكره قومه وقال مجاهد معنى الايه يشهدون لمحمد انه قد بلغ الناس
في مدته من اليهود والنصارى والمجوس وقالت طايفه معنى الايه تشهدون

لجيرانه قد بلغ الناس في مدينة من اليهود والنصارى والمجوس وقالت طائفة
معنى الاية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين مرت به جنازة فاثني عليها بالخير فقال وجبت ثم مرت باخرى فاثني عليها بشر
فقال وجبت يعني الجنة والنار ثم سئل عن ذلك فقال انتم شهداء الله في الارض
وفي بعض الطرق وتلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قيل معناه بايمانكم يوم القيامة وقيل عليكم بمعنى لكم اي يشهد لكم بالايمان
وقيل اي يشهد عليكم بالتبليغ اليكم وقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها الاية قال قتادة والسدي وعطاء وغيرهم القبلة هنا بيت المقدس
والمعنى لم نجعلها حين امرناك بها اولا الا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب
الدين اما بالفوز مسجد مكة او من اليهود على ما قال الضحاك من ان الاحبار قالوا
للنبي عليه السلام ان بيت المقدس هو قبلة الانبياء فان صليت اليه اتبعناك
فامره الله بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يومنوا وقال بعض من ذكر القبلة
بيت المقدس والمعنى وما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها وتحويلها فحذف
المضاف واضيف المضاف اليه مقامه وقال ابن عباس القبلة في الاية
الكعبة وكنت بمعنى انت كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس بمعنى
انتم اي وما جعلناها وصرفناك اليها الا فتنة ۝ وروي في ذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة اكثر في ذلك اليهود والمنافقون
وارتاب بعض المومنين حتى نزلت الاية وقال ابن جريج بلغني ان ناسا ممن
كان اسلم رجعوا عن الاسلام ومعنى قوله تعالى لنعلم اي ليعلم رسولي
والمومنون وجاء الاسناد بنون العظمة اذ هم حزبه وخالصته وهذا
شائع في كلام العرب كما تقول فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك
جنده واتباعه فهذا وجه التجوز اذ ورد علم الله تعالى بلفظ استقبال
لانه قديم لم يزل ووجه اخر وهو ان الله قد علم في الازل من يتبع الرسول واستمر

العلم

العلم حتى وقع واستمر في حين الاتباع والانقلاب ويستمر بعد ذلك والله تعالى
متصف في كل ذلك بانه يعلم فاراد بقوله لنعلم ذكر علمه عند موافقتهم
الطاعة او المعصية اذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب فليس معنى لنعلم
لنبتدئ العلم وانما المعنى لنعلم ذلك موجودا وحكى ابن فورك ان معنى لنعلم
لنثبت فالمعنى لنعلمهم في حال استحقوا فيها الثواب وعلق العلم بافعالهم
لتقوم الحجة ويقع التثبت فيما علمه لا مدافعة لهم فيه وحكى ابن فورك ايضا
ان معنى لنعلم لنميز وذكره الطبري عن ابن عباس وحكى الطبري ايضا ان معنى
لنعلم لنري **قال ابو محمد** وهذا كله متقارب والقاعدة نفي استقبال
العلم بعد ان لم يكن وقرا الزهري ليعلم على ما لم يسم فاعله وينقلب على عقبيه
عبارة عن المرتد الراجع عما كان فيه من ايمان او شغل او غير ذلك والرجوع على
العقب اسوا حالات الراجع في مشيته عن وجهته فلذلك شبه المرتد
في دينه به وظاهر التشبيه انه بالمتقهقر وهي مشية الحيران الفارغ من
شيء قد قرب منه ويحتمل ان يكون هذا التشبيه بالذي يرد ظهره ومشى
ادراجه فانه عند انقلابه انما ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وان كانت
لكبيرة الاية الضمير في كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس او الى
التحويلة الى الكعبة حسب ما ذكرناه من الاختلاف في القبلة وقال
ابن زيد هو راجع الى الصلاة التي صليت الى بيت المقدس وشهد الله تعالى ل
في هذه الاية للمتقين بالهداية وكبيرة هنا شاقة وصعبة تكبر في الصدور
وان هي الخفيفة من الثقيلة ولذلك لزمتها اللام لتزيل اللبس الذي بينها
وبين النافية واذا ظهر التثقيل في ان لزمت اللام وربما لم تلزم وقال
الفراء ان بمعنى ما واللام بمنزلة الا ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا
محمد ان كانت الاولى حقا فانت الان على باطل وان كان هذا حقا فكنت في
الاولى على ضلال ووجست نفوس بعض المومنين واشفقوا على من مات قبل

التحويل من صلاتهم السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم وخاطب الحاضرين
والمراد من حضر ومن مات لان الحاضر يغلب كما تقول العرب الم نقتلكم في موطن
كذا ومن خوطب لم يقتل ولكنه غلب حضوره وقرا الضحاك ليضيّع بفتح
الضاد وشد اليا وقال ابن عباس والبراء ابن عازب وقتادة والسدي والربيع
وغيرهم الايمان هنا الصلاة وسميت الصلاة ايمانا لما كانت صادرة عن
الايمان والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل ولما كان الايمان قطبا
عليه تدور الاعمال وكان ثابتا في حال التوجه هاهنا وهنا ذكره اذ
هو الاصل الذي يرجع في الصلاة وغيرها الى الامر والنهي ولئلا تندرج في اسم
الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس وذكر المعنى الذي هو ملاك الامر
وايضا فسميت ايمانا اذ هي من شعب الايمان والرافة اعلى منازل الرحمة وقرا
قوم لرؤف على وزن فعل **ومنه قول الوليد بن عقبة**
وشر الطالبين فلا تكنه يقاتل عمه الروف الرحيم ⁖ تقول العرب رؤف
ورؤوف ورئف كحذر وراف وقرا جعفر بن القعقاع لروف بغير همز وكذلك
سهل كل همزة في كتاب الله ساكنة كانت او متحركة **قوله تعالى**
قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع
قبلة بعض ولئن اتبعت اهواهم من بعد ما جاك من العلم انك اذا لمن الظالمين
المقصد تقلب البصر وذكر الوجه لانه اعم واشرف وهو المستعمل
في طلب الرغايب تقول بذلت وجهي في طلب كذا وفعلت لوجه فلان
ومنه قول الشاعر رجعت وما ابغي وجهي بابه وايضا فالوجه يتقلب
بتقلب البصر وقال قتادة والسدي وغيرهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقلب

يقلب وجهه في الدعا الى الله تعالى ان يحوله الى قبلة مكة وقيل كان
يقلب ليؤذن له في الدعاء ومعنى التقلب نحو السماء ان السما جهة قد
تعود العالم منها الرحمة كالمطر والانوار والوحي فهم يجعلون رغبتهم
حيث توالت النعم وترضاها معناه تحبها وتقر بها عينك وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلثة
رويت فقال مجاهد لقول اليهود ما علم محمد دينه حتى اتبعنا وقال
ابن عباس ليصيب قبلة ابرهيم عليه السلام وقال الربيع والسدي
وليستالف العرب لمحبتها في الكعبة وقال عبد الله بن عمر انما وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشد حيال ميزاب الكعبة وقال ابن عباس وغيره
بل وجه الى البيت كله **قال ابو محمد** والميزاب هو في قبلة
المدينة والشام وهناك قبلة اهل الاندلس بلا ريب ولا خلاف ان الكعبة
قبلة من كل افق وقوله تعالى فول وجهك لانه امر بالتحول ونسخ
لقبلة الشام وقيل نزل ذلك على النبي عليه السلام وهو في صلاة الظهر
بعد ركعتين منها فتحول في الصلاة وذكر ابو الفرج ان عباد بن نهيك
كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الصلاة وقيل انما نزلت
الاية في غير صلاة واول صلاة الى الكعبة العصر وشطر نصب على الظرف ويشبه
المفعول به لوقوع الفعل عليه ومعناه نحو وتلقا **قال ابن احمر**
تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة قد كارب العقد من ايفادها الحقبا **وقال غيره**
اقول لام زنباع اقيمي صدور العيس شطر بني تميم **وقال لقيط**
وقد اظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم تغشاكم قطعا **وقال غيره**
الا من مبلغ عمرا رسولا وما تغني الرسالة شطر عمرو وحيث ما كنتم
فولوا امر للامة ناسخ وقال داود بن ابي هند ان في حرف ابن مسعود فول وجهك
تلقا المسجد الحرام وقال محمد بن طلحة ان فيه فولوا وجوهكم قبله وقرا

وقرا ابن ابي عبلة فولوا وجوهكم تلقاءه والذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
وقال السدي المراد اليهود **قال ابو محمد** والاول اظهر والمعنى
ان اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة قبلة ابراهيم امام الامم وان استقبالها
هو الحق الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه في
كتبهم وقرا ابن عباس وحمزة والكسائي عما تعملون بالتاء على المخاطبة فاما على ارادة
اهل الكتاب او امة محمد عليه السلام وعلى الوجهين فهو اعلام بان الله تعالى
لا يهمل اعمال العباد ولا يغفل عنها وضمنه الوعيد وقرا الباقون بالياء
من تحت وقوله تعالى ولئن اتيت الاية اعلم الله تعالى نبيه حين قالت
اليهود راجع بيت المقدس ونومن بك مخادعة منهم انهم لا يتبعون له قبلة
يعني جملتهم لان البعض قد اتبع كعبد الله ابن سلام وغيره وانهم لا يدينون بدينه
اي فلا تتعب نفسك والاية هي العلامة وجاء جواب لئن كجواب لو وهي ضدها
في ان لو تطلب المضي والوقوع وان تطلب الاستقبال لانهما جميعا يترتب قبلهما
معنى القسم فالجواب انما هو القسم لان احد الحرفين يقع موقع الاخر هذا قول
سيبويه وقوله جلت قدرته وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر
اي فلا تركن الى شيء من ذلك وقوله تعالى وما بعضهم بتابع الاية قال
السدي ليست اليهود متبعة قبلة النصارى ولا النصارى متبعة قبلة
اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم وقال قوم معنى الاية
وما من اسلم معك منهم بمتبع قبلة من لم يسلم ولا من لم يسلم بمتبع قبلة من اسلم
قال ابو محمد والاول اظهر في الالفاظ وقبلة النصارى المشرق
وقبلة اليهود بيت المقدس وقوله ولئن اتبعت الاية خطاب للنبي عليه السلام
والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم
ظلما متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي عليه السلام وقطعنا ان ذلك
لا يكون منه وخوطب النبي عليه السلام تعظيما للامر ولانه اجمع هوى ولا

تجمع على اصوبه على ابيهم قال الواحدي في اندية **قال الشاعر**
في ليلة من جمادى ذات اندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا . وهوى
النفس انما يستعمل في الاكثر فيما لا خير فيه وقد يستعمل في الخير مقيدا به كما
قال عمر بن الخطاب في اسرى بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال
ابو بكر واذا لحرف معناه ان تقرر ما ذكر **قوله تعالى** الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
الذين في موضع رفع بالابتداء والخبر يعرفونه في موضع الحال وخص الابناء دون
الانفس وهي الصق لان الانسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه
ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه والمراد هنا معرفة الوجه وميزه لا معرفة
حقيقة النسب ولعبد الله بن سلام رضي الله عنه في هذا الموضع كلام معترض
ما في موضعه ان شاء الله والضمير في يعرفونه عائد على الحق في القبلة والتحول
بامر الله الى الكعبة قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج والربيع وقال قتادة
ايضا ومجاهد وغيرهما هو عائد على محمد عليه السلام اي صدقه ونبوته
والفريق الجماعة وخص لان منهم من اسلم ولم يكتم والاشارة بالحق الى
ما تقدم من الخلاف في ضمير يعرفونه فعم الحق مبالغة في ذمهم وهم يعلمون
ظاهر في صحة الكفر عنادا وقوله تعالى الحق من ربك رفع على اضمار
الابتداء والتقدير هو الحق ويصح ان يكون ابتداء والخبر مقدر بعده وقرا
علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحق بالنصب على ان يعمل فيه يعلمون ويصح نصبه
على تقدير الزم الحق فلا تكونن من الممترين الخطاب للنبي عليه السلام والمراد
امته وامترى في الشيء اذا شك فيه ومنه المراء لان هذا يشك في قول

هذا وانشد الطبري شاهدا على ان الممترين الشاكون قال الاعشى
تدر على اسوق الممترين ركضا اذا ما السراب ارجحن ووهم في ذلك لان
ابا عبيدة وغيره قالوا الممترين في البيت هم الذين يمرون الخيل بارجلهم همزا لتجري
كانهم يحتلبون الجري منها فليس في البيت معنى من الشك كما قال الطبري
وقوله تعالى ولكل وجهة الاية الوجهة فعلة من المواجهة كالقبلة وقوله هو
عائد على اللفظ المفرد في كل والمراد به الجماعات المعنى لكل صاحب ملة
وجهة هو موليها نفسه قاله الربيع وعطا وابن عباس وابن عامر وحده من
السبعة هو مولاها وقالت طائفة الضمير في هو عائد على الله تعالى والمعنى
الله موليها اياهم وقالت فرقة المعنى في الاية ان للكل دينا وشرعا وهو دين
الله وملة محمد عليه السلام وهو موليها اياهم اتبعها من اتبعها وتركها من
تركها وقال قتادة المراد بالاية ان الصلاة الى الشام ثم الصلاة الى الكعبة لكل
واحد منهما وجهة الله موليها اياهم وحكى الطبري ان قوما قروا ولكل وجهة
باضافة كل الى وجهة وخطاها الطبري قال ابو محمد وهي متجهة
اي فاستبقوا الخيرات لكل وجهة ولاكموها ولا تعترضوا فيما امركم
بين هذه وهذه اي انما عليكم الطاعة في الجميع وقدم قوله لكل وجهة
على الامر في قوله فاستبقوا للاهتمام بالوجهة كما يقدم المفعول وذكر ابو عمرو
الداني هذه القراة عن ابن عباس رضي الله عنه وسلمت الواو في وجهة ولم تجر
كعدة وزنة لان وجهة ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق وايضا فليحمل
بنا الهيئة كالجلسة قال ابو علي ذهب قوم الى انه مصدر شذ عن القياس
فسلم وقوم الى انه اسم ليس بمصدر قال غير ابي علي واذا اردت المصدر قلت
جهة قال ابو محمد وقد يقال الجهة في الظرف وحكى الطبري عن منصور
انه قال نحن نقروها ولكل جعلنا قبلة يرضونها ثم امر تعالى عباده باستباق
الخيرات والبدار الى سبيل النجاة ثم وعظهم بذكر الحشر موعظة تتضمن

وعيدا

وعيدا او تحذيرا وقوله يات بكم الله جميعا يعني به البعث من القبور ثم
اتصف الله تعالى بالقدرة على كل شي لتناسب الصفة مع ما ذكر من الاتيان
بهم وقوله تعالى ومن حيث خرجت معناه حيث كنت واي توجهت من
مشارق الارض ومغاربها ثم تكررت هذه الاية تاكيدا من الله تعالى لان موقع
التحويل كان صعبا في نفوسهم فاكد الامر ليرى الناس التهمم به فيخف عليهم
وتسكن نفوسهم اليه قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا
يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون وقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره هو فرض استقبال القبلة على
المصلين وفرض المصلي ما دام يرى الكعبة ان يصادفها باستقباله فاذا غابت
عنه ففرضه الاجتهاد في مصادفتها فان اجتهد ثم كشف له الغيب انه
اخطا فلا شي عليه عند كثير من العلماء وروى مالك رحمه الله ان يعيد في الوقت
احرازا لفضيلة القبلة وقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الاية
قرا نافع وحده بتسهيل الهمزة وقرا الباقون لئلا بالهمز والمعنى عرفتكم
وجه الصواب في قبلتكم والحجة لكم لئلا وقوله للناس عموم
في اليهود والعرب وغيرهم وقيل المراد بالناس اليهود ثم استثنى كفار العرب
قال ابو محمد وقوله منهم يرد هذا التاويل وقالت فرقة الا الذين استثنا
متصل وهذا مع عموم لفظة الناس والمعنى انه لا حجة لاحد عليكم الا الحجة
الداحضة للذين ظلموا المعني اليهود وغيرهم من كل من تكلم في النازلة في قولهم ما
ولاهم استهزا وفي قولهم تحير محمد في دينه وغير ذلك من الاقوال التي لم تنبعث
الا من عابد وثن او من يهودي او منافق وسماها تعالى حجة وحكم بفسادها

حين كان في ظلمه وقالت طايفه الا الذين استثنا منقطع وهذا مع كون
الناس اليهود فقط وقد ذكرنا ضعف القول والمعنى لكن الذين ظلموا [illegible]
قريش في قولهم رجع محمد الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا كله ويدخل في ذلك
كل من تكلم في النازله من غير اليهود وقرا ابن عباس وزيد بن علي وابن زيد الا بفتح
الهمزه وتخفيف اللام على معنى استفتاح الكلام فيكون الذين ابتدا او على معنى
الاغرا بهم فيكون الذين نصبا بفعل مقدر وقوله تعالى فلا تخشوهم
واخشوني الايه تحقير لشانهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره وقوله
ولاتم عطف على قوله لئلا وقيل هو مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر
بعد ذلك التقدير ولاتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلتي ونحوه ولعلكم تهتدون
ترج في حق البشر والكاف في قوله كما رد في قوله ولاتم اتماما كما وهذا احسن
الاقوال اي ولاتم نعمتي عليكم في بيان سنه ابرهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم اجابه لدعوته في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الايه وقيل
الكاف من كما رد على تهتدون اي اهتدا كما وقيل هو في موضع نصب على الحال
وقيل هو في معنى التاخير متعلق بقوله فاذكروني وهذه الايه خطاب الامه
محمد عليه السلام وهو المعني بقوله رسولا منكم ويتلوا في موضع نصب على الصفه
والايات القران ويزكيكم يطهركم من الكفر وينميكم بالطاعه والكتاب
القران والحكمه ما يتلقى عنه عليه السلام من سنه وفقه في دين وما لم
تكونوا تعلمون قصص من سلف وقصص ما ياتي من الغيوب **قوله تعالى**
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلاه ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بل احيا ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبه قالوا انا لله
وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه واولئك هم المهتدون

قال

قال سعيد بن جبير معنى الايه اذكروني بالطاعه اذكركم بالثواب والمغفره
قال ابو محمد اي اذكروني عند كل اموركم فيحملكم خوفي على
الطاعه فاذكركم حينئذ بالثواب وقال الربيع والسدي المعنى اذكروني
بالدعا والتسبيح ونحوه وفي الحديث ان الله تعالى يقول ابن ادم اذكرني
في الرخا اذكرك في الشده وفي حديث اخر ان الله تعالى يقول اذا ذكرني
عبدي في ملا ذكرته في ملا خير منه وروي ان الكافر اذا ذكر الله
ذكره الله باللعنه والخلود في النار وكذلك العصاه ياخذون حظا من
هذا المعنى وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام قل للعاصين
لا يذكروني واشكروا لي بمعنى واحد ولي اشهر وافصح مع الشكر ومعناه
نعمتي واياديه وكذلك اذا قلت شكرتك فالمعنى شكرت صنيعك وذكرته
فحذف المضاف اذ معنى الشكر ذكر اليد وذكر مسديها معا فما حذف
من ذلك فهو اختصار لدلالة ما بقي على ما حذف وتكفرون اي نعمي واياديه
وانحذفت نون الجماعه للجزم وهذه نون المتكلم وحذفت اليا التي بعدها
تخفيفا لانها راس ايه ولو كان نهيا عن الكفر ضد الايمان لكان ولا تكفروا
بغير النون ويا حرف نداء واي منادى وها تنبيه وتجلب اي فيها معنى الالف
واللام لان في حرف النداء تعريفا ما فلو لم تجلب اي لاجتمع تعريفان وقال
قوم الصبر الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وتقدم معنى الاستعانه
بالصبر والصلاه واختصارهما انهما رادعان عن المعاصي وقوله تعالى
ان الله مع الصابرين معناه بمعونته وانجاده فهو على حذف مضاف كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اهجهم وروح القدس معك وكما
قال ارموا وانا مع بني فلان الحديث وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله الايه سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد مات فلان ونحوه
الله ان حط منزله الشهدا الى منزله غيرهم فنزلت هذه الايه وابقى الله

فان المومنين صعب عليهم فراق اخوانهم واباهم فنزلت الايه مسليه لهم تعظم
منزله الشهدا وتخبر عن حقيقه حالهم فصاروا مغبوطين لا محزونا لهم وتبين ذلك
من حديث ام حارثه في السير والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق
وذلك ان الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ان ارواح الشهدا في طير خضر تعلق من ثمر الجنه
وروي انهم في قبه خضرا وروي انهم في قناديل من ذهب الى غير من هذا
ولا محاله انها احوال الطائفه او للجميع او للجميع في اوقات متغايره وجمهور
العلماء على انهم في الجنه ويويده قول النبي صلى الله عليه وسلم لام حارثه انه
في الفردوس وقال مجاهد هم خارج الجنه ويعلقون في شجرها واموات رفع
باضمار الابتدا والتقدير هم اموات ولا يجوز اعمال القول فيه لانه ليس بينه
وبينه تناسب كما يصح في قولك قلت كلاما وحجه وقوله ولكن لا تشعرون
اي قبل ان يشعركم وقوله تعالى ولنبلونكم الايه امر بالاستعانه بالصبر
والصلاه واخبر انه مع الصابرين ثم اقتضت الايه بعدها من فضل الشهدا
ما تقوى الصبر عليهم وخفف المصيبه ثم جا بعد ذلك من هذه الامور التي لا
تلقى الا بالصبر ليعلم ان الدار دار بلا ومحن اي فلا تذكروا فراق الاخوان
والقرابه ثم وعد الصابرين اجرا وقال عطا والجمهور ان الخطاب في هذه
الايه لامه محمد عليه السلام وقيل الخطاب لقريش وحل ذلك بهم فهي
انه للنبي عليه السلام **قال ابو محمد** والاول اظهر ولنبلونكم معناه
لنمتحننكم وحركت الواو لالتقاء الساكنين وقيل الفعل مبني وهو مع
النون الثقيله بمنزله خمسه عشر والخوف يعني من الاعدا في الحروب والجوع الجدب
والسنه واما الحاجه الى الاكل فانما اسمها الغرث وقد استعمل فيها المحدثون
الجوع اتساعا ونقص الاموال بالحوائج والمصايب والانفس بالموت والقتل والثمرات
بالعاهات ونزع البركه فالمراد بشي من هذا وشي من هذا فاكتفي بالاول

ليحازا

الحازا وكذلك وجد وقرا الضحاك باشيا على الجمع والمعنى قريب من بعض
وقال بعض العلما انما المراد في هذه الايه مؤن الجهاد وكلفه فالخوف من العدو
والجوع به وبالاسفار اليه ونقص الاموال بالنفقات والانفس بالقتل والثمرات
باصابه العدو لها او بالغفله عنها بسبب الجهاد ثم وصف تعالى الصابرين
الذين بشرهم بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبه الايه وجعل هذه الكلمات ملجا لذوي المصايب
وعصمه للممتحنين لما جمعت من المعاني المباركه وذلك توحيد الله والاقرار له
بالعبوديه والبعث من القبور واليقين بان رجوع الامر كله اليه كما هو له
وقال سعيد بن جبير لم يعط هذه الكلمات نبي قبل نبينا ولو عرفها يعقوب لما
قال يا اسفا على يوسف وروي ان مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفا ذات
ليله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبه هي يا رسول الله قال
نعم كل ما اذى المومن فهو مصيبه وقوله تعالى اولئك عليهم صلوات
من ربهم الايه نعم من الله على الصابرين المسترجعين وصلوات الله على عبده
عفوه ورحمته وبركته وتشريفه اياه في الدنيا والاخره وكرر الرحمه
لما اختلف اللفظ تاكيدا وهي من اعظم اجزا الصلاه منه تعالى وشهد
لهم بالاهتداء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرا هذه الايه نعم
العدلان ونعم العلاوه اراد بالعدلين الصلاه والرحمه وبالعلاوه الاهتداء
قوله تعالى ان الصفا والمروه من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان
الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا
وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ٥ الصفا والمروه
جبلان بمكه والصفا جمع صفاه وقيل هو اسم مفرد جمعه صفي واصفا
وهي الصخره العظيمه **قال الشاعر** مواقع الطير على الصفا

وقيل من شرط الصفا البياض وفي المروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التي
فيها لين ومنه قول الذي اصاب شاته الموت من الصحابة فذكيتها بمروة
ومنه قول الامين اخرجني الى اخي قال فتلني فروه لسرت مروة وصمصامه
قطعت صمصامه وقد قيل في المرو انها الصلاب قال الشاعر وقول الاعشى
جفاه ابلا ما دامنا صادف المرو رضخ ** والصحيح ان المروة الحجارة
صليبها ورخوها الذي يتشظى وترق حاشيته وفي هذا يقال المرو اكثر وقد
يقال في الصليب وقال ابو ذؤيب حتى كاني للحوادث مروة بصفا
المشقر كل يوم تقرع وجبل الصفا كله صليب وجبل المروة الى اللين ما
هو فبذلك سميا قال قوم ذكر الصفا لان آدم وقف عليه ووقفت حوا
على المروة فانثت لذلك وقال الشعبي كان على الصفا صنم يدعى اسافا وعلى المروة
صنم يدعى نايلة فاطرد ذلك في التذكير والتانيث وقدم المذكر ومن
شعاير الله معناه من معالمه ومواضع عبادته وهو جمع شعيرة او شعارة
وقال مجاهد ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم الله بفضله ماخوذ من شعرت
اذا تحسست وتشعرت ماخوذ من الشعار وهو ما يلي الجسد من الثياب
والشعار ماخوذ من الشعر ومن هذه اللفظة هو الشاعر وحج معناه قصد
وتكرر ومنه قول الشاعر
واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا ومنه قول
الآخر يحج ماموسة في قعرها لجف ** واعتمر زار وتكرر ماخوذ من
عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح
لانه في شق ومنه قيل للخبا جناح لتمايله وكونه كذي اجنحة ومنه وان
جنحوا للسلم فاجنح لها ويطوف اصله يتطوف سكنت التاء وادغمت في
الطاء وقرا ابو السمال ان يطاف واصله يتطوف تحركت الواو وانفتح
ما قبلها فانقلبت الفا فجا يطاف وادغمت التاء بعد الاسكان في الطاء

على

على مذهب من اجاز ادغام الثاني في الاول كما جاء في مذكر ومن لحن
ذلك قال قلبت التا طا ثم ادغمت الطا في الطا وفي هذا نظر لان الاصل
ادغم في الزايد وذلك ضعيف وروي عن ابن عباس وانس بن مالك وشهر
بن حوشب انهم قروا ان لا يطوف وكذلك في مصحف عبد الله بن
مسعود وابي بن كعب ان لا يطوف وقيل ان لا يطوف بضم الطاء وسكون
الواو وقوله ان الصفا والمروة من شعاير الله خبر يقتضي الامر بما عهد
من الطواف لمن شاء لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما المقصد منه رفع ما
وقع في نفوس قوم من العرب من ان الطواف بينهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع في
نفوسهم غير صواب واختلف في كيفية ذلك فروي ان الجن كان تعزف وتطوف
بينهما في الجاهلية فكانت طايفة من تهامة لا تطوف بينهما في الجاهلية لذلك
فلما جا الاسلام تحرجوا الى الطواف وروي عن عايشة ان ذلك في الانصار
وذلك انهم كانوا يهلون لمناة التي كانت بالمشلل حذو قديد ويعظمونها فكانوا
لا يطوفون بين اساف ونايلة اجلالا لتلك فلما جا الاسلام تحرجوا فنزلت
هذه الاية وروي عن الشعبي ان العرب التي كانت تطوف هنالك كانت
تعتقد ذلك اجلالا لاساف ونايلة وكان الساعي يتمسح باساف فاذا بلغ المروة
تمسح بنايلة وكذلك حتى يتم اشواطه فلما جا الاسلام كرهوا السعي هنالك
اذ كان بسبب الصنمين واختلف العلما في السعي بين الصفا والمروة فمذهب مالك
والشافعي ان ذلك فرض ركن من اركان الحج لا يجزي تاركه او ناسيه الا العود
ومذهب الثوري واصحاب الراي ان الدم يجزي تاركه وان عاد فحسن
فهو عندهم ندب وروي عن ابي حنيفة ان ترك الاكثر من ثلاثة
اشواط فعليه دم وان ترك ثلثه فاقل فعليه لكل شوط اطعام مسكين وقال
عطا ليس على تاركه شي لا دم ولا غيره واحتج عطا بما في مصحف ابن مسعود ان
لا يطوف بهما وهي قراة خالف فيها مصحف الاسلام وقد انكرتها عايشة في قولها

لعروة حين قال لها أرأيت قول الله فلا جناح عليهما أن يطوف بهما فما أرى على
أحد شيئا ألا يطوف بهما قالت يا عروة كلا لو كان كذلك لقال فلا جناح عليه
أن لا يطوف بهما قال أبو محمد وأيضا فإن لا في مصحف ابن مسعود توجب
أن المعنى أن يطوف ويكون لا زائدة صلة في الكلام كقوله ما منعك ألا تسجد
وكقول الشاعر ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر
أي وعمر وكقول الآخر وما ألوم البيض ألا تسخرا .:. ومذهب مالك
وأصحابه في العمرة أنها سنة إلا ابن حبيب فإنه قال بوجوبها وقرأ قوم من
الصحابة وغيرهم ومن يطوع بالياء من تحت على الاستقبال والشرط والجواب في
قوله فإن وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم تطوع على أنه في المضي ومن
القراءة بمعنى الذي ودخلت الفاء في قوله فإن للإبهام الذي في من حكاه مكي وقال
وقال أبو علي يحتمل تطوع أن يكون في موضع جزم ومن شرطية ويحتمل أن يكون
من بمعنى الذي والفعل صلة لا موضع له من الإعراب والفاء مؤذنة أن الثاني
وجب لوجوب الأول ومن قال بوجوب السعي معنى تطوع أي زاد برا بعد الواجب
جعله عاما في الأعمال وقال بعضهم معناه من تطوع بحج أو عمرة بعد حجة الفريضة
ومن لم يوجب السعي قال المعنى من تطوع بالسعي بينهما وفي قراءة ابن مسعود فمن تطوع
بخير ومعنى شاكر أي يبذل الثواب والجزاء عليم بالنيات والأعمال لا يضيع
معه لعامل بر ولا غيره عمل وقوله تعالى إن الذين يكتمون الآية المراد بالذين
أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد عليه السلام قال الطبري
وقد روي أن معنيين منهم سألهم قوم من أصحاب النبي عليه السلام عما في كتبهم
من أمره فكتموا فنزلت ويتناول الآية بعد كل من كتم علما من دين الله يحتاج
إليه وذلك مفسر في قول النبي عليه السلام من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم
بلجام من نار وهذا إذا كان لا يخاف ولا ضرر عليه في بثه وهذه الآية أراد
أبو هريرة في قوله لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم حديثا وقد نزل أبو هريرة

ذلك

ذلك حين خاف فقال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما
فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم وهذه الآية أراد عثمان
رضي الله عنه في قوله لأحدثنكم حديثا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه
ومن روى في كلام عثمان لولا أنه في كتاب الله فالمعنى عن هذا أو البينات والهدى
أمر محمد عليه السلام ثم يعم بعد كل ما يكتم من خير وقرأ طلحة بن مصرف من
بعد ما بيناه على الإفراد وفي الكتاب يراد به التوراة والإنجيل والحكم في سبب
الآية وأنها في أمر محمد عليه السلام ثم يدخل في القرآن مع تعميم الآية وقد تقدم
معنى اللعنة واختلف في اللاعنين فقال قتادة والربيع الملائكة والمؤمنون وهذا
ظاهر واضح جار على مقتضى الكلام وقال مجاهد وعكرمة هم الحشرات
والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم قال
أبو محمد وذكروا بالواو والنون كمن يعقل لأنهم أسند إليهم فعل من
يعقل كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال البراء بن عازب اللاعنون كل المخلوقات
ما خلا الثقلين الجن والإنس وذلك أن النبي عليه السلام قال إن الكافر إذا ضرب
في قبره فصاح سمعه الكل إلا الثقلين فيلعنه كل سامع وقال ابن مسعود المراد
بها ما قال النبي صلى الله عليه وسلم أن كل متلاعنين إن استحقا اللعنة وإلا انصرفت
على اليهود قال أبو محمد وهذه الأقوال الثلاثة لا يقتضيها اللفظ
ولا يثبت إلا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله تعالى التائبين وقد تقدم
معنى التوبة فأصلحوا في أعمالهم وأقوالهم وبينوا قال من فسر الآية على العموم
معناه بينوا توبتهم بمبرز العمل والبروع فيه ومن فسرها على أنها في كاتمي
أمر محمد عليه السلام قال المعنى بينوا أمر محمد عليه السلام فتجيء الآية في من أسلم
من اليهود والنصارى وقد تقدم معنى توبة الله على عبده وأنها رجوعه
به عن المعصية إلى الطاعة قوله تعالى إن الذين كفروا وماتوا
وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها

لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض
لآيات لقوم يعقلون قوله تعالى إن الذين كفروا الآية محكمة في
الذين ماتوا على كفرهم واختلف في قوله والناس أجمعين وهم لا يلعنون أنفسهم
فقال قتادة والربيع المراد بالناس المؤمنين خاصة وقال أبو العالية معنى
ذلك في الآخرة وذلك أن الكفرة يلعنون أنفسهم يوم القيامة وقالت فرقة
معنى ذلك أن الكفرة يقولون في الدنيا لعن الله الكافر فيلعنون أنفسهم حيث
لا يشعرون وقرأ الحسن بن أبي الحسن والملائكة والناس أجمعون بالرفع على
تقدير أولئك يلعنهم الله واللعنة في هذه الآية تقتضي العذاب فلذلك قال
خالدين فيها والضمير عائد على اللعنة وقيل على النار وإن كان لم يجر لها
ذكر لثبوتها في المعنى ثم أعلم تعالى برفع وجوه الرفق عنهم لأن العذاب إذا
لم يخفف ولم يؤخر فهو النهاية وينظرون معناه يؤخرون عن العذاب ويحتمل
أن يكون من النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة نحو الأول أظهر
لأن النظر بالعين إنما يعدى بإلى إلا شاذا في الشعر وقوله تعالى وإلهكم
إله واحد الآية إعلام بالوحدانية وواحد في صفة الله تعالى معناه نفي
المثل والنظير والند وقال أبو المعالي هو نفي التبعيض والانقسام وقال عطاء
لما نزلت هذه الآية بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما
آيته وعلامته وقال سعيد بن المسيب قالوا إن كان هذا يا محمد فأتنا
بآية من عنده يكون علامة الصدق حتى قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا فقيل
لهم ذلك لكم ولكن إن كفرتم بعد ذلك عذبتم فأشفق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال دعني أدعهم يوما بيوم فنزل عند ذلك قوله تعالى إن في خلق السموات

والأرض

والأرض الآية ومعنى في خلق السموات في اختراعها وإنشائها وقيل
المعنى إن في خلقه أي هيئة السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
معناه أن هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا فهما خلفة كما قال تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وكما قال زهير
بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وإنما بالناظرين إذا أكل النمل الذي جمعا خلفة حتى إذا ارتبعت
سكنت من جلق بيعا ويحتمل أيضا الاختلاف في هذه الآية أن يراد
به اختلاف الأوصاف والليل جمع ليلة وجمع ليالي وزيدت فيها الياء كما
زيدت في كل هنة وفي أهلية والنهار يجمع نهر وأنهرة وهو من طلوع
الفجر إلى غروب الشمس يقضي بذلك قول النبي عليه السلام لعدي بن حاتم
إنما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو مقتضى الفقه في الأيمان ونحوها
أما على ظاهر اللغة وأخذه من السعة فهو من وقت الإسفار إذا اتسع وقت
النهار قال ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها
وقال الزجاج في كتاب الأنوار أول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل
أول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار
وقول النبي عليه السلام هو الحكم والفلك السفن وإفراده وجمعه بلفظ واحد
وليست الحركات تلك بأعيانها بل كأنه بنى الجمع بناء آخر يدل على ذلك
توسط التثنية في قولهم فلكان والفلك المفرد مذكر قال الله تعالى في
الفلك المشحون وما ينفع الناس يعني التجارات وسائر المآرب التي تركبت
لها البحر من غزو وحج والنعمة بالفلك هي إذا انتفع بها فلذلك خص ذكر
الانتفاع إذ قد يجري ما يضر وما أنزل الله من السماء من ماء يعني بها الأمطار
التي بها إنعاش العالم وإخراج النباتات والأرزاق وبث معناه فرق
وبسط ودابة يجمع الحيوان كله وقد أخرج بعض الناس الطير من الدواب

وهو مردود وقال الاعشى دبيب قطا البطحاء في كل منهل وقال علقمة
بن عبدة صواعقها لطيرهن دبيب ٭ وتصريف الرياح ارسالها عقيما
وملقحة وصرا وقرا وهلاكا ومنه ارسالها جنوبا وشمالا وغير ذلك
والرياح جمع ريح وجاءت في القران مجموعة في الرحمة مفردة مع العذاب الا
في يونس في قوله وجرين بهم بريح طيبة وهذا اغلب وقوعها في الكلام وفي الحديث
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح يقول اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابو محمد وذلك لان ريح العذاب
شديدة ملتئمة الاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة متقطعة
فلذلك هي رياح وهو معنى نشر وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هي
واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب
وهي لفظة من ذوات الواو يقال ريح وارواح ولا يقال ارياح وانما قيل
رياح من جهة الكثرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن في هذه اللفظة عمارة
بن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح في شعره ولحن في ذلك وقال
له ابو حاتم ان الارياح لا تجوز فقال اما تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا
خلاف ذلك فقال صدقت ورجع واما القراء السبعة فاختلفوا فقرأ نافع
الرياح في اثني عشر موضعا هنا وفي الاعراف يرسل الرياح وفي ابرهيم اشتدت
به الرياح وفي الحجر الرياح لواقح وفي الكهف تذروه الرياح وفي الفرقان ارسل
الرياح وفي النمل ومن يرسل الرياح وفي الروم موضعين وفي فاطر وفي الجاثية وفي
عسق يسكن الرياح وقرا عمرو وابو عاصم وابن عامر موضعين من هذه بالافراد
في ابرهيم وفي عسق وقرؤا سايرها كقراءة نافع وقرا ابن كثير بالجمع في
خمسة مواضع هنا وفي الحجر وفي الكهف وفي الروم الحرف الاول وفي الجاثية
وتصريف الرياح وباقي ما في القران بالافراد وقرا حمزة بالجمع في موضعين في
الفرقان وفي الروم الحرف الاول وافرد سائر ما في القران وقرا الكسائي كحمزة

وزاد

وزاد عليه في الحجر الرياح لواقح وليس اختلفوا في توحيد ما ليس فيه
الف ولام والسحاب جمع سحابة سميت بذلك لانها تنسحب كما قالوا حبي
لانه يحبو قاله ابو علي الفارسي وتسخيره بعثه من مكان الى اخر فهذه ايات
ان الصانع موجود والدليل العقلي يقوم ان الصانع للعالم لا يمكن ان يكون الا
واحدا لجواز اختلاف الاثنين قوله عز وجل ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد
العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم
الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤا منا كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ذكر الله
الوحدانية ثم الايات الدالة على الصانع الذي لا يمكن ان يكون الا
واحدا ثم ذكر في هذه الاية الجاحدين الضالين مجتمعا سوء ضلالهم
مع الايات لان المعنى ان في هذه الامور لايات بينة ومن الناس
مع ذلك البيان من يتخذ ووحد يتخذ موحدا على لفظ من والمعنى جمعه ومن
دون لفظ تعطي غيبة ما يضاف اليه دون غير القضية التي فيها الكلام وتفسير
دون بسوى او غير لا يطرد والند النظير والمقاوم والوازي وجاء ضمير
ما في يحبونهم ضمير من يعقل لما انزلت بالعبادة منزلة من يعقل وقال ابن عباس
والسدي المراد بالانداد الرؤسا المتبعون يطيعونهم في معاصي الله تعالى ويحبونهم
في موضع نصب نعت الانداد او على الحال من المضمر في يتخذ او يكون في موضع رفع نعت
لمن وهذا على ان يكون من نكرة والكاف في كحب في موضع نصب نعت لمصدر محذوف
وحب مصدر مضاف الى المفعول في اللفظ وهو على التقدير مضاف الى الفاعل المضمر
تقديره كحبكم الله او كحبهم حسبما قدر كل وجه منها فرقة ومعنى كحبهم اي
يسوون بين محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم

وسقيهم الحق وقوله تعالى ولو ترى اذ الذين ظلموا اقرا نافع وابن عامر ترى
بالتاء من فوق وان بفتح الالف وان الاخرى كذلك عطف على الاول وتقدير
ذلك ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رويتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم
له لاقروا ان القوة لله فالجواب مضمر على هذا النحو من المعنى وهو العامل في
ان وتقدير اخر ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رويتهم العذاب وفزعهم منه
لعلمت ان القوة لله جميعا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن
خوطب والمراد امته فان فيهم من يحتاج الى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا
وتقدير ثالث ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رويتهم العذاب لان القوة
لله لعلمت مبلغهم النكال ولاستعظمت ما حل بهم فاللام مضمرة وقيل ان
فهي مفعول من اجله والجواب محذوف مقدر بعد ذلك وفي حذف جواب
لو مبالغة لانك تدع السامع يسمو بتخيله ولو شرحت له لوطنت نفسه
الى ما شرحت وقرا الحسن وقتادة وشيبة وابو جعفر ترى بالتاء من فوق وكسر
الهمزة من ان وتاويل ذلك ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لاستعظمت
ما حل بهم ثم ابتدا الخبر بقوله ان القوة لله وتاويل اخر ولو ترى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب يقولون ان القوة لله جميعا لاستعظمت حالهم وقرا حمزة والكسائي
وابو عمرو وعاصم وكثير يرى بالياء من اسفل وفتح الالف من ان وتاويله ولو يرى
في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الاخرة اذ يرون العذاب ان القوة لله وتاويل
اخر روي عن المبرد والاخفش ولو يرى بمعنى يعلم الذين ظلموا اذ يرون العذاب
ان القوة لله جميعا لاستعظموا ما حل بهم فيرى عامل في ان وسدت مسد المفعولين
وقال ابو علي الى وبه في هذه الاية روية البصر والتقدير في قراءة الياء ولو يرى
الذين ظلموا ان القوة لله جميعا وحذف جواب لو للمبالغة ويعمل في ان الفعل
الظاهر وهو ارجح من ان يكون العامل فيها مقدرا او دخلت اذ وهي للماضي في
اثناء هذه المستقبلات تقريبا للامر وتصحيحا لوقوعه كما يقع الماضي موقع المستقبل
في

في قوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ولان امر الله ومنه قول الاشتر
بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه عبوس وقرا
طائفة يرى بالياء من اسفل وكسر الالف من ان وذلك اما على حذف الجواب وابتداء
الخبر واما على تقدير لقالوا ان القوة لله جميعا وقرا ابن عامر وحده يرون
بضم الياء والباقون بفتحها وتشبث بنص هذه الاية القوة لله جل وعلا قول
المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة وقالت طائفة الذين اتبعوا كل
من عبد دون الله وقال قتادة هم الشياطين المضلون وقال الربيع وعطا
هم رؤساهم قال ابو محمد ولفظ الاية يعم هذا كله واذ يحتمل ان يكون
متعلقة بشديد العقاب ويحتمل ان يكون العامل فيها اذكر والذين اتبعوا
بفتح التاء هم العبدة لغير الله والضالون المقلدون لرؤسائهم او للشياطين
وتبريهم هو بان قالوا انا لم نضل هولاء بل كفروا باختيارهم وتعلق العقاب
على المتبعين بكفرهم ولم ياتت ما حاولوه من تعليق ذنوبهم على المضلين وقرا
مجاهد بتقديم الفعل المسند الى المتبعين من الرؤسا وتاخير المسند الى
المتبعين والسبب في اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال في كل ما يتمسك به فيصل
بين شيئين وقال ابن عباس الاسباب ها هنا الارحام وقال مجاهد هي العهود
وقيل المودات وقيل المنازل التي كانت لهم في الدنيا وقال ابن زيد والسدي
هي الاعمال اذ اعمال المومنين كالسبب في تنعيمهم فتقطعت بالظالمين
اعمالهم وقوله وقال الذين اتبعوا الاية المعنى وقال الاتباع الذين تبري
منهم لو رددنا الى الدنيا حتى نعمل صالحا ونتبرا منهم والكرة العودة الى
حالة قد كانت ومنه قول جرير
ولقد عطفن على فزارة عطفة كر المنيح وجلن ثم مجالا :: والمنيح
هنا احد الاغفال من سهام الميسر وذلك انه اذا خرج من الربابة رد لفوره
لانه لا فرض فيه ولا حكم عنه والكاف من قوله تعالى كما في موضع نصب

على النعت اما المصدر او الحال تقديره متشبهين كما والكاف من قوله تعالى
كذلك يريهم الله قيل هي في موضع رفع على خبر ابتداء تقديره الامر يريهم الله
كذلك وقيل هي كاف تشبيه مجردة والاشارة بذلك الى حالهم وقت تحيّرهم
الكرة والروية في الاية هي من رؤية البصر ويحتمل ان تكون من رؤية القلب
واعمالهم قال الربيع وابن زيد المعنى الفاسدة التي ارتكبوها فوجبت لهم بها
النار وقال ابن مسعود والسدي المعنى الصالحة التي تركوها ففاتتهم الجنة
ورويت في هذا القول احاديث واضيفت هذه الاعمال اليهم من حيث هم
مامورون بها واما اضافة الفاسدة اليهم فمن حيث عملوها وحسرات حال
على ان تكون الروية بصرية ومفعول على ان تكون قلبية والحسرة اعلا درجات
الندامة والهم بما فات وهي مشتقة من الشيء الحسير الذي انقطع وذهبت قوته
كالبصير والبعير وقيل هي من حسر اذا كشف ومنه قول النبي عليه السلام يحسر
الفرات عن جبل من ذهب **قوله تعالى** يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون الخطاب عام وما
بمعنى الذي وحلالا حال من الضمير العائد على ما وقال مكي نعت لمفعول محذوف
تقديره شيئا حلالا **قال ابو محمد** وهذا بعيد وكذلك مقصد
الكلام لا يعطي ان يكون حلالا مفعولا بكلوا وتامل طيبا نعت ويصح ان يكون
طيبا حالا من الضمير في كلوا تقديره مستطيبين والطيب عند مالك الحلال
فهو هنا تاكيد لاختلاف اللفظ وهو عند الشافعي المستلذ ولذلك يمنع اكل
الحيوان القذر وكل ما هو خبيث وخطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين
في المشي فالمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه قال ابن عباس

خطواته اعماله قال غيره اثاره قال مجاهد خطاياه قال ابو مجلز هي
النذور في المعاصي قال الحسن نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحرث بن كعب
وقرا ابن عباس والكسائي خطوات بضم الخاء والطاء ورويت عن عاصم وابن
كثير بخلاف وقرا الباقون بسكون الطاء فاما اراد واضم الطاء وحققوها اذ
هو الباب في جمع فعلة كغرفة وغرفات واما انهم تركوها في الجمع على سكونها
في المفرد وقرا ابو السمال خطوات بفتح الخاء والطاء وروى عن علي بن ابي طالب
وقتادة والاعمش وسلام خطؤات بضم الخاء والطاء والهمزة على الواو وذهب
بهذه القراءة الى انها جمع خطئة من الخطا لا من الخطو وكل ما عدا السنن
والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان وعدو يقع للمفرد
والتثنية والجمع وقوله تعالى انما يامركم الاية انما تصلح للحصر وقد تجيء غير حاصرة
بل للمبالغة كقولك انما الشجاع عنترة كانها الحال والحصر او توهمه فانما
يعرف معنى انما بقرينة الكلام الذي هي فيه فهي في هذه الاية حاصرة وامر الشيطان
اما بقوله في زمن الكهنة وحيث يتصور واما بوسوسته فاذا اطيع نفذ
امره والسوء مصدر من ساء يسوء فهي المعاصي وما تسوء عاقبته والفحشاء قال
السدي هي الزنا وقيل كل ما بلغ حدا من الحدود لانه يتفاحش حينئذ
وقيل ما تفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر **كما قال امرؤ القيس**
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصّته ولا بمعطل ثم استعملت
اللفظة فيما يستقبح من المعاني والشرع هو الذي يحسن ويقبح فكل ما نهت
عنه الشريعة فهو من الفحشاء وما لا تعلمون قال الطبري يريد ما
حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا وقوله تعالى
واذا قيل لهم يعني كفار العرب وقال ابن عباس نزلت في اليهود وقال
الطبري الضمير في لهم عائد على الناس من قوله يا ايها الناس كلوا وقيل
هو عائد على من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا واتبعوا

معناه بالقبول والعمل وما انزل الله هو القران والشرع والفينا معناه وجدنا
قال الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا والالف في
قوله اولو للاستفهام والواو لعطفه جمله كلام على جمله لان غايه الفساد في
الالتزام ان يقولوا نتبع اباءنا ولو كانوا لا يعقلون فقرروا على التزامهم ان يقولوا
نتبع اباءنا هذا اذ هذه حال اباءهم وقوه الفاظ هذه الايه تعطي ابطال التقليد
واجمعت الامه على ابطاله في العقايد وقوله تعالى ومثل الذين كفروا الايه
المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق
بالغنم او الابل فلا يسمع الا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر ابن عباس
وعكرمه وسيبويه والسدي قال ابو محمد فذكر بعض هذه الجمله
وبعض هذه ودل المذكور على المحذوف وهذه نهايه الايجاز والنعق
زجر الغنم والصياح بها قال الاخطل
انعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك بالخلاء ضلالا وقال قوم انما
وقع هذا التشبيه براعي الضان لانها من اثار الحيوان فهي تحمق راعيها وفي المثل احمق
من راعي ضان ثمانين وقد قال دريد لمالك بن عوف في يوم هوازن راعي ضان والله
قال الشاعر اصبحت هزءا لراعي الضان يهزا بي ماذا يريبك مني راعي الضان
فمعنى الايه ان هولاء الكفره من الرعاه على اذانهم صفحا يسمعونه ولا يفقهونه
اذ لا ينتفعون بفقهه وقال ابن زيد المعنى في الايه ومثل الذين كفروا في اتباعهم
الهتهم وعبادتهم اياها كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه شيا الا دويا غير مفيد يعني
بذلك الصدى الذي يستجيب من الجبل ووجه الطبري في الايه معنى اخر وهو
ان المراد مثل الكافرين في عبادتهم الهتهم كمثل الذي ينعق بشي بعيد منه
فهو لا يسمع من اجل البعد فليس للناعق من ذلك الا النداء الذي يتعبه وينصبه
فانه يشبه في هذين التاويلين الكفار بالناعق والاصنام بالمنعوق
وشبهوا في الصمم والبكم والعمى لمن لا حاسه له لما لم ينتفعوا بحواسهم

ولا صرفوها في ادراك ما ينبغي ومنه قول الشاعر اصم عما ساءه سميع لما
تقرر فقدهم لهذه الحواس قضى بانهم لا يعقلون اذ العقل كما قال ابو المعالي
وغيره علوم ضروريه يعطيها هذه الحواس او لا بد في كسبها من الحواس ومثل
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما اهل
به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمه ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم الطيب هنا
يجمع الحلال المستلذ والايه تشير بتبعيض من الى ان الحرام رزق وحض تعالى
على الشكر والمعنى في كل حال وان شرط والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز
النفوس كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا وقوله تعالى انما حرم عليكم الميته
انما حاصره والميته نصب بحرم وقرا ابو جعفر بن القعقاع الميته بالتشديد
قال الطبري وجماعه من اللغويين التشديد والتخفيف في ميت وميت لغتان
وقال ابو حاتم وغيره ما قد مات فيقالان فيه وما لم يمت بعد فلا يقال فيه ميت
بالتخفيف قال ابو محمد هكذا هو استعمال العرب ويستشهد الى قول الشاعر
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء استراح من الراحه
وقيل من الروحه ولم يقرا احد بتخفيف ما لم يمت الا ما روى البزي عن ابن كثير
وما هو بميت والمشهور عنه التثقيل واما قول الشاعر اذا ما مات
ميت من تميم فسرك ان تعيش فجي بزاد فالابلغ في الهجاء ان يريد الميت
حقيقه وقد ذهب بعض الناس الى انه اراد من شارف الموت والاول اشعر
وقرا قوم الميته بالرفع على ان تكون ما بمعنى الذي وان عامله وقول عبد الرحمن
السلمي حرم على ما لم يسم فاعله ورفع ما ذكر تحريمه فان كانت ما كافه
فالميته مفعول لم يسم فاعله فان كانت بمعنى الذي فالميته خبر ولفظ

الميتة عموم والمعنى مخصص لأن الحوت والجراد لم يدخل قط في حد العموم والميتة
ما مات دون ذكاة مما له نفس سائلة والطافي من الحوت جوزه مالك وغيره
ومنعه العراقيون وفي الميت دون سبب من الجراد خلاف منعه مالك وجمهور
أصحابه وجوزه ابن نافع وابن عبد الحكم وقال ابن وهب إن ضم في غرائر فضمه
ذكاته وقال ابن القاسم لا حتى يصنع به شيء يموت منه كقطع الرؤوس والأرجل
والأجنحة أو الطرح في الماء وقال سحنون لا يطرح في ماء بارد وقال أشهب إن مات
من قطع رجل أو جناح لم يؤكل لأنها حالة قد يعيش بها وتنسل والدم يراد به
المسفوح لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع وفي دم الحوت المزايل اختلاف
وروي عن القابسي أنه طاهر ويلزم عن طهارته أنه غير محرم وخص ذكر اللحم من
الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي أو لم يذك وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف
وغيرها وأجمعت الأمة على تحريم شحمه وفي خنزير الماء كراهية أبى مالك أن يجيب
فيه وقال أنتم تقولون خنزيرا وذهب أكثر اللغويين إلى أن لفظة الخنزير رباعية
وحكى ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر فاللفظة
على هذا ثلاثية وما أهل لغير الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للأنصاب
والأوثان وأهل معناه صيح ومنه استهلال المولود وجرت عادة العرب بالصياح
باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم
ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل التي نحرها غالب
أبو الفرزدق وقال إنها مما أهل بها لغير الله فتركها الناس ورأيت في أخبار
الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة مترفة صنعت للعبها عرسا فنحرت جزورا
فقال الحسن لا يحل أكلها فإنها إنما نحرت لصنم وفي ذبيحة المجوسي اختلاف ومالك
لا يجيزها البتة وذبيحة النصراني جائزة واختلف فيما حرم عليكم كالطريف
والشحم وغيره بالإجازة والمنع وقال ابن حبيب ما حرم عليهم بالكتاب فلا يحل لنا
من ذبحهم وما حرموه باجتهادهم فذلك حلال وعند مالك الكراهية فيما سمي عليه

الكتابي

الكتابي المسيح أو ذبحه لكنيسة ولا يبلغ بذلك التحريم وقوله
تعالى فمن اضطر الآية ضمت النون للالتقاء إتباعا للضمة في الطاء حسب قراءة
الجمهور وقرأ أبو جعفر وأبو السمال فمن اضطر بكسر الطاء وأصله اضطرر فلما
أدغم نقلت حركة الراء إلى الطاء وقرأ ابن محيصن فمن اطر بإدغام الضاد
في الطاء وكذلك حيث وقع في القرآن ومعنى اضطر ضمه عدم وغرث هذا
هو الصحيح الذي عليه جمهور الفقهاء والعلماء وقيل معناه أكره وغلب
على هذه المحرمات وغير باغ في موضع نصب على الحال والمعنى فيما قال قتادة والربيع
وابن زيد وعكرمة وغيرهم غير قاصد فساد وتعد بأن يجد عن هذه المحرمات
مندوحة ويأكلها وهؤلاء يجيزون الأكل منها في كل
سفر مع الضرورة وقال مجاهد وابن جبير وغيرهما المعنى غير باغ على المسلمين
وعاد عليهم فيدخل في الباغي والعادي قطاع السبل والخارج على السلطان
والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله ولغير هؤلاء هي
الرخصة وقال السدي غير باغ أي متزيد على حد إمساك رمقه وإبقاء قوته
فيجيء أكله شهوة ولا عاد أي متزود وقال مالك رحمه الله يأكل المضطر
شبعه وفي الموطأ وهو لكثير من العلماء أنه يتزود إذا خشي الضرورة فيما بين يديه
من مفازة وقفر وقيل في عاد إن معناه عائد فهو من المقلوب كشاكي السلاح
أصله شائك وكهار أصله هائر وكلاث أصله لائث وباغ أصله باغي ثقلت
الضمة على الياء فسكنت والتنوين ساكن فحذفت الياء والكسرة تدل عليها
ورفع الله تعالى الإثم لما أحل الميتة للمضطر لأن التحريم في الحقيقة متعلق
بالتصرف بالأكل لا بعين المحرم ويطلق التحريم على العين تجوزا ومنع قوم التزود
من الميتة وقالوا لما استقلت قوة صاحبه لم يصبه ضرورة وقال قوم من
العلماء من ذكر أن الميتة من ابن آدم والخنزير لا تكون فيهما رخصة اضطرار
لأنه لا تصح فيهما ذكاة بوجه وإنما الرخصة فيما تصح الذكاة في نوعه

وقوله تعالى ان الذين يكتمون الآية قال ابن عباس وقتادة والربيع والسدي
المراد احبار اليهود الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل
والضمير في به عائد على الكتاب ويحتمل ان يعود على ما وهو جزء الكتاب فيه امر محمد
صلى الله عليه وسلم وفيه وقع الكتم لا في جميع الكتاب ويحتمل ان يعود على الكتمان والثمن القليل
الدنيا والمكاسب ووصف بالقلة لانقضائه ونفاده قال ابو محمد وهذه
الآية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارا
لذلك بسبب دنيا يصيبها وذكر البطون في اكلهم المؤدي الى النار دلالة على حقيقة
الاكل اذ قد يستعمل مجازا في مثل اكل فلان ارضي ونحوه وفي ذكر البطن ايضا تنبيه
على مذمتهم بانهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له وعلى هجنتهم بطاعة
بطونهم وقال الربيع وغيره سمي ماكلهم نارا لانه يؤول بهم الى النار وقيل معنى
الآية ان الله تعالى يعاقبهم على كتمانهم باكل النار في جهنم حقيقة وقوله تعالى
ولا يكلمهم قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضى عنهم اذ في غير موضع من القرآن
ما ظاهره ان الله تعالى يكلم الكافرين كقوله اخسؤوا فيها ونحوه فتكون هذه
الآية بمنزلة قولك فلان لا يكلمه السلطان ولا يلتفت اليه وانت انما تعبر عن انحطاط
منزلته لديه وقال الطبري وغيره المعنى ولا يكلمهم بما يحبونه وقيل المعنى لا يرسل
اليهم الملائكة بالتحية ولا يزكيهم معناه لا يطهرهم من موجبات العذاب
وقيل المعنى لا يسميهم ازكياء واليم اسم فاعل بمعنى مؤلم قوله عز وجل
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك

الذين

الذين صدقوا واولئك هم المتقون لما تركوا الهدى واعرضوا عنه ولازموا
الضلالة وتكسبوها مع ان الهدى ممكن لهم ميسر كان ذلك كبيع وشرى وقد تقدم
ايعاب هذا المعنى ولما كان العذاب تابعا للضلالة التي اشتروها وها للضلالة
التي اشتروها وكانت المغفرة تابعة للهدى الذي اطرحوه ادخلا في تجوز
الشرى وقوله تعالى فما اصبرهم قال جمهور المفسرين ما تعجب وهو في حيز
المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار وفي التنزيل
قتل الانسان ما اكفره واسمع وابصر وبهذا المعنى صدر ابو علي وقال قتادة
والحسن وابن جبير والربيع اظهر التعجب من صبرهم على النار لما عملوا عمل من وطن
نفسه عليها وتقديره ما اجراهم على النار اذ يعملون عملا يؤدي اليها وقيل
ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار ذهب الى ذلك معمر بن المثنى والاول
اظهر ومعنى اصبرهم في اللغة امرهم بالصبر ومعناه ايضا جعلهم ذوي صبر
وكلا المعنيين متجه في الآية بالقول على الاستفهام وذهب المبرد في باب التعجب
من المقتضب الى ان هذه الآية تقرير واستفهام لا تعجب وان لفظة اصبر
هي بمعنى اضطر وحبس كما تقول اصبرت زيدا على القتل ومنه نهى النبي عليه السلام
ان يصبر الروح قال ومثله قول الشاعر قلت لها اصبرها دائبا امثال بسطام
بن قيس قليل قال ابو محمد الضبط عند المبرد بضم الهمزة وكسر الباء ماضيه
صبره ومنه المصبورة وانما يجيء قول ابي العباس على معنى اجعلها ذات صبر
وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب الآية المعنى ذلك الامر او الامر ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به والاشارة على هذا الى وجوب النار لهم ويحتمل
ان يقدر فعلنا ذلك ويحتمل ان يقدر وجب ذلك ويكون الكتاب جملة القرآن على
هذه التقديرات وقيل ان الاشارة بالكتاب الى قوله تعالى ان الذين كفروا سواء
عليهم ءانذرتهم الآية اي وجبت لهم النار بما قد نزله الله في الكتاب من الخبر به
والاشارة بذلك على هذا الى اشترائهم الضلالة بالهدى اي ذلك بما سبق

لهم في علم الله وورد اخباره به وبالحق معناه بالواجب ويحتمل ان يراد بالحق
اي الاخبار الصادقه والذين اختلفوا في الكتاب قال السدي هم اليهود والنصارى
لان هولاي في شق وهولاي في شق **قال ابو محمد** ويظهر ان الشقاق سميت به
المشاره والمقابله وجوه لان كل واحد يشق الوجل الذي يسه ومن مشاقه وقيل
ان المراد بالذين اختلفوا كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم هو اساطير وبعضهم
مفترى الى غير ذلك وشقاق هذه الطوايف انما هو مع الاسلام واهله وبعيد
هنا معناه من الحق والاستقامه وقوله تعالى ليس البر الايه قرا اكثر السبعه
برفع الراء والتراسم ليس قال ابو علي ليس بمنزله الفعل فالوجه ان يليها الفاعل
المفعول **قال ابو محمد** مذهب ابي علي ان ليس حرف والصواب الذي عليه الجمهور
انها فعل وقرا حمزه وعاصم في روايه حفص ليس البر بنصب الراء جعل ان تولوا
بمنزله المضمر اذ لا يوصف كما لا يوصف المضمر والمضمر اولى ان يكون اسما
خبر عنه وفي مصحف ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود ليس البر بان تولوا وقال الاعمش
ان مصحف عبد الله لا تحسبن البر وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما الخطاب
بهذه الايه للمومنين فالمعنى ليس البر الصلاه وحدها وقال قتاده والربيع الخطاب
لليهود والنصارى لانهم اختلفوا في التوجه والتولي فاليهود الى بيت المقدس
والنصارى الى مطلع الشمس وتكلموا في تحويل القبله وفضلت كل فرقه توليها
فقيل لهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من امن بالله وقرا القوم ولكن البر بتشديد
النون ونصب البر وقرا الجمهور ولكن البر والتقدير ولكن البر بر من او يكون التقدير
ذو البر من وقيل البر بمنزله اسم الفاعل تقديره ولكن البار من والمصدر اذا انزل
منزله الفاعل فهو ولا بد محمول على حذف مضاف كقولك رجل عدل ورضى
والايمان التصديق اي صدق بالله تعالى وهذه الامور كلها حسب مخبرات الشرايع
وقوله تعالى واتى المال على حبه الايه هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاه
واتى معناه اعطى والضمير في حبه عايد على المال فالمصدر مضاف الى المفعول وحكى

قول

قوله على حبه اعتراضا بليغا اثنا القول ويحتمل ان يعود الضمير على الايتاء اي في
وقت حاجه من الناس وفاقه فايتاء المال حبيب اليهم ويحتمل ان يعود على اسم الله
تعالى من قوله من امن بالله اي من تصدق محبه في الله تعالى وطاعاته ويحتمل
ان يعود على الضمير المستكن في اتى اي على حبه المال فالمصدر مضاف الى الفاعل والمعنى
المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل الغنى
كما قال صلى الله عليه وسلم **قال ابو محمد** والشح في هذا الحديث هو الغريزي
الذي في قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وليس المعنى ان يكون المتصدق متصفا
بالشح الذي هو البخل وذوي القربى يراد به قرابه النسب واليتم في الادميين
من قبل الاب قبل البلوغ وقال مجاهد وغيره ابن السبيل المسافر لملازمته
السبيل **قال ابو محمد** وهذا كما يقال ابن ماء للطاير الملازم للماء ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنه ابن زنا اي الملازم له وقيل لما كانت السبيل
تبرزه شبه ذلك بالولاده فنسب اليها وقال قتاده ابن السبيل الضيف والاول
اعم وفي الرقاب يراد به العتق وفك الاسرى واعطا اواخر الكتابات واقام الصلاه
اتمها بشروطها وذكر الزكاه المفروضه والموفون عطف على من في قوله من
امن ويحتمل ان يقدر وهم الموفون والصابرين نصب المدح وعلى اضمار فعل
تكرار النعوت وفي مصحف عبد الله بن مسعود والمرفين
على المدح او على قطع النعوت وقرا يعقوب والاعمش والحسن والموفون والصابرون
وقرا الجحدري بعهودهم والباسا الفقر والفاقه والضرا المرض ومصايب البدن
وحين الباس وقت شده القتال هذا قول المفسرين في الالفاظ الثلاثه وتقول
العرب بيس الرجل اذا افتقر وبوس اذا شجع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال
البره بالصدق في امورهم اي هم عند الظن بهم والرجا فيهم كما تقول صدقني
المال وصدقني الرمح ومنه عود صدق ويحتمل اللفظه ايضا صدق الاخبار
ووصفهم تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقايه

هذا دليل على ان [illegible] ليس [illegible]
[illegible]

من العمل الصالح **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم
ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر
احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين كتب
معناه فرض واثبت والكتب مستعمل في الامور المخلدات الدايمة كثيرا وقيل ان كتب
في مثل هذا اخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضا وصورة فرض القصاص
هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل الاستسلام لامر الله والانقياد
لقصاصه المشروع وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدي
الى غيره كما كانت العرب تفعل تتعدى وتقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله وان الحكام
واولي الامر فرض عليهم النهوض بالقصاص واقامة الحدود وليس يلزم اما
اللزام ان لا يتجاوز القصاص الى اعتداء فاما اذا وقع الرضى بدون القصاص من دية
او عفو فذلك مباح والاية معلمة ان القصاص هو الغاية عند التشاح
والقصاص ماخوذ من قص الاثر فكان القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره
فيها ومشى على سبيله في ذلك والقتلى جمع قتيل لفظ مونث تانيث الجماعة وهو
مما يدخل على الناس كرها فلذلك جا على هذا البناء كجرحى وزمنى وحمقى وصرعى
وغرقى واختلف في سبب هذه الاية فقال الشعبي ان العرب كان اهل العزة
منهم والمنعة اذا قتل منهم عبد قتلوا به حرا واذا قتلت امراة قتلوا بها ذكرا
فنزلت الاية في ذلك ليعلم الله تعالى بالسوية ويذهب امر الجاهلية وحكي
ان قوما تقاتلوا احرارا فنزلت الاية
وقيل نزلت بسبب قتال وقع بين قبيلتين من الانصار وقيل من غيرهم فقتل
هولاء من هولاء رجالا وعبيدا ونسا فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يصلح بينهم ويقاصهم بعضهم من بعض بالديات على استوا الاحرار بالاحرار

والنساء

والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد وروي عن ابن عباس ان الاية نزلت مقتضية
ان لا يقتل الرجل بالمراة ولا المراة بالرجل ولا يدخل صنف على صنف ثم نسخت
باية المايدة ان النفس بالنفس **قال ابو محمد** هكذا روي واية المايدة انما
هي اخبار عما كتب على بني اسرايل فلا يترتب النسخ الا بما تلقي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ان حكمنا في شرعنا مثل حكمهم وروي عن ابن عباس فيما ذكر
ابو عبيد وعن غيره ان هذه الاية محكمة وفيها اجمال فسرته اية المايدة
وان قوله هنا الحر بالحر يعم الرجال والنسا وقال مجاهد وقال مالك رحمه الله
احسن ما سمعت في هذه الاية انه يراد بها الجنس الذكر والانثى فيه سواء
واعيد ذكر الانثى تاكيدا وتهمما باذهاب امر الجاهلية وروي عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه وعن الحسن ابن ابي الحسن ان الاية نزلت مبينة
حكم المذكورين ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين ان يقتل حر عبدا او عبد حرا
او ذكر انثى او انثى ذكرا وقالا انه اذا قتل رجل امراة فان اراد اولياو
قتلوا صاحبهم ووفوا اولياها نصف الدية منه وان ارادوا استحيوه واخذوا
منه دية المراة واذا قتلت المراة رجلا فان اراد اولياوه قتلوا واخذوا
نصف الدية والا اخذوا دية صاحبهم واستحيوها واذا قتل الحر العبد
فان اراد سيد العبد قتل واعطي دية الحر الا قيمة العبد وان شا استحيا
واخذ قيمة العبد هذا مذكور عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وقد انكر ذلك
ايضا واجمعت الامة على قتل الرجل بالمراة والمراة بالرجل والجمهور لا يرون
الرجوع بشي وفرقة ترى الاتباع بفضل الديات قال مالك والشافعي
وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس وقال ابو حنيفة لا قصاص
بينهما فيما دون النفس وانما هو في النفس بالنفس وقال النخعي وقتادة وسعيد
بن المسيب والشعبي والثوري وابو محمد بن الحسن وابو يوسف يقتل الحر
بالعبد وقال مالك رحمه الله وجمهور من العلما لا يقتل الحر بالعبد ودليلهم

إجماع الأمة على أن العبد لا يقاوم الحر فيما دون النفس فالنفس مقيسة
على ذلك وأيضا فالإجماع فيمن قتل عبدا خطأ أنه ليس عليه إلا القيمة فكما لم يشبه
الحر في الخطأ لم يشبهه في العمد وأيضا فإن العبد سلعة من السلع يباع ويشترى
وإذا قتل الرجل ابنه فإن قصد إلى قتله مثل أن يضجعه ويذبحه أو يصبره مما لا
عذر له فيه ولا شبهة في ادعاء الخطأ فإنه يقتل به قولا واحدا في مذهب مالك
وإن قتله على حد ما يرمي أو يضرب فيقتله ففيه في المذهب قولان يقتل به ولا يقتل
وتغلظ الدية وقوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء فيه أربع تأويلات أحدها
أن من يراد بها القاتل وعفي يتضمن عافيا هو ولي الدم والأخ هو المقتول ويصح
أن يكون الولي على هذا التأويل وهي أخوة الإسلام وشيء هو الدم الذي يعفى عنه
ويرجع إلى أخذ الدية هذا قول ابن عباس وجماعة من العلماء والعفو في هذا
القول على بابه والضمير ارتبا على من في كل تأويل والتأويل الثاني وهو
قول مالك أن من يراد بها الولي وعفي بمعنى يسر لا على بابها في العفو والأخ يراد
به القاتل وشيء هي الدية والأخوة على هذا أخوة الإسلام ويحتمل أن يراد بالأخ
على هذا التأويل المقتول أي يسر له من قبل أخيه المقتول وبسببه فتكون
الأخوة أخوة قرابة والإسلام وعلى هذا التأويل قال مالك رحمه الله إن الولي إذا
جنح إلى العفو على أخذ الدية فإن القاتل مخير بين أن يعطيها أو يسلم نفسه فمرة
تيسر ومرة لا تيسر وغير مالك يقول إذا رضي الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل
بل تلزمه وقد روي أيضا هذا القول عن مالك ورجحه كثير من أصحابه والتأويل
الثالث أن هذه الألفاظ في المعينين الذين نزلت فيهم الآية كلها وتساقطوا
الديات فيما بينهم مقاصة حسب ما ذكرناه أيضا ومعنى الآية فمن فضل له من الطائفتين
على الأخرى شيء من تلك الديات وتكون عفي بمعنى فضل من قولهم عفا الشيء إذا كثر
أي أفضلت الحال له أو الحساب أو القدر والتأويل الرابع هو على قول
علي رضي الله عنه والحسن بن أبي الحسن في الفضل بين دية المرأة والرجل والحر

والعبد

والعبد أي من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف وعفي في هذا الموضع أيضا
بمعنى أفضل وكأن الآية من أولها بينت الحكم إذا لم يتداخل الأنواع ثم الحكم
إذا تداخلت وشيء في هذه الآية مفعول لم يسم فاعله وجاز ذلك وعفي لا يتعدى
الماضي الذي يبنى منه من حيث يقدر شيء تقدير المصدر كأن الكلام عفي
له من أخيه عفو وشيء اسم عام لهذا وغيره أو من حيث يقدر عفي بمعنى ترك
فيعمل عليها والأول أجود وله نظائر في كتاب الله منها قوله تعالى ولا تضرونه
شيئا قال الأخفش التقدير لا تضرونه ضرا ومن ذلك قول أبي خراش
فعاديت شيئا والدريس كأنما يزعزعه ورد من الموم مردم وقوله
فاتباع رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع وهذا سبيل
الواجبات كقوله تعالى فضرب الرقاب وفي هذه الآيات حض من الله على حسن
الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدي وقرأ ابن أبي عبلة فاتباعا بالنصب
وقوله تعالى ذلك تخفيف إشارة إلى ما شرعه لهذه الأمة من أخذ الدية وكانت
بنو إسرائيل لا دية عندهم إنما هو القصاص فقط والاعتداء المتوعد عليه في
هذه الآية هو أن يأخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل بعد سقوط الدم واختلف
في العذاب الأليم الذي يلحقه فقال فريق من العلماء منهم مالك هو كمن
قتل ابتداء إن شاء الولي قتله وإن شاء عفا عنه وعذابه في الآخرة وقال قتادة
وعكرمة والسدي وغيرهم عذابه أن يقتل البتة ولا يمكن الحاكم الولي من
العفو وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أقسم لا أعفي عن رجل عفا
عن الدم وأخذ الدية ثم عدا وقتل وقال الحسن عذابه أن يرد الدية فقط ويبقى
إثمه إلى عذاب الآخرة وقال عمر بن عبد العزيز أمره إلى الإمام يصنع فيه ما
رأى وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة نحوه قول العرب القتل أوقى للقتل
ويروى أبقى بباء وقاف ويروى أنفى بنون وفاء والمعنى أن القصاص إذا أقيم
وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل أحد مخافة أن يقتص منه فحييا بذلك معا

وهذا الترتيب حما سبق لهما في الازل وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل
الاخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد الكثير فلما
شرع الله القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة
وخص اولي الالباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون القابلون للاوامر والنواهي
وغيرهم تبع لهم وتتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية
لانواع التقوى في غير ذلك فان الله تعالى يثيب على الطاعة وقرا ابو الجوزاء اوس
بن عبد الله الربعي ولكم في القصص اي في كتاب الله الذي شرع فيه القصاص
حكمة ويحتمل ان يكون مصدرا كالقصاص اي انه قص اثر القاتل قصصا فقتل
كما قتل وقوله تعالى كتب عليكم الاية كان الاية متصلة بقوله يا ايها الذين
امنوا فلذلك سقطت واو العطف وكتب معناه فرض واثبت وقال بعض اهل العلم
الوصية فرض وقال قوم كانت فرضا ونسخت وقال قوم نسخ وبقيت ولست عامل
في رفع الوصية على المفعول الذي لم يسم فاعله في بعض التقديرات وسقطت علامة
التانيث من كتب لطول الكلام فحسن سقوطها وقد حكى سيبويه قام امراة
ولكن حسن ذلك انما هو مع طول الحايل ولا يصح عند جمهور النحاة ان يعمل الوصية
في اذا لانها في حكم الصلة للمصدر الذي هو الوصية وقد تقدمت ولا يجوز
ان يعمل فيها ما تقدمه ويتجه في اعراب هذه الاية ان يكون كتب هو العامل في
اذا والمعنى توجه ايجاب الله عليكم وصية اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب
بكتب لينتظم الى هذا المعنى انه مكتوب في الازل والوصية مفعول لم يسم فاعله
بكتب وجواب الشرطين اذا وان مقدر يدل عليه ما تقدم من قوله كتب عليكم كما
تقول شكرت فعلك ان جئتني اذا كان كذا ويتجه في اعرابها ان يكون العامل في كتب
عليكم الايصا ويكون هذا الايصا المقدر الذي يدل عليه ذكر الوصية بعد هو العامل
في اذا وترتفع الوصية بالابتدا وفيه جواب الشرطين على نحو ما انشد سيبويه
من يفعل الصالحات الله يحفظه . او يكون رفعها بالابتداء بتقدير فعليه الوصية

او سدير الفاء فقط كانه قال فالوصية للوالدين ويتجه في اعرابها ان يكون
الوصية مرتفعة بكتب على المفعول الذي لم يسم فاعله وتكون الوصية هي العامل في اذا
وهذا على مذهب ابي الحسن الاخفش فانه يجيز ان يتقدم ما في الصلة الموصول
بشرطين هما في هذه الاية احدهما ان يكون الموصول ليس بموصول محض بل يشبه
الموصول وذلك كالالف واللام حيث توصل او كالمصدر وهذا في الاية مصدر وهو
الوصية والشرط الثاني ان يكون المتقدم ظرفا فان في الظرف يسهل الاتساع
واذا ظرف وهذا هو راي ابي الحسن في قول الشاعر
تقول وقد صكت وجهها بيمينها ابعلي هذا بالرحى المتقاعس فانه يرى ان
بالرحى متعلق بقوله المتقاعس كانه قال ابعلي هذا المتقاعس بالرحى وجواب
الشرطين في هذا القول كما ذكرناه في القول الاول وفي قوله تعالى اذا حضر مجاز
لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته والخير في هذه الاية المال واختلف
موجبوا الوصية في القدر الذي يجب منه فقال الزهري وغيره تجب فيما قل وفيما
كثر وقال النخعي تجب في خمس مائة درهم فصاعدا وقال علي بن ابي طالب
وقتادة في الف فصاعدا واختلف العلماء في هذه الاية فقال فريق هي محكمة ظاهرها
العموم ومعناها الخصوص في الوالدين الذين لا يرثان كالكافرين والعبدين وفي القرابة
غير الوارثة وقال ابن عباس والحسن وقتادة الاية عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ
منها كل من يرث باية الفرائض وفي هذه العبارة تدخل قول ابن عباس والحسن
وغيرهما انه نسخ منها الوالدان وبقيت الاقربون الذين لا يرثون وترك اية
الفرائض في سورة النساء ناسخة لهذا الحديث المتواتر ان الله اعطى كل ذي حق
حقه ولا وصية لوارث وقال ابن عمر وابن عباس ايضا وابن زيد الاية كلها
منسوخة وبقيت الوصية ندبا ونحو هذا قول مالك رحمه الله وقال الربيع بن خثيم
وغيره لا وصية وقال عروة ابن ثابت للربيع بن خثيم اوص لي بمصحفك فنظر
ولده وقرا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ونحو

هرما

هذا صنع ابن عمر رضي الله عنه وقال بعض اهل العلم ان الناسخ لهذه الاية هي السنة
المتواترة في الحديث المذكور قبل وقد تقدم توجيه نسخ السنة للكتاب في تفسير
قوله ما ننسخ من اية وقال قوم من العلماء الوصية للقرابة اولى فان كانت لاجنبي
فمعهم ولا تجوز لغيرهم مع تركهم وقال الناس حين مات ابو العالية عجبا له اعتقته
امراة من رياح واوصى بماله لبني هاشم وقال الشعبي لم يكن ذلك له ولا كرامة وقال
طاوس اذا اوصى لغير قرابته ردت الوصية الى قرابته ونقض فعله وقاله جابر بن زيد
وقال الحسن وجابر بن زيد ايضا وعبد الملك بن يعلى يبقى ثلث الوصية حيث
جعلها ويرد ثلثاها الى قرابته وقال مالك رحمه الله وجماعة من العلماء الوصية
ماضية حيث جعلها الميت والاقربون جمع اقرب وبالمعروف معناه بالقصد الذي
تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تبذير بالوصية وحقا مصدر مؤكد
وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها **قوله تعالى**
فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من
موص جنفا او اثما فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان
منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين
فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون الضمير في بدله
عائد على الايصاء وامر الميت وكذلك في سمعه ويحتمل ان يعود الذي في سمعه على امر
الله تعالى في هذه الاية والقول الاول اسبق للناظر لكن في ضمنه ان يكون المبدل
عالما بالنهي عامدا لخلافه والضمير في اثمه عائد على التبديل وسميع عليم صفتان لا يخفى
معهما شيء من جنف الموصين وتبديل المتعدين وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
من موص بفتح الواو وشد الصاد وقرا الباقون بسكون الواو والجنف الميل **وقال**
الاعشى تجانف عن جو اليمامة ناقتي وما قصدت من اهلها لسوائكا **وقال عامر الرام**
الخصفي المحاربي هم المولى وقد جنفوا علينا وانا من عداوتهم لزور ⁂ ومعنى الاية

على ما

على ما قال مجاهد من خشي ان يجنف الموصي ويقطع ميراث طائفة ويتعمد
الاذاية او يأتيها دون تعمد وذلك هو الجنف دون اثم واذا تعمد فهو الجنف
في اثم فالمعنى من وعظه في ذلك ورده عنه فيصلح بذلك ما بينه وبين ورثته
وما بين الورثة في ذاتهم فلا اثم عليه ان الله غفور عن الموصي اذا عملت فيه الموعظة
ورجع عما اراد من الاذاية ورحيم به وقال ابن عباس رضي الله عنه وقتادة
والربيع معنى الاية من خاف اي علم
ان الموصي خاف وجنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما وقع بين الورثة
من الاضطراب والشقاق فلا اثم عليه اي لا يلحقه اثم المبدل المذكور قبل
وان كان في فعله تبديل ما ولا بد ولكنه تبديل لمصلحة والتبديل الذي
فيه الاثم انما هو تبديل الهوى وقرا عبد الله بن عمر فلا اثم عليه بحذف الالف
وكتب معناه فرض والصيام في اللغة الامساك وترك التنقل من حال الى
حال **ومنه قول النابغة** خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما
اي خيل ثابتة ممسكة ومنه قول الله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي امساكا
عن الكلام **ومنه قول امرئ القيس** كان الثريا علقت في مصامها اي
في موضع ثبوتها وامساكها **ومنه قوله**
فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا ⁂ اي وقفت
الشمس عن الانتقال وثبتت والصيام في الشرع امساك عن الطعام والشراب
مقترنة به قرائن من مراعاة اوقات وغير ذلك وهو من مجمل القران في قول الحذاق
والكاف من قوله كما في موضع نصب على النعت تقديره كتبا كما او صوما كما او على
الحال كان الكلام كتب عليكم الصيام مشبها ما كتب على الذين من قبلكم وقال
بعض النحاة الكاف في موضع رفع على النعت للصيام اذ ليس تعريفه بمحض لمكان
الاجمال الذي فيه مما فسرته الشريعة فلذلك جاز نعته بكما اذ لا ينعت بها الا
النكرات فهو بمنزلة كتب عليكم صيام وقد ضعف هذا القول وتخلف

المتاولون في موضع التشبيه فقال الشعبي وغيره المعنى كتب عليكم رمضان
كما كتب على النصارى قال فانه كتب عليهم رمضان فبدلوه لانهم احتاطوا له بزيادة
يوم في اوله ويوم في اخره قرنا بعد قرن حتى بلغوه خمسين يوما فصعب عليهم في الحر
فنقلوه الى الفصل الشمسي قال النقاش وفي ذلك حديث عن دغفل بن حنظلة
والحسن البصري والسدي وقيل مرض ملك من ملوكهم فنذر ان برئ ان يزيد فيه
عشرة ايام ثم اخر سبعة ثم اخر ثلثة ورأوا ان الزيادة فيه حسنة بازاء الخطا
في نقله وقال السدي والربيع التشبيه هو ان من الافطار ان امثله لا ياكل
ولا يشرب ولا يطا الحان الافطار فلا يفعل هذه الاشيا من نام وكذلك كان
في النصارى اولا وكان في اول الاسلام ثم نسخه الله بسبب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقيس بن صرمة بما ياتي من الايات في ذلك وقال عطا التشبيه
كتب عليكم الصيام ثلثة ايام من كل شهر قال ابو محمد وفي بعض الطرق
ويوم عاشورا كما كتب على الذين من قبلكم ثلثة ايام
بشهر رمضان وقالت فرقة التشبيه كتب عليكم كصيام
بالاطلاق اي قد تقدم في شرع غيركم فالذين عام في النصارى وغيرهم ولعلكم
ترج في حقهم وتتقون قال السدي معناه تتقون الاكل والشرب والوطء بعد
النوم على قول من تاول ذلك وقيل تتقون على العموم لان الصيام كما قال عليه السلام
جنة ووجاء وسبب تقوى لانه يميت الشهوات واياما مفعول ثان بكتب قاله
الفرا وقيل هي نصب على الظرف وقيل نصبها بالصيام وهذا لاحسن الا ان عمل
الصيام في الكاف من كما على قول من قدر صوما كما واذا لم يعمل في الكاف فتبع الفصل
بين المصدر وما عمل فيه بما عمل فيه غيره وذلك اذا كان العامل في الكاف كتب
وجوز بعضهم ان يكون اياما ظرفا يعمل فيه الصيام ومعدودات قيل رمضان
وقيل الثلثة الايام وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر التقدير
فافطر فعدة من ايام اخر وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف العلما في حد المرض

الذي يقع به الفطر فقال قوم متى حصل الانسان في حال يستحق به اسم المرض صح
الفطر قياسا على المسافر انه يفطر لعلة السفر وان لم تدع الى الفطر ضرورة وقاله
ابن سيرين وقال جمهور من العلماء اذا كان به مرض يؤذيه ويولمه او يخاف تماديه
او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك
وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به وقال الحسن
اذا لم يقدر من المرض على الصلاة قائما افطر وقالت فرقة لا يفطر بالمرض الا من دعته
ضرورة المرض الى الفطر ومتى احتمل الضرورة معه لم يفطر وهذا قول الشافعي واختلف
العلما في الافضل من الفطر او الصوم في السفر فقال قوم والشافعي ومالك في
بعض ما روي عنه الصوم افضل لمن قوي وجل مذهب مالك التخيير وقال ابن عباس
وابن عمر وغيرهما الفطر افضل وقال مجاهد وعمر بن عبد العزيز وغيرهما ايسرهما
افضلهما وكره ابن حنبل وغيره الصوم في السفر وقال ابن عمر رضي الله عنه
ومذهب مالك في استحبابه الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسن لان
الذمة تبرا في رخصة الصلاة وهي مشغولة في امر الصيام والصواب المبادرة
بالاعمال وقال ابن عباس رضي الله عنه الصوم في السفر عزمة وذهب انس بن مالك
الى الصوم وقال انما نزلت الرخصة ونحن جياع نروح الى جوع والسفر سفر الطاعة
كالحج والجهاد باجماع ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضروري
واما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والاجازة والقول بالجواز
ارجح واما سفر المعاصي فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح ومسافة
سفر الفطر عند مالك يوم وليلة ثم رجع فقال ثمانية واربعون ميلا وروي عنه
يومان وروي عنه في العتبية خمسة واربعون ميلا وفي المبسوط اربعون ميلا
وفي المذهب ستة وثلثون ميلا وفيه ثلثون وقال ابن عمر وابن عباس والثوري
الفطر في سفر ثلثة ايام وفي غير المذهب يقصر في ثلثة اميال فصاعدا وقوله
تعالى فعدة مرفوع على خبر الابتداء تقديره فالحكم او فالواجب عدة ويصح

ان يقع على ابتداء والخبر بعده والتقدير بعده امثل له ويصح فعليه عدة واختلف
في وجوب تتابعها على قولين واخر لا ينصرف عند سيبويه لانه معدول عن الالف
واللام لان هذا البنا انما ياتي بالالف واللام كقولك الفضل والكبر فاجتمع فيه
العدل والصفة وجاء في الاية اخر ولم يجى اخرى لئلا يشكل بانها صفة للعدة والباب
ان جمع ما لا يعقل يجرى في مثل هذا مجرى الواحدة المؤنثة ومنه قوله تعالى يا
جبال اوبي معه الى غير ذلك وقرا جمهور الناس يطيقونه بكسر الطاء وسكون الياء
والاصل يطوقونه نقلت حركة الواو الى الطاء وقلبت ياء لانكسار ما قبلها
وقرا حميد يطوقونه وذلك على الاصل والقياس الاعلال وقرا ابن عباس يطوقونه
بمعنى يكلفونه وقرات عائشة وطاوس وعمرو بن دينار يطوقونه بفتح الياء وشد
الطاء مفتوحة وقرات فرقة يطيقونه بضم الياء وفتح الطاء وشد الياء المفتوحة
وقرا ابن عباس يطوقونه بضم الياء وشد الطا المفتوحة وشد الياء المفتوحة
بمعنى يتكلفونه وحكاها النقاش وابو عمرو الداني عن عكرمة وتشديد
الياء في هذه اللفظة ضعيف وقرا نافع وابن عامر من طريق ابن ذكوان فدية
طعام مساكين باضافة الفدية وقرا هشام عن ابن عامر فدية طعام مساكين
بتنوين الفدية وقرا هشام عن ابن عامر فدية طعام مسكين باضافة الفدية
وقرا هشام عن ابن عامر فدية طعام مسكين بتنوين الفدية وقرا الباقون فدية
بالتنوين طعام مسكين بالافراد وهي قراءة حسنة لانها بينت الحكم في اليوم وجمع
المساكين لا يدرى كم منهم في اليوم الا من غير الاية قال ابو علي فان قيل
كيف افردوا المسكين والمعنى على الكثرة لان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم
يلزمه مسكين فكان الوجه ان يجمعوا كما جمع المطيقون فالجواب ان
الافراد احسن لانه يفهم بالمعنى ان لكل واحد مسكين ونظير هذا قوله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة فليست
الثمانون متفرقة في جميعهم بل لكل واحد ثمانون واختلف المتاولون في المراد بالاية

فقال

فقال معاذ بن جبل وعلقمة والنخعي والحسن البصري وابن عمر والشعبي وسلمة بن
الاكوع وابن شهاب كان فرض الصيام هكذا على الناس من اراد صام ومن اراد
اطعم مسكينا وافطر ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت
فرقة وعلى الذين يطيقونه على الشيوخ والعجز الذين يطيقون لكن بتكلف شديد
فاباح الله لهم الفدية والفطر وهي محكمة عند قائلي هذا القول وعلى هذا التاويل
يجي قراءة يطوقونه وقال ابن عباس نزلت هذه الاية رخصة في الشيوخ والعجز
خاصة اذا افطروا وهم يطيقون الصوم ثم نسخت بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر
فزالت الرخصة الا لمن عجز منهم وقال السدي وعلى الذين يطيقونه اي على الذين
كانوا يطيقونه وهم بحالة الشباب ثم استحالوا بالشيخ فلا يستطيعون الصوم
وهي عنده محكمة ويلزم الشيوخ عنده الفدية اذا افطروا وحكوه عن ابن عباس
وقال مالك ارى الفدية على الشيخ الضعيف واجبة وتستحب لمن قدر عليها
والاية عنده انما هي فيمن يدركه رمضان وعليه صوم من المتقدم فقد كان يطيق
في تلك المدة الصوم فترك فعليه الفدية وقال الشافعي وابو حنيفة على الشيخ
العاجز الاطعام وحكى الطبري عن عكرمة انه كان يقرؤها وعلى الذين يطيقونه
فافطروا ومذهب مالك رحمه الله وجماعة من العلماء ان قدر الفدية مد لكل مسكين
وقال قوم قوت يوم وقال قوم عشاء وسحور وقال سفيان الثوري نصف صاع
من قمح وصاع من تمر او زبيب والضمير في يطيقونه عائد على الصيام وقيل على الطعام
وهو قول ضعيف واختلف في الحامل فقال ابن عمر وابن عباس تفدي وتفطر ولا
قضاء عليها وقال الحسن وعطاء والضحاك والزهري وربيعة ومالك تقضي الحامل
اذا افطرت ولا فدية عليها وقال الشافعي واحمد بن حنبل ومجاهد تقضي
وتفدي اذا افطرت وكذلك قال مالك في المرضع انها اذا افطرت تقضي
وتفدي هذا هو المشهور عنه وقال في مختصر ابن عبد الحكم لا اطعام على المرضع
وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له الاية قال ابن عباس وطاوس

وعطاء والسدي المراد من أطعم مسكينين فصاعدا وقال ابن شهاب من زاد
الإطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الإطعام على المد وخير الثاني
صفة تفضيل وكذلك الثالث وخير الأول قد نزل منزلة مالا أو نفعا
وقرأ ابن كعب والصوم خير لكم بدل وأن تصوموا وقوله تعالى إن كنتم
تعلمون يقتضي الحض على الصوم أي فاعلموا ذلك وصوموا **قوله عز وجل**
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا
دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون الشهر مشتق من الاشتهار
لأنه مشتهر لا يتعذر علمه على أحد يريده ورمضان علق هذا الاسم من مدة كان فيها
الرمض وشدة الحر وكان اسمه قبل ذلك ناتق كما سمي ربيع من مدة الربيع وجمادى
من مدة الجمود وكره مجاهد أن يقال رمضان دون أن يقال شهر رمضان كما قال
الله تعالى وقال لعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى وقرأ جمهور الناس شهر بالرفع
ووجهه خبر ابتداء أي ذلكم الفرض شهر وقيل بدل من الصيام وقيل على الابتداء وخبره
الذي أنزل فيه القرآن وقيل ابتداء وخبره فمن شهد والذي أنزل نعت له فمن قال الصيام
في قوله كتب عليكم الصيام هي ثلاثة أيام وعاشوراء قال نعتا بالابتداء ومن قال الصيام
هنالك رمضان وهو الأيام المعدودة قال هنا خبر الابتداء أو البدل من الصيام
وقرأ مجاهد وشهر بن حوشب شهرَ بالنصب ورواها أبو عمارة عن حفص عن عاصم
ورواها هارون عن أبي عمرو ومعناه على الإغراء وقيل نصب بتصوموا وقيل نصب على
الظرف وقرأت فرقة بإدغام الراء في الراء وذلك لا تقتضيه الأصول لاجتماع
الساكنين فيه واختلف في إنزال القرآن فيه فقال الضحاك أنزل في فرضه وتعظيمه
والحض عليه وقيل بدئ بنزوله فيه على النبي عليه السلام وقال ابن عباس فيما يؤثر

أنزل إلى

أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة أربع وعشرين من رمضان ثم كان جبريل
ينزله رسلا رسلا في الأوامر والنواهي والأسباب وروى واثلة بن الأسقع
عن النبي عليه السلام أنه قال نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان والتوراة
لست مضين منه والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين وقرأ ابن كثير القران
مع التعريف والتنكير حيث وقع وقد قيل إن اشتقاقه على هذه القراءة من قرن وذلك
ضعيف وهدى في موضع نصب على الحال من القرآن فالمراد أن القرآن بجملته من محكم
ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى ثم شرف بالذكر والتخصيص البينات منه الحلال
والحرام والمواعظ والحكم كله بالألف واللام للعهد والمراد الأول والفرقان
المفرق بين الحق والباطل وشهد بمعنى حضر والشهر نصب على الظرف والتقدير من حضر
المصر في الشهر وقرأ الحسن وعيسى الثقفي والزهري وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو حيوة فليصمه
بتحريك اللام وكذلك قرؤوا لام الأمر في جميع القرآن على أصلها الذي هو الكسر وقال
علي بن أبي طالب وابن عباس وعبيدة السلماني من شهد أي من حضر دخول الشهر وكان
مقيما في أوله فليكمل صيامه سافر بعد ذلك أو أقام وإنما يفطر في السفر من دخل عليه رمضان
وهو في سفر وقال جمهور الأمة من شهد أول الشهر وآخره فليصم ما دام مقيما وقال
أبو حنيفة وأصحابه من شهد الشهر بشروط التكليف غير مجنون ولا مغمى عليه فليصمه
ومن دخل عليه رمضان وهو مجنون وتمادى به طول الشهر فلا قضاء عليه لأنه لم يشهد
الشهر بصفة يجب بها الصيام ومن جن أول الشهر أو آخره فإنه يقضي أيام جنونه
قال أبو محمد ونصب الشهر على هذا التأويل هو على المفعول الصريح بشهد وقوله
تعالى أو على سفر بمنزلة أو مسافر فلذلك عطف على اسم وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويحيى
ابن وثاب وابن هرمز وعيسى بن عمر اليسر والعسر بضم السين والجمهور بسكونه وقال
مجاهد والضحاك ابن مزاحم اليسر الفطر في السفر والعسر الصوم **قال أبو محمد**
والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله عليه السلام
دين الله يسر وقوله تعالى ولتكملوا العدة معناه وليكمل من أفطر في سفره

او في مرضه عدة الايام التي افطر فيها وقرا ابو بكر عن عاصم وابو عمرو في بعض ما
روى عنه ولتكملوا بتشديد الميم وقد روي عنهما التخفيف كالجماعه وهذه
اللام متعلقه اما بيريد وهي اللام الداخله على المفعول كالتي في قولك ضربت
لزيد المعنى ويريد اكمال العده وهي مع الفعل بتقدير ان كان معنى الكلام
ويريد لان تكملوا هذا قول البصريين ونحوه **قول كثير** اريد لانسى ذكرها
واما بفعل مضمر بعد بتقديره ولان تكملوا العده رخص لكم هذه الرخصه
وهذا قول بعض الكوفيين ويحتمل ان تكون هذه اللام لام الامر والواو عاطفه جمله
كلام على جملة كلام وقوله تعالى ولتكبروا الله حض على التكبير في آخر رمضان
واختلف الناس في حده فقال ابن عباس يكبر المرء من رؤية الهلال الى انقضاء
الخطبه ويمسك وقت خروج الامام ويكبر بتكبيره وقال قوم يكبر من روية الهلال
الى خروج الامام الى الصلاه وقال سفين هو التكبير يوم الفطر وقال مالك
هو من حين يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام ولفظه عند مالك وجماعة من العلما
الله اكبر الله اكبر الله اكبر ومن العلما من يكبر ويهلل ويسبح اثنا التكبير
ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكره واصيلا وقد قيل
غير هذا اعني هذا والجميع حسن واسع مع البداه بالتكبير وهذا كما ضل
فيه النصارى من تبديل صيامهم وتعميم الهدى حيث ولعلكم تشكرون ترج
في حق البشر اي على نعم الله في الهدى وقوله تعالى واذا سالك عبادي
عني فاني قريب الايه قال الحسن بن ابي الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي عليه
السلام اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت وقال عطا لما نزلت
وقال ربكم ادعوني استجب لكم في اي ساعه ندعوا فنزلت واذا سالك عبادي
عني وقال مجاهد بل قالوا الى اين ندعوا فنزلت هذه الايه وقال قتاده
بل قالوا كيف ندعوا فنزلت واذا سالك وروي ان المشركين قالوا لما نزل
فاني قريب كيف يكون قريبا من بيننا وبينه سبع سموات في غلظ سمك كل

سماء

سماء خمس مايه عام وفيما بين كل سماء مثل ذلك فنزلت اجيب دعوة الداعي
اذا دعان اي فاني قريب بالاجابه والقدره وقال قوم المعنى اجيب ان شيت
وقال قوم ان الله يجيب كل الدعاء فاما ان تظهر الاجابه في الدنيا واما ان يكفر
عنه واما ان يدخر له اجر في الاخره وهذا بحسب حديث الموطا ما من داع
يدعوا الا كان بين احدى ثلاث الحديث وهذا اذا كان الدعا على ما يجب دون
اعتداء فان الاعتدا في الدعا ممنوع قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا
يحب المعتدين قال المفسرون اي في الدعا والوصف المجاب الدعوه وصف حسن
النظر والبعد عن الاعتدا والتوفيق من الله الى الدعا في مقدور وان ظهر ان افضل
البشر المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم قد دعا الى ان لا يجعل باس امته بينهم الحديث
فمنعها اذ كان القدر قد سبق بغير ذلك وقوله تعالى عز وجل فليستجيبوا
لي قال ابو رجا الخراساني فليدعوا لي المعنى فليطلبوا
ان اجيبهم وهذا هو باب استفعل اي طلب الشي الا ما شذ مثل استغنى الله وقال
مجاهد وغيره المعنى فليجيبوا الي فيما دعوتهم اليه من الايمان اي بالطاعة والعمل
ويقال اجاب واستجاب بمعنى **ومنه قول الشاعر**
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي لم يجبه
وقوله تعالى عز وجل وليومنوا بي قال ابو رجا في اي اجيب دعاهم وقال
غيره بل ذلك دعا الى الايمان جملته وقرا الجمهور يرشدون بفتح اليا وضم الشين
وقرا قوم بضم اليا وفتح الشين وروي عن ابي عبله وابي حيوه بفتح اليا وكسر الشين
باختلاف عنهما وقرا هذه والتي قبلها **قوله تعالى** احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين

الله اياته للناس لعلهم يتقون لفظة أُحِلّ تقتضي انه كان محرماً قبل ذلك وليلة
نصب على الظرف وهي اسم جنس فلذلك افردت ونحوه قول عامر الرام الحضر
اسم جنس فلذلك افردت ونحوه قول عامر بن المحاربي هم المولى وان جنفوا علينا
وانا من عداوتهم لزور رهم والرفث كناية عن الجماع لان الله تعالى كريم يكني قاله ابن
عباس والسدي وقرا ابن مسعود الرفوث والرفث في غير هذا ما فحش من القول
ومنه قول الشاعر عن اللغا ورفث التكلم وقال ابو اسحق الرفث كل ما ياتيه
الرجل مع المراة من قبل ولمس وجماع قال ابو محمد وكلام في هذه
المعاني ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق
خرج من خطاياه كيوم ولدته امه وسبب هذه الاية فيما قال ابن عباس وغيره
ان جماعة من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم او بعد صلاة العشا
على الخلاف منهم عمر بن الخطاب جا الى امراته فارادها فقالت له قد نمت فظن انها
تعتل له بذلك فوقع بها ثم تحقق انها كانت نايمة وكان الوطي بعد نوم احدهما ممنوعا
وقال السدي جرى له هذا في جارية له قالوا فذهب عمر فاعتذر عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجرى نحو هذا لكعب بن مالك الانصاري فنزل صدر
الاية فيهم قال ابو محمد فهي ناسخة للحكم المتقدم في الوطي بعد النوم
وحكى النحاس ومكي ان عمر نام ثم وقع بامراته وهذا عندي بعيد على عمر رضي الله عنه
وروي ان صرمة بن قيس ويقال صرمة بن مالك ويقال ابو انس قيس بن صرمة
نام قبل الاكل فبقي لذلك دون اكل حتى غشي عليه في نهاره المقبل فنزل فيه من
قوله تعالى وكلوا واشربوا واللباس اصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل
بالمراة وامتزاجهما وتلازمهما بذلك كما قال النابغة الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت فكانت عليه لباسا وقال النابغة ايضا
لبست اناسا فافنيتهم وافنيت بعد اناس اناسا ثم فشبه خلطته لهم
باللباس ولهذا المنحى في تفسير اللباس الربيع وغيره وقال مجاهد والسدي

لباس

لباس سكن اي يسكن بعضهم الى بعض وانما سميت هذه الافعال اختيانا
لعاقبة المعصية وجزائها فراكبها يخون نفسه ويؤذيها وتاب عليكم معناه
من المعصية التي واقعتموها وعفا عنكم يحتمل ان يريد عن المعصية بعينها فلو ذلك
تاكيدا او تانيسا بزيادة على التوبة ويحتمل ان يريد عفا عما كان الزمكم من اجتناب
النساء فيما يؤتنف بمعنى تركه لكم كما تقول شي معفو عنه اي متروك وقال
ابن عباس وغيره باشروهن كناية عن الجماع ماخوذ من البشرة وقد ذكرنا لفظة
الان في ماضي قصة البقرة وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس ومجاهد
والحكم بن عتيبة وعكرمة والحسن والسدي والربيع والضحاك معناه ابتغوا الولد
وروي ايضا عن ابن عباس وغيره ان المعنى ابتغوا الرخصة والتوسعة قاله قتادة
وهو قول حسن وقرا الحسن فيما روي عنه ومعوية بن قرة واتبعوا من
الاتباع وجوزها ابن عباس ورجح ابتغوا من الابتغاء وكلوا واشربوا حتى يتبين
نزلت بسبب صرمة بن قيس وحتى غاية للتبيين ولا يصح ان يقع التبيين لاحد
ويحرم عليه الاكل الا وقد مضى بطلوع الفجر قدر والخيط استعارة وتشبيه
لرقة البياض اولا ورقة السواد اللاحق به ومن ذلك قول ابي داود
فلما بصرن به غدوة ولاح من الفجر خيط انارا وقال
بعض المفسرين الخيط اللون وهذا لا يطرد لغة والمراد فيما قال جميع العلماء
بياض النهار وسواد الليل وهو نص قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم
في حديثه المشهور ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والفجر ماخوذ
من تفجر الماء لانه يتفجر شيئا بعد شي وروي عن سهل بن سعد وغيره من الصحابة
ان الاية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض الناس خيطا ابيض واسود فنزل
قوله من الفجر وروي انه كان بين طرفي المدة عام قال ابو محمد من رمضان
الى رمضان تاخر البيان الى وقت الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده
واخبر النبي عليه السلام فقال له ان وسادك لعريض وروي انه قال انك لعريض

القضا ولهذه الالفاظ تاويلات واختلف في الحد الذي بسببه يجب الامساك
فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والاعصار ووردت
الاحاديث الصحاح ذلك الفجر المعترض الاخذ في الافق يمنة ويسرة فبطلوع اوله
في الافق يجب الامساك وهو مقتضى حديث ابن مسعود وسمرة بن جندب وروي
عن عثمان وحذيفة بن اليمان وابن عباس وطلق بن علي وعطا بن ابي رباح والاعمش وغيرهم
ان الامساك يجب بتبين الفجر في الطرق وعلى رؤوس الجبال وذكر عن حذيفة انه
قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النهار الا ان الشمس لم تطلع
وروي عن علي ابن ابي طالب انه صلى الصبح بالناس ثم قال الان تبين الخيط الابيض
من الخيط الاسود قال الطبري ومما قادهم الى هذا القول انهم يرون ان الصوم
انما هو في النهار والنهار عندهم من طلوع الشمس لان اخره غروبها فكذلك اوله
طلوعها وحكى النقاش عن الخليل بن احمد ان النهار من طلوع الفجر ويدل على ذلك
قول الله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار قال ابو محمد والقول في نفسه صحيح
وقد ذكرت حجته في تفسير قوله تعالى واختلاف الليل والنهار وفي الاستدلال
بهذه الاية نظر ومن اكل وهو يشك هل طلع الفجر ام لم يطلع فعليه عند مالك
القضا وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر يقتضي الوجوب والى
غاية واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه كقولك اشتريت
الفدان الى حاشيته واذا كان من غير جنسه كما تقول اشتريت الفدان الى الدار
لم يدخل في المحدود ما بعد الى ورات عايشة رضي الله عنها ان قوله الى الليل
يقتضي النهي عن الوصال وقد واصل النبي صلى الله عليه وسلم ونهى الناس عن الوصال
وقد واصل جماعة من العلماء وقد تقدم ان هذه الاية نسخت الحكم الذي في قوله
كما كتب على الذين من قبلكم على قول من راى التشبيه في الامتناع من الوطي والاكل
بعد النوم في قول بعضهم وبعد صلاة العشا في قول بعضهم والليل الذي يتم به الصيام
مغيب قرص الشمس ثم افطر وهو شاك هل غابت الشمس فالمشهور من المذهب

ان

ان عليه القضا والكفارة وفي ثمانية ابي زيد عليه القضا فقط قياسا على الشك
في الفجر وهو قول جماعة من العلماء وقال اسحاق والحسن لا قضا عليه كالناسي عنده
وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قالت فرقة المعنى لا تجامعوهن
وقال الجمهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من النساء وعاكفون ملازمون
يقال عكف على الشي اذا لازمه مقبلا عليه قال الراجز عكف النبيط يلعبون الفنزجا
وقال الشاعر وظل بنات الليل حولي عكفا عكوف البواكي بينهن صريع
وقال ابو عمرو وابو حاتم وقرا قتادة عكفون بغير الف والاعتكاف سنة قال مالك
رحمه الله وجماعة معه لا اعتكاف الا في مساجد الجماعات وروي عن مالك
ايضا ان ذلك في كل مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله وقال قوم
لا اعتكاف الا في احد المساجد الثلاثة التي تشد المطي اليها حسب الحديث
في ذلك وقالت فرقة لا اعتكاف الا في مسجد نبي وقال مالك لا يعتكف اقل من
يوم وليلة ومن نذر احدهما لزمه الاخر وقال سحنون من نذر اعتكاف ليلة لم يلزمه
شي وقالت طائفة ايهما نذر اعتكفه ولم يلزمه اكثر وقال مالك لا اعتكاف
الا بصوم وقال غيره يعتكف بغير صوم وروي عن عايشة انه يعتكف في غير مسجد
وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي والحدود الحواجز من الاباحة والتحجير
ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحاد لانها تمنع الزينة والايات
العلامات الهادية الى الحق ولعلهم ترج في حقهم وظاهر ذلك عموم ومعناه خصوص
فيمن يسره الله للهدى بدلالة الايات التي تتضمن ان الله يضل من يشا قوله
تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام
لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا
البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى

لا يأكل بعضكم مال بعض فأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لما كان كل واحد منهما
منهيًا ومنهيًا عنه كما قال تقتلون أنفسكم ويدخل في هذه الآية القمار والخداع والغصوب
وجحد الحقوق وغير ذلك ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما باع
لأن الغبن كأنه وهبه وقال قوم المراد بالآية ولا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل أي في الملاهي والقيان والشرب والبطالة فيجيء على هذا إضافة المال
إلى المالكين وقوله تعالى وتدلوا بها الآية يقال أدلى الرجل بحجته أو بالأمر
الذي يرجو النجاح به تشبيهًا بالذي يرسل الدلو في البئر يرجو بها الماء قال قوم معنى
الآية تسارعون في الأموال إلى المخاصمة إذا علمتم أن الحجة تقوم لكم إما بأن لا تكون
على الجاحد بينة أو يكون مال أمانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله فالباء
في بها باء السبب وقيل معنى الآية ترشوا بها على الأكل أكثر منها فالباء إلزاق
مجرد وهذا القول يترجح لأن الحكام مظنة الرشا إلا من عصم وهو الأقل
وأيضًا فإن اللفظتين متناسبتان تدلوا من إرسال الدلو والرشوة من الرشا كأنها
يمد بها لتقضى الحاجة وتدلوا في موضع جزم عطفًا على تأكلوا وفي مصحف أبي ولا
تدلوا بتكرار حرف النهي وهذه القراءة تؤيد جزم تدلوا في قراءة الجماعة
وقيل تدلوا في موضع نصب على الظرف وهذا مذهب كوفي أن معنى الظرف هو
الناصب والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه أن مضمرة والفريق القطعة
والجزء وبالإثم معناه بالظلم والتعدي وسمي ذلك إثمًا لما كان الإثم معنى يتعلق
بفاعله وأنتم تعلمون أي إنكم مبطلون آثمون وهذه مبالغة في المعصية والجرأة
وقوله تعالى يسألونك عن الأهلة الآية قال ابن عباس وقتادة والربيع
وغيرهم نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي عليه السلام عن الهلال وما فائدة
محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس وجمع الأهلة وهو واحد في الحقيقة
من كونه هلالًا في شهر غير كونه هلالًا في آخر فإنما جمع أحواله من الأهلة
والهلال الليلتان بلا خلاف ثم يقمر وقيل ثلث وقال الأصمعي هو هلال حتى

يحجر

يحجر ويستدير له كالخيط الرقيق وقيل هو هلال حتى يبهر بضوئه السماء
وذلك ليلة سبع وقوله مواقيت معناه لمحل الديون وانقضاء العدد
والأكرية وما أشبه هذا من مصالح العباد ومواقيت الحج أيضًا يعرف بها
وقته وأشهره ومواقيت لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الآحاد فهو جمع
ونهاية جمع إذ ليس يجمع وقرأ ابن أبي إسحاق والحج بكسر الحاء في جميع القرآن وفي قوله
حج البيت في آل عمران قال سيبويه الحج كالرد والشد والحج كالذكر فهما
مصدران بمعنى وقيل الفتح مصدر والكسر الاسم وقوله تعالى وليس البر
الآية قال البراء بن عازب والزهري وقتادة سببها أن الأنصار كانوا إذا حجوا
أو اعتمروا يلتزمون تشرعًا أن لا يحول بينهم وبين السماء حائل فكانوا يتسنمون
ظهور بيوتهم فتوحًا يدخلون منها ولا يدخلون من الأبواب وقيل غير هذا
مما يشبهه فاختصرته فجاء رجل منهم فدخل من باب بيته فعُيِّر بذلك فنزلت
الآية فيه وقال إبراهيم كان يفعل ما ذكر قوم من الحجاز وقال السدي
ناس من العرب وهم الذين يسمون الحمس قال فدخل النبي صلى الله عليه وسلم
بابًا ومعه رجل منهم فوقف ذلك الرجل وقال إني أحمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وأنا أحمس ونزلت الآية وروى الربيع أن النبي عليه السلام دخل وخلفه رجل
أنصاري فدخل وخرق عادة قومه فقال له النبي عليه السلام لم دخلت وأنت قد
أحرمت قال دخلت أنت فدخلت بدخولك فقال له النبي عليه السلام إني
أحمس أي من قوم لا يدينون بذلك فقال الرجل وأنا ديني دينك فنزلت الآية
وقال أبو عبيدة الآية ضرب مثل ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن
اتقوا واسألوا العلماء فهذا كما يقال أتيت هذا الأمر من بابه وقال غير أبي عبيدة
المعنى ليس البر أن تشذوا في الأسولة عن الأهلة وغيرها فتأتون الأمور على
غير ما يجب **قال أبو محمد** وهذا يحتمل والأول أسند وأما ما حكاه
المهدوي ومكي عن ابن الأنباري من أن الآية مثل في جماع النساء فبعيد مغير

كذا وجد

نمط الكلام وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي ونافع بخلاف عنه البيوت بكسر الباء
وقرأ بعض القراء ولكنّ البرَّ بتشديد نون لكنّ ونصب البر وقد تقدّم القول
على قوله من في من أمر بالله واتقوا معناه اجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية ولعلكم
ترجٍّ في حق البشر والفلاح درك البغية وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله
الآية هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال وقال ابن زيد والربيع معناها
قاتلوا من قاتلكم وكفّوا عن من كفّ عنكم ولا تعتدوا في قتال من لم يقاتلكم
وهذه الموادعة منسوخة بآية براءة وبقوله قاتلوا المشركين كافة وقال
ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد معنى الآية قاتلوا الذين هم بحالة من
يقاتلكم ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم فهي محكمة
على هذا القول وقال قوم المعنى لا تعتدوا في القتال لغير وجه الله كالحمية
وكسب الذكر **قوله عز وجل** واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم
من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن
فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان
إلا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين قال
ابن إسحاق وغيره نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الحضرمي وواقد وهي سرية عبد الله
بن جحش وثقفتموهم معناه أحكمتم غلبهم ولقيتموهم قادرين عليهم يقال
رجل ثقف لقف إذا كان محكما لما يتناوله من الأمور وأخرجوهم قال الطبري
الخطاب للمهاجرين والضمير لكفار قريش **قال أبو محمد** بل الخطاب لجميع
المؤمنين ويقال أخرجوهم إذا أخرجوا بعضهم الأجلّ قدرا وهم النبي عليه
السلام والمهاجرون والفتنة أشد من القتل أي الفتنة التي حملوكم عليها وراموكم
بها على الرجوع إلى الكفر أشد من القتل قال مجاهد أي من أن يقتل المؤمن

فالقتل

فالقتل أخف عليه من الفتنة قال غيره بل المعنى الفتنة التي فعلوا أشد
في هتك حرمات الحق من القتل الذي أبيح لكم أيها المؤمنون أن توقعوه بهم ويحتمل
أن يكون المعنى والفتنة أي الكفر والضلال الذين هم فيه أشد في الجرم وأعظم
جرما من القتل الذي عيّروكم به في شأن ابن الحضرمي وقوله تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم الآية قال الجمهور كان هذا ثم نسخ وأمر بالقتال
في كل موضع قال الربيع نسخها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقال قتادة نسخها
قوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال مجاهد
الآية محكمة ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل وقرأ حمزة
والكسائي والأعمش ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم
فاقتلوهم في القتل في الأربعة ولا خلاف في الأخيرة أنها فاقتلوهم والمعنى على
قراءة حمزة والكسائي فإن قتلوا منكم فاقتلوهم أيضا الباقون وذلك كقوله تعالى قتل
معه ربيون كثير فما وهنوا أي فما وهن الباقون والانتهاء في هذه الآية هو الدخول
في الإسلام لأن غفران الله ورحمته إنما يكون مع ذلك وقوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع على قول من رآها ناسخة فإن
المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم فإن قاتلوكم والأول أظهر وهو أمر بقتال
مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار دليل ذلك قوله ويكون الدين لله والفتنة هنا الشرك
وما تابعه من أذى المؤمنين قاله ابن عباس وقتادة والربيع والسدي والدين هنا
الطاعة والشرع **وقال الأعشى ميمون بن قيس** هو دان الرباب إذ كرهوا الدين
دراكا بغزوة وصيال هـ والانتهاء في هذا الموضع يصح مع عموم الآية في
الكفار أن يكون الدخول في الإسلام ويصح أن يكون أداء الجزية وسمي ما يأخذ
الظلمة عدوانا من حيث هو جزاء عدوان إذ الظلم يتضمن العدوان والعقوبة تسمى
باسم الذنب في غير ما موضع والظالمون هم على أحد التأويلين من بدأ بقتال وعلى
التأويل الآخر من بقي على كفر وفتنة وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام

الاية قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقسم والسدي والربيع والضحاك
وغيرهم نزلت في عمرة القضية وعام الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج معتمرا حتى بلغ الحديبية سنة ست فصده كفار قريش عن البيت
فانصرف ووعده الله انه سيدخله عليهم فدخله سنة سبع فنزلت الاية في ذلك
اي الشهر الحرام الذي غلبكم الله فيه وادخلكم الحرم عليهم بالشهر الحرام الذي
صدوكم فيه ومعنى الحرمات قصاص على هذا التاويل اي حرمة الشهر
وحرمة البلد وحرمة المحرمين حين صددتم بحرمة البلد والشهر والقطان
حين دخلتم وقال الحسن ابن ابي الحسن نزلت الاية في ان الكفار سالوا النبي عليه
السلام هل تقاتل في الشهر الحرام فاخبرهم انه لا يقاتل فيه فهموا بالهجوم عليه
فيه وقتل من معه حين طمعوا انه لا يدافع عنه فنزلت الشهر الحرام اي هو عليكم
في الامتناع من القتال او الاستباحة بالشهر الحرام عليهم في الوجهين فاية سلكوا
فاسلكوا والحرمات على هذا جمع حرمة عموما النفس والمال والعرض وغير ذلك
فاباح الله بالاية مباحتهم والقول الاول اكثر وقالت فرقة والحرمات
قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتدا امر كان في اول الاسلام من انتهك حرمتك
نلت منه مثل ما اعتدى عليك به ثم نسخ ذلك بالقتال وقالت طايفة ما تناول
من الاية التعدي بين امة محمد عليه السلام والجنايات ونحوها لم ينسخ وجائز لمن تعدي
عليه في مال او جرح ان يتعدي بمثل ما تعدي عليه به اذا خفي له ذلك وليس بينه
وبين الله في ذلك شي قاله الشافعي وغيره وهي رواية في مذهب مالك وقالت
طايفة منهم مالك ليس ذلك له وامور القصاص وقف على الحكام والاموال
يتناولها قول النبي عليه السلام اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقرا
الحسن ابن ابي الحسن والحرمات بسكون الراء **وقوله تعالى** فمن اعتدى عليكم
الاية اختلف في نسخ هذه الاية حسبما تقدم وسمي الجزاء على العدوان اعتداء
كما قال الله تعالى الله يستهزئ بهم الى غير ذلك واتقوا الله قيل معناه في ان لا

تعتدوا وقيل في ان لا تزيدوا على المثل وقال ابن عباس نزلت هذه الاية
وما هو في معناها بمكة والاسلام لم يعز فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعز دينه امر المسلمون برفع امورهم الى حكامهم وامروا بقتال الكفار وقال
مجاهد بل نزلت هذه الاية بالمدينة بعد عمرة القضاء وهي من التدريج في
الامر بالقتال **قوله تعالى** وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم
فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم
مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول
بعد جميع سبله وقال ابو عبيدة وقوم الباء في قوله بايديكم زائدة والتقدير تلقوا
ايديكم وقال الجمهور ذلك ضرب مثل تقول فلان القى بيده في امر كذا اذا استسلم
لان المستسلم في قتاله يلقي السلاح بيديه فكذلك فعل كل عاجز في اي فعل كان
ومنه قول عبد المطلب والله ان القانا بايدينا للموت لعجز وقال
قوم التقدير ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما تقول لا تفسد حالك برايك والتهلكة
بضم اللام مصدر من هلك وقرا الخليل التهلكة بكسر اللام وهي تفعلة من هلك
بشد اللام وروي عن ابي ايوب الانصاري انه كان على القسطنطينية فحمل رجل على
عسكر العدو فقال قوم القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا ان هذه الاية
نزلت في الانصار لما ارادوا لما ظهر الاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا
اموالهم واما هذا فهو الذي قال الله فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغا
مرضاة الله وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس والحسن وعطا وعكرمة وجمهور الناس
المعنى لا تلقوا بايديكم بان تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل
ليس عندي ما انفقه وقال قوم المعنى لا تقنطوا من التوبة وقال البراء بن عازب
وعبيدة السلماني الاية في الرجل يقع في المعاصي فيقول لا فائدة في التوبة فيستسلم

بعد ذلك وقال زيد بن اسلم المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد وقد كان
يفعل ذلك قوم فادّاهم ذلك الى الانقطاع في الطريق او الكون عالة على الناس وقوله
واحسنوا قيل معناه في اعمالكم بامتثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة
وقيل المعنى واحسنوا في الانفاق في سبيل الله وفي الصدقات قاله زيد بن اسلم
وقال عكرمة المعنى واحسنوا الظن بالله وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة
لله قال ابن زيد والشعبي وغيرهما اتمامهما ان لا يفسخ وان تتمهما اذا بدات بهما
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك
وفعله عمران بن حصين وقال سفين الثوري اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما لا لتجارة
ولا لغير ذلك ويؤيد هذا قول الله حج وقال قتادة والقسم بن محمد اتمامهما
ان تحرم بالعمرة وتقضيها في غير اشهر الحج وان تتم الحج دون نقص ولا جبر بدم
قال ابو محمد وهذا مبني على ان الدم في الحج والعمرة جبر نقص وهو قول
مالك رحمه الله وابو حنيفة واصحابه يرون ان كثرة
الدم كمال وزيادة وكلما كثر عندهم لزوم الدم فهو افضل واحتجوا بانه
قيل للنبي عليه السلام ما افضل الحج فقال العج والثج ومالك ومن قال بقوله يراه
حج التطوع وقالت فرقة اتمامهما ان يفرد لكل واحدة من حجة وعمرة ولا
يقرن وهذا على ان الافراد افضل وقالت فرقة القران افضل ذلك وهو الاتمام
عندهم وقال ابن عباس وعلقمة وابرهيم وغيرهم اتمامهما ان تقضي مناسكهما
كاملة بما كان فيها من دماء وفروض الحج النية والاحرام والطواف المتصل بالسعي
والسعي بين الصفا والمروة عندنا خلافا لابي حنيفة والوقوف بعرفة
والجمرة على قول ابن الماجشون واما اعمال العمرة فنية واحرام وطواف وسعي
واختلف في فرض العمرة فقال مالك رحمه الله هي سنة واجبة لا ينبغي ان تترك
كالوتر وهي عنده مرة واحدة في العام وهذا اشهر قول اصحابه وحكى ابن
المنذر في الاشراف عن اصحاب الراي انها عندهم غير واجبة وحكى بعض القرويين

والبغدادين

والبغداديين عن ابي حنيفة انه يوجبها كالحج وانها سنة قال ابن مسعود
وجمهور من العلماء فاسند الطبري النص على ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي عن علي بن ابي طالب وابن عباس وابن عمر والشافعي واحمد واسحق
والشعبي وجماعة ما تقتضي انها واجبة كالفرض وقاله ابن الجهم من المالكيين
وقال مسروق الحج والعمرة فرض نزلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من
الصلاة وقرا الشعبي وابو حيوة والعمرةُ لله برفع العمرة على القطع والابتداء
وقرا ابن ابي اسحق الحِج بكسر الحاء وفي مصحف ابن مسعود واتموا الحج والعمرة
الى البيت لله وروي عنه واقيموا الحج والعمرة الى البيت وروي عن هذا
مما هو كالتفسير وقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي قال
علقمة وعروة بن الزبير وغيرهما الآية فيمن احصر بالمرض لا بالعدو وقال
ابن عباس وغيره بالعكس ذلك والمشهور في اللغة احصر بالمرض وحصر بالعدو
وفي المجمل لابن فارس حصر بالمرض واحصر بالعدو وقال الفراء هما بمعنى واحد
في المرض والعدو **قال ابو محمد** والصحيح ان حصر انما هي فيما احاط
وجاور فقد يحصر العدو والماء ونحوه ولا يحصر المرض واحصر معناه جعل
الشيء ذا حصر كاقبر واحمى وغير ذلك فالمرض والعدو والماء وغير ذلك قد يكون
محصرا الاحصار الاترى ان العدو كان محصرا في حال الحديبية وفي ذلك نزلت
هذه الآية عند جمهور اهل التأويل واجمع جمهور الناس على ان المحصر بالعدو
يحل حيث احصر وينحر هديه ان كان ثم هدي ويحلق راسه وقال قتادة
بهديه ان امكنت فاذا بلغ محله صار حلالا ولا قضاء عليه عند
الجميع الا ان يكون ضرورة فعليه حجة الاسلام وقال ابن الماجشون
ليست عليه حجة الاسلام وقد قضاها حين احصر **قال ابو محمد**
وهذا ضعيف لا وجه له وقال اشهب لهدي المحصر بعدو هديا من اجل
الحصر وقال ابن القسم لا يهدي شيئا الا ان يكون معه هدي فاراد نحره

ذكره ابن ابي زيد وقال عطا وغيره المحصر بالمرض كالمحصر بالعدو وقال
ملك رحمه الله وجمهور من العلما المحصر بالمرض لا يحله الا البيت ويقيم حتى
يفيق وان اقام سنين فاذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية في اوائل
الحرم وحل بعمرة ثم تكون عليه حجة قضا وفيها يكون الهدي وقيل ان الهدي
يجب في وقت الحصر اولا ولم ير ابن عباس من احصره المرض داخلا في هذه
الاية وقال ان المريض ان لم يكن معه هدي حل حيث حبس وان كان معه هدي
لم يحل حتى يبلغ الهدي محله ثم لا قضا عليه قال وانما قال الله فاذا امنتم
والامن انما هو من العدو وليس المريض في الاية وما في موضع رفع اي فالواجب
او فعليكم ما استيسر ويحتمل ان يكون في موضع نصب اي فانحروا او فاهدوا
وما استيسر عند جمهور اهل العلم شاة وقال ابن عمر وعروة بن الزبير ما
استيسر جمل دون جمل وبقرة دون بقرة وقال الحسن اعلى الهدي بدنة كجدية
السرج وهي البداد جمعها جدي ويحتمل ان يكون الهدي مصدرا سمي به
كالرهن ونحوه فيقع للافراد والجمع وقال عمرو بن العلا لا اعرف لهذه اللفظة
نظيرا وقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم الاية الخطاب لجميع الامة محصر
ومخلى ومن العلماء من يراها للمحصرين خاصة ومحل الهدي حيث يحل نحره
وذلك لمن لم يحصر بمنى ولمن احصر بعدو حيث احصر اذا لم يمكن ارساله واما المريض
فان كان له هدي فيرسله الى محله والترتيب ان يرمي الحاج الجمرة ثم ينحر ثم
يحلق ثم يطوف طواف الافاضة فان نحر رجل قبل الرمي او حلق قبل النحر فلا حرج
حسب الحديث ولا دم وقال اصحاب الراي لا حرج في الحج ولكن يهرق دما وقال
عبد الملك ابن الماجشون من اصحابنا اذا حلق قبل ان ينحر فليهد وان حلق
قبل ان يرمي فعليه دم ولكن لا في المذهب قال ابن المواز عن مالك
ويمر الموسى على راسه بعد الرمي ولا دم في ذلك عند ابي حنيفة وجماعة معه
وقرا الزهري والاعرج وابو حيوة الهدي بكسر الدال وشد اليا في الموضعين

واحده ورويت هذه القراءة عن عاصم وقوله تعالى فمن
كان منكم مريضا الاية المعنى فحلق لازالة الاذى ففدية وهذا هو فحوى
الخطاب عند اكثر الاصوليين ونزلت هذه الاية في كعب بن عجرة حين رآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وراسه يتناثر قملا فامره بالحلاق ونزلت الرخصة
وفدية رفع على خبر الابتدا او الصيام عند مالك وعطا ومجاهد وابرهيم
وغيرهم وجميع اصحاب مالك ثلاثة ايام والصدقة ستة مساكين لكل
مسكين نصف صاع وذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة
بالجماع ومن ذبح افضل منها فهو افضل وقال الحسن ابن ابي الحسن وعكرمة الصيام
عشرة ايام والاطعام عشرة مساكين وقرا الزهري ونسك بسكون السين
وقال سعيد ابن جبير ومجاهد النسك شاة فان لم يجدها قومها فاشترى
طعاما فيطعم منه مدان لكل مسكين فان لم يجد القيمة عرفها وعرف ما يشتري
بها من الطعام وصام عن كل مد يوما وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
ذلك كله حيث شا وقاله ابرهيم وهو مذهب مالك واصحابه الا ابن
الجهم فانه قال لا يكون النسك الا بمكة وقال عطا في بعض ما روي عنه واصحاب
الراي النسك بمكة والصيام والاطعام حيث شا وقال الحسن ابن ابي الحسن
وطاوس وعطا ايضا ومجاهد والشافعي النسك والاطعام بمكة والمفتدي
مخير في اي هذه الثلاثة شا وكذلك قال مالك وغيره في كل ما في القران او
او فانه على التخيير وقوله تعالى فاذا امنتم قال علقمة وعروة المعنى
اذا برئتم من مرضكم وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما اذا امنتم من خوفكم
من العدو المحصر وهذا اشبه باللفظ الا ان يتخيل الخوف من المرض فيكون
الامن منه وقوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج الاية قال عبد الله
بن الزبير وعلقمة وابرهيم الاية في المحصرين دون المخلى سبيلهم وصورة التمتع
عند ابن الزبير ان يحصر الرجل حتى يفوته الحج ثم يصل الى البيت فيحل بعمرة

ويقضي الحج من قابل فهذا قد تمتع بما بين العمرة إلى الحج القضاء وصورة المتمتع المحصر
عند غيره أن يحصر فيحل دون عمرة ويؤخرها حتى يأتي من قابل فيعتمر في أشهر
الحج ويحج من عامه وقال ابن عباس وجماعة من العلماء الآية في المحصر وغيره ممن
خلي سبيله وصورة المتمتع أن المتمتع فيه ستة شروط أن يكون معتمرا في أشهر الحج وهو من
غير حاضري المسجد الحرام ويحل وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع إلى بلده أو
ما ساواه بعدا هذا قول مالك وأصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القسم
لأنه تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله في العمرة إلى وقت إنشائه الحج
وقال غيره سمي متمتعا لأنه تمتع بإسقاط أحد السفرين وذلك أن حق العمرة
أن تقصد بسفر وحق الحج كذلك فلما تمتع بإسقاط أحدهما ألزمه الله هديا
كالقارن الذي يجمع الحج والعمرة في سفر واحد **قال أبو محمد** وهذه شدة
على القادم مكة من سائر الأقطار لما أسقط سفرا والمكي لا يقتضي حاله سفرا
في عمرة ولا حج لأنه في بقعة الحج فلم يلزم شيئا لأنه لم يسقط شيئا ومن قال إن اسم
المتمتع وحكمه إنما هو من جهة التمتع بالنساء والطيب وغير ذلك فيرد عليه
أنه يستغرق قوله كيف يتمتع بالعمرة إلى الحج المكي وغيره على السواء
في القياس فكيف يشتد مع ذلك على الغريب الذي هو أعذر ويلزم هديا ولا يجعل
ذلك بالمكي فيترجح بهذا النظر أن التمتع إنما هو من أجل إسقاط أحد السفرين إلا
أن ابن عبد [؟] قال في كتاب الناسخ والمنسوخ له أن العمرة في أشهر الحج ممنوع عند المكي
لا يجوز له ورخص الله للقادم لطول بقائه محرما وقرن الرخصة بالهدي
فهذه شدة على أهل مكة وبهذا النظر يحسن أن يكون التمتع من جهة
استباحة ما لا يجوز للمحرم لكنه قول شاذ لا يعول عليه وأصل الأمة على جواز العمرة
في أشهر الحج للمكي ولا دم عليه وذكر أبو عبيد القولين عن ابن عمر واستند إليه
في الذي وافقه وقد حكاه الطبري عن ابن عباس وقال إنه قال يا أهل مكة لا متعة
لكم إن الله قد أحلها لأهل الآفاق وحرمها عليكم إنما يقطع أحدكم واديا

ثم يحرم بعمرة **قال أبو محمد** فمعنى هذا أنهم متى أحرموا أداموا إلى الحج
وقال السدي المتمتع هو الذي يفسخ الحج في العمرة وذلك لا يجوز عند مالك
وفي صحيح مسلم حديث سراقة بن مالك قال قلت يا رسول الله فسخ الحج في
العمرة ألنا خاصة أم للأبد فقال بل للأبد وقال [؟] إنه لا يحل لأحد أبدا بل لا أبد **قال
أبو محمد** وأما شرط في المتمتع أن يحل في أشهر الحج لأنها مدة يملكها الحج
فمن كان فيها محرما فحقه أن يصل الإحرام إلى الحج وفي كتاب مسلم إيعاب
الأحاديث في هذا المعنى ومذهب عمر وقول أبي ذر أن متعة النساء ومتعة
الحج خاصتان لأصحاب النبي عليه السلام وقال طاوس من اعتمر في غير أشهر
الحج ثم أقام حتى حج من عامه فهو متمتع وقال الحسن بن أبي الحسن من اعتمر بعد
يوم النحر في بقية العام فهو متمتع وهذان قولان شاذان لم يوافقهما أحد
من العلماء وقد تقدم القول فيما استيسر من الهدي **قوله عز وجل** فمن لم يجد
فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله
حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب الحج أشهر
معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا
من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب
ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين
قوله لم يجد إما بعدم المال وإما بعدم الحيوان وفي الحج قال عكرمة
وعطاء له أن يصومها في أشهر الحج وإن كان لم يحرم بالحج وقال ابن عباس
ومالك بن أنس له أن يصومها منذ يحرم بالحج وقال عطاء أيضا ومجاهد لا
يصومها إلا في عشر ذي الحجة وقال ابن عمر والحسن والحكم يصوم يوما قبل
يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وكلهم يقول لا يجوز تأخيرها عن
عشر ذي الحجة لأن بانقضائه ينقضي الحج وقال علي بن أبي طالب وابن عمر

ومالك ابن انس وجماعه من اهل العلم من فاته صيامها قبل يوم النحر فله صيامها
في ايام التشريق ولا يصلح عليه الصيام الا بان لا يجد يوم النحر وقوله تعالى
وسبعة اذا رجعتم قال مجاهد وعطا وابرهيم المعنى اذا رجعتم من منى فمن بقي
بمكة صامها ومن نهض الى بلده صامها في الطريق وقال قتادة والربيع هذه
رخصة من الله تعالى والمعنى اذا رجعتم الى اوطانكم فلا يجب على احد صوم السبعة
الا اذا وصل وطنه الا ان يتشدد احد كما يفعل من يصوم في السفر في رمضان
وقرا زيد بن علي وسبعةً بالنصب اي وصوموا سبعةً وللمجاز ان يتوهم
التخيير من ثلثة ايام في الحج او سبعة اذا رجع ازال ذلك بالجملة من قوله تلك
عشرة كاملة قال الحسن ابن ابي الحسن المعنى كاملة في الثواب كمن اهدى
وقيل كاملة في الثواب كمن لم يتمتع وهذا على ان الحج الذي لم يكثر فيه الدما
اخلص وافضل حالا قال ابي حنيفه وقيل كاملة توكيد كما تقول كتبت بيدي
وقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وقيل لفظها الاخبار ومعناها
الامر اي اكملوها فذلك فرضها وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن علي بن احمد
المعنى تلك كاملة وكرر الموصوف تاكيدا كما تقول زيد رجل عاقل
وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله الاية الاشارة الى التمتع وهديه
وحكمه وهذا على قول من يرى ان المكي لا يجوز له المتعة في اشهر الحج فكان الكلام
ذلك الرخصة وتاييد هذا ان قوله لمن لان اللام ابدا انما تجي مع الرخص تقول لك
ان تفعل كذا واما مع الشدة فالوجه ان تقول عليك واما من يرى ان المكي
يتمتع ولا دم عليه لانه لم يسقط سفرا فالاشارة بذلك على قوله الى الهدي
اي ذلك الاشتداد والالزام واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام
بعد الاجماع على اهل مكة وما اتصل بها وقال الطبري بعد الاجماع
على اهل الحرم وليس كما قال فقال بعض اهل العلم من كان حيث تجب
الجمعة عليه بمكة فهو حضري ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قال

ابو محمد فجعل اللفظة للحضارة والبداوة معا وقال بعضهم من كان
حيث لا يقصر الصلاة ان سكانه فهو حاضر اي مشاهد ومن كان ابعد من
ذلك فهو غايب وقال عطا ابن ابي رباح مكة وعرفات وذو طوى وما
اشبههما حاضر والمسجد الحرام وقال ابن عباس ومجاهد اهل الحرم كله
حاضر والمسجد الحرام وقال مكحول وعطا من كان دون المواقيت من كل
جهة حاضر والمسجد الحرام وقال الزهري من كان على يوم او يومين فهو
من حاضري المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد
عقابه وقوله عز وجل الحج اشهر معلومات في الكلام حذف تقديره
اشهر الحج اشهر او وقت الحج اشهر او وقت عمل الحج اشهر والغرض انما هو بالاشهر
فاحتيج الى هذه التقديرات ومن قدر الكلام الحج في اشهر فيلزمه مع سقوط
حرف الجر نصب الاشهر ولم يقرا بنصبها احد وقال ابن مسعود وعمر وعطا
والربيع ومجاهد والزهري اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كلها
وقال ابن عباس والشعبي والسدي وابرهيم هي شوال وذو القعدة وعشر
من ذي الحجة والقولان لمالك رحمه الله حكى الاخير ابن حبيب وجمع على هذا
القول الاخير الاثنان وبعض الثالث كما فعلوا في جمع عشر فقالوا عشرون
لعشرين ويومين من الثالث وكما قال امرؤ القيس ::
ثلثون شهرا في ثلاثة احوال ومن قال ان ذا الحجة كله من اشهر الحج لم ير دما فيما
يقع من الاعمال بعد يوم النحر لانها في اشهر الحج وعلى القول الاخر ينقضي الحج بيوم النحر
ويلزمه الدم فيما عمل بعد ذلك وقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج اي الزم
نفسه واهل الفرض الحز الذي يكون في السهام والقسي وغيرها ومنه فرضة
النهر والجبل فكان من التزم شيا واثبته على نفسه قد فرضه وفرض الحج
هو بالنية والدخول في الاحرام والتلبية تبع لذلك ومن رفع ما لا بد او معناها
الشرط والخبر قوله فمن لان من ليست موصولة وكانه قال فرجل فرض

وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون الخبر ويكون فرض صفة وقوله تعالى أشهر
ولم يجي الكلام فرض فيها فقال قوم هما سوا في الاستعمال وقال ابو عثمان المازني
الجمع الكثير لما لا يعقل يأتي كالواحدة المؤنثة والقليل ليس كذلك تقول
الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله عز وجل ان عدة الشهور
ثم قال منها وقرا نافع فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بنصب الجميع وهي قراءة عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وقرا ابن كثير وابو عمرو فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
بالرفع في الاثنين ونصب الجدال وقرا ابو جعفر بن القعقاع بالرفع في الثلاثة وروي
عن عاصم في بعض الطرق قراءة الرفع وخبرها محذوف على قراءة
ابي عمرو وفي الحج خبر لا جدال وحذف الخبر هنا هو مذهب ابي علي وقد خولف
في ذلك بل في الحج هو خبر الكل اذ هو في موضع رفع في الوجهين لان لا انما تعمل على بابها
فيما يليها وخبرها مرفوع باق على حاله من خبر الابتداء وظن ابو علي انها بمنزلة ليس
في نصب الخبر وليس كذلك بل هي والاسم في موضع الابتداء يطلبان الخبر وفي الحج
هو الخبر في قراءة كلها بالرفع وفي قراءتها بالنصب والتحرير ان في الحج في موضع نصب
بالخبر المقدر كانك قلت موجود في الحج ولا فرق بين الآية وبين قولك لا رجل
في الدار وقال ابن عباس وابن جبير والسدي وقتادة ومالك ومجاهد وغيرهم
الرفث الجماع وقال عبد الله بن عمر وطاوس وعطا وغيرهم الرفث الاعراء والتعريض
وهو الافحاش بامر الجماع عند النساء خاصة وهذا قول ابن عباس ايضا وانشد
وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا
فقيل له ترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال قوم الرفث
الافحاش بذكر النساء كان ذلك بحضرتهن ام لا وقد قال ابن عمر للحادي لا تذكر
النساء قال ابو محمد وهذا يحتمل ان تحضر امراة فلذلك نهاه وانما تقوى
القول من جهة ما يلزم من توقير الحج وقال ابو عبيدة الرفث اللغا من الكلام
وانشد عن اللغا ورفث التكلم قال ابو محمد ولا حجة في البيت

وقرا ابن مسعود ولا رفوث وقال ابن عباس وعطا والحسن وغيرهم
الفسوق المعاصي كلها لا يختص منها شي دون شي وقال ابن عمر وجماعة معه
الفسوق المعاصي في معنى الحج كقتل الصيد وغيره وقال ابن زيد ومالك
الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به وقال
الضحاك الفسوق التنابز بالالقاب ومنه قول الله تعالى بئس الاسم الفسوق
وقال ابن عمر ايضا ومجاهد وعطا وابرهيم الفسوق السباب ومنه
قول النبي عليه السلام سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
وعموم جميع المعاصي اولى الاقوال وقال قتادة وغيره الجدال هنا السباب
وقال ابن مسعود وابن عباس وعطا ومجاهد الجدال هنا ان يماري مسلما
حتى تغضبه وقال مالك وابن زيد الجدال هنا ان يختلف الناس ايهم صادف
موقف ابرهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش
تقف في غير موقف سائر العرب ثم يتجادلون بعد ذلك وقال محمد بن كعب
القرظي الجدال ان تقول كل طائفة حجنا ابر من حجكم وتقول الاخرى مثل
ذلك وقالت فرقة الجدال هنا ان تقول طائفة الحج اليوم وتقول طائفة
بل الحج غدا وقيل الجدال كان الفخر بالاباء وقال مجاهد وجماعة معه
الجدال ان ننسي العرب الشهور حسب ما كان النسي عليه السلام فقرر
الشرع وقت الحج وبينه واخبر انه حتم لا جدال فيه وهذا اصح الاقوال
واظهرها والجدال ماخوذ من الجدل وهو الفتل كان كل مجادل
الكلام واما ما كان النسي عليه فظاهر سير ابن اسحق وغيرها من الدواوين
ان الناسي كان يحل المحرم لئلا يتوالى على العرب ثلاثة اشهر لا اغارة فيها
ويحرم صفرا وربما سموه المحرم ويبقى سائر الاشهر بأسمائها فيأتي حجهم
في ذي الحجة على الحقيقة واسند الطبري عن مجاهد انه قال كانوا يسقطون
المحرم ثم يقولون صفران لصفر وشهر ربيع الاول ثم كذلك ينقلون الاسماء

الشهور وتبدل وقت الحج في الحقيقه لكنه يقع في ذي الحجه بالتسميه لا في حقيقه
الشهر قال فكان حج ابي بكر سنه تسع في ذي القعده على الحقيقه ثم حج رسول
الله صلى الله عليه وسلم سنه عشر في ذي الحجه على الحقيقه وحينئذ قال ان الزمان
قد استدار الحديث ونزلت ولا جدال في الحج اي قد تبين امره فلا ينتقل شهر
ابدا او قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى فيثيب عليه وفي هذا
تحضيض على فعل الخير وقوله تعالى وتزودوا الايه قال ابن عمر وعكرمه
ومجاهد وقتاده وابن زيد نزلت الايه في طايفه من العرب كانت تجي الى الحج
بلا زاد ويقول بعضهم نحن المتوكلون فيقول بعضهم كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا
فكانوا يبقون عاله على الناس فنهوا عن ذلك وامروا بالتزود وقال بعض الناس
المعنى تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى في معنى الايه
وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحه وفي قوله تعالى فان خير الزاد
التقوى حض على التقوى وخص اولوا الالباب بالخطاب وان كان الامر يعم الكل
لانهم الذين قامت عليهم حجه الله وهم قابلوا اوامره والناهضون
بها وهذا على ان اللب لب التجارب وجودة النظر وان جعلناه لب التكليف
فالنداء لاولي الالباب عام لجميع المكلفين واللب العقل تقول العرب لببت بضم
الباء الاولى الب بضم اللام حكاه سيبويه وليس في الكلام فعل يفعل بضم العين
فيهما غير هذه الكلمه وقوله تعالى ليس عليكم جناح الايه الجناح
اعم من الاثم لانه فيما يقتضي العقاب وفيما يقتضي العتاب والزجر وتبتغوا
معناه تطلبون بمحاولتكم وقال ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطا ان
الايه نزلت لان العرب تحرجت لما جا الاسلام ان تحضر اسواق الجاهليه
كعكاظ وذي المجاز ومجنه فاباح الله تعالى ذلك اي لا درك في ان تتجروا
وتطلبوا الربح وقال مجاهد كان بعض العرب لا يتجرون مذ يحرمون فنزلت الايه
في ابا حه ذلك وقال ابن عمر فيمن اكرى ليحج حجه تام ولا حرج عليه في ابتغا

الكرى

الكرى وقرا ابن عباس وابن مسعود وابن الزبير ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات
اجمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفات بعد الزوال وافاض نهارا قبل الليل
الا مالك ابن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيا واما من وقف بعرفه بالليل
فلا خلاف بين الامه في تمام حجه وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا جملة ومنه
افاض الرجل في الكلام ومنه فاض الانا وافضته ومنه المفيض في القداح والسوس
في عرفات على حده في سلمات الاسره مقابله للتاء في مسلمين والتنوين مقابل النون
فاذا سميت به شخصا ترك وهو معروف على حده قبل ان يسمى به فان كان عرفات
اسما لتلك البقعه كلها فهو كما ذكرناه وان كان جمع عرفه فهو كمسلمات
دون ان يسمى به وحكى سيبويه كسر التاء من عرفات دون تنوين في حال النصب
والخفض مع التعريف وحكى الكوفيون فتحها في حال النصب والخفض تشبيها بتا فاطمة
وطلحه وسميت تلك البقعه عرفات لان ابرهيم عرفها حين راها على
ما وصفت له قاله السدي وقال ابن عباس سميت بذلك لان جبريل كان
يقول لابرهيم عليهما السلام هذا موضع كذا فيقول قد عرفته وقيل سميت
بذلك لان ادم عرف بها حوا حين لقيها هناك قال ابو محمد
والظاهر انه اسم مرتجل كساير اسما البقاع وعرفه هي نعمان الاراك وفيها يقول
الشاعر تزودت من نعمان عود اراكه لهند ولكن من يبلغه هندا
والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفه من حد مفضي مازمي عرفه
الى بطن محسر قال ذلك ابن عباس وابن جبير والربيع وابن عمر ومجاهد فهي كلها
مشعر الا بطن محسر وذكر هذا عبد الله ابن الزبير في خطبته وفي المزدلفه
قزح الذي كانت قريش تقف عليه وذكر الله تعالى عند المشعر
الحرام ندب عند اهل العلم وقال مالك من مر به ولم ينزل فعليه دم وقال
الشافعي من خرج من مزدلفه قبل نصف الليل فعليه دم وان كان بعد نصف

طمه

لعدم

الليل فلا شي عليه وقال الشعبي والنخعي من فاته الوقوف بمزدلفة فاته الحج
وقوله تعالى واذكروه كما هداكم تعديد للنعمة وامر بشكرها ثم ذكرهم بحال
ضلالهم ليظهر قدر الانعام والكاف في كما نعت لمصدر محذوف وان
مخففة من الثقيلة ويدل على ذلك دخول اللام في الخبر هذا قول سيبويه وقال
الفرا هي النافية بمعنى ما واللام بمعنى الا والضمير في قبله عائد على الهدى قوله
تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباكم او اشد
ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من
خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب
واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون
قال ابن عباس وعائشة وعطا ومجاهد وغيرهم المخاطب بهذه
الآية قريش ومن ولدت وهم الحمس وذلك انهم كانوا يقولون نحن
قطين الله فينبغي لنا ان نعظم الحرم ولا نعظم شيا من الحل فسنوا اسنن
الناس في الطواف الى غير ذلك وكانوا مع معرفتهم واقرارهم
ان عرفة هي موقف ابرهيم لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون
منه ويقف الناس بعرفة فقيل لهم ان يفيضوا مع الجملة وثم ليست في
هذه الآية للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة كلام هي منها منقطعة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحمس ولكنه كان يقف مذ كان بعرفة
هداية من الله له وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الامة والمراد
بالناس ابرهيم عليه السلام كما قال الذين قال لهم الناس وهو يريد
واحدا ويحتمل على هذا ان يومروا بالافاضة من عرفة ويحتمل ان يكون افاضة

اخرى

اخرى وهي التي من المزدلفة فتجي ثم على هذا الاحتمال على بابها وعلى هذا
الاحتمال عول الطبري وقرا سعيد بن جبير الناسي وتاوله آدم عليه
السلام ويجوز عند بعضهم تخفيف اليا فيقول الناس كالقاض والهاد
قال ابو محمد اما جوازه في العربية فذكره سيبويه واما جوازه
مقروا به فلا احفظه وامر عز وجل بالاستغفار لانها مواطنه ومظان
القبول ومساقط الرحمة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب عشية عرفة فقال ايها الناس ان الله عز وجل تطاول عليكم
فعوض التبعات من عنده وقالت فرقة المعنى واستغفروا الله من فعلكم
الذي كان مخالفا لسنة ابرهيم في وقوفكم بقزح من المزدلفة وقوله تعالى
فاذا قضيتم مناسككم الآية قال مجاهد المناسك الذبائح وهراقة الدماء
والمناسك عندي العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا
فرغتم من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده واثنوا عليه
بآلايه عندكم وخص هذا الوقت بالقضا لما يقضي الناس فيه مناسكهم
في حين واحد وما قبل وبعد فهو على الافتراق هذا في طواف وهذا في رمي
وهذا في حلق وغير ذلك وكانت عادة العرب اذا قضت حجها
تقف عند الجمرة فتفاخر بالآباء وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم
وغير ذلك فنزلت الآية ليلزموا انفسهم ذكر الله تعالى اكثر من التزامهم
ذكر آبائهم بايام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن عباس وعطا
معنى الآية واذكروا الله كذكر الاطفال آباءهم وامهاتهم اي فاستغيثوا
به والجؤوا اليه كما كنتم تفعلون في حال صغركم بآبائكم وقالت طائفة معنى
الآية اذكروا الله وعظموه وذبوا عن حرمه وادفعوا من اراد الشرك والنقص
في دينه ومشاعره كما تذكرون آباءكم بالخير اذا غض احد منهم وتحمون جوانبهم
وتذبون عنهم وقرا محمد بن كعب كذكركم اباؤكم اي اهتبلوا بذكره كما يهتبل

المزيد ذكر ابنه فالمصدر على هذه القراءة مضاف الى المفعول او اشد في موضع خفض
عطفا على ذكركم ويجوز ان يكون في موضع نصب لتقدير او اذكروه اشد
ذكرا **وقوله تعالى** فمن الناس من يقول الاية قال ابو وائل والسدي وابن زيد
كانت عادتهم في الجاهلية ان يدعوا في مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا يعرفون
الاخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بامر الدنيا وجاء النهي في صيغة الخبر عنهم
والخلاق النصيب والحظ ومن زائدة لانها بعد النهي وهي مستغرقة لجنس الحظوظ
وقال قتادة حسنة الدنيا العافية في الصحة وكفاف المال وقال الحسن
ابن ابي الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة وقال السدي حسنة الدنيا المال
وقيل حسنة الدنيا المراة الحسناء واللفظة تقتضي هذا كله وجميع محاب الدنيا
وحسنة الاخرة الجنة باجماع وقنا عذاب النار دعاء في ان لا يكون المرء ممن يدخلها
بمعاصيه وتخرجه الشفاعة ويحتمل ان يكون دعاء موكدا لطلب دخول الجنة لتكون
الرغبة في معنى النجاة والفوز من الطرفين كما قال احد الصحابة للنبي عليه السلام
انا انما اقول في دعائي اللهم ادخلني الجنة وعافني من النار ولا ادري ما دندنتك
ولا دندنة معاذ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حولها ندندن **وقوله
تعالى** اولئك لهم نصيب مما كسبوا الاية وعد على كسب الاعمال الصالحة في صيغة
الاخبار المجرد والله تعالى سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عقد ولا اعمال فكر
وقيل لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد في يوم فقال
كما يرزقهم في يوم وقيل الحساب هنا المجازات كان المجازي يعد اجزاء العمل ثم يجازي
بمثلها وقيل معنى الاية سريع مجيء يوم الحساب فالمقصد بالاية الانذار بيوم
القيامة وامر الله تعالى عباده بذكره في الايام المعدودات وهي الثلاثة
التي بعد يوم النحر وهي ايام التشريق وليس يوم النحر من المعدودات ودل على ذلك
اجماع الناس على انه لا ينفر احد يوم القر وهو ثاني يوم النحر ولو كان يوم النحر في المعدودات
لساغ ان ينفر من شاء متعجلا يوم القر لانه قد اخذ يومين من المعدودات وحكى

مكي والمهدوي عن ابن عباس انه قال المعدودات هي ايام العشر **قال ابو محمد**
وهذا اما ان يكون من تصحيف النسخة واما ان يريد العشر الذي بعد يوم النحر
وفي ذلك بعد والايام المعلومات هي يوم النحر ويومان بعده لاجماعهم على
انه لا ينحر احد في اليوم الثالث والذكر في المعلومات انما هو على ما رزق
الله من بهيمة الانعام وقال ابن زيد المعلومات عشر ذي الحجة وايام التشريق
وفي هذا القول بعد وجعل الله الايام المعدودات ايام ذكر الله وقد
قال النبي عليه السلام هي ايام اكل وشرب وذكر الله ومن جملة الذكر التكبير
في اثر الصلوات واختلف في طرفي مدة التكبير فقال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي
طالب وابن عباس يكبر من صلاة الصبح من يوم عرفة الى العصر من اخر ايام التشريق
وقال ابن مسعود وابو حنيفة يكبر من غداة عرفة الى صلاة العصر من يوم النحر وقال
يحيى بن سعيد يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى الظهر من اخر ايام التشريق وقال مالك
يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح الى اخر ايام التشريق وبه قال الشافعي
وقال ابن شهاب يكبر من الظهر يوم النحر الى العصر من اخر ايام التشريق وقال سعيد
ابن جبير يكبر من الظهر يوم عرفة الى العصر من اخر ايام التشريق وقال الحسن ابن ابي الحسن
يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الظهر من يوم النفر الاول وقال ابو وائل
يكبر من صلاة الظهر يوم عرفة الى صلاة الظهر يوم النحر ومشهور مذهب مالك
انه يكبر اثر كل صلاة ثلث تكبيرات وفي المذهب رواية انه يقال بعد التكبيرات الثلاث
لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد **وقوله تعالى** فمن تعجل في يومين الاية قال ابن
عباس والحسن وعكرمة ومجاهد المعنى من نفر في اليوم الثاني من الايام المعدودات
فلا حرج عليه ومن تاخر الى الثالث فلا حرج عليه فمعنى الاية كل ذلك مباح وعبر عنه
بهذا التقسيم اهتماما وتاكيدا اذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت
الاية رافعة للجناح في كل ذلك ومن العلماء من راى ان التعجيل انما ابيح لمن بعد
قطره لا للمكي والقريب الا ان يكون له عذر قاله مالك وغيره ومنهم من راى

الناس كلهم مباح لهم ذلك قاله عطاء وغيره وقال علي ابن ابي طالب وابن مسعود
وابرهيم معنى الاية من تعجل فقد غفر له ومن تاخر فقد غفر له واحتجوا بقوله عليه
السلام من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من خطاياه كيوم ولدته
امه فقوله تعالى لا اثم عليه نفي عام وتبرية مطلقة وقال مجاهد ايضا
معنى الاية من تعجل او تاخر فلا اثم عليه الى العام القابل واسند في هذا القول اثر
وقال ابو العالية المعنى في الاية لا اثم عليه لمن اتقى بقية عمره والحاج مغفور
له البتة وقال ابو صالح وغيره معنى الاية لا اثم عليه لمن اتقى قتل الصيد وما
يجب عليه تجنبه في الحج وقال ايضا لمن اتقى في حجه فاتى به تاما حتى كان مبرورا
واللام في قوله لمن اتقى متعلقة اما بالغفران على بعض التاويلات او بارتفاع
الاثم في الحج على بعضها وقيل بالذكر الذي في قوله واذكروا اي الذكر لمن
اتقى ويسقط رمي الجمرة الثالثة عمن تعجل وقال ابن ابي زمنين يرميها في يوم النفر
الاول حين يريد التعجل قال ابن المواز يرمي المتعجل في يومين باحدى وعشرين حصاة
كل جمرة بسبع حصيات فيصير جميع رميه بتسع واربعين حصاة **قال ابو محمد**
لانه قد رمى جمرة العقبة بسبع يوم النحر قال ابن المواز ويسقط رمي اليوم الثالث
وقرا سالم ابن عبد الله فلا اثم عليه بوصل الالف ثم امر تعالى بالتقوى وذكر بالحشر
والوقوف بين يديه **قوله عز وجل** ومن الناس من يعجبك قوله
في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين قال السدي نزلت في الاخنس ابن شريق واسمه ابي
والاخنس لقب وذلك انه جاء الى النبي عليه السلام فاظهر الاسلام وقال الله يعلم

انى

انى صادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فاحرق لهم زرعا وقتل حمرا
فنزلت فيه هذه الايات **قال ابو محمد** ما ثبت قط ان الاخنس اسلم وقال
ابن عباس نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع عاصم بن ثابت
وخبيب وابن الدثنة وغيرهم قالوا ويح هولاء القوم لا هم قعدوا في بيوتهم ولا ادوا
رسالة صاحبهم فنزلت هذه الايات في صفات المنافقين ثم ذكر المستشهد
في غزوة الرجيع في قوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الاية وقال
قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء نزلت هذه الاية في كل مبطن كفرا او
نفاقا او كذبا او اضرارا وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة وهي مشبهة ما
ورد في الترمذي ان في بعض كتب الله تعالى ان من عباد الله قوما السنتهم
احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر يلبسون للناس جلود الضان من اللين
يجترون الدنيا بالدين يقول الله تعالى ابي يغترون وعلي يجترئون حلفت لا سلطن
عليهم فتنة تدع الحليم منهم حيران ومعنى ويشهد الله اي يقول الله يعلم اني
اقول حقا وقرا ابو حيوة وابن محيصن ويشهد الله بالاسناد الفعل الى اسم الله
المعنى يعجبك قوله والله يعلم منه خلاف ما قال والقراءة التي للجماعة ابلغ في ذمه
لانه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ثم ظهر من باطنه خلافه وما في قلبه
يختلف بحسب القراءتين فعلى قراءة الجمهور هو الخير الذي يظهر اي هو في قلبه بزعمه
وعلى قراءة ابن محيصن هو الشر الباطن وقرا ابن عباس والله يشهد على ما في قلبه
وقرا ابي وابن مسعود ويستشهد الله على ما في قلبه والالد الشديد الخصومة
الصعب الشكيمة الذي يلوي الحجج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لديدي
الوادي ومنه لديدا الفم واللدود ويقال منه لددت بكسر العين الدّ وهو دم ومنه
قول النبي عليه السلام ابغض الرجال الى الله الالد الخصم ويقال لددته بفتح العين
الده بضمها اذا غلبته في الخصام ومن اللفظة **قول الشاعر** ان تحت الاحجار
حزما وعقلا وخصيما الدّ ذا معلاق • والخصام في الاية مصدر خاصم

وقيل جمع خصم ككلب وكلاب فكأن الكلام وهو أشد الخصماء والدهم وتولى وسعى
يحتمل جميعا معنيين أحدهما أن يكونا فعل قلب فيجيء تولى بمعنى ضل وغضب وأنف
في نفسه فسعى بحيله وإدارته الدوائر على الإسلام ومن هذا السعي قول الله تعالى
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ومنه وسعى لها سعيها **ومنه قول الشاعر**
أسعى على حي بني مالك كل امرئ في شأنه ساع ∴ ونحا هذا المنحى في معنى الآية
ابن جريج وغيره ∴ والمعنى الثاني أن يكونا فعل شخص فيجيء تولى بمعنى أدبر ونهض
عنك يا محمد وسعى يجيء معناها بقدميه فقطع الطريق وأفسدها ونحا هذا المنحى
ابن عباس وغيره وكلا السعيين فساد **وقوله تعالى** ويهلك الحرث والنسل
قال الطبري المراد الأخنس في إحراقه الزرع وقتله الحمر وقال مجاهد المراد أن
الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل وقيل المراد أن المفسد
يقتل الناس فينقطع عمار الزرع والمتناسلون وقال الزجاج يحتمل أن يراد بالحرث النساء
وبالنسل نسلهن **قال أبو محمد** والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغته في
الإفساد إذ كل فساد في أمور الدنيا فعلى هذين الفصلين يدور وقرأ القراء ويهلك
بضم الياء وكسر اللام وفتح الكاف عطفا على يعجبك وإما على سعى لأنها بمعنى الاستقبال
ليفسد وفي مصحف أبي بن كعب وليهلك وقرأ قوم ويهلك بضم الكاف إما عطفا
على يعجبك وإما على سعى لأنها بمعنى الاستقبال وإما على القطع والاستئناف وقرأ
الحسن وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وابن محيصن ويهلك بفتح الياء وكسر اللام وضم الكاف
وضم الحرث والنسل وكذلك رواه ابن سلمة عن ابن كثير وعبد الوارث عن أبي عمرو
وحكى المهدوي أن الذي روى حماد بن سلمة عن ابن كثير إنما هو ويهلك بضم الياء والكاف
الحرث بالنصب وقرأ قوم ويهلك بفتح الياء واللام ورفع الحرث وهي لغة هلك
يهلك نحو ركن يركن إذا أكثر من ركن والحرث في اللغة شق الأرض للزراعة ويسمى
الزرع حرثا للمجاورة والتناسب ويدخل سائر الشجر والغراسات في ذلك حملا
على الزرع ومنه قوله عز وجل إذ يحكمان في الحرث وهو كرم على ما ورد في التفاسير

وسمي

النساء حرثا على التشبيه والنسل مأخوذ من نسل ينسل إذا خرج متتابعا
ومنه نسال الطائر ما تتابع سقوطه من ريشه ومنه قوله تعالى من كل
حدب ينسلون ومنه قول امرئ القيس ∴ فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
ولا يحب معناه لا يحبه من أهل الصلاح ولا يحبه دينا وإلا فلا يقع إلا ما
يحبه الله تعالى وقوعه والفساد واقع وهذا على ما ذهب إليه المتكلمون
من الحب بمعنى الإرادة **قال أبو محمد** والحب له على الإرادة مزية إيثار فلو
قال أحد إن الفساد تنقصه مزية الإيثار لصح ذلك إذ الحب من الله إنما
هو لما حسن من جميع جهاته **وقوله تعالى** وإذا قيل له اتق الله الآية هذه
صفة الكافر أو المنافق الذاهب بنفسه زهوا ويكره للمؤمن أن يوقعه الحرج
في نحو هذا وقال بعض العلماء كفى بالمرء إثما أن يقول له أخوه اتق الله فيقول
عليك نفسك مثلك يوصيني والعزة هنا المنعة وشدة النفس أي اعتز في
نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته وألزمته إياه ويحتمل
لفظ الآية أن تكون أخذته العزة مع الإثم بمعنى الباء حمله بحسب التأويلين
أي كافيه معاقبة وجزاء كما تقول للرجل كفاك ما حل بك وأنت تستعظم وتعظم
عليه ما حل به والمهاد ما مهد الرجل لنفسه كأنه الفراش ومن هذا الباب
قول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع **وقوله تعالى** ومن الناس من يشري
نفسه الآية تتناول كل مجاهد في سبيل الله أو مستشهد في ذاته أو مغير
منكر والظاهر من هذا التقسيم أن تكون الآيات مثل هذه على العموم في الكافر
بدليل الوعيد بالنار وما أخذ العصاة الذين فيهم شيء من هذه الخلق حظهم من
وعيد الآية ومن قال إن الآيات المتقدمة هي في منافقين تكلموا في غزوة
الرجيع قال هذه الآية في شهداء غزوة الرجيع ومن قال تلك في الأخنس
قال هذه في الأنصار والمهاجرين المبادرين إلى الإيمان وقال عكرمة وغيره
هذه في طائفة من المهاجرين وذكروا حديث صهيب أنه خرج من مكة

الى النبي عليه السلام فاتبعه قريش لترده فنثر كنانته وقال تعلمون والله اني لمن
ارماكم رجلا والله لا ترمينكم ما بقي لي سهم ثم لاضربن بسيفي ما بقي في يدي منه
شي فقالوا له لا نتركك تذهب عنا غنيا وقد جئتنا صعلوكا ولكن دلنا على مالك
ونتركك فدلهم على ماله وتركوه فهاجر الى النبي عليه السلام فلما راه قال له ربح البيع
ابا يحيى فنزلت فيه هذه الاية ومن قال القصد بالاية العموم قال في هذه كذلك
بالعموم ويشري معناه يبيع ومنه وشروه بثمن بخس ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميري
وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه وقال الاخر يعطى بها ثمنا
فيمنعها ويقول صاحبه الا تشتري ومن هذا تسمى الشراة لانهم الذين باعوا انفسهم
من الله وحكى قوم انه يقال شرى بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تاول الاية في
صهيب لانه اشترى نفسه بماله ولم يبعها اللهم الا ان يقال ان عزم صهيب
على قتالهم بيع لنفسه من الله تعالى فيستقيم اللفظة على معنى باع وتاول هذه الاية
عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وابن عباس في تغيير المنكر ولذلك قال
علي وابن عباس اقتتل الرجلان اي قال المغير للمفسد اتق الله وقال له فاقتتلا وروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعي في يوم من الجمعة شبابا من القرا فيهم
عبد الله بن عباس والحر بن قيس وغيرهما يقرون بين يديه ومعه فسمع عمر بن عباس
يقول اقتتل الرجلان حين قرا هذه الاية فساله عما قال ففسر له هذا التفسير
فقال له عمر لله تلادك يا ابن عباس وقال ابو هريرة وابو ايوب حين حمل هشام
بن عامر على الصف في القسطنطينية فقال قوم القى بيده الى التهلكة ليس كما قالوا
بل هذا قول الله تبارك وتعالى ومن الناس من يشري نفسه الاية وابتغا مفعول
من اجله ووقف حمزة بالتا اما انه على لغة من يقول طلحت وعلقمت ومنه قول الشاعر
بل جوز تيها لا ظهر الحجفت ۞ واما انه لما كان المضاف اليه في ضمن اللفظه
ولا بد اثبتت التا كما ثبتت في الوصل ليعلم ان المضاف اليه مراد وقوله
تعالى والله رووف بالعباد ترجية تقتضي الحض على امتثال ما

وقع

١٥١

وقعه المدح في الاية كما قوله تعالى فحسبه جهنم هو نوع تقتضي التحذير مما وقع
به الذم ثم امر تعالى المومنين بالدخول في السلم وقرا ابن كثير ونافع والكسائي السلم
بفتح السين وقرا الباقون بكسرها في هذا الموضع فقيل هما بمعنى واحد يقعان للاسلام
والمسالمة وقال ابو عمرو بن العلا السلم بكسر السين الاسلام وبالفتح المسالمة وانكر
المبرد هذه التفرقه ورجح الطبري حمل اللفظة على معنى الاسلام لان المومنين
لم يومروا قط بالانتداب الى الدخول في المسالمة وانما قيل للنبي عليه السلام
ان يجنح للسلم اذا جنحوا لها واما ان يبتديها فلا واختلف بعد حمل اللفظة على
الاسلام من المخاطب فقالت فرقة جميع المومنين بمحمد عليه السلام والمعنى امرهم
بالثبوت فيه والزيادة من التزام حدوده ويستغرق كافة حينئذ المومنين
وجميع اجزا الشرع فتكون الحال من شيئين وذلك جائز نحو قوله تعالى فاتت به
قومها تحمله الى غير ذلك من الامثله وقال عكرمه بل المخاطب من امن بالنبي صلى
الله عليه وسلم من بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره وذلك انهم ذهبوا الى
تعظيم يوم السبت وكرهوا لحم الابل وارادوا استعمال شي من احكام التوراة
وخلط ذلك بالاسلام فنزلت هذه الاية فيهم فكافة على هذا لاجزا الشرع
فقط وقال ابن عباس نزلت الاية في اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا
لموسى وعيسى ادخلوا في الاسلام بمحمد كافة فكافة على هذا لاجزاء الشرع
وللمخاطبين على من يرى السلم الاسلام ومن يراها المسالمة يقول امرهم بالدخول
في ان يعطوا الجزية وكافة معناه جميعا والمراد بالكافة الجماعة التي تكف مخالفيها
وقيل ان كافة نعت لمصدر محذوف كان الكلام دخلة كافة فلما حذف
المنعوت بقي النعت حالا وتقدم القول في خطوات وفي الالف واللام في الشيطان
للجنس وعدو يقع على الواحد والاثنين والجميع ومبين يحتمل ان يكون بمعنى ابان
عداوته وان يكون بمعنى بان في نفسه انه عدو لان العرب تقول بان الامر وابان بمعنى
واحد قوله عز وجل فان زللتم من بعد ما جاتكم البينات فاعلموا

ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن
يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق
من يشاء بغير حساب وقرا جمهور الناس زللتم بفتح اللام وقرا ابو السمال زللتم
بكسرها واصل الزلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والاراء وغير ذلك
وغير ذلك والمعنى ضللتم وعجتم عن الحق والبينات محمد واياته ومعجزاته اذا كان
الخطاب اولا لجماعة المومنين واذا كان الخطاب لاهل الكتابين فالبينات
ما ورد في شرائعهم من الاعلام بمحمد عليه السلام والتعريف به وعزيز صفة مقتضية
انه قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمتنعون منه وحكيم اي محكم فيما يعاقبكم به
لزللكم وحكى النقاش ان كعب الاحبار لما اسلم كان يتعلم القران فاقراه الذي
كان يعلمه فاعلموا ان الله غفور رحيم فقال كعب الاحبار اني لاستنكر ان
يكون هكذا ومر بهما رجل فقال كعب كيف تقرا هذه الاية فقال الرجل فاعلموا ان الله
عزيز حكيم فقال كعب هكذا ينبغي **وقوله تعالى** هل ينظرون الاية الخطاب للنبي عليه
السلام وهل من حروف الابتداء كاما وينظرون معناه ينتظرون فالمراد هؤلاء
الذين يبدلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظل من فوق وقرا قتادة والضحاك في ظلال
وكذلك روى هرون بن حاتم عن ابي بكر بن عاصم هنا وفي الحرفين في الزمر وقال عكرمة
ظلل طاقات وقرا الحسن ويزيد ابن القعقاع وابو حيوة والملائكة بالخفض عطفا
على الغمام وقرا جمهور الناس بالرفع عطفا على اسم الله والمعنى ياتيهم حكم الله وامره
ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن جريج الى ان هذا التوعد هو بما يقع في الدنيا وقال
قوم بل هو توعد بيوم القيمة وقال قوم قوله الا ان ياتيهم الله وعيد بيوم القيامة
واما الملائكة فالوعيد هو باتيانهم عند الموت والغمام ارق السحاب واصفاه
واحسنه وهو الذي ظلل به بنو اسرائيل وقال النقاش هو ضباب ابيض

وقراه

وقرا ابن مسعود الا ان ياتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام وقضي الامر
معناه وقع الجزاء وعذب اهل العصيان وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر
وقرا يحيى بن يعمر وقضي الامور بالجمع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ترجع
على بناء الفعل للفاعل وقرا الباقون ترجع على بنائه للمفعول وهي راجعة اليه
تعالى قبل وبعد وانما نبه بذكر ذلك في يوم القيمة على زوال ما كان منها
الى الملوك في الدنيا **وقوله تعالى** سل بني اسرائيل الاية الخطاب لمحمد عليه السلام
وفيه اباحة السوال لمن شاء من امته ومعنى الاية توبيخهم على عنادهم بعد
الايات البينة وقرا ابو عمرو في رواية عباس عنه اسال على الاصل وقرا
قوم اسل على نقل الحركة الى السين وترك الاعتداد بذلك في ابقاء الف الوصل
على لغة من قال الحمر ومن قرا سل فانه ازال الف الوصل حين نقل واستغنى عنها
وكم في موضع نصب اما بفعل مضمر بعدها لان لها صدر الكلام تقديره كم
اتينا اتيناهم واما باتيناهم وقوله من اية هو على التقدير الاول مفعول ثان
لاتيناهم وعلى الثاني في موضع التمييز ويصح ان يكون كم في موضع رفع بالابتداء
والخبر في اتيناهم ويصير فيه عائد على كم تقديره كم اتيناهموه والمراد بالاية
كم جاءهم في امر محمد عليه السلام من اية معرفة به دالة عليه ونعمة الله لفظ عام لجميع
انعامه ولكن يقوي من حال النبي عليه السلام معهم ان المشار اليه هاهنا محمد صلى
الله عليه وسلم فالمعنى ومن يبدل من بني اسرائيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسحبا
على كل مبدل نعمة الله تعالى وقال الطبري النعمة هنا الاسلام وهذا قريب
من الاول ويدخل في اللفظ ايضا كفار قريش الذين بعث محمد عليه السلام منهم
نعمة عليهم فبدلوا قبولها والشكر عليها كفرا والتوراة ايضا نعمة على بني اسرائيل صح
ارشدتهم وهدتهم فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى فان الله شديد العقاب خبر يقتضي ويتضمن الوعيد والعقاب
ماخوذ من العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة له في اثار عقبه ومنه عقبة

الراكب وعقبه القدر **وقوله تعالى** زين للذين كفروا الحياة الدنيا
المزين هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر ومزينها ايضا الشيطان بوسوسته
واغوائه وقرا مجاهد وحميد ابن قيس وابو حيوة زين على بنا الفعل للفاعل
ونصب الحياة وقرا ابن ابي عبلة زينت باظهار العلامة والقراه دون علامه
هي للحائل ولكون التانيث غير حقيقي وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين
جملة واقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الاخرة بسببها والتزيين من الله تعالى
واقع للكل وقد جعل الله ما على الارض زينة لها لنبلوا الخلق ايهم احسن عملا
فالمومنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة والكفار تملكتهم
لانهم لا يعتقدون غيرها وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين قدم عليه
بالمال اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينت لنا **وقوله تعالى** ويسخرون
اشارة الى كفار قريش لانهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا ويغتبطون بها
ويسخرون من اتباع النبي عليه السلام كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم
فذكر الله قبيح فعلهم ونبه على خفض منزلتهم بقوله والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة ومعنى الفوق هنا في الدرجة والقدر فهي تعطي التفضيل وان لم يكن
للكافرين من القدر نصيب كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ويحتمل الاية ان المتقين هم في الاخرة في النعيم والفوز والرحمة فوق ما هم
هولاء فيه في دنياهم وكذلك خير مستقرا من هولاء في نعم الدنيا فعلى
هذا الاحتمال وقع التفضيل في امر فيه اشتراك ويحتمل هذه الاية ان يراد
بالفوق المكان من حيث الجنة في السما والنار في اسفل السافلين فيعلم من
المكنه ان هولاء في الجنة وهولاء في النار ويحتمل الاتيان ان يكون التفضيل
على ما يتضمنه زعم الكفار فانهم كانوا يقولون وان كان معاد فلنا فيه الحظ
اكثر مما لكم ومنه حديث خباب مع العاصي بن وايل وهذا كله من المحال
التخيل لا حفظ مذهب سيبويه والخليل في ان التفضيل انما يجي فيما فيه شركة

والكومون

والمومنون يجزونه حيث لا اشتراك **وقوله تعالى** والله يرزق من يشاء
بغير حساب يحتمل ان يكون المعنى والله يرزق هولاء الكفرة في الدنيا فلا تستعظموا
ذلك ولا تقيسوا عليه الاخرة فان الرزق ليس على قدر الكفر والايمان بان يحسب
لهذا عمله ولهذا عمله فيرزقان بحساب في الكل بل الرزق بغير حساب الاعمال
والاعمال ومجازاتها محاسبة ومعادة بان اجزاء الجزاء تقابل اجزاء الفعل
المجازى عليه فالمعنى ان المومن وان لم يرزق في الدنيا فهو فوق يوم القيمة
ويحتمل الاية ان يكون المعنى ان الله يرزق هولاء المستضعفين علو المنزلة بكونهم
فوق وما في ضمن ذلك من النعيم بغير حساب فالاية تنبيه على عظيم النعمة عليهم وجعل
رزقهم بغير حساب من حيث هو دايم لا يتناهى فهو لا ينعد ويحتمل ان يكون
بغير حساب صفة لرزق الله تعالى كيف تصرف اذ هو جلت قدرته لا ينفق
بعد فضله كله بغير حساب ويحتمل ان يكون المعنى في الاية من حيث لا يحتسب
هذا هو الذي يشاء الله كانه قال بغير احتساب من المرزوقين كما قال تعالى
ويرزقه من حيث لا يحتسب وان اعترض معترض على هذه الاية بقوله تعالى عطا
حسابا فالمعنى في ذلك محسبا وانضاف الى ذلك ان الحساب في الجزاء
والمثوبة لانها معادة وغير الحساب في التفضل والانعام **قوله عز وجل**
كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما
جاتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباسا والضرا وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال ابي ابن كعب وابن
زيد المراد بالناس بنو ادم حين اخرجهم الله نسما من ظهر ادم اي كانوا على
الفطرة وقال قوم ادم وحوا وقال

ابن عباس وقتادة الناس القرون التي كانت بين ادم ونوح وهي عشرة كانوا
على الحق فاختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال قوم نوح ومن في
سفينته كانوا مسلمين ثم بعد ذلك اختلفوا وقال ابن عباس ايضا كان الناس
امة واحدة كفارا يريد في مدة نوح حين بعثه الله وكان على هذه الافعال
هي على بابها من المضي المنقضي وتحتمل الاية معنى سابعا وهو ان الخبر عن الناس الذين
هم الجنس كله انهم امة واحدة في خلوهم عن الشرايع وجهلهم بالحقايق لولا منّ
الله عليهم وتفضله بالرسل اليهم فكان على هذا الثبوت لا تختص بالمضي
فقط وذلك كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما والامة الجماعة على المقصد
الواحد انه اذا كان منفردا المقصد ومنه قول النبي عليه السلام في قس
بن ساعدة يحشر يوم القيمة امة وحده وقرا ابي ابن كعب كان البشر امة واحدة
وقرا ابن مسعود كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث وكل من قدر الناس
في الاية مومنين قدر في الكلام فاختلفوا وكل من قدرهم كفارا كانت بعثه النبيين
اليهم واول الرسل على ما ورد في الصحيح في حديث الشفاعة نوح لان الناس
يقولون له انت اول الناس والمعنى الى قومهم كفارا ولا فادم مرسل الى بنيه
يعلمهم الدين والايمان ومبشرين معناه بالثواب معناه بالثواب على الطاعة
ومنذرين معناه من العذاب على المعاصي ونصب اللفظين على الحال والكتاب
اسم الجنس والمعنى جميع الكتب وقال الطبري الالف واللام في الكتاب للعهد
والمراد التوراة وليحكم مسندا الى الكتاب في قول الجمهور وقال قوم المعنى ليحكم
الله وقرا الجحدري ليحكم على بنا الفعل للمفعول وحكى عنه البنا للمفعول قال ابو محمد
واظنه تصحيفا لانه لم يحك عنه البنا للمفعول كما حكى الناس والضمير في
فيه الثانية يحتمل العود على الكتاب ويحتمل على الضمير الذي قبله والذين اوتوه
ارباب العلم به والدراسة له وخصهم بالذكر تنبيها منه على الشنعة في فعلهم
والقبح الذي واقعوه والبينات الدلالات والحجج وبغيا منصوب على المفعول

له والبغي التعدي بالباطل وهدى معناه ارشد وذلك خلق الايمان في
قلوبهم وقد تقدم ذكر وجوه الهدى في سورة الحمد والمراد بالذين امنوا
من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالت طايفة معنى الاية ان الامم كذب
بعضهم كتاب بعض فهدى الله امة محمد عليه السلام للتصديق بجميعها وقالت
طايفة ان الله هدى المومنين للحق فيما اختلف فيه اهل الكتابين من قولهم ان
ابرهيم كان يهوديا او نصرانيا وقال ابن زيد من قبلتهم فان اليهود الى بيت
المقدس والنصارى الى المشرق ومن يوم الجمعة فان النبي عليه السلام قال
هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فلليهود غد وللنصارى بعد
غد ومن صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه وقال الفرا في الكلام قلب واختاره
الطبري قال وتقديره فهدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا وذعاه الى
هذا التقدير خوف ان يحتمل اللفظ انهم اختلفوا في الحق فهدى الله المومنين
لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه نحا الى هذا الطبري الى هذا
في حكايته عن الفرا قال ابو محمد وادعا القلب على لفظ كتاب الله دون
ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسو نظر وذلك ان الكلام يتخرج على وجهه ووصفه
لان قوله فهدى يقتضي انهم اصابوا الحق وتم المعنى في قوله فيه وتبين بقوله من الحق
جنس ما وقع الخلاف فيه قال المهدوي وقدم لفظ الخلاف على لفظ الحق
اهتماما اذ العناية انما هي بذكر الاختلاف قال ابو محمد وليس هذا عندي
بقوي وفي قراءة عبد الله بن مسعود لما اختلفوا عنه من الحق اي عن الاسلام
وباذنه قال الزجاج معناه بعلمه وقيل بامره والاذن هو العلم والتمكين فان
اقترن بذلك امر صار اقوى من الاذن بمرتبة وفي قوله والله يهدي من يشا
رد على المعتزلة في قولهم ان العبد يستبد بهداية نفسه وقوله تعالى ام حسبتم
الاية ام تجي لابتدا الكلام بعد كلام وان لم يكن تقسيم ولا معادلة الف الاستفهام
وحكى بعض اللغويين انها قد تجي بمثابة الف الاستفهام يبتدا بها وحسبتم تطلب

مفعولين فقال النحاة ان خلوا اسد مسد المفعولين لان الجملة التي بعد ان
مستوفاة المعنى ويصح ان يكون المفعول لان الجملة التي بعد ان مستوفاة المعنى
ويصح ان يكون المفعول الثاني محذوفا تقديره احسبتم دخولكم الجنة واقعا ولما
ولا يظهر ان يسد المفعول الثاني في قوله ولما ياتكم مسد ام حسبتم دخولكم الجنه
خلوا من ان يصيبكم ما اصاب من قبلكم لان خلوا حال والحال هاهنا انما تاتي
بعد توفيه المفعولين والمفعول لان هذا الابتدا والخبر قبل دخول حسب والباسا
في المال والضرا في البدن وخلوا معناه انقرضوا اي صاروا الى خلا من الارض وهذه
الايه نزلت في قصه الاحزاب حين حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه في المدينه هذا قول قتاده والسدي واكثر المفسرين وقالت فرقه نزلت
الايه تسليه للمهاجرين الذين اصيبت اموالهم بعدهم في بلادهم وفتنوا هم قبل
ذلك ومثل معناه شبه فالتقدير شبه الذين خلوا والزلزله شده التحريك
تكون في الاشخاص وفي الاحوال ومذهب سيبويه ان زلزل رباعي كدحرج
وقال الزجاج هو تضعيف في زل فيجي التضعيف على هذا في الفاء وقرا الاعمش
وزلزلوا ويقول الرسول مالوا او يدا حتى وفي مصحف ابن مسعود وزلزلوا ثم زلزلوا
ويقول الرسول وقرا نافع يقول بالرفع وقرا الباقون يقول بالنصب فحتى غايه مجرده تنصب
الفعل بتقدير الى ان وعلى قراه نافع كانها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع
الفعل واكثر المتاولين على ان الكلام الى اخر الايه من قول الرسول والمومنين ويكون ذلك
من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول
اسم الجنس وذكره الله تعظيما للنازله التي دعت الرسول الى هذا القول وقالت
طايفه في الكلام تقديم وتاخير والتقدير حتى يقول الذين امنوا متى نصر الله فيقول
الرسول الا ان نصر الله قريب فقدم الرسول في الرتبه لمكانته ثم قدم قول المومنين
لانه المتقدم في الزمان **قال ابن محمد** وهذا تحكم وحمل الكلام على وجه
غير متسق وحمل ان يكون الا ان نصر الله قريب اخبارا من الله تعالى موتنفا

بعد تمام ذكر القول **قوله عز وجل** يسلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم
من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير
فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير
لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام
واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنه اكبر من القتل السايلون هم المومنون
والمعنى يسلونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها واين يضعون ما لزم انفاقه وما
يصح ان يكون في موضع رفع على الابتدا وذا الخبر وهي بمعنى الذي وينفقون صلته
وفيه عايد على ذا تقديره ينفقونه ويصح ان تكون ماذا اسما واحدا مركبا في
موضع نصب بينفقون فيعرى من الضمير ومتى كانت اسما مركبا فهي في موضع نصب
الا ما جا في **قول الشاعر** وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني
لك عاشق . فان عسى لا تعمل فماذا في موضع رفع وهو مركب اذ اصله لذا قال
قوم هذه الايه في الزكاه المفروضه وعلى هذا نسخ منها الوالدان ومن جرى
مجراهما من الاقربين وقال السدي نزلت هذه الايه قبل فرض الزكاه ثم نسختها
الزكاه المفروضه ثم نسخ منها الوالدان وقال ابن جريج وغيره هي ندب
والزكاه غير هذا الانفاق فعلى هذا لا نسخ فيها واليتم فقد الاب قبل البلوغ
وتقدم القول في المسكين وابن السبيل وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب في
الفا وقرا علي ابن ابي طالب يفعلوا بالياء على ذكر الغايب وظاهر الايه الخبر
وهي تتضمن الوعد بالمجازات وكتب معناه فرض الجهاد وقرا قوم كتب عليكم القتل
وقال عطا ابن ابي رباح فرض القتال على اعيان اصحاب محمد عليه السلام
فلما استقر الشرع وقيم به صار على الكفايه وقال جمهور الامه اول
فرضه انما كان على الكفايه دون تعيين **قال ابو محمد** واستمر الاجماع
على ان الجهاد على امه محمد عليه السلام فرض كفايه فاذا قام من قام به س

المسلمين سقط عن الباقين الا ان ينزل العدو بساحة الاسلام فهو حينئذ فرض
عين وذكر المهدوي وغيره عن الثوري انه قال الجهاد تطوع وهذه العبارة عندي
انما هي على سؤال سائل وقد قيم بالجهاد فقيل له ذلك تطوع والكره بضم الكاف ما
اكره المرء عليه والكره ما كرهه هو وقال قوم هما بمعنى واحد وقوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا الاية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا
ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في انكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتؤجرون
ومن مات مات شهيدا وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في انكم
تغلبون وتذلون ويذهب امركم وفي قوله تعالى والله يعلم الاية قوة امر وقوله تعالى
يسئلونك عن الشهر الحرام الاية نزلت في قصة عمرو بن الحضرمي وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله بن جحش الاسدي مقدمه من
بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمي ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل
المخزوميان والحكم بن كيسان في اخر يوم من رجب على ما ذكر ابن اسحق وفي اخر يوم
من جمادى الاخرة على ما ذكر الطبري عن السدي وغيره والاول اشهر على ان ابن عباس
قد ورد عنه ان ذلك كان في اول ليلة من رجب والمسلمون يظنونها من جمادى وان
القتل في الشهر الحرام لم يقصدوه واما على قول ابن اسحق فانهم قالوا ان تركناهم
اليوم دخلوا الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم
فقتله واسر عثمان بن عبد الله والحكم وفر نوفل فاعجزهم واستسهل المسلمون هذا
في الشهر الحرام خوف فوتهم فقالت قريش محمد قد استحل الشهر الحرام وعير
بذلك وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم بقتال في الاشهر الحرم
فنزلت هذه الاية ان عمرو بن امية الضمري قتل رجلين من بني كلاب في رجب
فنزلت وهذا تخليط من المهدوي لان عمرا كان معهما عهد من النبي صلى الله
عليه وسلم وكان عمرو قد افلت من قصة بئر معونة وذكر الصاحب بن عباد
في رسالته المعروفة بالاسدية ان عبد الله بن جحش سمي امير المؤمنين في ذلك

الوقت

الوقت لكونه مؤمرا على جماعة من المؤمنين وقتال بدل عند سيبويه وهو بدل
الاشتمال وقال الفراء هو خفض بتقدير عن وقال ابو عبيدة هو خفض على الجوار
وقوله هذا خطأ وفي مصحف عبد الله بن مسعود يسئلونك عن الشهر الحرام
عن قتال فيه بتكرير عن وكذلك قراها الربيع والاعمش وقرأ عكرمة عن
الشهر الحرام قتل فيه قل قتل دون الف فيهما والشهر في الاية اسم الجنس وكانت
العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قواما تعتمد عنده وكانت لا تسفك
دما ولا تغير في الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وروى
جابر بن عبد الله ان النبي عليه السلام لم يكن يغزو فيها الا ان يغزى فذلك قوله
قل قتال فيه كبير وصد مبتدا مقطوع مما قبله والخبر اكبر والمسجد معطوف
على سبيل الله وهذا هو الصحيح وقال الفراء صد عطف على كبير ونحى من ذلك
ان اخراج اهل المسجد منه اكبر من الكفر عند الله وهذا بين فساده ومعنى
الاية على قول الجمهور انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام
وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام ومن كفركم بالله
واخراجكم اهل المسجد عنه كما فعلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه اكبر جرما عند الله وقال الزهري ومجاهد وغيرهما قوله
قل قتال فيه كبير منسوخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوا
المشركين وقال عطاء لم ينسخ ولا ينبغي القتال في الاشهر الحرم وهذا
ضعيف وقوله تعالى والفتنة اكبر من القتل المعنى عند جمهور المفسرين
والفتنة التي كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما
من قتلكم في الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان لو قتلوا ذلك المفتون
اي فعلكم على كل انسان اشد من فعلنا وقال مجاهد وغيره الفتنة هنا
الكفر اي كفركم اشد من قتلنا اولئك وقوله تعالى ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو

وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون
رحمة الله والله غفور رحيم يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة **قوله تعالى** ولا يزالون ايه الخبر من
الله عز وجل وتحذير منه للمومنين من شر الكفرة ويردوكم نصب حتى لانها
غاية مجوفة **قوله** ومن يرتدد اي يرجع عن الاسلام الى الكفر قالت طايفة من العلماء
يستتاب المرتد فان تاب والا قتل وقال عبيد بن عمير يقتل دون ان يستتاب وروي نحو هذا
عن ابي موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الحديث **قال ابو محمد** ومقتضى قوله انه يقال
له التحقير ارجع فان ابى ذلك قتل وقال عطا ابن ابي رباح ان كان المرتد ابن مسلمين قتل
دون استتابة وان كان اسلم ثم ارتد استتيب وذلك لانه جهل من فضل الاسلام
ما لا يجهل ابن المسلمين واختلف القايلون بالاستتابة فقال عمر بن الخطاب يستتاب
ثلاثة ايام وبه قال مالك واحمد واسحق واصحاب الراي وال[illegible] في احد قوليه
يدعى الى الاسلام فان تاب والا قتل وروي عن علي ابن ابي طالب انه استتاب
مرتدا شهرا فابى فقتله وقال النخعي والثوري يستتاب محبوسا ابدا قال
ابن المنذر واختلف الاثار عن عمر في هذا الباب **قال ابو محمد** كان رضي الله عنه
يغلظ بحسب جرم المرتد او قلة حرمته المفرق اذا ارتد وحبط العمل اذا انفسد في
اخره فبطل وقرا ابو السمال حبطت بفتح الباء في جميع القران وقال علي ابن ابي طالب
والحسن والشعبي والحكم والليث وابو حنيفة واسحق ابن راهويه ميراث المرتد
لورثته من المسلمين وقال مالك وربيعة وابن ابي ليلى والشافعي وابو ثور ميراثه
في بيت المال واجمع الناس على ان ورثته من اهل الكفر لا يرثونه الا شيء روي
روي عن عمر بن عبد العزيز وعن قتادة وروي عن عمر بن عبد العزيز خلافه **وقوله
تعالى** ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية قال جندب ابن عبد الله وعروة

ابن الزبير وغيرهما لما قتل واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي في الشهر الحرام
توقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اخذ خمسه الذي وفي في فرضه له
عبد الله بن جحش وفي الاسيرين فعنف المسلمون عبد الله ابن جحش واصحابه حتى
شق ذلك عليهم فتلافاهم الله عز وجل بهذه الاية في الشهر الحرام ثم تذكرهم
والاشارة اليهم في قوله ان الذين امنوا ثم هي باقية في كل من فعل ما ذكر
الله عز وجل وهاجر الرجل اذا انتقل نقلة اقامة من موضع الى موضع وقصد
ترك الاهل ايثارا للثاني وهي مفاعلة من هجر ومن قال المهاجرة الانتقال من البادية
الى الحاضرة فقد اوهم بسبب ان ذلك كان الاغلب في العرب وليس اهل مكة
مهاجرين على قوله وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون
معناه يطمعون ويستقربون والرجا   والرجا ابدا معه خوف ولا بد
كما ان الخوف معه رجا وقد يتجوز احيانا ويجي الرجا بمعنى ما يقارنه من الخوف
كما   اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل
وقال الاصمعي اذا اقترن حرف النفي بالرجا كان بمعنى الخوف كهذا البيت
وكقوله تعالى لا يرجون لقانا المعنى لا يخافون وقد قيل الرجا في الاية على بابه
اي لا يرجون الثواب في لقانا وبازا ذلك خوف العقاب وقال قوم اللفظة من
الاضداد دون تجوز في احدى الجهتين وليس هذا بجيد وقال الجاحظ في كتاب
البلدان ان معنى قوله لم يرج لسعها اي لم يرج برء لسعها وزواله فهو يصبر عليه
وما في الاية وعد **وقوله تعالى** يسالونك عن الخمر والميسر الاية السايلون هم المومنون
والخمر ماخوذة من خمر اذا ستر ومنه قول النبي عليه السلام خمروا الانا ومنه
خمار المراة والخمر ما واراك من شجر وغيره **ومنه قول الشاعر**
الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق ❁ اي سيرا مدلين
فقد جاوزتما الوهدة التي يستتر بها الذيب وغيره **ومنه قول العجاج**
في لامع العقبان لا يمشي الخمر ❁ يصف جيشا جاءبرايات غير مستخف ومنه قولهم

رجل ملأ في غمار الناس وخمار هم اي هو مكان خاف فلما كانت الخمر تستر العقل
وتغطيه سميت بذلك والخمر ما العنب الذي غلا ولم يطبخ او طبخ طبخا
لم يذهب ثلثاه وما خامر العقل من غير ذلك فهو في حكمه قال ابو حنيفة قد
تكون الخمر من الحبوب قال ابن سيده واظنه تسمحا منه لان حقيقة الخمر انما هي
للعنب دون سائر الاشيا وروي ان النبي عليه السلام قال الخمر من هاتين الشجرتين
النخلة والعنبة وحرمت الخمرة بالمدينة يوم حرمت وهي العسل والزبيب
والتمر والشعير والقمح ولم يكن عندهم خمر عنب واجمعت على خمر العنب اذا غلت
ورمت بالزبد انها حرام قليلها وكثيرها وان الحد واجب في القليل منها
والكثير وجمهور الامة على ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب فيحرم قليله وكثيره
والحد في ذلك واجب وقال ابو حنيفة وسفين الثوري وابن ابي ليلى وشبرمة
وجماعة من فقها الكوفة ما اسكر كثيره من غير خمر العنب فما لا يسكر منه
حلال واذا سكر احد منه دون ان يتعمد الوصول الى حد السكر فلا حد عليه
قال ابو محمد وهذا قول ضعيف يرده النظر وابو بكر الصديق وعمر الفاروق
والصحابة على خلافه وروي ان النبي عليه السلام قال كل مسكر خمر وكل خمر
حرام وما اسكر كثيره فقليله حرام قال ابن المنذر في الاشراف لم يثبت هذا
الخبر مقالة لقائل ولا حجة لمحتج وروي ان هذه الاية اول تطرق الى تحريم الخمر
ثم بعده لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه فقال رسول الله عليه السلام حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي عليه السلام
في حد الخمر الا انه جلد اربعين خرجه مسلم وابو داود وروي عن النبي عليه السلام
انه ضرب فيها ضربا مشاعا وحرزه ابو بكر اربعين سوطا وعمل بذلك هو ثم عمر
ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله كاخف الحد ثمانين وبه قال مالك

وقال

وقال الشافعي بالاربعين وضرب الخمر غير شديد عند جماعة من العلماء لا يبدوا
ابط الضارب وقال مالك الضرب كله سوا لا خفيف ولا مبرح ويجتنب من
المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر باجماع وقالت طايفة هذه
الاية منسوخة بقوله فاجتنبوه لعلكم تفلحون يريد ما في قوله ومنافع للناس من الاباحة
والاشارة الى الترخيص والميسر ماخوذ من يسر اذا جزر والياسر الجازر ومنه
قول الشاعر فلم يزل بك واشيهم ومكرهم حتى اشاطوا بغيب لحم من يسروا هم
ومنه قول الاخر اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
والجزور الذي يستهم عليه يسمى ميسرا لانه موضع اليسر ثم قيل للسهام ميسر للمجاورة
قال الطبري الميسر ماخوذ من يسر لي هذا اذا وجب ونسب ونسب القول
الى مجاهد ثم جلب من نص كلام مجاهد ما هو خلاف لقوله بل اراد مجاهد
الجزور والميسر الذي يدخل في الضرب بالقداح وجمعه ايسار وقيل يسر جمع
ياسر كحارس وحرس واحراس وسهام الميسر سبعة لها حظوظ وفيها فروض
على عدة الحظوظ وثلثة لا حظوظ لها ولا فرض فيها وفروض على عدد الحظوظ
وهي الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والثلثة التي لا
خطوط لها المنيح والسفيح والوغد تزاد هذه الثلثة ليكثر السهام على الذي
يجيلها فلا يجد الى الميل مع احد سبيلا وكانت
وتخلط على الغرضة وهو الضارب لها
عادة العرب ان تضرب بهذه القداح في الشتوة وضيق الوقت وكلب البرد
على الفقرا تشترى الجزور ويضمن الايسار ثمنها ثم تنحر وتقسم على عشرة اقسام
واخطا الاصمعي في قسمة الجزور فذكر انها كانت على قدر حظوظ السهام
ثمانية وعشرين قسما وليس كذلك ثم يضرب على العشرة الاقسام فمن فاز سهمه
بان يخرج من الربابة متقدما اخذ انصباه واعطاها الفقرا وفي احيان يتعاطم
والانسهم ثم يغرم الثمن من لم يفز سهمه ويعيش بهذه السيرة فقرا الحي ومنه
قول الاعشى المطعمو الضيف اذا ما شتوا والجاعلو القوت على الياسر

ومنه قول الآخر بأيديهم مقرومة ومغالق يعود بأرزاق العفاة منيحها
والمنيح في هذا البيت المستعار لأنهم كانوا يستعيرون السهم الذي قد املس وكثر فوزه
فذلك المنيح الممدوح وأما المنيح الذي هو أحد الأغفال فذلك إنما يوصف بالكر وإياه
أراد جرير بقوله ولقد عطفن على فزارة عطفة كر المنيح وجلن ثم مجالا
ومن الميسر قول لبيد إذا يسروا لم يورث اليسر بينهم فواحش ينعى ذكرها بالمصايف
فهذا كله هو نفع الميسر إلا أنه أكل المال بالباطل ففيه إثم كبير وقال محمد ابن سيرين
والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه
حتى لعب الصبيان بالجوز وقوله تعالى قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس الآية
قال ابن عباس والربيع الإثم فيهما بعد التحريم والمنفعة فيهما قبله وقالت طائفة
الإثم في الخمر ذهاب العقل والسباب والافتراء والإذاية والتعدي الذي يكون
من شاربها والمنفعة اللذة بها كما قال حسان بن ثابت ونشربها فتتركنا
ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء ∴ إلى غير ذلك من أفراحها وقال مجاهد
المنفعة بها كسب أثمانها ثم أعلم الله عز وجل أن الإثم أكبر من النفع وأعود
بالضرر في الآخرة فهذا هو التقدمة للتحريم وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء
المثلثة وحجتهما أن النبي عليه السلام لعن الخمر ولعن معها عشرة بائعها ومبتاعها
والمشتراة له وعاصرها والمعصورة له وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة
إليه وآكل ثمنها فهذه آثام كثيرة وأيضا فجمع المنافع يحسن معه جمع الآثام
وكثير بالثاء المثلثة يعطي ذلك وقرأ باقي القراء وجمهور الناس كبير بالباء
بواحدة وحجتها أن الذنب في القمار وشرب الخمر من الكبائر فوصفه بالكبير
أليق وأيضا فاتفاقهم على أكبر حجة لكبير بالباء بواحدة وأجمعوا على رفض
أكثر بالثاء مثلثة إلا في مصحف ابن مسعود فإن فيهما إثم كثير وإثمهما أكثر
بالثاء مثلثة في الحرفين وقوله تعالى فيهما إثم يحتمل مقصدين أحدهما أن
يراد في استعمالهما بعد النهي والآخر أن يراد خلال السوء التي فيهما وقال سعيد

ابن

ابن جبير لما نزلت قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس كرههما قوم للإثم وشربها
قوم للمنافع فلما نزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى تجنبوها عند أوقات
الصلوات فلما نزلت إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون قال عمر بن الخطاب ضيعة لك اليوم قرنت
بالميسر والأنصاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولما
سمع عمر بن الخطاب قوله تعالى فهل أنتم منتهون قال انتهينا انتهينا قال الفارسي
وقال بعض أهل النظر حرمت الخمر بهذه الآية لأن الله تعالى قد قال إنما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم وأخبر في هذه الآية أن فيهما إثما
فهو حرام قال أبو محمد ليس هذا النظر بجيد لأن الإثم الذي فيهما هو الحرام
لا هي بعينها على ما يقتضيه هذا النظر وقال قتادة ذم الله الخمر بهذه
الآية ولم يحرمها وقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال قيس
بن سعد هذه الزكاة المفروضة وقال جمهور العلماء بل هي نفقات التطوع وقال
بعضهم نسخت بالزكاة وقال آخرون هي محكمة وفي المال حق سوى الزكاة
والعفو هو ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله ونحو هذا هي عبارة المفسرين
وهو مأخوذ من عفا الشيء إذا كثر فالمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا
فيه أنفسكم وتكونوا عالة وروي أن النبي عليه السلام قال من كان له فضل
فلينفقه على نفسه ثم على من يعول فإن فضل شيء فليتصدق وقال عليه السلام
خير الصدقة ما أبقت غنى وفي حديث آخر ما كان عن ظهر غنى وقرأ جمهور الناس
العفو بالنصب وقرأ أبو عمرو وحده العفو بالرفع واختلف عن ابن كثير وهذا
متركب على ماذا فمن جعل ما ابتداء وذا خبره بمعنى الذي وقدر الضمير في
ينفقونه عائدا قرأ العفو بالرفع لتصح مناسبة الجمل ورفعه على الابتداء تقديره
العفو إنفاقكم أو الذي تنفقون العفو ومن جعل ماذا اسما واحدا مفعولا
بينفقون قرأ العفو بالنصب بإضمار فعل وصح له التناسب ورفع العفو مع نصب

ما ذا اجاز ضعيف وكذلك نصبه مع رفعها **وقوله تعالى** كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبيينه من امر الخمر والميسر
والانفاق واخبر تعالى انه يبين للمومنين الايات التي تقودهم الى الفكر في الدنيا
والاخرة وذلك طريق النجاة لمن نفعته فكرته وقال مكي معنى الاية انه يبين للمومنين
ايات في الاخرة يدل عليها وعلى منزلتها لعلهم يتفكرون في تلك الايات فقوله
في الدنيا متعلق على هذا التاويل بالايات وعلى التاويل الاول وهو المشهور عن ابن عباس
وغيره يتعلق في الدنيا بتتفكرون **قوله عز وجل** ويسلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو
شا الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ولامة
مومنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولعبد
مومن خير من مشرك ولو اعجبكم اوليك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة
باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون نزوله في الدنيا ابتدا اية وقد
تقدم تعلقه وكونه يتفكرون موقفا يقوي تعلق في الدنيا بالايات وقرا طاوس
قل اصلح لهم خير وسبب الاية فيما قال السدي والضحاك
ان تجنبوا مال اليتيم ولا تخالطوه في ماكل ولا مشرب
ولا شي فكانت تلك مشقة عليهم فسالوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس وسعيد ابن المسيب سببها ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا
مال اليتيم الاية ونزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اجتنبوا اليتامى
واموالهم وعزلوهم عن انفسهم فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم الاية وقيل
ان السائل عبد الله بن رواحة وامر الله تعالى ان يجيب من قصد الاصلاح في مال اليتيم
فهو خير وما فعل بعد هذا القصد من مخالطة وانبساط بعوض منه فلا حرج
ورفع المشقة بتجنب اليتيم وماكله ومشربه واباح الخلطة في ذلك اذا قصد الاصلاح
ورفق اليتيم مثل ذلك ان يكفي اليتيم دون خلطة بعد ربما في الشهر فان دعت خلطة

الولي

الدنيا صح

الولي الى ان يزاد في ذلك القدر فهي مخالطة فساد وان دعت الى الحط من ذلك القدر
فهي مخالطة اصلاح **وقوله** فاخوانكم خبر ابتداء محذوف **وقوله** والله يعلم
المفسد من المصلح تحذير والعنت المشقة ومنه عنت العزبة وعقبة عنوت اي
شاقة وعنت البعير اذا انكسر بعد جبر فالمعنى لاتعبكم في تجنب امر اليتامى ولكنه
خفف عنكم وقال ابن عباس المعنى لاوبقكم بما سلف من نيلكم من اموال اليتامى
وعزيز مقتضاه لا يرد امره وحكيم اي محكم ما ينفذه **وقوله تعالى** ولا تنكحوا
المشركات الاية قرا جمهور الناس تنكحوا بفتح التاء وقرئت في الشاذ بالضم كان المعنى
لا تنكحوها من انفسكم ونكح اصله الجماع ويستعمل في التزوج تجوزا واتساعا وقالت
طائفة المشركات هنا من يشرك بالله الها اخر فلم يدخل اليهوديات ولا النصرانيات
في لفظ هذه الاية ولا في معناها وسببها قصة ابي مرثد كناز بن حصين
مع عناق التي كانت بمكة وقال قتادة وسعيد ابن جبير لفظ الاية العموم في
كل كافرة والمراد بها الخصوص في الكتابيات وقال ابن عباس والحسن تناولت العموم
ثم نسخت اية سورة المايدة بعض العموم في الكتابيات وهذا مذهب مالك
رحمه الله ذكره ابن حبيب وقال ونكاح اليهودية والنصرانية وان كان قد احله الله مستثقل
مذموم وكره مالك رحمه الله تزوج الحربيات لعلة ترك الولد في دار الحرب
ولتصرفها في الخمر والخنزير واباح نكاح الكتابيات عمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان
وجابر بن عبد الله وطلحة وعطاء ابن ابي رباح وابن المسيب والحسن وطاوس وابن
جبير والزهري والشافعي وعوام اهل المدينة والكوفة ومنع مالك والشافعي
وابو حنيفة والاوزاعي واسحق نكاح المجوسية وقال ابن حنبل لا يعجبني وروي
ان حذيفة ابن اليمان تزوج مجوسية وقال ابن القصار قال بعض اصحابنا يجب على احد
القولين ان لهم كتابا ان تجوز مناكحتهم وقال ابن عباس في بعض
ما روي عنه ان الاية عامة في الوثنيات والمجوسيات والكتابيات وكل من على غير الاسلام
حرام **قال ابو محمد** فعلى هذا هي ناسخة الاية التي في سورة المايدة وينظر

ويشهد للخصوص ... [illegible]
بقاء العموم ... [illegible]

الى هذا قول ابن عمر في الموطا ولا اعلم اشراكا اعظم من ان يقول المراه ربها
عيسى وروى عن عمر انه فرق بين طلحة ابن عبيد الله وحذيفة بن اليمان وبين كتابيتين
وقالا نطلق يا امير المومنين ولا تغضب فقال لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما ولكن
افرق بينكما صغرة قماه قال ابو محمد وهذا لا يستند جيدا واسند منه ان
عمر اراد التفريق بينهما فقال له حذيفة اتزعم انها حرام فخلي سبيلها يا امير المومنين
فقال لا ازعم انها حرام ولكن اخاف ان تعاطوا المومسات منهن وروى عن ابن عباس
نحو هذا قوله تعالى ولامة مومنة اخبار ان المومنة المملوكة خير من المشركة
وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتكم في الحسن وغير ذلك هذا قول الطبري
وغيره وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سودا
فلطمها في غضب ثم ندم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقال هي تصوم
وتصلي وتشهد الشهادتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مومنة فقال
ابن رواحة لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس فنزلت الاية فيه ومالك
رحمه الله لا يجوز عنده نكاح الامة الكتابية وقال اشهب في كتاب محمد
فيمن اسلم وتحته امة كتابية لا يفرق بينهما وروى ابن وهب وغيره عن مالك ان الامة
المجوسية لا يجوز ان توطا بملك اليمين وابو حنيفة واصحابه يجيزون نكاح الاماء
الكتابيات قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين الاية اجمعت الامة على ان المشرك لا
يطا المومنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على دين الاسلام والقرا على ضم
التا من تنكحوا وقال بعض العلماء ان الولاية في النكاح نص في لفظ هذه الاية ولعبد
مومن مملوك خير من مشرك حسيب ولو اعجبكم حسنه وماله حسب ما تقدم
وليس التفضيل هنا بلفظه خير من جهة الايمان فقط لانه لا اشتراك من جهة
الايمان لكن الاشتراك موجود في المعاشرة والصحبة وملك العصمة وغير ذلك
وهذا النظر هو على مذهب سيبويه في ان لفظة افعل التي للتفضيل لا يصح حيث
لا اشتراك كقولك الثلج ابرد من الماء والنور اضوء من الظلمة وقال الفرا وجماعة

من

من الكوفيين يصح لفظ افعل حيث اشتراك وحيث لا اشتراك وحكى مكي عن نفطويه
ان لفظة التفضيل تجي في كلام العرب بالاول ونفيا عن الثاني
قال ابو محمد ويحتمل الاية عندي ان يكون ذكر العبد والامة عبارة
عن جميع الناس حرهم ومملوكهم كما قال عليه السلام لا تمنعوا اما الله مساجد
الله وكما تقول ان الرجل عبد الله كما قال تعالى نعم العبد انه اواب فكان الكلام
في هذه الاية ولامراة ولرجل قوله تعالى اولئك الاشارة الى المشركات
والمشركين اي ان صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط في كثير من هواهم مع
تربيتهم النسل فهذا كله دعا الى النار مع السلامة من ان يدعوا الى دينه نصا من
لفظه والله عز وجل يمن بالهداية ويبين الايات ويحض على الطاعات التي هي كلها
دواع الى الجنة وقرا الحسن ابن ابي الحسن والمغفرة بالرفع على الابتدا والاذن
العلم والتمكين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن لانك اذا قلت اذنت
في كذا فليس يلزمك انك امرت ولعلهم يتذكرون ترج في حق البشر ومن تذكر عمل حسب
التذكر فنجا قوله عز وجل ويسلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النسا في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شيتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم
ذكر الطبري عن السدي ان السايل ثابت بن الدحداح وقال قتادة وغيره
انما سالوا لان العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني اسرائيل
في تجنب مواكلة الحايض ومساكنتها فنزلت هذه الاية وقال مجاهد كانوا
يتجنبون النسا في الحيض وياتونهن في ادبارهن فنزلت الاية في ذلك والمحيض
مصدر كالحيض ومثله المقيل من قال يقيل قال الراعي بنيت مرافقهن
فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا .:. وقال الطبري المحيض اسم الحيض

ومثله قول رؤبة في العيش **قول رؤبة في العيش** إليك أشكو شدة المعيش ومر أعوام نتفن ريشي. والأذى لفظ جامع لأشياء تؤذي لأنه دم وقذر ومنتن ومن سبيل البول وهذه عبارة المفسرين للفظة **وقوله** فاعتزلوا يريد جماعهن بما فسر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يشد الرجل إزار الحائض ثم شأنه بأعلاها وهذا أصح ما ذهب إليه في الأمر وبه قال ابن عباس وشريح وسعيد بن جبير ومالك وجماعة عظيمة من العلماء وروي عن مجاهد أنه قال الذي يجب اعتزاله من الحائض الفرج وحده وروي ذلك عن عائشة والشعبي وعكرمة وروي أيضا عن ابن عباس وعبيدة السلماني أنه يجب أن يعتزل الرجل فراش زوجته إذا حاضت وهذا قول شاذ وقد وقفت ابن عباس خالته ميمونة رضي الله عنها وقالت له أراغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله تعالى** ولا تقربوهن حتى يطهرن قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه يطهرن بسكون الطاء وضم الهاء وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه يطّهّرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وفي مصحف أبي وعبد الله حتى يتطهرن وفي مصحف أنس بن مالك ولا تقربوا النساء في محيضهن واعتزلوهن حتى يتطهرن ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء وقال هي بمعنى تغتسل لإجماع الجميع على أن حراما على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر قال وإنما الاختلاف في الطهر ما هو فقال قوم هو الاغتسال بالماء وقال قوم هو وضوء كوضوء الصلاة وقال قوم هو غسل الفرج وذلك يحلها لزوجها وإن لم تغتسل من الحيضة ورجح أبو علي الفارسي قراءة تخفيف الطاء إذ هو ثلاثي مضاد لطمثت وهو ثلاثي **قال أبو محمد** وكل واحدة من القراءتين يحتمل أن يراد بها الاغتسال بالماء وأن يراد بها انقطاع الدم وزوال أذاه وما ذهب إليه الطبري من أن قراءة شد الطاء مضمنها الاغتسال وقراءة التخفيف مضمنها انقطاع الدم أمر غير لازم وكذلك ادعاؤه الإجماع أما أنه لا خلاف في كراهية الوطء قبل الاغتسال بالماء وقال ابن عباس والأوزاعي من فعله تصدق بنصف دينار ومن وطئ

في الدم تصدق بدينار وأسند أبو داود عن ابن عباس عن النبي عليه السلام في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال يتصدق بدينار أو بنصف دينار وقال ابن عباس الدينار في الدم والنصف عند انقطاعه وورد في الشريعة في هذا الفعل آثار وجمهور العلماء على أنه ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة فيه بمال وذهب مالك رحمه الله وجمهور العلماء أن الطهر الذي يحل جماع الحائض التي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهور الجنب ولا يجزي من ذلك تيمم ولا غيره وقال يحيى بن بكير والقرظي إذا طهرت الحائض وتيممت حيث لا ماء حلت لزوجها وإن لم تغتسل وقال مجاهد وعكرمة وطاوس انقطاع الدم يحلها لزوجها ولكن بأن تتوضأ وحتى غاية لا غير ولا تقربوهن يريد بجماع وهذا من سد الذرائع **وقوله تعالى** فإذا تطهرن الآية القراءة تطهرن بسكون الطاء مفتوحة وهاء مشددة والخلاف في معناها كما تقدم من التطهر بالماء أو انقطاع الدم ومجاهد وجماعة من العلماء يقولون هنا إنه أريد الغسل بالماء ولا بد لقرينة الأمر بالإتيان وإن كان قربهن قبل الغسل مباحا لكن لا تقع صيغة الأمر من الله تعالى إلا على الوجه الأكمل وأتوهن إباحة والمعنى من حيث أمركم الله باعتزالهن وهو الفرج أو من السرة إلى الركبتين أو جميع الجسد حسب ما تقدم هكذا كله قول أهل وقال ابن عباس وأبو رزين المعنى من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقاله الضحاك وقال محمد بن الحنفية المعنى من قبل الحلال لا من قبل الزنا وقيل المعنى من قبل حال الإباحة لا صائمات ولا محرمات ولا غير ذلك والتوابون الرجاعون وعرفه من الشر إلى الخير والمتطهرون قال عطاء وغيره المعنى بالماء وقال مجاهد وغيره المعنى من الذنوب وقال أيضا مجاهد المعنى من إتيان النساء في أدبارهن كأنه نظر إلى قوله حكاية عن قوم لوط أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون وقرأ طلحة بن مصرف المطّهّرين بشد الطاء والهاء **وقوله تعالى** نساؤكم حرث لكم الآية قال جابر بن عبد الله والربيع سببها أن اليهود قالت

ان الرجل اذا اتى امراته من دبرها في قبلها جاء الولد احول فعابت على العرب ذلك
فنزلت الاية تتضمن الرد على قولهم وقالت ام سلمة وغيرهما سببها ان قريشا كانوا
ياتون النساء في الفرج على هيئات مختلفة فلما قدموا المدينة وتزوجوا انصاريات
ارادوا ذلك فلم يرده نساء المدينة اذ لم يكن عادة رجالهم الا الاتيان على هيئة
واحدة وهي الانبطاح فبلغ ذلك النبي عليه السلام وانتشر كلام الناس
في ذلك فنزلت الاية مبيحة الهيئات كلها اذا كان الوطي في موضع الحرث وحرث
تشبيه لانهن مزدرع الذرية فلفظة الحرث يعطي ان الاباحة لم تقع الا في
الفرج خاصة اذ هو المزدرع **وقوله** انى شئتم معناه عند جمهور العلماء
من صحابة وتابعين وائمة من اي وجه شئتم مقبلة ومدبرة وعلى جنب وانى انما تجي
سؤالا واخبارا عن امر له جهات فهي اعم في اللغة من كيف ومن اين ومن متى
هذا هو الاستعمال العربي وقد فسر الناس انى في هذه الاية بهذه الالفاظ
وفسرها سيبويه بكيف ومن اين باجتماعهما وذهبت فرقة ممن فسرها باين
الى ان الوطي في الدبر جائز وروي ذلك عن عبد الله بن عمر
وروي عنه خلافه وتكفير من فعله وهذا هو اللائق به ورويت الاباحة ايضا
عن ابن ابي مليكة ومحمد ابن المنكدر ورواها مالك عن يزيد بن رومان عن سالم
عن ابن عمر وروي عن مالك شي في نحوه وهو الذي وقع في العتبية وقد كذب ذلك على
مالك وروي بعضهم ان رجلا فعل ذلك في عهد النبي عليه السلام فتكلم الناس فيه
فنزلت هذه الاية **قال ابو محمد** وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مصنف النسائي وغيره انه قال اتيان النساء في ادبارهن حرام
وانه قال ملعون من اتى امراة في دبرها وورد عنه انه قال من اتى امراة في دبرها فقد كفر
بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغي لمومن بالله واليوم الاخر ان
يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد ان تصح عنه والله المرشد لا رب غيره وقال
السدي معنى قوله وقدموا لانفسكم اي الاجر في تجنب ما نهيتم عنه وامتثال
ما امرتم به وقال ابن عباس هي اشارة الى ذكر الله على الجماع كما قال النبي عليه السلام

لوان

لو ان احدكم اذا اتى امراته قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما
رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره وقيل معنى قدموا لانفسكم طلب الولد
واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضي المبالغة في التحذير اي فهو مجازيكم
على البر والاثم وبشر المومنين تانيس لفاعلي البر ومبتغي سنن الهدى **قوله تعالى**
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية عرضة فعلة بناء للمفعول اي كثيرا ما يتعرض
بما ذكر تقول جمل عرضة للركوب وفرس عرضة للجري **ومنه قول كعب بن زهير**
من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول
ومقصد الاية ولا تعرضوا اسم الله للايمان به ولا تكثروا من الايمان فان الحنث مع
الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى ثم اختلف المتاولون فقال ابن عباس وابرهيم
النخعي ومجاهد والربيع وغيرهم المعنى فيما تريدون الشدة فيه من ترك صلة الرحم
والبر والاصلاح قال الطبري التقدير لان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا
وقدره المهدوي كراهية ان تبروا وقال بعض المتاولين المعنى ولا تحلفوا
بالله كاذبين اذا اردتم البر والتقوى والاصلاح فلا تحتاج الى تقدير لا بعد ان
ويحتمل ان يكون هذا التاويل في الذي يريد الاصلاح بين الناس فيحلف حانثا ليكمل
غرضه ويحتمل ان يكون على ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت نزلت
في تكثير اليمين بالله نهيا ان يحلف الرجل به برا فكيف فاجرا فالمعنى اذا اردتم لانفسكم
البر وقال الزجاج وغيره معنى الاية ان يكون الرجل اذا طلب منه فعل
خير ونحوه اعتل بالله تعالى فقال علي يمين وهو لم يحلف وان تبروا مفعول من
اجله والبر جميع وجوه الخير بر الرجل اذا تعلق بحكمها ونسبها كالحاج والمجاهد
والعالم وغير ذلك وهو مضاد للاثم اذ هو الحكم اللاحق عن المعاصي وسميع اي لاقوال
العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع واما سبب الاية فقال ابن جريج نزلت
في ابي بكر الصديق اذ حلف ان يقطع انفاقه عن ابن اثاثة حين تكلم مسطح في حديث
الافك وقيل نزلت في ابي بكر الصديق مع ابنه عبد الرحمن في حديث الضيافة

حين حلف أبو بكر أن لا يأكل الطعام وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة مع بشير بن
سعد حين حلف أن لا يكلمه واليمين الحلف وأصله أن العرب كانت إذا تحالفت أو
تعاهدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف نفسه يمينا
قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور
رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم اللغو سقط الكلام الذي لا حكم له
ويستعمل في الهجر والرفث وما لا حكم له من الأيمان تشبيها بالسقط من القول يقال منه
لغا يلغو لغوا ولغي يلغى لغيا ولغة القرآن بالواو والمؤاخذة هي التناول بالعقوبة
واختلف العلماء في اليمين التي هي لغو فقال ابن عباس وعائشة وعامر الشعبي وأبو صالح
ومجاهد لغو اليمين قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة لا والله
وبلى والله دون قصد لليمين وروي أن قوما تراجعوا القول بينهم وهم يرمون بحضرة
النبي عليه السلام فحلف أحدهم لقد أصبت وأخطأت يا فلان فإذا الأمر
خلاف ذلك فقال رجل حنث يا رسول الله فقال النبي عليه السلام أيمان الرماة لغو لا
إثم فيها ولا كفارة وقال أبو هريرة وابن عباس أيضا والحسن ومالك بن أنس وجماعة
من العلماء لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك قال
أبو محمد وهذا اليقين هو غلبة ظن أطلق الفقهاء عليه لفظة اليقين تجوزا قال مالك
مثله أن يرى الرجل على بعد فيعتقد أنه فلان لا يشك فيحلف ثم يجيء غير المحلوف عليه
وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبد الله وعروة ابنا الزبير لغو اليمين
الحلف في المعاصي كالذي يحلف ليشربن الخمر أو ليقطعن الرحم فبره ترك ذلك الفعل
ولا كفارة عليه وقال سعيد بن جبير مثله إلا أنه قال يكفر فأشبه قوله
في الكفارة قول من لا يراها لغوا وقال ابن عباس أيضا وطاوس لغو اليمين الحلف
في حال الغضب وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمين في غضب
وقال مكحول الدمشقي وجماعة من العلماء لغو اليمين أن يحرم الرجل على نفسه ما أحل

الله

الله فيقول مالي علي حرام إن فعلت كذا أو الحلال علي حرام وقال بهذا القول مالك
بن أنس إلا في الزوجة فإنه ألزم فيها التحريم إلا أن يخرجها الحالف بقلبه وقال زيد
بن أسلم وابنه لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه أعمى الله بصره أذهب الله ماله هو يهودي
هو مشرك هو لغية إن فعل كذا وقال ابن عباس أيضا والضحاك لغو اليمين هي
المكفرة أي إذا كفرت اليمين فحينئذ سقطت وصارت لغوا ولا يؤاخذ الله
بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير وقال إبراهيم النخعي لغو اليمين ما حنث فيه الرجل
وحكى ابن عبد البر قولا أن اللغو أيمان المكره قال أبو محمد وطريقة النظر
أن يتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب ويحكم موقعهما في اللغة فكسب المرء ما قصده
ونواه واللغو ما لم يتعمده أو ما حقه لهجنته أن يسقط فيقوى على هذه الطريقة
بعض الأقوال المتقدمة ويضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المؤاخذة بالإطلاق
في اللغو فحقيقته ما لا إثم فيه ولا كفارة والمؤاخذة في الأيمان هي بعقوبة الآخرة
في الغموس المصبورة وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة الدنيا في إلزام
الكفارة فيضعف القول بأنها اليمين المكفرة لأن المؤاخذة قد وقعت فيها
وتخصيص المؤاخذة بأنها في الآخرة فقط تحكم وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس والنخعي وغيرهما ما كسبت القلوب هي اليمين الكاذبة
الغموس فهذه فيها المؤاخذة في الآخرة والكفارة إنما هي فيما يكون لغوا إذا كفر وقال
مالك رحمه الله وجماعة من العلماء الغموس لا تكفر هي أعظم ذنبا من ذلك وقال
الشافعي وقتادة وعطاء والربيع اليمين الغموس تكفر والكفارة مؤاخذة والغموس
ما قصد الرجل في الحلف به الكذب وكذلك اليمين المصبورة المعنى فيهما واحد
ولكن الغموس سميت بذلك لأنها صبرها مغالبة وقوة عليها كما يصبر الحيوان
للقتل والرمي وقال زيد بن أسلم قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
هو في الرجل يقول هو مشرك إن فعل أي هذا اللغو إلا أن يعقد الإشراك بقلبه
ويكسبه وغفور حليم صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المؤاخذة إذ هو باب

دفوه توسعة. **وقوله تعالى** للذين يؤلون من نسائهم الآية، قرأ أبي بن كعب وابن عباس للذين
يقسمون، ويؤلون معناه يحلفون، يقال آلى الرجل يولي إيلاء، والألية اليمين، ويقال فيها
أيضا ألوة بفتح الهمزة وبضمها وبكسرها، والتربص التأني والتأخر، وكان من عادة
العرب أن يحلف الرجل ألا يطأ امرأته يقصد بذلك الأذى عند المشارة ونحوها
فجعل الله تعالى في ذلك هذا الحد لئلا يضر الرجال بالنساء، وبقي الحالف على هذا المعنى
فسحة فيما دون الأربعة الأشهر، واختلف فيمن المراد أن يلزمه حكم الإيلاء، فقال مالك
رحمه الله هو الرجل يغاضب امرأته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم ألا يطأها
ضررا منه أكثر من أربعة أشهر لا يقصد بذلك صلاح ولد رضيع ونحوه، وقال
به عطاء وغيره، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن بن أبي الحسن هو الرجل
يحلف أن لا يطأ امرأته على وجه مغاضبة ومشارة، وسواء كان ذلك إصلاح ولد
أو لم يكن، فإن لم يكن عن غضب فليس بإيلاء، وقال ابن عباس لا إيلاء إلا بغضب، وقال ابن
سيرين سواء كانت اليمين في غضب أو عن غضب هو إيلاء، وقاله ابن مسعود والثوري
ومالك والشافعي وأهل العراق، إلا أن مالكا قال ما لم يرد إصلاح ولد، وقال الشعبي
والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وابن المسيب كل يمين حلفها الرجل أن لا يطأ الرجل
امرأته أو أن لا يكلمها أو أن يضارها أو أن يغاضبها فذلك كله إيلاء، وقال ابن المسيب
منهم إلا أنه إن حلف ألا يكلم وكان يطأ فليس بإيلاء، وإنما يكون اليمين على غير الوطء إيلاء
إذا اقترن بذلك الامتناع من الوطء. **قال أبو محمد** والأقوى من ذكرنا مع سعيد
مستعمله محتمله ما قال سعيد ومحتمله أن يساد العشرة إيلاء، وذهب إلى هذا الاحتمال
الأخير الطبري، وقال ابن عباس لا يسمى موليا إلا الذي يحلف ألا يطأ أبدا، وحكاه
ابن المنذر، وقال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور لا يكون موليا إلا أن زاد على الأربعة
الأشهر، وقال عطاء والثوري وأصحاب الرأي الإيلاء أن يحلف على أربعة أشهر
فصاعدا، وقال قتادة والنخعي وداود بن أبي سليمان وإسحاق وابن أبي ليلى من حلف على
قليل من الوقت أو كثير فتركها أربعة أشهر فهو مول، قال ابن المنذر وأنكر

هذا

هذا القول كثير من أهل العلم. **وقوله** من نسائهم يدخل فيه الحرائر والإماء إذا
تزوجن، والعبد يلزمه الإيلاء من زوجته، وقال الشافعي وأحمد وأبو ثور أجله
أربعة أشهر، وقال مالك والزهري وعطاء بن أبي رباح وإسحاق أجله شهران
وقال الحسن أجله من حرة أربعة أشهر ومن أمة زوجة شهران، وقاله النخعي
وقال الشعبي الإيلاء من الأمة نصف الإيلاء من الحرة، وقال مالك والشافعي وأصحاب
الرأي والأوزاعي والنخعي وغيرهم المدخول بها وغير المدخول بها سواء في لزوم الإيلاء فيهما
وقال الزهري وعطاء والثوري لا إيلاء إلا بعد الدخول، وقال مالك ولا إيلاء من
صغيرة لم تبلغ، فإن آلى منها فبلغت لزم الإيلاء من يوم بلوغها، وقال عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبو الدرداء وابن عمر وابن المسيب ومجاهد
وطاوس ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد إذا انقضت الأربعة الأشهر
وقف، فإما فاء وإما طلق، وإلا طلق عليه، وقال ابن مسعود وابن عباس وعثمان
وعلي أيضا وزيد بن ثابت وجابر بن زيد والحسن ومسروق بانقضاء الأربعة الأشهر
دخل عليه الطلاق دون توقيف، واختلف العلماء في الطلاق الداخل على المولي
فقال عثمان وعلي وابن عباس وابن مسعود وعطاء والنخعي والأوزاعي وغيرهم هي
طلقة بائنة لا رجعة له فيها، وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن
ومكحول والزهري ومالك هي رجعية. وفاءوا معناه رجعوا، ومنه حتى تفيء إلى أمر
الله، والفيء الظل الراجع عشيا، قال الحسن وإبراهيم إذا فاء المولي ووطئ فلا
كفارة عليه في يمينه لقوله تعالى فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم. **قال أبو محمد**
وهذا مترتب على أن لغو اليمين ما حلف على معصية، وترك وطء الزوجة معصية
وقال الجمهور إذا فاء كفر، والفيء عند ابن المسيب وابن جبير لا يكون إلا بالجماع
وإن كان مسجونا أو في سفر مضى عليه حكم الإيلاء إلا أن يطأ ولا عذر له ولا
نهي يعول، وقال مالك رحمه الله لا يكون الفيء إلا بالوطء أو بالتكفير في حال العذر
كالغائب والمسجون، قال ابن القاسم في المدونة إلا أن يكون يمينه مما لا يكفرها

لانها لا تنقضي عليه الا بعد الحنث فان القول يكفيه ما دام معذورا واختلف
القول في المدونة في اليمين بالله هل يكتفي فيه بالفيء بالقول والعزم على التكفير ام
لا بد من التكفير والا فلا فيء وقال الحسن وعكرمة والنخعي وغيرهم الفيء من غير المعذور
الجماع ولا بد ومن المعذور ان يشهد انه قد فاء بقلبه وقال النخعي ايضا يصح الفيء بالقول
والاشهاد فقط ويسقط حكم الايلاء ارايت ان لم ينتشر للوطء قال ابو محمد
ويرجع هذا القول ان لم يطأ الى باب الضرر وقرا ابي بن كعب فان فاؤوا فيهن وروي
عنه فان فاؤوا فيها وقوله تعالى وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قال
القائلون بان مضي الاربعة الاشهر يدخل الطلاق عزيمة الطلاق وفي قول الفيء حتى
تنصرم الاشهر وقال القائلون لا بد من التوقيف بعد تمام الاشهر العزيمة
في التطليق او الابانة وقت التوقيف حتى يطلق الحاكم واستدل من قال بالتوقيف
بقوله سميع لان هذا الادراك انما هو في المقولات وقرا ابن عباس فان عزموا السراح
قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق
الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك
ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم
قرا جمهور الناس قروء على فعول اللام همزة وروي عن نافع شد الواو دون همز
وقرا الحسن ثلاثة قرو بفتح القاف وسكون الراء وتنوين الواو خفيفة وحكم هذه الاية
مقصد الاستبراء الا انه عبادة ولذلك خرجت منه من لم يبن بها بخلاف عدة الوفاة
التي هي عبادة والمطلقات لفظ عموم يراد به الخصوص في المدخول بهن ولم يدخل في
العموم المطلقة قبل البناء ولا الحامل ولا التي لم تحض ولا القاعد وقال قوم تناولهن
العموم ثم نسخ وهذا ضعيف فاما الاية فيمن تحيض وهو عرف النساء وعليه معظمهن
فاغنى ذلك عن النص عليه والقرء في اللغة الوقت المعتاد تردده وقرء النجم وقت
طلوعه وكذلك وقت افوله وقرء الريح وقت هبوبها ومنه قول الاخر
يا رب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض :. اراد وقت غضبه فالحيض

على

على هذا يسمى قرءا ومنه قول النبي عليه السلام اتركي الصلاة ايام اقرائك
اي ايام حيضك وكذلك على النظر يسمى الطهر قرءا لانه وقت معتاد تردده
يعاقب الحيض ومنه قول الاعشى افي كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها
عزيم عزائكا :. مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا :.
اي من اطهارهن وقال قوم القرء ماخوذ من قرء الماء في الحوض وهو جمعه فكان الرحم
يجمع الدم وقت الحيض والجسم وقت الطهر واختلف فيما اراد الله تعالى بالثلاثة التي
حدها للمطلقة فقال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس والضحاك ومجاهد
والربيع وقتادة واصحاب الراي وجماعة كثيرة من اهل العلم المراد الحيض
فاذا طلق الرجل امراته في طهر لم يطا فيه استقبلت حيضة ثم حيضة ثم حيضة
فاذا اغتسلت من الثالثة انقضت العدة قبل الغسل هذا قول سعيد بن
جبير وغيره وقالت عائشة وابن عمر وجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
منهم سليمان بن يسار ومالك المراد بالاطهار فاذا طلق الرجل امراته في
طهر لم يطا فيه اعتدت بما بقي منه ولو ساعة ثم استقبلت طهرا ثانيا بعد حيضة
ثم ثالثا بعد حيضة ثانية فان طلق المطلق في طهر قد مس فيه لزمه الطلاق وقد
اساء واعتدت بما بقي من ذلك الطهر وقول ابن القاسم ومالك ان المطلقة اذا
رات اول نقطة من الحيضة الثالثة خرجت من العصمة وهو مذهب ابن
زيد بن ثابت وغيره وقال اشهب لا تنقطع العصمة والميراث حتى يتحقق انه
دم حيض لئلا يكون دفعة دم من غير الحيض واختلف المتاولون في المراد بقوله
ما خلق فقال ابن عمر ومجاهد والربيع وابن زيد والضحاك هو الحيض والحبل
جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الاضرار بالزوج واذهاب حقه فاذا قالت
المطلقة حضت وهي لم تحض ذهبت بحقه من الارتجاع واذا قالت لم تحض
وهي قد حاضت الزمته من النفقة ما لم يلزمه فاضرت به او تقصد بكذبها
في نفي الحيض ان لا يرتجع حتى تتم العدة ويقطع الشرع حقه وكذلك الحامل

يكتمن الحمل ليقطع حقه من الارتجاع وقال قتادة كانت عادتهن في الجاهلية
ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الآية وقال السدي سبب
الآية ان الرجل كان اذا اراد ان يطلق امراته سالها أبها حمل مخافة ان يضر بنفسه
وولده في فراقها فامرهن الله بالصدق في ذلك وقال ابرهيم النخعي وعكرمة المراد
ما خلق الحيض وروي عن عمر وابن عباس ان المراد الحمل والعموم راجح وقوله تعالى ولا
يحل لهن ما يقتضي انهن مؤتمنات على ما ذكر ولو كان الاستقصاء مباحا لم يمكن كتم
وقرا مبشر بن عبيد في ارحامهن بضم الهاء وقوله ان كن يؤمن الآية اي حق الايمان
فان ذلك يقتضي ان لا يكتمن الحق وهذا كما تقول ان كنت حرا فانتصر وانت تخاطب حرا
وقوله وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا البعل الزوج وجمعه على
بعولة شاذ لا ينقاس لكن هو المسموع وقال قوم الهاء فيه دالة على تانيث
الجماعة وقيل هي هاء تانيث دخلت على بعول وبعول لا شذوذ فيه وقرا ابن مسعود
بردتهن بزيادة تاء وقرا مبشر بن عبيد بردهن بضم الهاء ونص الله تعالى بهذه
الآية على ان للزوج ان يرتجع امراته المطلقة ما دامت في العدة والاشارة
بذلك الى المدة ثم اقترن ما لهم من الرد بشرط ارادة الاصلاح دون المضارة كما
تشدد على النساء في كتم ما في ارحامهن وهذا بيان الاحكام التي بين الله وبين
عباده في ترك النساء الكتمان وارادة الرجال الاصلاح فان قصد احد بعد هذا افسادا
او كتمت امراة ما في رحمها فاحكام الدنيا على الظاهر والبواطن الى الله تعالى يتولى جزاء كل
ذي عمل وتضعف هذه الآية قول من قال في المولي ان بانقضاء الاشهر الاربعة تزول
العصمة بطلقة بائنة لا رجعة له فيها لان اكثر ما يعطي الفاظ القرآن ان ترك
الفيء في الاشهر الاربعة هو عزم الطلاق واذا كان ذلك فالمراة من المطلقات اللواتي
يتربصن وبعولتهن احق بردهن وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
قال ابن عباس ذلك في التزين والتصنع والمواتاة وقال الضحاك وابن زيد ذلك
في حسن العشرة وحفظ بعضهم لبعض وتقوى الله فيه والآية تعم جميع حقوق الزوجية

وقوله

وقوله وللرجال عليهن درجة قال مجاهد وقتادة ذلك تنبيه على فضل
حظه على حظها في الجهاد والميراث وما اشبهه وقال زيد بن اسلم وابنه ذلك
في الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها وقال عامر الشعبي ذلك الصداق
الذي يعطي الرجل وانه يلاعن ان قذف وتحد ان قذفت وقال ابن عباس تلك الدرجة
اشارة الى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق اي ان الافضل
يتحامل على نفسه وهذا قول حسن بارع وقال ابن اسحق الدرجة الانفاق وانه قوام
عليها وقال ابن زيد الدرجة ملك العصمة وان الطلاق بيده وقال حميد الدرجة
اللحية قال ابو محمد وهذا ان صح عنه ضعيف لا يقتضيه لفظ الآية ولا
معناها واذا تاملت هذه الوجوه التي ذكر المفسرون فيجيء من مجموعها درجة
تقتضي التفضيل وعزيز لا يعجزه احد وحكيم فيما ينفذه من الاحكام والامور
قوله عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا
يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان
خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا
تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون قال عروة بن الزبير
وقتادة وابن زيد وغيرهم نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه
ان يرتجع دون تجديد مهر وولي وذلك انهم كانوا في الجاهلية يطلقون
ويرتجعون الى غير غاية فقال رجل لامراته على عهد النبي عليه السلام لا اويك
ولا ادعك تحلين قالت وكيف قال اطلقك فاذا دنا مضي عدتك راجعتك
فشكت ذلك فنزلت الآية وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم المراد
بالآية التعريف بسنة الطلاق اي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة فاما
تركها غير مظلومة شيئا من حقها واما امسكها محسنا عشرتها قال ابو محمد
والآية تتضمن هذين المعنيين والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن
العشرة والتزام حقوق الزوجية والتسريح يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها

ثم العد بعد الثانية وتكون املك بنفسها وهذا قول السدي والضحاك والمعنى
الاخر ان يطلقها الثالثة فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطا وغيرهما ويقوي
عندي هذا القول من ثلثة وجوه اولها انه روي ان رجلا قال للنبي عليه السلام
يا رسول الله هذا ذكر الطلقتين فاين الثالثة فقال عليه السلام هي قوله او تسريح
باحسان والوجه الثاني ان التسريح من الفاظ الطلاق الا ترى انه قد قرى
وان عزموا السراح والوجه الثالث ان فعل تفعيل لا بد ان التضعيف يعطي
انه احدث فعلا مكررا على الطلقة الثانية وليس في الترك احداث فعل
يعبر عنه بالتفعيل وامساك مرتفع بالابتداء والخبر امثل واحسن ويصح ان
يرتفع على خبر ابتداء تقديره فالواجب امساك وقوله باحسان معناه ان
لا يظلمها شيا من حقها ولا يتعدى في قول **وقوله تعالى** ولا يحل لكم ان تاخذوا
الاية خطاب للازواج نهاهم به ان ياخذوا من ازواجهم شيا على وجه المضارة
وهذا هو الخلع الذي لا يصح الا بان لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتا
الازواج نساهم لان العرف بين الناس ان يطلب الرجل عند الشقاق والفساد
ما خرج من يده هذا وكذاهم في الاغلب لذلك خص بالذكر وقرا جميع السبعة
الا حمزة يخافا بفتح اليا على بنا الفعل للفاعل فهذا باب خاف في التعدي الى
مفعول واحد وهو ان وقرا حمزة وحده يخافا بضم اليا على بنا الفعل للمفعول فهذا على
تعديته خاف الى مفعولين احدهما اسند الفعل اليه والاخر ان بتقدير حرف جر
محذوف فموضع ان خفض بالجار المقدر عند سيبويه والكسائي ونصب عند غيرهما
لانه لما حذف الجار وصل الفعل الى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنبا وامرتك
الخير وفي مصحف ابن مسعود الا ان يخافوا بالياء والواو والجمع والضمير على هذا للحكام
ومتوسطي امور الناس وحرم الله تعالى على الزوج في هذه الاية ان ياخذ الا بعد الخوف
ان لا يقيما واكد التحريم بالوعيد لمن تعدا الحد واجمع عوام العلما على تحظير
اخذ مالها الا ان يكون النشوز وفساد العشرة من قبلها قال ابن المنذر روينا

معنى

معنى ذلك عن ابن عباس والشعبي ومجاهد وعطا والنخعي وابن سيرين والقسم
بن محمد وعروة بن الزبير والزهري وحميد بن عبد الرحمن وقتادة وسفين الثوري
وملك واسحق وابي ثور وقال ملك رحمه الله والشعبي وجماعة معهما فان كان مع
فساد الزوجة ونشوزها فساد من الزوج وتفاقم ما بينهما فالفدية جايزة للزوج
قال ابو محمد ومعنى ذلك ان يكون الزوج لو ترك فسادها لم يزل نشوزها هي واما
ان انفرد الزوج بالفساد فلا اعلم احدا يجيز له الفدية الا ما روي عن ابي حنيفة
انه قال اذا جا الظلم والنشوز من قبله فخالعته فهو جايز ماض وهو اثم لا يحل
ما صنع ولا يرد ما اخذ قال ابن المنذر وهذا خلاف ظاهر كتاب الله وخلاف
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قيل لاحد اجهد نفسك في طلب الخطا
ما وجد امرا اعظم من ان ينطق القران بتحريم شي فيحله هو ويجيزه وحدود الله في
هذا الموضع هي ما يلزم الزوجين من حسن العشرة وحقوق الصحبة ونزلت في حبيبة
بنت سهل وقيل جميلة بنت ابي ابن سلول والاول اصح مع ثابت ابن قيس حين
اباح له النبي عليه السلام اخذ الفدية منها انما كان التعسف فيها من المراة لانها
ذكرت عنه كل خير وانها لا تحب البقا معه **وقوله تعالى** فان خفتم الا يقيما
حدود الله المخاطبة للحكام والمتوسطين لهذا الامر وان لم يكن حاكما وترك اقامة
حدود الله هو استخفاف المراة بحق زوجها وسو طاعتها اياه قاله ابن عباس
ومالك ابن انس وجمهور الفقها وقال الحسن ابن ابي الحسن وقوم معه اذا قالت
له لا اطيع لك امرا ولا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسما حل الخلع وقال
الشعبي الا يقيما حدود الله معناه الا يطيعا الله وذلك ان المغاضبة تدعوا
الى ترك الطاعة وقال عطا ابن ابي رباح يحل الخلع والاخذ ان تقول المراة لزوجها
اني لاكرهك ولا احبك ونحو هذا **وقوله تعالى** فلا جناح عليهما فيما افتدت
به الاباحة للفدية وشركهما في ارتفاع الجناح لانها لا يجوز لها ان تعطيه
مالها حيث لا يجوز له اخذه وهي تقدر على المخاصمة فاذا كان الخوف المذكور

جاز له أن يأخذ ولها أن تعطي ومتى لم يقع الخوف فلا يجوز لها أن تعطي على طلب الفراق
وقال عمر والنخعي وابن عباس ومجاهد وعثمان بن عفان رضي الله عنه ومالك والشافعي
وأبو حنيفة وعكرمة وقبيصة بن ذؤيب وأبو ثور وغيرهم مباح للزوج أن يأخذ
من المرأة في الفدية جميع ما تملكه وقضى بذلك عمر بن الخطاب وقال طاوس والزهري
وعطاء وعمرو بن شعيب والحسن والشعبي والحكم وحماد وأحمد وإسحاق لا يجوز له أن يزيد
على المهر الذي أعطاها وبه قال الربيع وكان يقرأ هو والحسن بن أبي الحسن فيما افتدت
به منه بزيادة منه يعني مما آتيتموهن وهو المهر وحكى مكي هذا القول عن أبي حنيفة
وابن المنذر أثبت وقال ابن المسيب لا أرى أن يأخذ منها كل ما لها ولكن ليدع
لها شيئا وقال بكر بن عبد الله المزني لا يجوز للرجل أن يأخذ من زوجه شيئا خلعا
قليلا ولا كثيرا قال وهذه الآية منسوخة بقوله عز وجل وإن أردتم استبدال
زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا **قال أبو محمد**
وهذا ضعيف لأن الأمة مجمعة على إجازة الفدية ولأن المعنى المقترن بآية الفدية
غير المعنى الذي في آية إرادة الاستبدال **وقوله تعالى** تلك حدود الله الآية
أي هذه الأوامر والنواهي هي المعالم بين الحق والباطل والطاعة والمعصية فلا تجاوزوها
ثم توعد تعالى على تجاوز الحد ووصف المتعدي بالظلم وهو وضع الشيء
في غير موضعه والظلم معاقب صاحبه وهو كما قال عليه السلام الظلم ظلمات
يوم القيامة **قوله عز وجل** فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك
حدود الله يبينها لقوم يعلمون وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن
بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه قال ابن عباس
والضحاك والسدي وقتادة هذا ابتداء الطلقة الثالثة **قال أبو محمد** فيجيء التسريح
المتقدم ترك المرأة تتم عدتها من الثانية ومن قول ابن عباس رحمه أن الخلع فسخ
عصمة وليس بطلاق واحتج من ذكر هذه الآية بذكر الله تعالى الطلاقين ثم

ذكره

ذكره الخلع ثم ذكره الثالثة بعد الطلاقين ولم يك للخلع حكم يعتد به ذكر
هذا ابن المنذر في إشرافه عنه وعن عكرمة وطاوس وأحمد وإسحاق وأبي ثور ورد
على الجمهور خلاف قولهم وقال مجاهد هذه الآية بيان ما يلزم المسرح والتسريح
هو الطلقة الثالثة **قال أبو محمد** وقوله تعالى أو تسريح يحتمل الوجهين إما
تركها تتم العدة وإما إرداف الثالثة ثم بين في هذه الآية حكم الاحتمال الواحد
إذ الاحتمال الثاني قد علم منه أنه لا حكم له عليها بعد انقضاء العدة ونكح في اللغة
جار على حقيقة في الوطء ومجاز في العقد وأجمعت الأمة في هذه النازلة على اتباع
الحديث الصحيح في بنت سموأل امرأة رفاعة حين تزوجها عبد الرحمن بن الزبير وكان
رفاعة قد طلقها ثلاثا فقالت للنبي عليه السلام إني لا أريد البقاء مع عبد الرحمن ما معه
إلا مثل الهدبة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك أردت الرجوع إلى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته فرأى العلماء أن النكاح المحل إنما هو الدخول
والوطء وكلهم على أن مغيب الحشفة يحل إلا الحسن بن أبي الحسن فإنه قال لا يحل
إلا الإنزال وهو ذوق العسيلة وقال بعض الفقهاء التقاء الختانين يحل **قال أبو محمد**
والمعنى واحد إذ لا يلتقي الختانان إلا مع المغيب الذي عليه الجمهور وروي عن سعيد
بن المسيب أن العقد يحلها للأول وخطئ هذا القول لخلافه الحديث الصحيح ويتأول
على سعيد رحمه الله أن الحديث لم يبلغه ولما رأى العقد عاملا في منع الرجل نكاح
امرأة قد عقد عليها أبوه قاس عليه عمل العقد في تحليل المطلقة **قال أبو محمد**
وتحليل المطلقة ترخيص فلا يتم إلا بالأوفى ومنع الابن شدة تدخل بأدنى الأسباب
على أصلهم في البر والحنث والذي يحل عند مالك رحمه الله النكاح الصحيح
والوطء المباح والمحلل إذا وافق المرأة فلم تنكح زوجا ولا يحل ذلك ولا أعلم في
اتفاقه مع الزوجة خلافا وقال عثمان بن عفان إذا قصد المحلل التحليل وحده لم
يحل وكذلك إن قصدته المرأة وحدها ورخص فيه مع قصد المرأة وحدها إبراهيم
النخعي إذا لم يعلم به الزوج وقال الحسن بن أبي الحسن إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل

لم تحل للاول وهذا شاذ وقال سالم والقسم لا باس ان يتزوجها ليحلها
اذا لم تعلم الزوجان **وقوله تعالى** فان طلقها فلا جناح عليهما الاية المعنى ان طلقها
المتزوج الثاني فلا جناح عليهما اي المراة والزوج الاول قاله ابن عباس ولا خلاف
فيه والظن هنا على بابه من تغليب احد الجائزين وقال ابو عبيدة المعنى
وقوله في ذلك ضعيف وحدود الله الامور التي امر بان لا تتعدى وخص الذين
يعلمون بالذكر تشريفا لهم واذهم الذين ينتفعون بما بين اي نصب للعبرة من قول او
صنعة واما ان اردنا بالتبيين خلق البيان في القلب فذلك يوجب تخصيص الذين
يعلمون بالذكر لان من طبع على قلبه فلم يبين له شي وقرا السبعة يبينها بالياء
وقرا عاصم فيما روي عنه نبينها بالنون **وقوله تعالى** واذا طلقتم النسا الاية
خطاب للرجال لا يختص بحكمه الا الازواج وذلك نهي للرجل ان يطول العدة على المراة
مضارة منه لها بان يرتجع قبل انقضائها ثم يطلق بعد ذلك قاله الضحاك وغيره
ولا خلاف فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لان المعنى يضطر ان ذلك لانه بعد بلوغ
الاجل لا خيار له في الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن بمعروف قيل هو الاشهاد
ولا تمسكوهن اي لا تراجعوهن ضرارا او ما في الاية بين **قوله عز وجل** ولا تتخذوا
ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا
الله واعلموا ان الله بكل شي عليم واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان
ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله
واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون المراد اياته النازلة
في الاوامر والنواهي وقال الحسن نزلت هذه الاية فيمن طلق لاعبا او هازلا
او راجع كذلك وقالته عائشة وقال رسول الله عليه السلام ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ووقع هذا الحديث في المدونة
من كلام ابن المسيب النكاح والطلاق والعتق ثم ذكر الله عباده بانعامه عليهم
بالقران والسنة والحكمة هي السنة المبينة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مراد الله فيما لم ينص عليه في الكتاب والوصف بعليم يقتضيه ما تقدم من الافعال
التي ظاهرها خلاف النية فيها كالمحلل والمرتجع مضارة **وقوله تعالى** واذا طلقتم
النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الاية خطاب للمومنين الذين منهم الازواج ومنهم
الاوليا لانهم المراد في تعضلوهن وبلوغ الاجل في هذا الموضع ان المراد في تعضلوهن
الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة عضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن
على هذا يعني به الرجال الذين منهم الازواج وعلى ان المراد بتعضلوهن الاوليا فالازواج
هم الذين كن في عصمتهم والعضل المنع من الزوج وهو من معنى التضييق والتعسير
كما يقال اعضلت الدجاجة اذا عسر بيضها والداء العضال العسر البرء وقيل
نزلت هذه الاية في معقل بن يسار واخته وقيل في جابر بن عبد الله وذلك
ان رجلا طلق اخته وقيل بنته وتركها حتى تمت عدتها ثم اراد ارتجاعها فغار
جابر وقال تركتها وانت املك بها لا ازوجكها ابدا فنزلت هذه الاية وهذه
الاية تقتضي ثبوت حق الولي في انكاح وليته وان النكاح يفتقر الى ولي خلاف
قول ابي حنيفة ان الولي ليس من شروط النكاح **وقوله** بالمعروف معناه المهر
والاشهاد **وقوله تعالى** ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله خطاب
للنبي عليه السلام ثم رجوع الى خطاب الجماعة والاشارة في ذلكم ازكى الى ترك العضل
وازكى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعرض والدين بسبب العلاقات التي تكون
بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيودي العضل الى الفساد والمخالطة على ما لا
ينبغي والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر **قوله عز وجل** [illegible] **قوله تعالى**
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يرضعن
اولادهن خبر معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات والامر على جهة الندب
والتخيير لبعضهن فاما المراة التي في العصمة فعليها الارضاع وهو عرف يلزم اذ
قد صار كالشرط الا ان يكون شريفة ذات ترفه فعرفها ان لا ترضع وذلك كالشرط
فان مات الاب ولا مال للصبي فمذهب مالك في المدونة ان الرضاع لازم للام بخلاف النفقة

لام ...

ثم اعلم ... لا ... [illegible]
... ذلك ... [illegible]
وهذا الموضوع

وفي كتاب ابن الجلاب رضاعه في بيت المال وقال عبد الوهاب هو من فقرا
المسلمين واما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها والرضاع على الزوج الا
ان تشا فهي احق باجرة المثل هذا مع يسر الزوج فان كان معدما لم يلزمها
الرضاع الا ان يكون المولود لا يقبل غيرها فتجبر حينئذ على الارضاع ولها اجر مثلها
في يسر الزوج وكل من يلزمها الارضاع فان اصابها عذر يمنعها منه عاد الارضاع
على الاب وروي عن مالك ان الاب اذا كان معدما ولا مال للصبي فان الرضاع
على الام فان كان بها عذر ولها مال فالارضاع عليها في مالها وهذه الاية هي في
المطلقات قاله السدي والضحاك وغيرهم جعلها الله حدا عند اختلاف
الزوجين في مدة الرضاع فمن دعا منهما الى اكمال الحولين فذلك له وقال جمهور المفسرين
ان هذين الحولين لكل ولد وروي عن ابن عباس انه قال هي في الولد الذي يمكث في
البطن ستة اشهر فان مكث سبعة اشهر فرضاعه ثلثة وعشرون شهرا فان
مكث ثمانية اشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرا فان مكث تسعة اشهر فرضاعه
احد وعشرون شهرا **قال ابو محمد** كان هذا القول انبنى على قوله تعالى وحمله
وفصاله ثلثون شهرا الا ان ذلك حكم على الانسان عموما وسمي العام حولا لاستحالة
الامور فيه في الاغلب ووصفهما بكاملين اذ مما قد عيد تجوزا ان يقال في حول وبعض اخر
حولين وفي يومين وبعض اخر مشيت يومين وصبرت عليك في دين يومين وشهرين
وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة بضم الياء ونصب الرضاعة وقرا مجاهد
وابن محيصن وحميد والحسن وابو رجاء تتم الرضاعة بفتح التاء الاولى ورفع الرضاعة
على اسناد الفعل اليها وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وحكى لغة كالحضارة والحضارة
وغير ذلك والجارود بن ابي سبرة كذلك الا انه كسر الراء من الرضاعة وهي لغة
كالحضارة والحضارة وغير ذلك وروي عن مجاهد انه قرا الرضعة على وزن الفعلة
وروي عن ابن عباس انه قرا ان يكمل الرضاعة بالياء المضمومة وانتزع مالك رحمه الله
وجماعة من العلماء من هذه الاية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما

كان

كان في الحولين لان ما بعد انقضاء الحولين تمسه الرضاعة فلا رضاعة وروي عن قتادة
انه قال هذه الاية تضمنت فرض الارضاع على الوالدات ثم يسر ذلك وخفف
بالتخيير الذي في قوله لمن اراد **قال ابو محمد** وهذا قول انتزاع **قوله عز
وجل** وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فالمولود له اسم جنس
وصنف من الرجال والرزق في هذا الحكم الطعام الكافي وقوله بالمعروف
يجمع حسن القدر في الطعام وجودة الادا وحسن الاقتضا من المراة ثم بين تعالى
ان الانفاق على قدر غنى الزوج ومنصبها بقوله لا تكلف نفس الا وسعها وقرا
جمهور الناس تكلف بضم التاء نفس على ما لم يسم فاعله وقرا ابو رجاء لا تكلف
بفتح التاء بمعنى تتكلف نفس فاعله وروى عنه ابو الاشهب لا نكلف بالنون نفسا
بالنصب وقرا ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لا تضار والدة بالرفع في الراء
وهو خبر معناه الامر ويحتمل ان يكون الاصل تضارر بكسر الراء الاولى فوالدة فاعله
ويحتمل ان يكون تضارر بفتح الراء الاولى فوالدة مفعول لم يسم فاعله ويعطف مولود
له على هذا الحد في الاحتمالين وقرا نافع وحمزة والكسائي وعاصم تضار بفتح الراء
المشددة وهذا على النهي ويحتمل اصله ما ذكرنا في الاول ومعنى الاية في كل
قراءة النهي عن ان تضار الوالدة زوجها المطلق بسبب ولدها وان يضارها
هو بسبب الولد او يضار الظئر لان لفظة نهيه تعم الظئر وقد قال عكرمة
في قوله لا تضار والدة معناه الظئر ووجوه الضرر لا تنحصر وكل ما ذكر منها
في التفاسير فهو مثال وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرا لا تضارر
براين الاولى مفتوحة وقرا ابو جعفر بن القعقاع لا تضار باسكان الراء وتخفيفها
وروي عنه الاسكان والتشديد وروي عن ابن عباس لا تضارر بكسر الراء الاولى
واختلف العلماء في معنى قوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك فقال قتادة والسدي
والحسن وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهم هو وارث الصبي ان لو مات

وقال بعضهم وارثه من الرجال خاصة يلزمه الارضاع كما كان يلزم ابا
الصبي ان لو كان حيا وقاله مجاهد وعطا وقال قتادة ايضا وغيره هو وارث
الصبي من كان من الرجال والنسا ويلزمهم ارضاعه على قدر مواريثهم منه
وحكى الطبري عن ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد بن الحسن انهم قالوا الوارث
الذي يلزمه ارضاع المولود هو وليه ووارثه اذا كان ذا رحم محرم منه فان
كان ابن عم وغيره وليس بذي رحم محرم فلا يلزمه شي قال ابو محمد وفي هذا
القول تحكم وقال قبيصة بن ذويب والضحاك وبشير بن نصر قاضي عمر
بن عبد العزيز الوارث هو الصبي نفسه اي عليه في ماله اذا ورث اباه ارضاع
نفسه وقال سفين رحمه الله الوارث هو الباقي من والد المولود بعد وفاة
الاخر منهما ويرى مع ذلك انه ان كانت الوالدة هي الباقية ان يشاركها العاصب
في ارضاع المولود على قدر حظه من الميراث ونص هولاء الذين ذكرت او اكثرهم
على ان المراد بقوله تعالى مثل ذلك الرزق والكسوة وذكر ذلك ايضا من
العلماء ابرهيم النخعي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود والشعبي والحسن
وابن عباس وغيرهم وقال مالك رحمه الله في المدونة وجميع اصحابه والشعبي
ايضا والزهري والضحاك وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك الا يضار
واما الرزق والكسوة فلا شي عليه منه وروى ابن القسم عن مالك ان الاية تضمنت
ان الرزق والكسوة على الوارث ثم نسخ ذلك قال ابو محمد فالاجماع من الامة
في ان لا يضار الوارث والخلاف هل عليه رزق وكسوة ام لا وقرا يحيى بن يعمر وعلي
الورثة مثل ذلك بالجمع قوله عز وجل فان ارادا فصالا عن تراض منهما
وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم
اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير الضمير في ارادا هو
للوالدين وفصالا معناه فطاما عن الرضاع ولا يقع الا بتشاور ويجوز التراضي
الا بما لا ضرر فيه على المولود فاذا ظهر من حاله الاستغنا عن اللبن قبل تمام الحولين

فلا جناح

فلا جناح على الابوين في فصله هذا معنى الاية وقال مجاهد وقتادة وابن
زيد وسفين وغيرهم وقال ابن عباس لا جناح معناه التراضي في فصله قبل الحولين
وبعدها قال ابو محمد وتحرير القول في هذا ان فصله قبل الحولين لا يصح
الا بتراضيهما وان لا يكون على المولود ضرر واما بعد تمامها فمن دعا الى الفصل
فذلك له الا ان يكون في ذلك على الصبي ضرر وقوله تعالى وان اردتم ان
تسترضعوا مخاطبة لجميع الناس تجمع الاباء والامهات اي فيهم يكون اتخاذ الظير
مع الاتفاق وعلى ذلك واما قوله تعالى اذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة الا
على احد التاويلين في قراءة من قرا اتيتم وقرا الستة من السبعة اتيتم بالمد بمعنى
اعطيتم وقرا ابن كثير اتيتم بمعنى ما جئتم وفعلتم كما قال زهير
وما كان من خير اتوه فانما توارثه اباء ابائهم قبل قال ابو علي اذا سلمتم
ما اتيتم نقدا واعطا وسوقه فحذف المضاف واقيم الضمير مقامه
فكان التقدير ما اتيتموه ثم حذف الضمير من الصلة قال ابو محمد ويحتمل اللفظ
معنى اخر قاله قتادة وهو اذا سلمتم ما اتيتم من ارادة الاسترضاع اي سلم كل
واحد من الابوين ورضي وكان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وارادة
معروف من الامر وعلى هذا الاحتمال فيدخل في الخطاب بسلمتم الرجال والنسا
وعلى التاويل الذي ذكر ابو علي وغيره فالخطاب للرجال لانهم الذين يعطون اجر
الرضاع قال ابو علي ويحتمل ان تكون ما مصدرية اي اذا سلمتم الاتيان والمعنى
كالاول لكن يستغنى عن الصنعة من حذف المضاف ثم حذف الضمير
قال مجاهد المعنى اذا سلمتم الى الامهات اجرهن بحساب ما ارضعن الى وقت
ارادة الاسترضاع وقال سفين المعنى اذا سلمتم الى المسترضعة وهي الظير
اجرها بالمعروف وفي ما في الاية امر بالتقوى وتوقيف على ان الله تعالى بصير
بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير اي فهو مجاز بحسب عملكم قوله عز
وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة

اشهر وعشرا قال بعض نحاة الكوفيين الخبر عن الذين متروك والقصد الاخبار
عن ازواجهم بانهن يتربصن ومذهب نحاة البصرة ان خبر الذين متربص بالمعنى
وذلك ان الكلام انما تقديره يتربصن ازواجهم وان شئت قدرته وازواج الذين
يتوفون منكم يتربصن فجاءت العبارة في غاية الايجاز واعرابها مترتب على هذا
المعنى المالك لها المتقدر فيها وحكى المهدوي عن سيبويه ان المعنى وفيما يتلى عليكم
الذين يتوفون ولا اعرف هذا الذي حكاه لان ذلك انما يتجه اذا كان في الكلام
لفظ امر بعد مثل قوله والسارق والسارقة فاقطعوا وهذه الاية فيها معنى
الامر لا لفظه فيحتاج مع هذا التقدير الى تقدير اخر يستغني عنه اذا حضر
لفظ الامر وحسن مجيء الامر هكذا انها توطئة لقوله فلا جناح عليكم اذ القصد
بالمخاطبة من اول الاية الى اخرها الرجال الذين منهم الحكام والنظرة وعبارة المبرد
والاخفش ما ذكرناه وهذه الاية هي في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها
العموم ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل ولم تعن الاية لما تقدم من ثابته
ونحوها وحكى المهدوي عن بعض العلماء ان الاية تناولت الحوامل ثم نسخ ذلك بقوله
واولات الاحمال وعدة الحامل وضع حملها عند جمهور العلماء وروي عن علي بن
ابي طالب وابن عباس وغيرهما ان تمام عدتها اخر الاجلين والتربص الصبر والتاني
بالشخص في مكان او حال وقد بين تعالى ذلك بقوله بانفسهن وله احاديث عن النبي
عليه السلام متظاهرة اي التربص باحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ
الجميل والطيب ونحوه والزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج
وهذا قول جمهور العلما وهو قول مالك واصحابه وقال ابن عباس وابو حنيفة فيما
روي عنه وغيرهما الذين المبيت مراعاة تبيت حيث شاءت وقال الحسن ابن ابي
الحسن ليس الاحداد بشيء انما تربص عن الزوج ولها ان تتزين وتتطيب قال
ابو محمد وهذا ضعيف وقرا جمهور الناس يتوفون بضم الياء وقرا علي بن ابي
طالب رضي الله عنه يتوفون بفتح الياء وكذلك روى المفضل عن عاصم ومعناها

يستوفون

يستوفون اجالهم وجعل الله الاربعة الاشهر والعشر عبادة في العدة فيها
استبرا الحمل اذ فيها تكمل الاربعون والاربعون والاربعون حسب
الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ثم تنفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة
اذ هي مظنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص الشهور او كمالها ولسرعة
حركة الجنين او ابطائها قاله سعيد ابن المسيب وابو العالية وغيرهما وقال
تعالى عشرا ولم يقل عشرة تغليبا لحكم الليالي اذ الليلة اسبق من اليوم والايام
في ضمنها وعشرا اخف في اللفظ قال جمهور اهل العلم ويدخل في ذلك اليوم
العاشر وهو من العدة لان الايام مع الليالي وحكى منذر بن سعيد وروي ايضا
عن الاوزاعي ان اليوم العاشر ليس من العدة بل انقضت بتمام عشر ليال قال
المهدوي وقيل المعنى وعشر مدد كل مدة من يوم وليلة وروي عن ابن عباس
انه قرا اربعة اشهر وعشر ليال قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير اضاف تعالى الاجل
اليهن اذ هو محدود مضروب في امرهن والمخاطبة بقوله فلا جناح عليكم
عامة لجميع الناس والتلبس بهذا الحكم هو للحكام والاولياء اللاصقين والنسا
المعتدات قوله عز وجل فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من التزين واطراح
الاحداد قال مجاهد وابن شهاب وغيرهما اراد بما فعلن النكاح
المنف لحين اذا كان بغير وفاق منكر قال ابو محمد ووجوه
المنكر في هذا كثيرة وقال بعض المفسرين بالمعروف معناه بالاشهاد قوله تعالى
والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر اذا تقصى
علم الشي قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النسا او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا
الا ان تقولوا قولا معروفا المخاطبة بهذه الاية لجميع الناس والمباشر لحكمها
هو الذي في نفسه تزوج معتدة والتعريض هو الكلام الذي لا تصريح فيه

كأنه تعريض لفكر المكلم به وأجمع الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها
وتنبيه عليه لا يجوز وكذلك أجمعت على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع وتحريض عليه
لا يجوز عليه وجوّز ما عدا ذلك ومن أعظمه قربا إلى التصريح قول النبي عليه السلام
لفاطمة بنت قيس كوني عند أم شريك ولا تسبقيني بنفسك ومن المجوّز قول الرجل
إنك لإلى خير وإنك لمرغوب فيك وإني لأرجو أن أتزوج وإن يقدر أمر يكن هذا
هو تمثيل مالك وابن شهاب وكثير من أهل العلم وجائز أن يمدح نفسه ويذكر مآثره
على جهة التعريض بالزوج وقد فعله أبو جعفر محمد بن علي بن حسين واحتج بأن النبي
صلى الله عليه وسلم فعله مع أم سلمة والهدية إلى المعتدة جائزة وهي من التعريض
قاله سحنون وكثير من العلماء **قال أبو محمد** وقد كره مجاهد أن يقول لا تسبقيني
قول صح بنفسك ورآه من المواعدة سرا وهذا عندي على أن يتأول قول النبي عليه السلام لفاطمة
بنت قيس أنه على جهة الرأي لها فيمن يتزوجها إلا أنه أرادها لنفسه وإلا فهو خلاف
لقوله عليه السلام والخِطبة بكسر الخاء فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف
بفعل أو قول يقال خطبها يخطبها خطبا وخطبة ورجل خطاب كثير التصرف
في الخطبة **ومنه قول الشاعر** برح بالعينين خطاب الكثب : يقول إني خاطب
وقد كذب وإنما يخطب عسا من رطب والخطبة فعلة كجلسة وقعدة والخطبة
بضم الخاء هي الكلام الذي يقال في النكاح وغيره وأكننتم معناه سترتم وأخفيتم
تقول العرب كننت الشيء من الأجرام إذا سترته في بيت أو ثوب أو أرض ونحوه وأكننت
الأمر في نفسي ولم يسمع من العرب كننته في نفسي وتقول أكن البيت الإنسان ونحو هذا
فرفع الله الجناح عمن أراد تزوج المعتدة مع التعريض ومع الإكنان ونهى عن المواعدة
التي هي تصريح بالتزويج وبناء عليه واتفاق على وعد فرخص لعلمه تعالى بغلبة النفوس
وطمحانها وضعف البشر عن ملكها **وقوله تعالى** ستذكرونهن قال الحسن معناه علم الله
أنكم ستذكرون النساء المعتدات في نفوسكم وبألسنتكم لمن يخف عليكم فنهى أن يوصل
إلى التواعد معها المنافي ذلك من هتك حرمة العدة **وقوله تعالى** ولكن لا تواعدوهن

سرا ذهب ابن عباس وابن جبير ومالك وأصحابه والشعبي ومجاهد وعكرمة والسدي
وجمهور أهل العلم إلى أن المعنى لا تواعدوهن نكاحا وسرا على هذا التأويل نصب على الحال أي
مستسرين وقال جابر بن زيد وأبو مجلز لاحق بن حميد والحسن بن أبي الحسن
والضحاك وإبراهيم النخعي المعنى في هذه الآية الزنا أي لا تواعدوهن زنا **قال أبو محمد**
هكذا جاءت عبارة هؤلاء في تفسير السر وفي ذلك عندي نظر وذلك أن السر
في اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه ولكن معنى الكلام وقرينته ترده إلى أحد الوجهين
فمن الشواهد **قول الحطيئة** ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع
فقرينة هذا البيت تعطي أن السر أراد به الوطء حراما وإلا فلو تزوج الجارة كما
يحسن لم يكن في ذلك عار ومن الشواهد **قول الآخر** إذا ما سر النساء محرم علي
وتشهاد الندامى مع الخمر : لئن لم أصبح داهنا ولفيفها وناهبها يوما بمر لغبه
البكر : فقرينة هذا الشعر أنه أراد تحريم جميع النساء عموما أي حرام وحلال
حتى ينال ثأره والآية تعطي النهي أن يواعد الرجل المعتدة أن يطأها بعد العدة بوجه
التزويج وأما المواعدة في الزنا فمحرم على المسلم مع معتدة وغيرها وحكى مكي عن ابن جبير
أنه قال سرا أي نكاحا وهذه عبارة مخلصة وقال ابن زيد معنى قوله ولكن لا تواعدوهن
سرا أي لا تنكحوهن وتكتمون ذلك فإذا حلت أظهرتموه ودخلتم بهن **قال أبو محمد**
فابن زيد في معنى السر مع القول الأول أي خفية وإنما شذ في أن سمى العقد مواعدة
وذلك قلق لأن العقد متى وقع وإن كتم فما هو في عزم العقد وحكى مكي عنه أن الآية
منسوخة بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح وأجمعت الأمة على كراهية المواعدة
في العدة للمرأة في نفسها وللأب في ابنته البكر وللسيد في أمته قال ابن المواز وأما
الولي الذي لا يملك الجبر فأكرهه وإن نزل لم أفسخه وقال مالك رحمه الله فيمن يواعد
في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها أحب إلي دخل بها أو لم يدخل ويكون تطليقة واحدة
فإذا حلت خطبها مع الخطاب هذه رواية ابن وهب وروى أشهب عن مالك أنه يفرق
بينهما إيجابا وقاله ابن القاسم وحكى ابن حارث مثله عن ابن الماجشون وزاد ما يقتضي

ان التحريم يتابد **وقوله تعالى** الا ان تقولوا قولا معروفا استثنا منقطع والقول
المعروف هو ما ابيح من التعريض وقد ذكر الضحاك ان من القول المعروف ان يقول الرجل
للمعتدة احبسي علي نفسك فان لي بك رغبة وتقول هي وانا مثل ذلك **قال ابو محمد**
وهذا عندي كمواعدة وانما التعريض قول الرجل انكم لاكفا كرام وما قدر كان
وانك لمعجبة ونحو هذا **قوله عز وجل** ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم عزم العقدة
عقدها بالاشهاد والولي وحينئذ تسمى عقدة **وقوله** حتى يبلغ الكتاب اجله يريد تمام
العدة والكتاب هنا هو الحد الذي جعل والقدر الذي رسم من المدة سماه كتابا اذ قد
حده وفرضه كتاب الله تعالى كما قال كتاب الله عليكم وكما قال ان الصلاة كانت على
المومنين كتابا موقوتا ولا يحتاج في الكلام عندي الى حذف مضاف وقد قدر
ابو اسحق في ذلك حذف مضاف اي فرض الكتاب وهذا على ان جعل الكتاب القران
ولم يختلف اهل العلم ان خالف احد هذا النهي وعزم العقدة قبل بلوغ الاجل وانا
افصل المسالة ان شا الله اما ان عقد في العدة وعثر عليه فسخ الحاكم نكاحه وذلك
قبل الدخول بقول عمر بن الخطاب وجماعة العلماء ان ذلك لا يوبد تحريما وقال مالك
وابن القسم في المدونة في اخر الباب الذي يليه ضرب اجل امراة المفقود وقال الجمع
يكون خاطبا من الخطاب وحكى ابن الجلاب عن مالك رواية ان التحريم يتابد في العقد
في العدة وان فسخ قبل الدخول واما ان عقد في العدة ودخل بعد انقضائها فقال
قوم من اهل العلم لا يتابد بذلك تحريم وقال مالك مرة يتابد التحريم وقال مرة وما التحريم
بذلك بالبين والقولان له في المدونة في طلاق السنة واما ان دخل في العدة فقول عمر
بن الخطاب ومالك وجماعة اصحابه والاوزاعي والليث وغيرهم من اهل العلم ان
التحريم يتابد وقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابرهيم وابي
حنيفة والشافعي وجماعة من العلما وعبد العزيز بن ابي سلمة ان التحريم لا يتابد وان
وطي في العدة بل يفسخ بينهما ثم تعتد منه ثم يكون خاطبا من الخطاب قال ابو حنيفة

والشافعي

والشافعي تعتد من الاول فاذا انقضت العدة فلا باس ان يتزوجها الاخر وحكى ابن
الجلاب رواية في المذهب ان التحريم لا يتابد مع الدخول في العدة وذكرها في العالم
بالتحريم فيها خلافا في المذهب حدثني ابو علي
الحسين بن محمد الغساني مناولة قال حدثني ابو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث
بن سفين حدثنا قاسم بن اصبغ عن محمد بن اسمعيل عن نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن اشعث
عن الشعبي عن مسروق قال بلغ عمر بن الخطاب ان امراة من قريش تزوجها رجل من
ثقيف في عدتها فارسل اليهما ففرق بينهما وعاقبهما وقال لا ينكحها ابدا وجعل صداقها
في بيت المال وفشا ذلك في الناس فبلغ عليا فقال يرحم الله امير المومنين ما بال الصداق
وبيت المال انهما جهلا فينبغي للامام ان يردهما الى السنة قيل فما تقول انت فيها قال
لها الصداق بما استحل من فرجها ويفرق بينهما ولا جلد عليهما وتكمل عدتها من الاول
ثم تعتد من الثاني عدة كاملة ثلاثة اقراء ثم يخطبها ان شا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب
فخطب الناس فقال ايها الناس ردوا الجهالات الى السنة وهذا قول الشافعي والليث
في العدة من اثنين وقال مالك واصحاب الراي والاوزاعي والثوري في عدة واحدة
يكفيهما جميعا سوا كانت بالحمل او بالاقراء او بالاشهر وروى المدنيون عن مالك مثل
قول علي بن ابي طالب والشافعي في اكمال العدتين واختلف قول مالك رحمه الله في
الذي يدخل في العدة عالما بالتحريم مجترئا فمرة قال العالم والجاهل في ذلك سوا
لا حد عليه والصداق له لازم والولد لاحق ويتعاقبان ولا يتناكحان ابدا ومرة
قال العالم بالتحريم كالزاني يحد ولا يلحق به الولد وينكحها بعد الاستبرا والقول
الاول اشهر عن مالك رحمه الله و**قوله** واعلموا الى اخر الاية تحذير من الوقوع
فيما نهى عنه وتوقيف على غفره وحلمه في هذه الاحكام التي يسر ووسع فيها من
اباحة التعريض ونحوه **قوله عز وجل** لا جناح عليكم ان طلقتم النسا
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن هذا ابتدا اخبار برفع الجناح

عن المطلق قبل البنا والجماع فرض مهرا او لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن التزوج لمعنى الذوق وقضا الشهوة وامر بالتزوج طلب العصمة والتماس ثواب الله
وقصد دوام الصحبة وقع في نفوس المومنين ان من طلق قبل البنا قد واقع جزا من
هذا المكروه فنزلت الاية رافعة للجناح في ذلك اذا كان اصل النكاح على المقصد
الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب بجميع المهر بل عليكم نصف المفروض
لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها وقال قوم لا جناح عليكم معناه في ان ترسلوا
الطلاق في حيض بخلاف المدخول بها وقال مكي المعنى لا جناح عليكم
في الطلاق لانه قد يقع الجناح على المطلق بعد ان كان قاصدا للذوق وذلك مامون
من المسيس والخطاب بالاية لجميع الناس وقرا ابو عمرو وابن كثير ونافع وعاصم وابن
عامر تمسوهن بغير الف وقرا الكساي وحمزة تماسوهن بالف وضم التا وهذه القراة
الاخرة تعطي المس من الزوجين والقراة الاولى تقتضي ذلك بالمعنى المفهوم من المس
ورجحها ابو علي لان افعال هذا المعنى جات ثلاثية على هذا الوزن نكح وسفد وقرع
ودقط وضرب الفحل والقراتان حسنتان وتفرضوا عطف على تمسوا وفرض المهر
اثباته وتحريره وهذه الاية تعطي جواز العقد على التفويض لانه نكاح مقرر في
الاية مبين حكم الطلاق فيه قاله مالك في المدونة والفريضة الصداق
ومتعوهن معناه اعطوهن شيا يكون متاعا لهن وحمله ابن عمر وعلي ابن ابي طالب والحسن
ابن ابي الحسن وسعيد ابن جبير وابو قلابة والزهري وقتادة والضحاك ابن مزاحم
على الوجوب وحمله ابو عبيد ومالك بن انس واصحابه وشريح وغيرهم على الندب
ثم اختلفوا في الضمير المتصل بمتعوا من المراد به من النسا فقال ابن عباس وابن عمر وعطا
وجابر بن زيد والحسن والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي المتعة واجبة للمطلقة
قبل البنا والفرض ومندوبة في غيرها وقال مالك واصحابه المتعة مندوب اليها
في كل مطلقة وان دخل بها الا في التي لم يدخل وقد فرض لها فحسبها ما فرض لها ولا
متعة لها وقال ابو ثور لها المتعة ولكل مطلقة واجمع اهل العلم على ان التي لم يفرض

لها

لها ولم يدخل بها لا شي لها غير المتعة فقال الزهري يقضي لها بها القاضي وقال
جمهور الناس لا يقضي لها قاله شريح وقال للزوج ان كنت من المتقين او المحسنين فمتع
ولم يقض عليه **قال ابو محمد** وهذا مع اطلاق لفظ الوجوب عند بعضهم واما
ربط مذهب مالك فقال ابن شعبان المتعة بازا غم الطلاق ولذلك ليس
للمختلعة والمبارية والملاعنة متعة وقال الترمذي وعطا والنخعي للمختلعة
متعة وقال اصحاب الراي للملاعنة متعة قال ابن القسم ولا متعة في نكاح مفسوخ
قال ابن المواز ولا فيما يدخله الفسخ بعد صحة العقد مثل ملك احد الزوجين صاحبه
وروى ابن وهب عن مالك ان المخيرة لها المتعة بخلاف الامة تعتق تحت العبد فتختار
فهذه لا متعة لها واما الحرة تخير او تملك او يتزوج عليها امة فتختار هي نفسها
في ذلك كله فلها المتعة لان الزوج سبب الفراق وعليها هي غضاضة في ان
لا تختار نفسها واختلف الناس في مقدار المتعة فقال ابن عمر ادنى ما يجزي في المتعة
ثلاثون درهما او شبهها وروي ان ابن حجيرة كان يقضي على صاحب الديوان بثلاثة دنانير
وقال ابن عباس ارفع المتعة خادم ثم كسوة ثم نفقة وقال عطا من اوسط ذلك درع
وخمار وملحفة وقال الحسن يمتع كل على قدره هذا بخادم وهذا باثواب وهذا
بثوب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك ابن انس ومتع الحسن ابن علي بعشرين الفا
وزقاق من عسل ومتع شريح بخمس ماية درهم وقالت ام حميد ابن عبد الرحمن
ابن عوف زوجه ام ابي سلمة وقال اصحاب الراي وغيرهم متعة التي تطلق قبل الدخول
والفرض نصف مهر مثلها لا غير **وقوله تعالى** على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
دليل على رفض التحديد وقرا الجمهور على الموسع بسكون الواو وكسر السين معنى الذي
اوسع اي اتسعت حاله وقرا ابو حيوة الموسع بفتح الواو وشد السين وفتحها
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر قدره بسكون الدال في
الموضعين وقرا ابن عامر وحمزة والكساي وعاصم في رواية حفص قدره بفتح الدال
فيهما قال ابو الحسن الاخفش وغيره هما بمعنى لغتان فصيحتان وكذلك حكى ابو زيد يقول

متع [illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible] الخادم سودا

حر مقدر كذا او مقدر كذا بمعنى ويقرا في كتاب الله فسالت اودية بقدرها
وقدرها وقال وما قدروا الله حق قدره ولو حركت الدال لكان جائزا والمقتر المقل
القليل المال ومتاعا نصب على المصدر **وقوله تعالى** بالمعروف اي لا حمل فيه ولا
تكلف على احد الجانبين فهو تاكيد لمعنى قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ثم اكد
تعالى الندب بقوله حقا على المحسنين اي في هذه النازلة من التمتيع هم محسنون ومن
قال بان المتعة واجبة قال هذا تاكيد الوجوب اي على المحسنين بالايمان والاسلام
فليس لاحد ان يقول لست بمحسن على هذا التاويل وحقا صفة لقوله متاعا او نصب
على المصدر وذلك ادخل في التاكيد **قوله عز وجل** وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون
بصير اختلف الناس في هذه الاية فقالت فرقة فيها مالك وغيره انها مخرجة المطلقة
بعد الفرض من حكم التمتيع اذ يتناولها قوله تعالى ومتعوهن وقال ابن المسيب
نسخت هذه الاية الاية التي في الاحزاب لان تلك تضمنت تمتيع كل من لم يدخل بها
وقال قتادة نسخت هذه الاية الاية التي قبلها وقال ابن القسم في المدونة كان المتاع
لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف ولغير المدخول بها بالاية
التي في سورة الاحزاب فاستثنى الله المفروض لها قبل الدخول بهذه الاية واثبت
للمفروض لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن اسلم انها منسوخة حكى ذلك في المدونة عن
زيد بن اسلم زعما وقال ابن القسم انه استثناء والتحرير يرد ذلك النسخ الذي قال زيد لان
ابن القسم قال ان قوله تعالى وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه هذه التي فرض
لها قبل المسيس وقال فريق من العلماء منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه
الاية انما بينت ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض ولم تعن الاية لاسقاط متعتها
بل لها المتعة ونصف المفروض وقرا الجمهور فنصف بالرفع والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم
وقرات فرقة فنصف بنصب الفاء المعنى فادفعوا نصف وقرا علي بن ابي طالب وزيد

ابن ثابت

ابن ثابت فنصف بضم النون في جميع القران وهي لغة وكذلك روى الاصمعي قراءة
عن ابي عمرو بن العلاء **وقوله تعالى** الا ان يعفون استثناء منقطع لان عفوهن
عن النصف ليس من جنس اخذهن ويعفون معناه يتركن ويصفحن ووزنه يفعلن
والمعنى الا ان يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج والعافيات في هذه الاية
كل امراة تملك امر نفسها وقال ابن عباس وجماعة من الفقهاء التابعين ويجوز عفو البكر التي
لا ولي لها وحكاه سحنون في المدونة عن غير ابن القسم بعد ان ذكر لابن القسم ان وضعها
نصف الصداق لا يجوز واما التي في حجر اب او وصي فلا يجوز وضعها النصف
من صداقها قولا واحدا فيما احفظ واختلف الناس في المراد بقوله تعالى او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس وعلقمة وطاوس ومجاهد وشريح والحسن
وابرهيم والشعبي وابو صالح وعكرمة والزهري ومالك وغيرهم هو الولي الذي
المراة في حجره وهو الاب في ابنته التي لم تملك امرها والسيد في امته واما شريح
فانه جوز عفو الاخ عن نصف الصداق وقال انا اعفو عن مهور بني مرة وان كرهن
وكذلك قال عكرمة يجوز عفو الذي عقد عقدة النكاح بينهما كان عما او
اخا او ابا وان كرهت وقالت فرقة من العلماء الذي بيده عقدة النكاح الزوج
قاله علي بن ابي طالب وقاله ابن عباس ايضا وشريح رجع اليه وقاله سعيد بن
جبير وكثير من فقهاء الامصار فعلى القول الاول الندب لهما هو في النصف الذي يجب
للمراة فاما ان يعفو هي عن نصفها فلا تاخذ من الزوج شيئا واما ان يعفو الزوج
عن النصف الذي يحط فيؤدي جميع المهر وهذا هو الفضل منهما وبحسب حال الزوجين
يحسن التجاوز والتجمل ويروى ان جبير بن مطعم دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض
عليه ابنة له فتزوجها فلما خرج طلقها فبعث اليها بالصداق فقيل له لم تزوجتها
قال عرضها علي فكرهت رده فقيل له لم تبعث بالصداق قال فاين الفضل
قال ابو محمد وتحتج القائلون بان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج بان
هذا الولي لا يجوز له ترك شي من مالها الذي ليس من الصداق فما له يترك نصف

الصداق وايضا فانه اذا قيل انه الولي كان الذي يختص بعض الاولياء دون بعض وكلهم بيده
عقدة النكاح وان كان كافلا او وصيا او الحاكم او الرجل من العشيرة ويحتمل
ان يكون الولي الحاكم بعبارة الابتداء لان قوله الذي بيده عقدة النكاح عبارة متمكنة
في الولي وهي في الزوج قلقة بعض القلق وليس الامر في ذلك كما قال الطبري ومكي من
ان المطلق لا عقدة بيده بل نسبة العقدة اليه باقية من حيث كان عقدها قبل
قبل وايضا فان قوله الا ان يعفون لا يدخل فيه من لا يملك امرها لانها لا عفو لها فكذلك
لا يغبن النساء بعفو من يملك امر التي لا تملك امرها وايضا فان الاية انما هي ندب الى ترك
شي قد وجب في مال الزوج يعطي ذلك لفظة العفو الذي هو الترك والاطراح
واعطاء الزوج المهر كاملا لا يقال فيه عفو انما هو انتداب الى فضل اللهم الا ان تقدر
المراة قد قبضته وهذا طار لا يعتد به قال مكي وايضا فقد ذكر الله الازواج
في قوله فنصف ما فرضتم ثم ذكر الزوجات بقوله يعفون فكيف يعبر عن الازواج بعد
بالذي بيده عقدة النكاح بل هي درجة ثالثة لم يبق لها الا الولي قال ابو محمد
وفي هذا نظر وقرا الجمهور او يعفوا بفتح الواو لان الفعل منصوب وقرا الحسن ابن ابي الحسن
او يعفو الذي بواو ساكنة قال المهدوي ذلك على التشبيه بالالف وقد روي
ابن الطفيل فما سودتني عامر عن وراثة ابى الله ان اسمو بام ولا اب
والذي عندي انه استثقل الفتحة على واو متطرفة قبلها متحرك لقلة مجيئها في كلام
العرب وقد قال الخليل رحمه الله لم يجي في الكلام واو مفتوحة متطرفة قبلها فتحة
الا في قولهم عفوة وهو جمع عفو وهو ولد الحمار وكذلك الحركة ما كانت قبل
الواو المفتوحة فانها ثقيلة ثم خاطب تعالى الجميع نادبا بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى
اي يا جميع الناس وهذه قراءة الجمهور بالتاء باثنتين من فوق وقرا ابو نهيك والشعبي
وان يعفوا بالياء وذلك راجع الى الذي بيده عقدة النكاح وقرا الجمهور ولا تنسوا
الفضل بينكم وقرا علي ابن ابي طالب ومجاهد وابو حيوة وابن ابي عبلة ولا تناسوا
الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الا على التشبيه وقوله تعالى

ولا

ولا تنسوا الفضل ندب الى المجاملة قال مجاهد الفضل اتمام الزوج الصداق كله
او ترك المراة النصف الذي لها وقوله ان الله بما تعملون بصير خبر في ضمنه الوعد للمحسن
والحرمان لغير المحسن قوله عز وجل حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين الخطاب لجميع الامة والاية امر بالمحافظة على اقامة الصلوات
في اوقاتها وبجميع شروطها وذكر تعالى الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت في عموم قوله
الصلوات لانه اراد تشريفها واغراء المصلين بها وقرا ابو جعفر الرواسي والصلاة
الوسطى بالنصب على الاغراء وقرا كذلك الحلواني واختلف الناس في اي صلاة هي هذه
الوصف فذهبت فرقة الى انها الصبح وان لفظة وسطى يراد بها الترتيب لان قبلها
صلاتا ليل يجهر فيهما وبعدها صلاتا نهار يسر فيهما قال هذا القول علي بن ابي طالب
وصلى بالناس يوما الصبح فقنت قبل الركوع فلما فرغ قال هذه الصلاة الوسطى التي
امرنا الله ان نقوم فيها قانتين وقاله ابو العالية ورواه عن جماعة من الصحابة وقال
جابر بن عبد الله وعطاء ابن رباح وعكرمة ومجاهد وعبد الله بن شداد ابن الهادي
والربيع ومالك بن انس وقوى مالك ذلك بان الصبح لا تجمع الى غيرها وصلاة تجمع قبلها
وصلاة تجمع بعدها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تعلمون ما في
العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وقال انهما اشد الصلوات على المنافقين وفضل
الصبح لانها كقيام ليلة لمن شهدها والعتمة نصف ليلة وقال تعالى ان قران الفجر
كان مشهودا فقوى هذا امر الصبح وقالت فرقة هي صلاة الظهر قاله زيد
ابن ثابت ورفع فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله ابو سعيد الخدري
وعبد الله ابن عمر والحجة لهم لهذه المقالة انها اول صلاة صليت في الاسلام فهي
وسطى بذلك اي بصلى فليس هذا التوسط في الترتيب وايضا روي انها كانت اشق
الصلوات على اصحاب النبي عليه السلام لانها كانت تجي في الهاجرة وقد نفهتهم
اعمالهم في اموالهم وايضا فيدل على ذلك ما املته حفصة وعايشة حين املتا
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر فهذا اقتران الظهر والعصر

وقالت فرقة الصلاة الوسطى صلاة العصر لأنها قبلها صلاتا نهار وبعدها
صلاتا ليل وروي هذا القول أيضا عن علي ابن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وفي مصحف عائشة رضي الله عنها والصلاة الوسطى وهي العصر
وهو قولها المروي عنها وقاله الحسن البصري وإبراهيم النخعي وفي إملاء حفصة أيضا
والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر ومن روى صلاة العصر فتأول أنه عطف أحد
الصفتين على الأخرى وهما لشيء واحد كما تقول جاءني زيد الكريم والعاقل وروي عن
ابن عباس أنه قرأ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر على البدل
وروى هذا القول سمرة بن جندب عن النبي عليه السلام وتواتر الحديث عن النبي
عليه السلام قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ
الله قلوبهم وبيوتهم نارا وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كنا نرى أنها الصبح
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة
العصر فعرفنا أنها العصر وقال البراء ابن عازب كنا نقرأ على عهد النبي عليه السلام
حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم نسخها الله فقرأنا حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى فقال له رجل فهي العصر قال قد أخبرتك كيف قرأناها وكيف نسخت
والله أعلم وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة
الوسطى صلاة العصر **قال أبو محمد** وعلى هذا القول جمهور الناس وبه أقول
والله أعلم وقال قبيصة بن ذؤيب الصلاة الوسطى صلاة المغرب لأنها متوسطة
في عدد الركعات ليست ثنائية ولا رباعية وأيضا فقبلها صلاتا سر وبعدها صلاتا جهر
وحكى أبو عمر يوسف ابن عبد البر في شرح باب جامع الوقوت وغيره عن فرقة أن الصلاة
الوسطى صلاة العشاء الآخرة وذلك أنها جاءت في وقت نوم وهي أشد الصلوات على المنافقين
ويستحب تأخيرها وذلك شاق فوقع التأكيد في المحافظة عليها وأيضا فقبلها صلاتان
وبعدها صلاتان وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله لنا فهي في جملة الخمس غير
معينة كليلة القدر في ليالي العشر فعل الله ذلك ليقع المحافظة على الجميع قاله نافع عن

ابن عمر

ابن عمر وقاله الربيع بن خثيم وقالت فرقة الصلاة الوسطى هي صلاة الجمعة فإنها
وسطى فضلت بما خصت به من الجمع والخطبة وجعلت عيدا ذكره ابن حبيب ومكي وقال
بعض العلماء الصلاة الوسطى المكتوبة الخمس وقوله أولا على الصلوات يعم النفل والفرض
ثم خص الفرض بالذكر ويجري مع هذا التأويل قوله عليه السلام شغلونا عن الصلاة
الوسطى **قوله تعالى** وقوموا لله قانتين معناه في صلاتكم واختلف الناس في معنى
قانتين فقال الشعبي معناه مطيعين وقاله جابر بن زيد وعطاء وسعيد ابن جبير
وقال الضحاك كل قنوت في القرآن فإنما يعني به الطاعة وقاله أبو سعيد عن
النبي عليه السلام وإن أهل كل دين فهم اليوم يقومون عاصين فقيل لهذه الأمة
وقوموا لله مطيعين وقال نحوه هذا الحسن ابن أبي الحسن وطاوس وقال السدي
قانتين معناه ساكتين وهذه الآية نزلت في المنع من الكلام في الصلاة وكان ذلك مباحا
في صدر الإسلام وقال عبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلاة ونرد السلام ويسأل
الرجل صاحبه عن حاجته قال ودخلت يوما والنبي عليه السلام يصلي بالناس فسلمت
فلم يرد علي أحد فاشتد ذلك علي فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه
لم يمنعني أن أرد عليك إلا أنا أمرنا أن نقوم قانتين لا نتكلم في الصلاة والقنوت
السكوت وقاله زيد بن أرقم وقال كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله
قانتين فأمرنا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين والقنوت طول
الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح **قال أبو محمد** وإحضار الخشية
والفكر في الوقوف بين يدي الله تعالى وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع
والانتصاب له وقال قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين وروي معنى هذا عن
ابن عباس وفي الحديث قنت رسول الله عليه السلام شهرا يدعو على رعل وذكوان
فقال قوم معناه دعا وقال قوم معناه طول قيامه ولا حجة في هذا الحديث
لمعنى الدعاء **قوله عز وجل** فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله
كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون أمر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت وهو

الوقار والسكينة وهدو الجوارح وهذا على الحال الغالبة من الامن والطمانينة ثم ذكر
تعالى حالة الخوف الطارية احيانا فرخص لعبيده في الصلاة رجالا متصرفين على الاقدام
وركبانا على الخيل والابل ونحوها ايماء واشارة بالراس حيث ما توجه هذا قول جميع العلما
وهذه هي صلاة الفذ الذي قد ضايقه الخوف على نفسه في حال المسايفة او من
سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملة فكل امر يخاف منه على روحه فهو
مبيح ما تضمنته الاية واما صلاة الخوف بالامام وانقسام الناس فليس حكمها
في هذه الاية وفرق مالك رحمه الله بين خوف العدو المقاتل وبين خوف السبع
ونحوه بان استحب في غير خوف العدو الاعادة في الوقت ان وقع الامن واكثر فقها
الامصار على ان الامر سوا **وقوله** فرجالا هو جمع راجل او رجل من قولهم رجل الانسان
يرجل رجلا اذا عدم المركوب ومشى على قدميه فهو رجل وراجل ورجل بضم الجيم وهي
لغة اهل الحجاز يقولون مشى فلان الى بيت الله حافيا رجلا حكاه الطبري وغيره ورجلان
ورجيل ورجل **وانشد ابن الاعرابي في رجلان** علي اذا لاقيت ليلى بخلوة ان ازدار بيت الله
رجلان حافيا ويجمع على رجال ورجيل ورجالى ورجالى ورجالة ورجال ورجالى
ورجلان ورجلة ورجلة بفتح الجيم وارجلة واراجل واراجيل والرجل
الذي هو اسم الجنس يجمع ايضا على رجال فهذه الاية وقوله تعالى ياتوك رجالا
هما من لفظ الرجلة اي عدم الركوب وقوله تعالى شهيدين من رجالكم فهو اسم
الجنس المعروف وحكى المهدوي عن عكرمة وابي مجلز انهما قرا فرجالا بضم الراء وشد
الجيم المفتوحة وعن عكرمة ايضا انه قرا فرجالا بضم الراء وتخفيف الجيم وحكى الطبري
عن بعضهم انه قرا فرجلا دون الف على وزن فعل بضم الفاء وشد العين وقرا جمهور القرا
او ركبانا وقرا بديل بن ميسرة فرجالا فركبانا بالفاء والركبان جمع راكب وهذه
الرخصة في ضمنها باجماع من العلماء ان يكون الانسان حيث ما توجه من السموت ويتقلب
ويتصرف بحسب نظره في نجاة نفسه واختلف الناس كم يصلي من الركعات فمالك رحمه الله
وجماعة من العلماء لا يرون ان ينقص من عدد الركعات شيا بل يصلي المسافر ركعتين ولا

بد وقال الحسن ابن ابي الحسن وقتادة وغيرهما يصلي ركعة ايماء وروى مجاهد عن
ابن عباس انه قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
وفي الخوف ركعة وقال الضحاك بن مزاحم يصلي صاحب خوف الموت في المسايفة
وغيرها ركعة فان لم يقدر فليكبر تكبيرتين وقال اسحق بن راهويه فان لم يقدر الا على تكبيرة
واحدة اجزات عنه ذكره ابن المنذر واختلف المتاولون في قوله تعالى فاذا
امنتم فاذكروا الله الاية فقالت فرقة المعنى فاذا زال خوفكم الذي الجاكم
الى هذه الصلاة فاذكروا الله بالشكر على هذه النعمة في تعليمكم هذه الصلاة
التي وقع بها الاجزا ولم تفتكم صلاة من الصلوات وهذا هو الذي لم تكونوا
تعلمون وقالت فرقة المعنى فاذا كنتم امنين قبل او بعد كانه قال فمتى كنتم
على امن فاذكروا الله اي صلوا الصلاة التي قد علمتموها اي فصلوا كما علمكم
صلاة تامة حكاه النقاش وغيره **قال ابو محمد** وقوله على هذا التاويل ما لم
تكونوا بدل من ما التي في قوله كما والا لم يتسق لفظ الاية وعلى التاويل الاول ما مفعوله
علمكم وقال مجاهد معنى قوله فاذا امنتم فاذا خرجتم من دار السفر الى دار
الاقامة ورد الطبري على هذا القول وكذلك فيه تحكم ينبه على المعنى كثيرا والكاف
من قوله كما للتشبيه بين ذكر الانسان لله ونعمة الله عليه في ان تعادلا وكان
الذكر شبيها بالنعمة في القدر وكفاء لها ومن تاول اذكروا بمعنى صلوا على
ما ذكرناه فالكاف للتشبيه بين صلاة العبد والهيئة التي علمه الله **قوله عز وجل**
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز
حكيم الذين رفع بالابتدا والخبر الجملة التي هي وصية لازواجهم وقرا ابن كثير
ونافع والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر وصية بالرفع وذلك على وجهين احدهما
الابتدا والخبر في الظرف الذي هو قوله لازواجهم وحسن الابتدا بنكرة
من حيث هو موضع تخصيص كما حسن ان يرتفع سلام عليك وخير بين يديك وامثاله

فيحسن لأنها موضع دعاء والوجه الآخر أن تضمر له خبراً تقديره فعليهم وصية
لأزواجهم ويكون قوله لأزواجهم صفة قال الطبري قال بعض النحاة المعنى كتبت عليهم وصية
قال وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر وصيةً
بالنصب وذلك حمل على الفعل كأنه قال ليوصوا وصيةً لأزواجهم متاعاً وحكى
هارون أن في حرف أبي متاع لأزواجهم بدل وصية ومعنى هذه الآية أن الرجل إذا
مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة وينفق عليها من ماله وذلك وصية لها
واختلف العلماء ما هذه الوصية فقالت فرقة كانت وصية من الله تعالى تجب بعد
وفاة الزوج قال قتادة كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها فلها السكنى والنفقة
حولاً في مال زوجها ما لم تخرج برأيها ثم نسخ ما في هذه الآية من النفقة بالربع أو
بالثمن الذي في سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالأربعة الأشهر والعشر وقاله الربيع
وابن عباس والضحاك وعطاء وابن زيد وقالت فرقة بل هذه الوصية هي من الزوج كانوا
ندبوا إلى أن يوصوا للزوجات بذلك فيتوفون على هذا القول معناه يقاربون الوفاة
ويحتضرون لأن الميت لا يوصي قال هذا القول قتادة أيضاً والسدي وعليه حمل
الآية أبو علي الفارسي في الحجة قال السدي إلا أن العدة كانت أربعة أشهر وعشراً
وكان الرجال يوصون بسكنى سنة ونفقتها ما لم تخرج فلو خرجت بعد انقضاء العدة الأربعة
الأشهر والعشر سقطت الوصية ثم نسخ الله تعالى ذلك بنزول الفرائض فأخذت ربعها أو
ثمنها ولم يكن لها سكنى ولا نفقة وصارت الوصايا لمن لا يرث وقال الطبري عن مجاهد
إن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها والعدة كانت قد ثبتت أربعة أشهر وعشرين ليلة
فإن شاءت المرأة سكنت ثم جعل الله لهن وصية منه سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة
فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قوله عز وجل غير إخراج
فإن خرجن فلا جناح عليكم **قال أبو محمد** وألفاظ مجاهد رحمه الله التي حكى
عنه الطبري لا يلزم منها أن الآية محكمة ولا نص مجاهد ذلك بل يمكن أنه أراد ثم نسخ
ذلك بعد بالميراث ومتاعاً نصب على المصدر وكان هذا الأمر إلى الحول من حيث العام

معلم

معلم من معالم الزمان وقد أخذ بحظ من الطول **وقوله تعالى** غير إخراج معناه
ليس لأولياء الميت ووارثي المنزل إخراجها وغير نصب على المصدر عند الأخفش
كأنه قال لا إخراجاً وقيل نصب على الحال من الموصين وقيل هي صفة لقوله متاعاً
وقوله تعالى فإن خرجن الآية معناه أن الخروج إذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على
أحد ولي أو حاكم أو غيره فيما فعلن في أنفسهن من تزويج وترك حداد وتزين إذا كان ذلك
بالمعروف الذي لا ينكر **وقوله تعالى** والله عزيز صفة تقتضي الوعيد بالنقمة لمن
خالف الحد في هذه النازلة فأخرج المرأة وهي لا تريد الخروج حكيم أي محكم لما يأمر به
عباده وهذا كله زال حكمه بالنسخ المتفق عليه إلا ما قوله الطبري مجاهداً
رحمه الله وفي ذلك نظر على الطبري رحمه الله **قوله عز وجل** وللمطلقات
متاع بالمعروف حقاً على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون اختلف الناس
في هذه الآية فقال أبو ثور هي محكمة والمتعة لكل مطلقة دخل بها أو لم يدخل
فرض لها أو لم يفرض بهذه الآية وقال الزهري لكل مطلقة متعة وللأمة يطلقها
زوجها وقال سعيد بن جبير لكل مطلقة وقال ابن القاسم في إرخاء الستور من المدونة
جعل الله المتاع لكل مطلقة بهذه الآية ثم استثنى في الآية الأخرى التي قد فرض لها
ولم يدخل بها فأخرجها من المتعة وزعم زيد بن أسلم أنها نسختها **قال أبو محمد**
ففر ابن القاسم رحمه الله من لفظ النسخ إلى لفظ الاستثناء والاستثناء لا يتجه
في هذا الموضع بل هو نسخ محض كما قال زيد بن أسلم وإذا التزم ابن القاسم أن قوله وللمطلقات
عم كل مطلقة لزمه القول بالنسخ ولا بد وقال عطاء بن أبي رباح وغيره هذه الآية
في الثيبات اللواتي قد جومعن إذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكر المتعة للواتي
لم يدخل بهن **قال أبو محمد** فهذا قول بأن التي قد فرض لها قبل المسيس لم يدخل
قط في هذا العموم فهذا يجيء على أن قوله تعالى فإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
مخصصة لهذا الصنف من النساء ومتى قيل إن العموم يتناولها فذلك نسخ لا
تخصيص وقال ابن زيد هذه الآية نزلت مؤكدة لأمر المتعة لأنه نزل قبل

حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم اتمتع فنزلت حقا على المتقين فوجب
ذلك عليهم قال ابو محمد هذا الايجاب هو من تهويل الطبري لانه من لفظ ابن زيد
وقوله تعالى حقا نصب على المصدر والمتقين هنا ظاهره ان المراد من يتلبس بتقوى الله
تعالى والكاف في قوله كذلك للتشبيه وذلك اشارة الى هذا الشرح والتنويع الذي
وقع في النساء والى الزام المتعة لهن اي كبيانه هذه القصة يبين سائر اياته ولعلكم
ترج في حق الناس اي من راى هذا المبين له رجا انه يعقل ما بين له قوله عز وجل
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون هذه رؤية القلب بمعنى
الم تعلم والكلام عند سيبويه بمعنى تنبه الى امر الذين ولا يحتاج هذه الرواية الى
مفعولين وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك هي انهم قوم من بني اسرائيل امروا بالجهاد
فخافوا الموت بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفوا
انهم لا ينجيهم من الموت شي ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا في سبيل الله
الاية وحكى قوم من اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من بني اسرائيل وقع
فيهم الوباء فخرجوا من ديارهم فرارا منه فاماتهم الله فبنى عليهم سائر بني اسرائيل
حائطا حتى اذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل النبي عليه السلام فدعا الله فاحياهم
له وقال السدي هم امة كانت قبل واسط في قرية يقال لها داوردان
وقع بها الطاعون فهربوا منه وهم بضعة وثلاثون الفا في حديث طويل فيهم نزلت
الاية وقال انهم فروا من الطاعون الحسن وعمرو بن دينار وحكى النقاش انهم فروا من
الحمى وحكى فيهم مجاهد انهم لما احيوا رجعوا الى قومهم يعرفون لكن سحنة الموت
على وجوههم ولا يلبس احد منهم ثوبا الا عاد دسما حتى ماتوا لاجالهم التي
كتبت لهم وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم كانوا من بني اسرائيل وانهم كانوا اربعين
الفا وثمانية الاف وانهم اميتوا ثم احيوا وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بني اسرائيل
الى اليوم فامرهم بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا في سبيل الله الاية

وهذ

وهذا القصص كله لين الاسانيد وانما اللازم من الاية ان الله تعالى اخبر نبيه
عليه السلام اخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من
ديارهم فرارا من الموت فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليروا هم وكل من خلف بعدهم
ان الاماتة انما هي بيد الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر
وجعل الله تعالى هذه الاية مقدمة بين يدي امره المومنين من امة محمد صلى
الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبري وهو ظاهر وصف الاية وللمورد في
القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها واختلف الناس في لفظ
الوف فقال الجمهور هي جمع الف وقال بعضهم كانوا ثمانين الفا وقال ابن عباس كانوا
اربعين الفا وقيل كانوا ثلاثين الفا وهذا كله يجري مع الوف اذ هو جمع الكثير وقال ابن
عباس ايضا كانوا ثمانية الاف وقال ايضا اربعة الاف وهذا يضعفه لفظ الوف
لانه جمع الكثير وقال ابن زيد في لفظة الوف انما معناها وهم مؤتلفون اي لم
تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم انما كانوا مؤتلفين فخالفت هذه الفرقة
فخرجت فرارا من الموت وابتغاء الحياة فاماتهم الله في منجاهم بزعمهم وقوله
تعالى فقال لهم الله موتوا الاية انما هي مبالغة في العبارة عن فعله بهم كان ذلك
الذي نزل بهم فعل من قيل له مت فمات وحكى ان ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا
فالمعنى قال لهم الله بوساطة الملكين وهذا الموت ظاهر الاية وما روي في قصصها
انه موت حقيقي فارقت فيه الارواح الاجساد واذا كان ذلك فليس بموت الاجال لهم
بل جعله الله في هؤلاء كمرض وحادث مما يحدث على البشر وقوله تعالى ان الله لذو
فضل على الناس الاية تنبيه على فضل الله على هؤلاء القوم الذين تفضل عليهم بالنعم
وامرهم بالجهاد وامرهم ان لا يجعلوا الحول والقوة الا له حسب ما امر جميع العالم
بذلك فلم يشكروا نعمته في جميع هذا بل استبدوا وظنوا ان حولهم وسعيهم
ينجيهم وهذه الاية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل اي يجب ان يشكر
الناس فضل الله في ايجاده لهم ورزقه لهم وهدايته بالاوامر والنواهي فيكون منهم

الجري ان امتثالها لا يطلب الخروج عنها وتخصيصه تعالى الاكثر دلالة على الاقل
الشاكر **قوله عز وجل** وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه
ترجعون الواو في هذه الآية عاطفة جملة كلام على جملة ما تقدم هذا قول
الجمهور ان هذه الآية هي مخاطبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال في سبيل
الله وهو الذي ينوى به ان تكون كلمة الله هي العليا حسب الحديث وقال ابن عباس
والضحاك الامر بالقتال هو للذين احيوا من بني اسرائيل فالواو على هذا عاطفة على الامر
المتقدم المعنى وقال لهم قاتلوا قال الطبري رحمه الله لا وجه لقول من قال
ان الامر بالقتال هو للذين احيوا وسميع معناه للاقوال عليم بالنيات ثم قال تعالى
من ذا الذي يقرض الله الآية مدخل في ذلك المقاتل في سبيل الله فانه يقرض رجاء الثواب
كما فعل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ويروى ان هذه الآية لما نزلت قال ابو
الدحداح يا رسول الله او ان الله يريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال فاني
قد اقرضت حائطي بحائط فيه ستمائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح
فقال اخرجي فاني قد اقرضت ربي حائطي هذا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كم من عذق مدلل لابي الدحداح في الجنة **قال ابو محمد** ويقال فيه ابن الدحداحة
واستدعاء القرض في هذه الآية انما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه من
القرض والعمل بالثواب والله هو الغني الحميد لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا
ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض كما شبه اعطاء النفوس والاموال في اخذ الجنة
بالبيع والشراء وقد ذهبت اليهود في مدة النبي عليه السلام الى التخليط على
المؤمنين بظاهر الاستقراض وقالوا الهكم محتاج يستقرض وهذا بين الفساد
وقوله حسنا معناه يطيب فيه النية ويشبه ايضا ان تكون اشارة الى كثرته
وجودته واختلف القراء في تشديد العين وتخفيفها ورفع الفاء ونصبها
واسقاط الالف واثباتها من قوله تعالى فيضاعفه فقرا ابن كثير فيضعفه

ورفع الفاء من غير الف وتشديد العين في جميع القرآن وقرا ابن عامر كذلك الا
انه نصب الفاء في جميع القرآن ووافقه عاصم في نصب الفاء الا انه اثبت الالف
فيضاعفه في جميع القرآن وكان ابو عمرو لا يسقط الالف من ذلك كله الا من
سورة الاحزاب قوله تعالى يضاعف لها العذاب فانه بغير الف وكان يقراه وقرا
حمزة والكسائي ونافع ذلك كله بالالف ورفع الفاء فالرفع في الفاء يخرج على وجهين
احدهما العطف على ما في الصلة وهو يقرض والآخر ان يستانف الفعل ويقطعه
قال ابو علي والرفع في هذا الفعل احسن **قال ابو محمد** لان النصب انما هو بالفاء
في جواب الاستفهام وذلك انما يترتب اذا كان الاستفهام عن نفس الفعل الاول
ويجيء الثاني مخالفا له تقول اتقرضني فاشكرك وهاهنا انما الاستفهام عن الذي
يقرض لا عن الاقراض ولكن تحمل قراءة ابن عامر وعاصم في النصب على المعنى لانه لم يستفهم
عن فاعل الاقراض الا من اجل الاقراض فكان الكلام ايقرض احد الله فيضاعفه
له ونظير هذا في الحمل على المعنى قراءة من قرأ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم بجزم
يذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له فلا يهده وهذه الاضعاف الكثيرة هي الى
السبع مائة التي رويت ويعطيها مثال السنبلة وقرا ابن كثير يبسط بالسين
ونافع بالصاد في المشهور عنه وقال الحلواني عن قالون عن نافع انه لا يبالي كيف
قرا بسطة ويبسط بالسين او بالصاد وروى ابو قرة عن نافع يبسط بالسين
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب منه ان يسعر بسبب غلاء
خيف على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض واني لارجو ان القى الله ولا
يتبعني احد بمظلمة في نفس ولا مال **قوله عز وجل** الم تر الى الملأ من بني
اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل
عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا هذه الآية خبر عن قوم من بني اسرائيل
نالتهم ذلة وغلبة عدو فطلبوا الاذن في الجهاد وان يؤمروا به فلما امروا
كع اكثرهم وصبر الاقل فنصرهم الله وفي هذا كله مثال للمؤمنين يحذر المكروه

منه وتعدى بالحسن والملا في هذه الآية جميع القوم لان المعنى يقتضيه وهذا
هو اصل اللفظة وتسمى الاشراف الملا تشبيها **قوله** من بعد موسى معناه من
بعد موته وانقضاء مدته واختلف المتأولون في النبي الذي قيل له ابعث فقال ابن اسحق
وغيره عن وهب بن منبه هو شمويل بن بالي وقال السدي هو شمعون وقال قتادة هو
يوشع بن نون **قال ابو محمد** وهذا قول ضعيف لان مدة داود هي بعد مدة موسى
بقرون من الناس ويوشع هو فتى موسى وكانت بنوا اسرائيل تغلب من حاربها وروي
انها كانت تضع التابوت الذي فيه السكينة والبقية في مارق الحرب فلا تزال تغلب
حتى عصوا وظهرت فيهم الاحداث وخالف ملوكهم الانبيا واتبعوا الشهوات
وقد كان الله تعالى اقام امورهم بان يكون انبياوهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما
ذكرناه سلط الله عليهم اماما من الكفرة فغلبوهم واخذ لهم التابوت في بعض الحروب
فذل امرهم وقال السدي كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما راوا انه
الاصطلام وذهاب الذكر انف بعضهم وتكلموا في امرهم حتى اجتمع ملاوهم على ان
قالوا لنبي الوقت ابعث لنا ملكا نقوم بامر القتال وكانت المملكة في سبط من اسباط
بني اسرائيل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي بالوحي انه ليس في بيت المملكة من يقوم بامر الحرب
ويسر الله لذلك طالوت وقرأ جمهور الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر
وقرأ الضحاك وابن ابي عبلة يقاتل بالياء ورفع الفعل فهو في موضع الصفة للملك واراد
النبي المذكور عليه السلام ان يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسبر ما عندهم
بقوله هل عسيتم وقرأ نافع عسيتم بكسر السين في الموضعين وفتح الباقون السين
قال ابو علي الاكثر فتح السين وهو المشهور ووجه الكسر قول العرب هو عس بذلك
عسيت وعسيت فان اسند الفعل الى ظاهر فقياس عسيتم ان يقال عسي زيد
مثل رضي فان قيل فهو القياس وان لم يقل فسايغ ان ياخذ باللغتين فتستعمل
احداهما في موضع الاخرى كما فعل ذلك في غيره ومعنى هذه المقالة هل انتم قريب
من التولي والفرار ان كتب عليكم القتال **قوله عز وجل** قالوا ومالنا الا

الا

الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال
تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين المعنى واي شي يجعلنا ان لا نقاتل وقد ثربنا
واخرجنا من ديارنا وقالوا هذه المقالة وان كان التاويل الحرج من حيث قد
لحرج من هو مثله وفي حكمه ثم اخبر الله تعالى عنهم انهم لما فرض عليهم القتال وراوا
الحقيقة ورجعت افكارهم الى مباشرة الحرب تولوا اي اضطربت نياتهم وفترت
عزايمهم وهذا شان الامم المتنعمة المائلة الى الدعة تتمنى الحرب اوقات الانفة
فاذا حضرت الحرب كعت وانقادت لطبعها وعن هذا المعنى نهى النبي عليه السلام
بقوله لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا ثم اخبر
الله عن قليل منهم انهم ثبتوا على النية الاولى واستمرت عزيمتهم على القتال في
سبيل الله ثم توعد الظالمين في لفظ الخبر الذي هو قليل منهم
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم قال وهب بن منبه انه لما قال الملا من بني اسرائيل لشمويل
بن بالي ما قالوا سال الله تعالى ان يبعث ملكا ويدله عليه فقال الله تعالى
انظر القرن الذي فيه الدهن الذي في بيتك فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي
في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن راسه منه وملكه عليهم قال وكان طالوت
رجلا دباغا وكان من سبط بنيامين بن يعقوب وكان سبطا لا نبوة فيه ولا
ملك فخرج طالوت في بغاء ابة له اضلها فقصد شمويل عسى ان يدعو له في امر
الدابة او يجد عنده فرجا فنش الدهن وهو دهن القدس
فيما يزعمون فقام اليه شمويل فاخذه ودهن منه راس طالوت وقال له انت ملك
بني اسرائيل الذي امرني الله بتقديمه ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا وطالوت اسم اعجمي معرب ولذلك لم ينصرف وقال السدي ان الله ارسل
الى شمويل عصا وقال له من دخل عليك من بني اسرائيل فكان على طول هذه العصا

فهو ملكهم فعتبر بها بنو اسرائيل فكانت تطول لهم حتى مر بهم طالوت في بغاء حماره
الذي كان يسقي عليه وكان رجلا سقا فدعوه فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال
لهم نبيهم ما قال ثم ان بني اسرائيل تعنتوا وحادوا عن امر الله تعالى وجروا على
سننهم فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه اي لانه ليس في بيت
ملك ولا سبقت له فيه سابقة ولم يؤت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال
حتى يغلب اهل الانفة بماله وترك القوم السبب الاقوى وهو قدر الله وقضاوه
السابق وانه مالك الملك فاحتج عليهم نبيهم عليه السلام بالحجة القاطعة وبين
لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت وانه بسطته في العلم وهو ملاك الانسان
والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء قال ابن عباس كان في بني
اسرائيل سبطان احدهما للنبوة والاخر للملك فلا يبعث نبي الا من الواحد
ولا ملك الا من الاخر فلما بعث طالوت من غير ذلك قالوا مقالتهم قال
مجاهد معنى الملك في هذه الاية الامرة على الجيش ولكنهم
قلقوا الان عادة من تولى الحرب وغلب ان يستمر ملكا واصطفى افتعل ماخوذ
من الصفوة وقرا نافع بصطة بالصاد وقرا ابو عمرو وابن كثير بسطة بالسين
والجمهور على ان العلم يراد به العموم في المعارف وقال بعض المتاولين المراد علم الحرب
واما جسمه فقال وهب بن منبه ان اطول رجل في بني اسرائيل كان يبلغ منكب
طالوت   والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم
نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة لما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجدالهم
في الحج تمم كلامه بالقطعي الذي لا اعتراض عليه وهو قوله والله يؤتي ملكه من يشاء
وظاهر اللفظ انه من قول النبي لهم وقد ذهب بعض المتاولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد
عليه السلام والاول اظهر واضيف ملك الدنيا الى الله تعالى اضافة مملوك الى مالك
وواسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شي واما قول النبي لهم ان آية ملكه فقال

الطبري ذهب الى ان بني اسرائيل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما آية ملك طالوت
وذلك على جهة سوال الدلالة على صدقه في قوله ان الله بعث   ويحتمل
ان نبيهم قال لهم على جهة   والتنبيه على هذه النعمة التي قرنها الله
بملك طالوت وجعلها آية له دون ان   بنو اسرائيل التكذيب لنبيهم وهذا
عندي اظهر من لفظ الاية وتاول الطبري اشبه باخلاق بني اسرائيل الذميمة فانهم
اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وحكى الطبري معناه عن ابن عباس وابن زيد والسدي
واختلف المفسرون في كيفية اتيان التابوت وكيف كان بدء امره فقال وهب
بن منبه كان التابوت عند بني اسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا
على التابوت وصار التابوت عند القوم الذين غلبوا فوضعوه في كنيسة لهم فيها
اصنام فكانت الاصنام تصبح منكسة فجعلوه في قرية قوم فاصاب اولئك
القوم اوجاع في اعناقهم وقيل جعل في مخراة قوم فكانوا يصيبهم الباسور فلما
عظم بلاوهم كيف كان قالوا ما هذا الا لهذا التابوت فلنرده الى بني
اسرائيل فاخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها ببقرتين فارسلوهما في
الارض نحو بلاد بني اسرائيل فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني
اسرائيل وهم في امر طالوت فايقنوا بالنصر وهذا هو حمل الملائكة للتابوت في
هذه الرواية وقال قتادة والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع
بن نون فجعله يوشع في البرية ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت وكان
امر التابوت مشهورا عندهم في بركته موسى فجعل الله الاتيان به آية لملك طالوت
وبعث ملائكة حملته الى بني اسرائيل فروي انهم راوا التابوت في الهوى ياتي حتى
نزل بينهم وروي ان الملائكة جاءت به تحمله حتى جعلته في دار طالوت فاستوسقت
بنو اسرائيل عند ذلك على طالوت وقال وهب ابن منبه كان قدر التابوت
نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرا زيد بن ثابت التابوه وهي لغته والناس
على قراءته بالتاء قال ابو محمد وكثر الرواة في قصص التابوت وصورته

حمله بالملائكة ان الاثنانه وجها اللين اسناده قوله عز وجل فيه سكينة من ربكم
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان
وروي عنه انه قال هي ريح خجوج ولها رأسان وقال مجاهد السكينة لها رأس
كرأس الهرة وجناحان وذنب وقال ابن اقبلت السكينة والصرد وجبريل مع ابرهيم
من الشام وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل السكينة رأس هرة ميتة
كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ الهر ايقنوا بالنصر وقال ابن عباس السكينة
طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال السدي وقال وهب
بن منبه السكينة روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شي اخبرهم ببيان ما يريدون
وقال عطاء بن ابي رباح السكينة ما تعرفون من الآيات فتسكنون اليها وقال الربيع
بن انس سكينة من ربكم رحمة من ربكم وقال قتادة سكينة من ربكم اي وقار لكم من ربكم
قال ابو محمد والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاضلة من بقايا الانبياء وآثارهم فكانت
النفوس تسكن الى ذلك وتانس به وتقوى فالمعهود ان الله ينصر الحق والامور الفاضلة
عنده والسكينة على هذا فعيلة ماخوذة من السكون كما تقول عزم عزيمة وقطع
قطيعة واختلف المفسرون في البقية ما هي فقال ابن عباس هي عصى موسى وامور
من التوراة وقال عكرمة هي التوراة والعصا ورضاض الالواح قال ابو محمد
ومعنى هذا ما روي ان موسى لما جاء قومه بالالواح فوجدهم قد عبدوا العجل القى
الالواح غضبا فتكسرت فنزع منها ما بقي صحيحا واخذ رضاض ما تكسر فجعل
في التابوت وقال ابو صالح البقية عصى موسى وعصا هرون ولوحان من التوراة
والمن وقال عطية بن سعد هي عصا موسى وعصا هرون وثيابهما ورضاض الالواح
وقال الثوري من الناس من يقول البقية قفيز من رضاض الالواح ومنهم من يقول
العصا والنعلان وقال الضحاك البقية الجهاد وقتال الاعداء قال ابو محمد
اي الامر بذلك في التابوت اما انه مكتوب فيه واما ان نفس الاتيان به هو كالامر

بذلك

بذلك واسند الترك الى آل موسى وهرون من حيث كان الامر مندرجا من قوم الى
قوم وكلهم آل موسى وآل هرون وآل الرجل اتباعه وقال ابن عباس والسدي
وابن زيد حملت الملائكة هو سوقها التابوت دون شي يحمله سواها والارض وقال
وهب بن منبه والثوري عن بعض اشياخهم حملها اياه سوقها الثورين او البقرتين
اللتين جرتا العجلة ثم قرر تعالى ان مجي التابوت آية لهم ان كانوا ممن يؤمن ويبصر بعين
حقيقة قوله عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن
شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه
الا قليلا منهم قبل هذه الآية متروك من اللفظ يدل معنى ما ذكر عليه
وهو فاتفق بنو اسرائيل على طالوت ملكا واذعنوا وتهيئوا للغزو فعدوهم
فلما فصل ونصي معناه خرج بهم من القطر وفصل حال السفر من حال الاقامة
قال السدي وغيره كانوا ثمانين الفا قال ابو محمد ولا محالة انهم كان فيهم
المؤمن والمنافق والمجد والكسلان وقال وهب بن منبه لم يتخلف عنه الا ذو عذر
من صغر او كبر او مرض واختلف المفسرون في النهر فقال وهب بن منبه لما
فصل طالوت قالوا له ان المياه لا تحملنا فادع الله يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت
ان الله مبتليكم الآية وقال قتادة النهر الذي ابتلاهم الله به هو نهر بين الاردن
وفلسطين وقرأ جمهور القراء بنهر بفتح الهاء وقرأ مجاهد وحميد الاعرج وابو السمال
وغيرهم بنهر باسكان الهاء في جميع القرآن ومعنى هذا الابتلاء انه اختبار لهم فمن
ظهرت طاعته في ترك الماء علم انه يطيع فيما عدا ذلك ومن غلبت شهوته في الماء
وعصى الامر فهو بالعصيان في الشدائد احرى وروي انهم اتوا النهر وهم قد نالهم
عطش وهو في غاية العذوبة والحسن ولذلك رخص للمطيعين في الغرفة ليرتفع عنهم
اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال الى الاعتراف
بالايدي لنظافته وسهولته وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاكف
انظف الآنية ظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم هو ان ذلك بوحي الى النبي

والاخبار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله طالوت فجرب
به جنده وجعل الالهام ابتلاء من الله لهم وهذه النزعة واجب ان تقع من كل
متولي حرب فليس يحارب الا بالجند المطيع ومنه قول معوية علي في اخبث جند
واعصاه وانا في اصح جند واطوعه ومنه قول علي رضي الله عنه افسدتم علي رايي بالعصيان
ومن ان الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شظف العيش الذين همهم
في غير الرفاهية كما قال **عروة** واحسو قراح الماء والماء بارد فيشبه
ان طالوت اراد تجربة القوم وقد ذهب قوم الى ان عبد الله بن حذافة السهمي
صاحب النبي عليه السلام انما امر اصحابه بايقاد النار والدخول فيها تجربة
لطاعتهم لكنه حمله مزاحه على تخشين الامر الذي كلفهم **وقوله** فليس مني اي
ليس من اصحابي في هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي
عليه السلام من غشنا فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا وليس منا من شق
الجيوب ولطم الخدود وفي قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق
يدخل في لفظ الطعم فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب
الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرب منه وقرا ابو عمرو ونافع وابن كثير
غرفة بفتح الغين وهذا على تعدية الفعل الى المصدر والمفعول محذوف والمعنى الا من
اغترف ماء غرفة وقرا الباقون غرفة بضم الغين وعلى هذا تعدية الفعل الى المفعول
به لان الغرفة هي العين المغترفة فهذا بمنزلة الا من اغترف ماء وكان ابو علي يرجح
ضم الغين ورجحه الطبري ايضا من جهة ان غرفة بالفتح انما هو مصدر على غير اغترف
ثم اخبر تعالى عنهم ان الاكثر شرب وخالف ما اريد منه وروي عن ابن عباس
وقتادة وغيرهما ان القوم شربوا على قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون
دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المومنين لم يشرب شيا
واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برح به العطش واما من ترك الما
فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة **قوله عز وجل** فلما جاوزه هو

والذين

والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
جاوز فاعل من جاز يجوز وهي مفاعلة من اثنين في كل موضع لان النهر وما اشبهه
كانه يجاوز واختلف الناس في الذين امنوا معه كم كانوا فقال البراء بن عازب كنا
نتحدث ان عدة اهل بدر كعدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ثلثمائة
وبضعة عشر رجلا وفي رواية وثلثة عشر رجلا وما جاز معه الا مومن وقال قتادة
ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر انتم بعدة اصحاب
طالوت وقال السدي وابن عباس بل جاز معه اربعة الاف رجل قال ابن عباس فيهم
من شرب فلما نظروا الى جالوت وجنوده قالوا لا طاقة لنا اليوم ورجع
منهم ثلثة الاف وستمائة وبضعة وثمانون هذا نص قول السدي ومعنى قول
ابن عباس فعلى القول الاول قالت الجملة لا طاقة لنا على جهة استكثار العدو
فقال اهل البصيرة منهم والتصميم والاستنانة كم من فئة قليلة الاية وظن
لقاء الله على هذا القول حسن ان يكون ظنا على بابه اي يظنون انهم يستشهدون
في ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال كما جرى لعبد الله بن حرام في احد ولغيره
وعلى القول الثاني قال كثير من العلماء الا اربعة الالاف لا طاقة لنا على جهة
الفشل والفزع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المومنون الموقنون بالبعث
والرجوع الى الله وهم عدة اهل بدر كم من فئة والظن على هذا بمعنى اليقين
وهو فيما لم يقع بعد ولا خرج الى الحس **قال ابو محمد** وما روي عن ابن عباس
من ان الاربعة الالاف شربت يرد عليه قوله تعالى والذين امنوا معه
واكثر المفسرين على انه انما جاز النهر من لم يشرب الا غرفة ومن لم يشرب جملة
ثم كانت بصائر هولاء مختلفة فبعض كع وقليل صمم وقرا ابي بن
كعب وكاين من فية والفية الجماعة التي يرجع اليها في الشدائد من قولهم
فايت راسه اذا رجعت وقد يكون الرجل الواحد فية تشبيها والملك فية الناس

والحبل فيه والحصن كل ذلك تشبيه وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الاية
تحريض بالمثال وحض واستشعار الصبر واقتداء بمن صدق ربه واذن الله هنا
تمكينه وعلمه مجموع ذلك هو الاذن والله مع الصابرين بنصره وتاييده قوله عز
وجل ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك
والحكمة وعلمه مما يشاء برزوا معناه صاروا الى البراز وهو الافسح من الارض
المتسع وطالوت اسم اعجمي معرف والافراغ اعظم الصب كانه يتضمن عموم المفرغ
عليه والهزم اصله ان يضرب الشي فيدخل بعضه في بعض وكذلك الحبس الذي
يرد بركب بردعة ثم قيل في معنى الغلبة هزم وكان جالوت امير العمالقة وملكهم
وكان فيما روي في ثلثمائة الف فارس وروي في قصة داود وقتله جالوت ان
اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داود وهم بنو ايشي وكان داود صغيرا يرعى غنما
لابيه فلما حضرت الحرب قال في نفسه لاذهبن لرؤية هذه الحرب فلما نهض مر
في طريقه بحجر فناداه يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر اخر ثم اخر
فاخذها وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر الناس خرج جالوت يطلب مبارزا
فكع الناس عنه حتى قال طالوت من يبرز اليه ويقتله فانا ازوجه بنتي واحكمه في
مالي فجاء داود فقال انا ابرز اليه واقتله فقال له طالوت فاركب فرسي وخذ سلاحي
ففعل وخرج في احسن شكه فلما مشى قليلا رجع فقال الناس جبن الفتى فقال
داود ان الله لم يقتله لي ويعني عليه لم ينفعني هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكني
احب ان اقاتله على عادتي قال وكان داود من ارمى الناس بالمقلاع فنزل واخذ مخلاته
فتقلدها واخذ مقلاعه وخرج الى جالوت وهو شاك في سلاحه فقال له
جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا كما تخرج الى الكلب قال نعم وانت
اهون قال لاطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ثم تدانيا وادار داود مقلاعه
وادخل يده الى الحجارة فروي انها التامت فصارت واحدا فوضعه في

المقلاع

المقلاع وسمى الله وادارة ورماه فاصاب به راس جالوت فقتله وحز راسه
وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة ثم ان
داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان بنات الملوك لهن غرايب من المهر ولا
بد لك من قتل مايتين من هولاء الجراجمة الذين يوذون الناس وتجيئني بغلفهم وطمع طالوت
ان يعرض داود للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم مايتين وجاء بذلك وطلب
امراته فدفعها اليه وعظم امر داود وروي ان طالوت تخلى له عن الملك وصار هو الملك
ويروي ان بني اسرائيل غلبت طالوت على ذلك بسبب ان داود قتل جالوت
وكان سبب الفتح وروي ان طالوت لخاف داود حتى هرب منه فكان في جبل
الى ان مات طالوت فذهبت بنو اسرائيل الى داود فملكته امرها وروي ان
نبي الله شمويل اوحى الله اليه ان يذهب الى ايشي ويسله ان يعرض عليه بنيه فيدهن
الذي يشار اليه بدهن القدس ويجعله ملك بني اسرائيل والله اعلم اي ذلك كان
غير انه يقطع من الفاظ الاية على ان داود صار ملك بني اسرائيل ومما روي في صدر
هذه القصة ان داود كان يسير في مطبخه طالوت ثم كلمه حجر فاخذه فكان
سبب قتله جالوت وملكته وقرا الناس في قصص هذه الاية وذلك كله
لين الاسانيد فلذلك اسقطت منه ما ينفك به الاية ويعلم به مسائل النازلة
واختصرت سائر ذلك واما الحكمة التي اتاه الله فهي النبوة والزبور وقال
السدي اتاه ملك طالوت ونبوة شمعون والذي علمه صنعة الدروع ومنطق
الطير وغير ذلك من انواع علمه صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على
العالمين تلك ايات الله نتلوها عليك وانك لمن المرسلين اخبر الله تعالى
في هذه الاية انه لولا دفعه بالمومنين في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت
الارض لان الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع اقطارها ولكنه تعالى لا يخلي
الزمن من قائم بحق وداع الى الله ومقاتل عليه الى ان جعل ذلك في امة محمد عليه السلام

الى قيام الساعة له الحمد كثيرا قال مكي واكثر المفسرين على ان المعنى لولا ان الله
يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لاهلك الناس بذنوبهم [قال ابو محمد]
وليس هذا معنى الاية ولا هي منه في ورد ولا صدر والحديث الذي روي عن
ابن عمر صحيح وما ذكر مكي من احتجاج ابن عمر عليه بالاية لا يصح عندي لان ابن عمر من
الفصحاء وقرا ابن عمرو وابن كثير ولولا دفع الله وان الله يدافع هذه قراءتهما والدفاع
يحتمل ان يكون مصدر دفع ككتب كتابا ولقي لقاء ويحتمل ان يكون مصدر
دافع كقاتل قتالا والاشارة بتلك الى ما سلف من القصص والانباء في
هذه القصة جملتها مثال عظيم للمومنين ومعتبر وقد كان اصحاب محمد معدين
لحرب الكفار فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله
وغير ذلك من وجوه العبرة **قوله عز وجل** تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم
البينات وايدناه بروح القدس تلك رفع بالابتداء والرسل خبره ويجوز ان
يكون الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة مونثة اللفظ
ونص الله في هذه الاية على تفضيل بعض الانبيا على بعض وذلك في الجملة دون تعيين
مفضول وهكذا هي الاحاديث عن النبي عليه السلام فانه قال انا سيد ولد
ادم وقال لا تفضلوني على موسى وقال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس ابن متى
وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول لان يونس عليه السلام كان شابا وتفسخ
تحت اعباء النبوة فاذا كان هذا التوقف في محمد وابرهيم ونوح فغيره
احرى فربط الباب ان التفضيل فيهم على غير تعيين المفضول وقد قال ابو هريرة خير ولد
ادم نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم اولوا العزم والمكلم موسى صلى
الله عليه وسلم وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادم انبي مرسل هو فقال
نعم نبي مكلم وقد تاول بعض الناس ان تكليم ادم كان في الجنة
فعلى هذا تبقى خاصة موسى **وقوله تعالى** ورفع بعضهم درجات قال مجاهد

وغيره

وغيره هي اشارة الى محمد عليه السلام لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس
التي لم يعطها احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوات الى غير
ذلك من الخلق العظيم الذي اعطاه الله ومن معجزاته وباهر اياته ويحتمل اللفظ
ان يراد به محمد او غيره ممن عظمت اياته ويكون الكلام تاكيدا للاول ويحتمل
ان يريد رفع ادريس المكان العلي ومراتب الانبيا في السما فتكون الدرجات في
المسافة وسمي التفضيل مدلولا في صدر الاية فقط وبينات عيسى عليه السلام
هي احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وروح القدس جبريل
عليه السلام وقد تقدم ما قال العلما فيه **قوله عز وجل** ولو شا الله ما
اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن
ومنهم من كفر ولو شا الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ظاهر اللفظ في
قوله من بعدهم يعطي انه اراد القوم الذين جاوا من بعد جميع الرسل وليس كذلك
المعنى بل المراد ما اقتتل الناس بعد كل نبي فلف الكلام لفا يفهمه السامع وهذا كما
تقول اشتريت خيلا ثم بعتها فجايز لك هذه العبارة وانت انما اشتريت
فرسا ثم بعته ثم اخر وبعته وكذلك هذه النوازل انما اختلف الناس بعد كل
نبي فمنهم من امن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام الدنيا وذلك كله
بقضا وقدر وارادة من الله تعالى ولو شا خلاف ذلك لكان ولكنه المستاثر بسر
الحكمة لذلك الفعال لما يريد فاقتتلوا امار قابل المومنين الكافرين على مر الدهر
وذلك هو دفع الله الناس بعضهم ببعض **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا
انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون
هم الظالمون قال ابن جريج هذه الاية تجمع الزكاة والتطوع وهذا كلام صحيح
فالزكاة واجبة والتطوع مندوب اليه وظاهر هذه الاية انها مراد بها جميع
وجوه البر من سبيل وصلة رحم ولكن ما تقدم من الايات في ذكر القتال
وان الله يدفع بالمومنين في صدور الكافرين يترجح منه ان هذا الندب انما هو

في سبيل الله ويقوي ذلك قوله في اخر الاية والكافرون هم الظالمون اي فكافحوهم
بالقتال بالانفس وانفاق الاموال وندب الله تعالى بهذه الاية الى انفاق شي مما انعم
به وهذه غاية التفضل فقوله وقوله وحذر تعالى من الامساك الى ان يجي يوم
لا يمكن فيه بيع ولا شرى ولا استدراك نفقة في ذات الله اذ هي مبايعة على ما قد
فسرناه في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله اذ الشي قد يلان المرء يشتري
نفسه ومراده بماله فكان معنى الاية معنى سائر الاي التي تتضمن الاخبار بان يوم القيمة
واخبر الله تعالى بعدم الخلة يوم القيمة والمعنى خلة نافعة يقتضي المساهمة كما
كانت في الدنيا واهل التقوى بينهم في ذلك اليوم خلة ولكنها غير محتاج اليها
وخلة غيرهم لا تغني من الله شيا واخبر تعالى ان الشفاعة ايضا معدومة
في ذلك اليوم فحمل الطبري ذلك على عموم اللفظ وخصوص المعنى وان المراد ولا شفاعة
للكفار وهذا لا يحتاج اليه بل الشفاعة المعروفة في الدنيا وهي ابتداء الشافع
بكلمة على كره المشفوع عنده من تقع يوم القيمة البتة وانما توجد شفاعة
باذن الله تعالى فحقيقتها رحمة من الله تعالى لكنه شرف الذي اذن له في ان يشفع واما
المعدوم مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة وقرا ابن كثير وابو عمرو لا
بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالنصب في كل ذلك بلا تنوين وكذلك في سورة
ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرا الباقون جميع ذلك
بالرفع والتنوين والظالمون واضعوا الشي في غير موضعه وقال عطا بن دينار الحمد لله
الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون **قوله عز وجل** الله
لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم هذه سيدة
اي القران ورد ذلك في الحديث وورد انها تعدل ثلث القران وورد ان من قراها
اول الليل لم يقربه شيطان وكذلك من قراها اول نهاره وهذه متضمنة التوحيد
والصفات العلى والله مبتدا ولا اله مبتدا ثان وخبره محذوف تقديره

معبود

معبود او موجود والا هو بدل من موضع لا اله والحي صفة من صفات الله
صفات الله تعالى ذاتية وذكر الطبري عن قوم انهم قالوا الله تعالى حي لا بحياة
وهذا قول المعتزلة وهو قول مرغوب عنه وحكى عن قوم انه حي بحياة هي صفة
له وحكى عن قوم انه حي كما وصف نفسه ويسلم ذلك دون ان ينظر فيه والقيوم
فيعول من القيام اصله قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون
فادغمت الاولى في الثانية بعد قلب الواو ياء وقيوم بناء مبالغة اي هو القايم على كل
امر بما يجب له وبهذا المعنى فسره مجاهد والربيع والضحاك وقرا ابن مسعود
وعلقمة وابرهيم النخعي والاعمش الحي القيام بالالف ثم نفى عز وجل ان تاخذه سنة
او نوم وفي لفظ الاخذ غلبة ما ولذلك حسنت في هذا الموضع بالنفي والسنة
بدء النعاس وهو فتور يعتري الانسان وترنيق في عينيه وليس يفقد معه
كل ذهنه والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن والمراد بهذه الاية
ان الله تعالى لا يدركه افة ولا تلحقه خلل بحال من الاحوال فجعلت هذه مثالا
لذلك واقيم هذا المذكور من الافات مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب
كما قال تعالى ولا تقل لهما اف ومما يفرق بين الوسن والنوم **قول عدي بن الرقاع**
وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم ؞ وهذا المعنى
في السنة فسره الضحاك والسدي وقال ابن عباس وغيره السنة النعاس
وقال ابن زيد الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل حتى ربما جرد السيف
على اهله **قال ابو محمد** وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر وليس ذلك بمفهوم من
كلام العرب وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى
على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله عز وجل فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا
ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة وامره ان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد
يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت
يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله مثلا ان لو كان ينام لم يستمسك السما

والأرض وقوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض أي بالملك فهو مالك
الجميع وربه وجاءت العبارة بما وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود
ثم قرر ووقف تعالى على من يتعاطى أن يشفع عنده أو يتعاطى ذلك فيه إلا بإذنه في
ذلك لا إله إلا هو وقال الطبري هذه الآية نزلت لما قال الكفار ما نعبد أوثاننا هذه
إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله له ما في السموات وما في الأرض الآية وتقرر في
هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء وغيرهم والإذن
هنا راجع إلى الأمر فيما نص عليه لمحمد صلى الله عليه وسلم إذ قيل له واشفع تشفع
وإلى العلم والتمكين أن يشفع أحد من الأنبياء والعلماء قبل أن يؤمر والذي يظهر أن
العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين أو وصل ولكن
له أعمال صالحة وفي البخاري في باب بقية من باب الرؤية أن المؤمنين يقولون ربنا
إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعطون معنا فهذه شفاعة من يقرب
أمره وكما يشفع الطفل المحبنطي على باب الجنة الحديث وهذا إنما هو في قراباتهم
ومعارفهم وأن الأنبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أممهم بذنوب دون قربى
ولا معرفة إلا بنفس الإيمان ثم تبقى شفاعة رب العالمين أرحم الراحمين في المستغرقين
بالذنوب الذين لم تنلهم شفاعة الأنبياء وأما شفاعة محمد عليه السلام في تعجيل
الحساب وهي الخامسة التي في قوله وأعطيت الشفاعة وهي عامة للناس والقصد
منها إراحة المؤمنين وتعجيل الكفار لتهيأ المصير إلى العذاب وكذلك إنما يطلبها
إلى الأنبياء المؤمنون والضمير في قوله أيديهم وما خلفهم عائد على كل من يعقل ممن تضمنه
قوله له ما في السموات وما في الأرض وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا وما خلفهم
الآخرة وهذا أصح في نفسه عند موت الإنسان لأن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإنسان
وما خلفه هو كل ما يأتي بعده وبنحو قول ابن مجاهد قال السدي وغيره قوله عز وجل
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما
وهو العلي العظيم قوله ولا يحيطون بشيء من علمه معناه من معلوماته وهذا القول

الخضر

الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور من حرف السفينة ما نقص علمي وعلمك
من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر فهذا وما شاكله راجع إلى المعلوم
لأن علم الله تعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض ومعنى الآية لا معلوم لأحد إلا ما
شاء الله أن يعلمه به واختلف الناس في الكرسي الذي وصفه تعالى بأنه وسع السموات
والأرض فقال ابن عباس كرسيه علمه ورجحه الطبري وقال منه الكراسة للصحائف
التي تضم العلم ومنه قيل للعلماء الكراسي لأنهم المعتمد عليهم كما يقال أوتاد الأرض
قال أبو محمد وهذه الألفاظ تعطي نقض ما ذهب إليه من أن الكرسي العلم قال
الطبري ومنه قول الشاعر يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين
تنوب يريد بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها وقال أبو موسى الأشعري
الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل وقال السدي هو موضع قدميه
قال أبو محمد وعبارة أبي موسى مخلصة لأنه يريد هو من عرش الرحمن كموضع
القدمين في أسرة الملوك فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش فنسبته إليه نسبة
الكرسي إلى سرير الملك والكرسي هو موضع القدمين وأما عبارة السدي فقلقة
وقد مال إليها منذر البلوطي وتأولها بمعنى ما تقدم من المخلوقات على نحو ما تؤول
في قول النبي عليه السلام حتى يضع الجبار فيها قدمه قال أبو محمد وهذا عندي
عنا لأن التأويل لا يضطر إليه إلا في ألفاظ النبي عليه السلام وفي كتاب الله وأما
في عبارة مفسر فلا وقال الحسن ابن أبي الحسن الكرسي هو العرش نفسه قال أبو محمد
والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق قائم بين يدي العرش والعرش أعظم
منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي
إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض
وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله والمستفاد من ذلك عظم قدرته
إذ لا يؤوده حفظ هذا الأمر العظيم ويؤوده معناه يثقله يقال آدني

الشيء بمعنى أثقلني وحملت منه مشقة وهكذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن
وقتادة وغيرهم وروي عن الزهري وأبي جعفر والأعرج خلاف عنهم تخفيف الهمزة
التي على الواو الأولى جعلوها بين بين كالخلص وأولى مضمومة ولا همزة مخففة كما
قيل في لؤم لوم والعلي يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزه
عن التحيز وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن
خلقه قال أبو محمد وهذا قول جهلة مجسمين وكان الوجه أن لا يحكى وكذا
العظيم هي صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا بمعنى عظم الأجرام وحكى الطبري عن
قوم أن العظيم معناه المعظم كما يقال العتيق معناه المعتق وأنشد بيت الأعشى
وكأن الخمر العتيق من الإسفنط ممزوجة بماء زلال وذكر عن قوم أنهم أنكروا
ذلك وقالوا لو كان بمعنى معظم لوجب أن لا يكون عظيما قبل أن يخلق الخلق وبعد فنائهم
إذ لا معظم له حينئذ قوله عز وجل لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله
سميع عليم الدين في هذه الآية المعتقد والملة بقرينة قوله قد تبين الرشد من الغي
والإكراه الذي في الأحكام من الأيمان والبيوع والهبات وغير ذلك ليس هذا موضعه
وإنما يجيء في تفسير قوله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فإذا تقرر أن الإكراه
المنفي هنا هو في تفسير المعتقد من الملل والنحل فاختلف الناس في معنى الآية فقال
الزهري سألت زيد بن أسلم عن قوله تعالى لا إكراه في الدين فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوهم فاستأذن
الله في قتالهم فأذن له قال الطبري والآية منسوخة في هذا القول قال أبو
محمد ويلزم على هذا القول أن الآية مكية وأنها من آيات الموادعة التي نسختها آية
السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه الآية محكمة خاصة في أهل الكتاب
الذين يبذلون الجزية ويؤدونها عن يد صغرة قالا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يقاتل العرب أهل الأوثان لا يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم

أن

أن يقبل الجزية ونزلت فيهم لا إكراه في الدين قال أبو محمد وعلى مذهب مالك
أن الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش أي نوع كان فتجيء الآية خاصة فيمن أعطى
الجزية من الناس كلهم لا يقف ذلك على أهل الكتاب كما قال قتادة والضحاك وقال
ابن عباس وسعيد بن جبير إنما نزلت هذه الآية في قوم من الأوس والخزرج كانت
المرأة تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فكانت تجعل على نفسها إن جاءت بولد أن تهوده فكان
في بني النضير جماعة على هذا النحو فلما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قالت
الأنصار كيف نصنع بأبنائنا إنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن
عليه وأما إذ جاء الله بالإسلام فنكرههم عليه فنزلت لا إكراه في الدين
الآية وقال بهذا القول عامر الشعبي ومجاهد إلا أنه قال كان سبب كونهم في
بني النضير الاسترضاع وقال السدي نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له أبو
حصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا
الرجوع أتاهم ابنا أبي حصين فدعوهم إلى النصرانية فتنصروا ومضيا معهم إلى الشام
فأتى أبوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتكيا أمرهما ورغب في أن يبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم من يردهما فنزلت لا إكراه في الدين ولم يؤمر يومئذ بقتال
أهل الكتاب وقال أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله جل ثناؤه فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية ثم نسخ لا إكراه في الدين فأمر بقتال
أهل الكتاب في سورة براءة قال أبو محمد والصحيح في سبب قوله تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حديث الزبير مع جاره الأنصاري في السقي وقوله تعالى قد تبين الرشد
من الغي معناه بنصب الأدلة ووجود الرسول الداعي إلى الله والآيات المنيرة والرشد
مصدر من قولك رشد بكسر الشين وضمها يرشد رشدا ورشدا ورشادا والغي
مصدر من غوى يغوي إذا ضل في معتقد أو رأي ولا يقال الغي في الضلال على الإطلاق
وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي الرشاد بالألف وقرأ الحسن والشعبي ومجاهد الرشد

بفتح الراء والشين وروي عن الحسن الرُّشُد بضم الراء والشين والطاغوت بناء مبالغة
من طغى يطغى وحكى الطبري يطغو إذا جاوز الحد بزيادة عليه ووزنه فعلوت ومذهب
سيبويه أنه اسم مفرد كأنه اسم جنس يقع للكثير والقليل ومذهب أبي علي أنه
مصدر كرهبوت وجبروت وهو يوصف به الواحد والجمع قلبت لامه إلى
موضع العين وعينه موضع اللام فقيل طاغوت وقال المبرد هو جمع وذلك
مردود واختلف المفسرون في معنى الطاغوت فقال عمر بن الخطاب ومجاهد
والشعبي والضحاك وقتادة والسدي الطاغوت الشيطان وقال ابن سيرين
وأبو العالية الطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير ورفيع وجابر بن عبد الله
وابن جريج الطاغوت الكاهن قال أبو محمد وبيّن أن هذه أمثلة في الطاغوت لأن
كل واحد منها له طغيان والشيطان أصل ذلك كله وقال قوم الطاغوت
الأصنام وقد قال بعض العلماء كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت قال أبو محمد
وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمرود ونحوه وأما
من لا يرضى ذلك كعزير وعيسى عليهما السلام ومن لا يعقل كالأوثان فسميت
طاغوتا في حق العبدة وذلك مجاز إذ هي سبب الطاغوت الذي يأمر بذلك ويحسنه
وهو الشيطان وقدم تعالى ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب
الكفر بالطاغوت والعروة في الأجرام هي موضع الإمساك وشد الأيدي والاستمساك
معناه قبض وتشديد والوثقى فعلى من الوثاقة وهذه الآية تشبيه واختلف
المفسرون في الشيء المشبه بالعروة فقال مجاهد العروة الإيمان وقال السدي
الإسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك العروة لا إله إلا الله قال أبو محمد
وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد والانفصام الانكسار من غير بينونة وإذا
نفي ذلك فلا بينونة بوجه والقصم كسر ببينونة وإذا انتفى ذلك فلا بينونة بوجه
وقد يجيء الفصم بالفاء في معنى البينونة ومن ذلك قول ذي الرمة
كأنه دملج من فضة نبه في ملعب من عذارى الحي مفصوم ... ولما كان الكفر

بالطاغوت

بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في
الصفات تشبيه من أجل النطق وعليم من أجل المعتقد قوله عز وجل الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون الولي
فعيل من ولي الشيء إذا جاوره ولزمه فإذا لازم أحد أحدا بنصره ووده
واهتباله فهو وليه هذا عرفه في اللغة قال قتادة الظلمات الضلالة والنور
الهدى وبمعناه قال الضحاك والربيع وقال مجاهد وعبدة بن أبي لبابة
إن قوله الله ولي الذين آمنوا نزلت في قوم آمنوا بعيسى فلما جاء محمد عليه السلام
كفروا به فذلك إخراجهم من النور إلى الظلمات قال أبو محمد فكأن هذا
القول أحرز نورا في المعتقد خرج منه إلى الظلمات ولفظ الآية مستغن
عن هذا التخصيص بل هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب ومترتب
في الناس جميعها وذلك أن من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمة الكفر
إلى نور الإيمان ومن كفر بعد وجود الداعي النبي المرسل فشيطانه ومغويه
كأنه أخرجه من الإيمان إذ هو معد وأهل للدخول فيه وهذا كما تقول لمن منعك
الدخول في أمر ما أخرجتني يا فلان من هذا الأمر وإن كنت لم تدخل فيه البتة
ولفظة الطاغوت في هذه الآية تقتضي أنه اسم جنس ولذلك قال أولياؤهم
بالجمع إذ هي أنواع وقرأ الحسن بن أبي الحسن أولياؤهم الطواغيت يعني الشياطين
وحكم عليهم بالخلود في النار لكفرهم قوله عز وجل ألم تر إلى الذي
حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال
أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ألم تر تنبيه وهي رؤية القلب
وقرأ علي بن أبي طالب ألم تر بجزم الراء والذي حاج إبراهيم هو نمرود بن كنعان بن
كوش بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة هذا قول مجاهد

وقتادة والربيع والسدي وابن اسحق وزيد بن اسلم وغيرهم وقال ابن جريج
هو اول ملك في الارض قال ابو محمد وهذا مردود وقال قتادة هو اول من تجبر
وهو صاحب الصرح ببابل وقيل انه ملك الدنيا باجمعها وتعرف فيها طينته
وهو احد الكافرين والاخر بخت نصر وقيل ان الذي حاج ابرهيم نمرود بن فالخ بن
عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام وفي قصص هذه المحاجة روايتان احداهما
ذكر زيد بن اسلم ان النمرود هذا قعد يامر الناس بالميرة فكلما جا قوم قال من
ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجا ابرهيم عليه السلام يمتار
فقال له من ربك والهك قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت فلما سمعها نمرود قال
انا احيي واميت فعارضه ابرهيم بامر الشمس فبهت الذي كفر وقال لا
تميروه فرجع ابرهيم الى اهله دون شي فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال لو ملات
غرارتي من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر لهما فذهب بذلك فلما بلغ
منزله فرح الصبيان وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الاعيا فقالت امراته
لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه ففتحت احدى الغرارتين فوجدت
احسن ما يكون من الحوارى فخبزته فلما قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا
فقالت من الدقيق الذي سقت فعلم ابرهيم ان الله تعالى يسر لهم ذلك وقال
الربيع وغيره في هذا القصص ان النمرود لما قال انا احيي واميت احضر رجلين
فقتل احدهما وارسل الاخر وقال قد احييت هذا وامت هذا فلما رد عليه
بامر الشمس بهت والرواية الاخرى ذكر السدي انه لما خرج ابرهيم من النار
ادخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال ربي الذي
يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت انا اخذ اربعة نفر فادخلهم بيتا ولا
يطعمون شيا ولا يسقون حتى اذا جاعوا اخرجتهم فاطعمت اثنين فحييا وتركت اثنين
فماتا فعارضه ابرهيم بالشمس فبهت وذكر الاصوليون في هذه الاية ان ابرهيم
عليه السلام وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الاحيا والاماتة لكنه امر له

حقيقة

حقيقة ومجاز فقصد الخليل عليه السلام الحقيقة ففزع نمرود الى المجاز وموه
به على قومه فسلم له ابرهيم تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاءه بامر لا مجاز
فيه فبهت الذي كفر ولم يمكنه ان يقول انا الاتي بها من المشرق لان ذوي
الاسنان يكذبونه وقوله حاج وزنه فاعل من الحجة اي جاذبه اياها والضمير
في ربه يحتمل ان يعود على ابرهيم عليه السلام ويحتمل ان يعود على الذي حاج وان
مفعول من اجله والضمير في اتاه لنمرود وهذا قول جمهور المفسرين وقال المهدوي
ويحتمل ان يعود الضمير على ابرهيم ان اتاه ملك النبوة وهذا تحامل من التاويل
وقرا جمهور القراء انا احيي بطرح الالف التي بعد النون في انا اذا وصلوا في كل
القران غير نافع وابن ابي اويس وقالون رووا اثباتها في الوصل اذا لقيتها همزة
في كل القران مثل انا احيي انا اول الا في قوله تعالى ان انا الا نذير فانه يطرحها
في هذا الموضع مثل ساير القراء وتابع اصحابه في حذفها عند غير همزة قال ابو علي
ضمير المتكلم الاسم فيه الهمزة والنون ثم ان الالف يلحق في الوقف كما تلحق الهاء
احيانا في الوقف فاذا اتصلت الكلمة التي هي فيها بشي سقطت الالف لكن
هذه الالف وهي مثل الف حيهلا قال ابو محمد وهذا مثال الالف التي
تلحق في القوافي فتامل قال ابو علي فاذا اتصلت الكلمة بشي سقطت الالف لان
الشي الذي تتصل به الكلمة يقوم مقام الالف وقد جاءت الالف مثبتة في
الوصل في الشعر من ذلك قول الشاعر   انا سيف العشيرة فاعرفوني
حميدا قد تذريت السناما   وقرا الجمهور فبهت الذي بضم الباء وكسر الهاء
يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة قال ابن سيده ويقال في
هذا المعنى بهت بفتح الباء وكسر الهاء وبهت بفتح الباء وضم الهاء قال الطبري
وحكي عن بعض العرب في هذا المعنى بهت بفتح الباء والهاء قال ابو محمد هكذا
ضبطت اللفظة في نسخة بن ملوك دون تقييد بفتح الباء والها قال ابن جني
قرا ابو حيوة فبهت بفتح الباء وضم الهاء وهي لغة في بهت بكسر الها قال وقرا ابن

ابن السميفع فبهت بفتح الباء والهاء على معنى فبهت ابرهيم الذي كفر فالذي في
موضع نصب قال ويجوز ان يكون بهت بفتحها لغة في بهت قال وحكى ابو الحسن
الاخفش قراءة فبهت بكسر الهاء كخرق ودهش قال والاكثر بالضم في الهاء قال ابن
جني يعني ان الضم يكون للمبالغة **قال ابو محمد** وقد تاول قوم في قراءة من قرا فبهت
بفتحها انه بمعنى سب وقذف وان نمرود هو الذي سب ابرهيم حين انقطع ولم تكن
له حيلة **وقوله تعالى** والله لا يهدي القوم الظالمين اخبار لمحمد عليه السلام وامته
والمعنى لا يرشدهم في حججهم على ظلمهم لانه لا هدى في الظلم فظاهره العموم ومعناه
الخصوص كما ذكرنا لان الله قد يهدي الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان ويحتمل
ان يكون الخصوص فيمن وافى ظالما **قوله عز وجل** او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال
كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام عطفت او في هذه
الاية على المعنى لان معنى التعجب في قوله الم تر الى الذي حاج يقتضي ان المعنى ارايت
كالذي حاج ثم جاءت او لما كالذي عطفا على ذلك المعنى وقرا ابو سفين بن حسين
او كالذي مر بفتح الواو وهي واو عطف دخل عليها الف التقرير وقال سليمان بن بريدة
وناجية بن كعب وقتادة وابن عباس والربيع وعكرمة والضحاك الذي مر على القرية
هو عزير وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وبكر بن مضر هو ارميا
وقال ابن اسحق ارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه **قال ابو محمد**
وهذا كما تراه الا ان يكون اسما وافق اسما لان الخضر معاصر لموسى وهذا الذي مر على
القرية هو بعده بزمان من سبط هارون فيما روى وهب بن منبه وحكى مكي عن مجاهد
انه رجل من بني اسرائيل غير مسمى قال النقاش هو غلام لوط عليه السلام واختلف
في القرية اما هي فحكى النقاش ان قوما قالوا هي المؤتفكة وقال ابن زيد ان القوم الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا مر رجل عليهم وهم
عظام تلوح فوقف ينظر فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة

عام

عام وترجم الطبري على هذا القصص بانه قول بان القرية التي مر عليها هي التي اهلك
الله فيها الذين خرجوا من ديارهم **قال ابو محمد** وقول ابن زيد لا يلايم الترجمة
لان الاشارة بهذه على مقتضى الترجمة هي الى المكان وعلى نفس القول هي الى العظام
والاجساد وهذا القول من ابن زيد مناقض لالفاظ الاية اذ الاية انما تضمنت
قرية خاوية لا انيس فيها والاشارة بهذه انما هي الى القرية واحياؤها انما هو بالعمارة
ووجود البناء والسكان وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك وعكرمة
والربيع القرية بيت المقدس لما خربها بختنصر البابلي في الحديث الطويل حين احدثت
بنو اسرائيل الاحداث ووقف ارميا او عزير على القرية وهي كالتل العظيم
وسط بيت المقدس لان بختنصر امر جنده بنقل التراب اليه حتى جعله كالجبل
وراى ارميا البيوت قد سقطت حيطانها على سقفها والعريش سقف البيت
وكل ما يهيا ليظل او يكن فهو عريش ومنه عريش الدالية والثمار ومنه قوله
تعالى ومما يعرشون قال السدي يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقف
ثم سقطت الحيطان عليها وقال غير السدي معناه خاوية من الناس على العروش
اي على العروش اي على البيوت وسقفها عليها لا انها خوت من الناس والبيوت
قائمة **قال ابو محمد** وانظر استعمال العريش مع على في الحديث في قوله وكان المسجد
يومئذ على عريش في ليلة القدر وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تخوي
خواء وخويا ويقال خويت قال الطبري والاول افصح **وقوله** انى يحيي هذه
الله بعد موتها معناه من اي طريق وباي سبب وظاهر اللفظ السؤال عن احياء
القرية بعمارة وسكان كما تقال الان في المدن الخربة التي يبعد ان تعمر وتسكن فكان هذا
تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التي عهد فيها اهله واحبته وضرب له المثل
في نفسه بما هو اعظم مما سال عنه والمثل الذي ضرب له في نفسه يحتمل ان يكون
على ان سواله انما كان عن احياء الموتى من بني ادم اي انى يحيي الله موتاها وقد
حكى الطبري انه قال كان هذا القول شكا في قدرة الله على الاحياء فلذلك ضرب

الان صح

له المثل في نفسه **قال ابو محمد** وليس يدخل شك في قدرة الله على احيائه بعد [illegible]
اليها وانما يتصور الشك من جاهل في الوجه الاخر والصواب ان لا يقال في الآية
شك وروي في قصص هذه الآية ان بني اسرائيل لما احدثوا الاحداث بعث الله عليهم
بخت نصر البابلي فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس وخربه فلما ذهب عنه جاء ارميا
فوقف على المدينة معتبرا فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها قال فاماته الله
وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد وكان معه سلة فيها تين هو طعامه
وقيل تين وعنب وكان معه ركوة من خمر وقيل من عصير وقيل قلة ماء هي شرابه
وبقي ميتا مائة عام فروي انه بلي وتفرقت عظامه هو وحماره وروي انه بلي دون
الحمار وان الحمار بقي حيا من يوم مات ولا اكل شيئا ولا انبلت رمته وروي
ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزير وروي ان الله بعث الى تلك القرية من
عمرها ورد اليها جماعة بني اسرائيل حتى كملت على راس مائة سنة وحينئذ حيي عزير
وروي ان الله رد عليه عينيه وخلق له حياة يرى بها كيف يعمر القرية ويحيا مدة
من ثلاثين سنة تكملة المائة لانه بقي سبعين ميتا كله وهذا اضعف ويرده الفاظ
الآية **وقوله تعالى** ثم بعثه معناه احياه وجعل له الحركة والانتقال فسأله
الله تعالى بواسطة الملك كم لبثت على جهة التقرير كم في موضع نصب على الظرف
فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتادة والربيع اماته الله غدوة
ثم بعثه قبل الغروب فظن هو اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم راى بقية من الشمس
فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت مائة عام وراى من عمارة
القرية واشجارها ومبانيها ما دله على ذلك قال النقاش العام مصدر كالعوم
سمي به هذا القدر من الزمان لانها عومة من الشمس في الفلك والعوم كالسبح
وقال تعالى وكل في فلك يسبحون **قال ابو محمد** هذا معنى كلام النقاش
والعام على هذا كالقول والقال وظاهر هذه الاماتة انها باخراج الروح من الجسد
وروي في قصص هذه الآية ان الله تعالى بعث لها ملكا من الملائكة يعمرها ويجد

في ذلك حتى كان كمال عمارتها عند بعث القائل انى يحيي هذه الله بعد موتها
وقرا ابن كثير وعاصم ونافع لبثت في كل القرآن باظهار الثاء وذلك لتباين مخرج الثاء
من مخرج التاء وذلك ان الطاء والتاء والدال من حيز والظاء والذال والثاء المثلثة
من حيز وقرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالادغام في كل القرآن اجروهما
مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا وفي انهما
مهموسان قال ابو علي ويقوي ذلك وقوع هذين الحرفين في روي قصيدة واحدة
قوله عز وجل فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك
آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان
الله على كل شيء قدير وقف في هذه الالفاظ على بقاء طعامه وشرابه على
حاله لم يتغير وعلى بقاء حماره حيا على مربطه هذا على احد التاويلين وعلى التاويل
الثاني وقف على الحمار ليشهد احياءه وجمع عظامه وقرا ابن مسعود وهذا طعامك
وشرابك لمائة سنة قال ابو علي واختلفوا في اثبات الهاء في الفعل من قوله عز وجل
لم يتسنه وافتده وما اغنى عني ماليه وسلطانيه وما ادراك ما هيه واسقاطها
في الوصل ولم يختلف في اثباتها في الوقف فقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر
هذه الحروف كلها في اثبات الهاء في الوصل وكان حمزة يحذفهن في الوصل وكان الكسائي
يحذفها في يتسنه وافتده ويثبتها في الباقي ولم يختلفوا في حسابيه وكتابيه انها
بالهاء في الوقف والوصل ويتسنه يحتمل ان يكون من تسنى الشيء اذا تغير وفسد
ومنه الحمأ المسنون في قول بعضهم وقال الزجاج ليس منه وانما المسنون المصبوب
على سنة الارض فاذا كان من تسنى فقولهم لم يتسن قلبت النون ياء كما فعل في
تظننت حتى قلت لم اتظن فجاء تسنى ثم حذفت الياء للجزم من الفعل المضارع
لم يتسن ومن قراها بالهاء على هذا القول فهي هاء السكت وعلى هذا يحسن
حذفها في الوصل ويحتمل يتسنه ان يكون من السنة وهو الجدب والقحط
وما اشبهه يسمونه بذلك وقد اشتق منه فعل فقيل اسنتوا اذا كان

هذا او من السنه التي هي العام على قول من جمعها سنوات فعلى هذا ايضا الهاها
السكت والمعنى لم يتغير طعامك القحوط والجدوب ونحوه او لم تغيره السنون
والاعوام واما من قال اسنهت عند بني فلان وهي لغه للحجاز ومنها قول الشاعر
ليست بسنهاء ولا رجبية ولكن عرايا في السنين الجوائح .:. قال الفراء على هذه
اللغه هي ما ثبات الهاء ولا بد وهي لام الفعل وفيها ظهر الجزم بلم وعلى هذا هي قراءة ابن كثير
ونافع وابي عمرو وقد ذكر وقرا طلحه ابن مصرف لم يسّنه على الادغام وقال
النقاش لم يتسنه معناه لم يتغير من قوله تعالى من حما مسنون قال ابو محمد ورد النحاه
على هذا القول لانه لو كان من اسن الماء لجاء لم يتاسّن واما قوله تعالى وانظر
الى حمارك فقال وهب ابن منبه وغيره المعنى وانظر الى اتصال عظامه واحيائه جزءا جزءا
ويروى انه لما احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما حتى كمل
حمارا ثم جاء ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي عن الضحاك ووهب ابن منبه
ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما في مربطه لم يصبه شي مائة سنه
قالا وانما العظام التي نظر اليها عظام نفسه قالا واعمى الله العيون عن ارميا وحماره
طول هذه المدة قال ابو محمد وكثر اهل القصص في صور هذه النازله
تكثيرا اختصرته لعدم صحته وقوله تعالى ولنجعلك ايه للناس معناه هذا
للقصه من ان يكون انه فعلنا بك هذا وقال الاعمش موضع كونه ايه انه جا شابا على حاله
يوم مات فوجد الحفده والابنا شيوخا وقال عكرمه جاء وهو ابن اربعين
سنه كما كان يوم مات ووجد بنيه قد نيفوا على مائة سنه وقال غير الاعمش بل موضع
كونه ايه انه جا وقد هلك كل من يعرف فكان ايه لمن كان حيا من قومه اذ كانوا
موقنين بحاله سماعا قال ابو محمد وفي اماتته هذه المدة ثم احيائه اعظم
ايه وامره كله ايه للناس غابر الدهر لا يحتاج الى تخصيص بعض ذلك دون بعض واما
العظام التي امر بالنظر اليها فقد ذكرنا من قال هي عظام نفسه ومن قال هي عظام
الحمار وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ننشرها بضم النون الاولى وبالراء وقرا عاصم

وابن

وابن عامر وحمزه والكسائي ننشزها بالزاي وروى ابان عن عاصم نَنشُرها بفتح النون
الاولى وضم الشين وبالراء وقراها كذلك ابن عباس والحسن وابو حيوه فمن قرا ننشرها
بضم النون الاولى وبالراء فمعناه نحييها يقال انشر الله الموتى فنشروا وقال الله تعالى
ثم اذا شاء انشره وقال الاعشى يا عجبا للميت الناشر .:. وقرا عاصم ننشرها
بفتح النون الاولى ويحتمل ان يكون لغه في الاحياء يقال نشرت الميت وانشرته
فيجي نشر الميت ونشرته كما يقال حسرت الدابه وحسرتها وغاض الما وغضته
ورجع زيد ورجعته ويحتمل ان يراد بها ضد الطي كان الموت طي للعظام والاعضا
وكان الاحيا وجمع بعضها الى بعض نشر واما من قرا ننشزها فمعناه نرفعها
والنشز المرتفع من الارض ومنه قول الشاعر ترى الثعلب الحولي فيها كانه اذا ما علا
نشزا حصان مجلل .:. قال ابو علي وغيره فتقديره ننشزها نرفع بعضها الى بعض
للاحياء ومنه نشوز المراه وقال الاعشى قضاعيه تاتي الكواهن ناشصا .:.
يقال نشز وانشزته قال ابو محمد ويقلق عندي ان يكون معنى النشوز
رفع العظام بعضها الى بعض وانما النشوز الارتفاع قليلا قليلا فكانه وقف على
نبات العظام الرفات وخروج ما يوجد منها عند الاختراع وقال النقاش
ننشزها معناه ننبتها وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت من ذلك
نشز ناب البعير والنشز من الارض على التشبيه بذلك ونشزت المراه كانها
فارقت الحال التي ينبغي ان تكون عليها وقوله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا
اي فارتفعوا شيئا شيئا كنشوز الناب فبذلك تكون التوسعه فكان النشوز ضرب
من الارتفاع ويبعد في الاستعمال ان يقال لمن ارتفع في حائط او غرفه نشز
وقرا النخعي ننشرها بفتح النون وضم الشين والزاي وروي ذلك عن ابن عباس
وقتاده وقرا ابي ابن كعب كيف ننشيها بالياء والكسوه ما وارى من الثياب
وشبه اللحم بها وقد استعاره النابغه للاسلام فقال الحمد لله اذ لم
ياتني اجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالا .:. ويروى انه كان يرى اللحم

والعصب والعروق وكيف تلتئم وتتواصل وقال الطبري المعنى في قوله فلما تبين له
اي لما اتضح له عيانا ما كان مستنكرا في قدرة الله عنده قبل عيانه قال اعلم .
وهذا خطا لانه الزم ما لا يقتضيه اللفظ وفسر على القول الشاذ
والاحتمال الضعيف وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر أعلم ان مقطوعة الالف
الالف مضمومة الميم وقرا حمزة والكسائي قال اعلم ان الله موصولة الالف ساكنة الميم
وقراها ابو رجاء وقرا عبد الله بن مسعود والاعمش قيل اعلم
فاما هذه فبينة المعنى اي قال الملك له والاولى بينة المعنى اي قال هو انا اعلم ان
الله على كل شيء قدير وهذا عندي ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري بل
هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا راى شيئا غريبا من قدرة الله
الله لا اله الا هو ونحو هذا وقال ابو علي معناه اعلم هذا الضرب من العلم الذي لم اكن
اعلمه **قال ابو محمد** يعني علم المعاينة واما قراة حمزة والكسائي فتحتمل وجهين
احدهما قال الملك له اعلم والاخر ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبي المنفصل
فالمعنى فلما تبين له قال لنفسه اعلم **وانشد ابو علي في ذلك الاعشى**
ودع هريرة ان الركب مرتحل والم تغتمض عيناك ليلة ارمدا ∴ وامثاله
هذا كثيرة وانشد ابو علي في هذا المعنى قول الشاعر ∴ تذكر من انى ومن اين
شربه يوامر نفسيه كذي الهجمة الابل **قوله عز وجل** واذ قال ابرهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة
من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان
الله عزيز حكيم العامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر واختلف الناس لم صدرت
هذه المقالة عن ابرهيم عليه السلام فقال ان ابرهيم عليه السلام لم يكن شاكا
في احيا الله الموتى قط وانما طلب المعاينة فرجح الطبري في تفسيره فقال وقال
اخرون سال ذلك ربه لانه شك في قدرة الله عز وجل على احياء الله الموتى وادخل
تحت الترجمة عن ابن عباس انه قال ما في القران اية ارجى عندي منها وذكر عن عطاء

ابن

ابن ابي رباح انه قال دخل قلب ابرهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب ارني كيف
تحيي الموتى وذكر حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق
بالشك من ابرهيم الحديث ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث
وقال ابرهيم لما راى الجيفة ياكل منها الحيتان ودواب البر القى الشيطان في نفسه
فقال متى يجمع الله هذه من بطون هولاء واما من قال ان ابرهيم لم يكن شاكا
فاختلفوا في سبب سواله فقال قتادة ان ابرهيم راى دابة قد توزعتها السباع فعجب
وسال هذا السوال وقال الضحاك نحوه قال وقد علم عليه السلام ان الله قادر
على احيا الموتى وقال ابن زيد راى الدابة تتقسمها السباع والحيتان لانها كانت
على حاشية البحر وقال ابن اسحق بل سببها انه لما فارق النمرود وقد قال انا احيي واميت
فكر في تلك الحقيقة والمجاز فسال هذا السوال وقال السدي وسعيد بن جبير
بل سبب هذا السوال انه لما بشر بان الله اتخذه خليلا اراد ان يدل بهذا السوال
ليجرب صحة الخلة فان الخليل يدل بما لا يدل به غيره وقال سعيد بن جبير ولكن ليطمئن
قلبي يريد بالخلة **قال ابو محمد** وما ترجم به الطبري عندي مردود وما ادخل
تحت الترجمة متاول واما قول ابن عباس هي ارجى اية فمن حيث فيها الادلال على
الله تعالى وسوال الاحيا في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز ان يقول هي ارجى اية
لقوله اولم تؤمن اي ان الايمان كاف لا يحتاج بعده الى تنقير وبحث واما قول عطاء بن
ابي رباح دخل قلب ابرهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حيث المعاينة وذلك
ان النفوس مستشرفة الى روية ما اخبرت به ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس
الخبر كالمعاينة واما قول النبي عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم فمعناه
انه لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن لا نشك فابرهيم عليه السلام احرى ان لا يشك
فالحديث مبني على نفي الشك عن ابرهيم والذي روي فيه عن النبي عليه السلام انه
قال ذلك محض الايمان انما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت واما الشك فهو توقف
بين امرين لا مزية لاحدهما على الاخر وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام واحياء

الموتى انما ثبت بالسمع وقد كان ابرهيم اعلم به يدلك على ذلك قوله ربي الذي يحيي ويميت
فالشك يبعد على من تثبت قدمه في الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والانبيا
معصومون من الكبائر والصغائر التي فيها رذيلة اجماعا واذا تاملت سؤاله عليه السلام
وسائر الفاظ الاية لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو عن حال شيء موجود
متقرر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب ونحو هذا
ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فانما السؤال عن حال من احواله وقد تكون كيف
خبرا عن شيء شانه ان يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخاري
كيف كان بدء الوحي وكيف في هذه الاية انما هي استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء
متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة
لذلك الشيء يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول
مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب له ارني كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في
العبارة ومعناها تسليم جدلي كانه يقول افرض انك ترفعه ارني كيف فلما كان في
عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك المجازي خلص الله ذلك وحمله على ان بين له الحقيقة
فقال له اولم تؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى قال بلى ولكن ليكمل
الامر ويتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمانينة **قوله تعالى**
اولم تؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها
الف التقرير وليطمئن معناه ليسكن عن فكره والطمانينة اعتدال وسكون على ذلك
الاعتدال فطمانينة الاعضاء معروفة كما قال عليه السلام ثم اركع حتى تطمئن راكعا
الحديث وطمانينة القلب هي ان يسكن فكره في الشيء المعتقد والفكر في صورة الاحياء
غير محظورة كما لنا نحن اليوم ان نفكر فيها اذ هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين
فيذهب فكره في صورة الاحياء اذ حركه الى ذلك اما امر الدابة المأكولة واما قول
النمرود انا احيي واميت وقال الطبري معنى ليطمئن قلبي ليوقن وحكي نحو ذلك عن سعيد
ابن جبير وحكي عنه ليزداد وقاله ابرهيم وقتادة وقال بعضهم لازداد ايمانا مع ايماني

قال

قال ابو محمد ولا زيادة في هذا المعنى يمكن الا السكون عن الفكر والا
فاليقين لا يتبعض وروي ان الاربعة التي اخذ ابرهيم هي الديك والطاوس والحمام
والغراب ذكر ذلك ابن اسحق عن بعض اهل العلم الاول وقاله مجاهد وابن جريج
وابن زيد وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي وروي في قصص هذه الاية ان الخليل
عليه السلام اخذ هذه الطير حسبما امر وذكاها ثم قطعها قطعا صغارا وجمع
ذلك مع الدم والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل ووقف
هو من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رؤوس الطير في يده ثم قال تعالين باذن الله
فتطايرت تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التامت كما
كانت اولا وبقيت بلا رؤوس ثم كرر النداء فجاءته سعيا حتى وضعت اجسادها
في رؤوسها وطارت باذن الله تعالى وقرا حمزة وحده فصرهن اليك بكسر الصاد
وقرا الباقون بضمها ويقال صرت الشيء اصوره بمعنى قطعته **ومنه قول ذي الرمة**
صرنا به الحكم وعيا الحكما **ومنه قول الخنساء** فلو يلاقي الذي لاقيته حضن
لظلت الشم منه وهي تنصار اي تتقطع ويقال ايضا صرت الشيء بمعنى املته **ومنه**
قول الشاعر يصور عنوقها احوى زنيم له ظاب كما صخب الغريم **ومنه قول العربي**
[illegible] بهاء من الى الصبا صور وعن الخلان نور فهذا كله في ضم الصاد ويقال
ايضا في هذين المعنيين القطع والامالة صار الشيء يصيره بكسر الصاد اصيره **ومنه قول**
الشاعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح
ففي اللفظة لغتان قرئ بهما وقد قال ابن عباس ومجاهد في هذه الاية صرهن معناه
قطعهن وقال عكرمة وابن عباس في بعض ما روي عنه انها لفظة بالنبطية معناه
قطعهن وقاله الضحاك وقال ابو الاسود الدؤلي هي بالسريانية وقال قتادة صرهن
فصلهن وقال ابن اسحق معناه قطعهن وهو معناه اضممهن اليك وقال ابن زيد معناه
اجمعهن وروي عن ابن عباس اوثقهن **قال ابو محمد** فقد تاول المفسرون اللفظة
بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة فقوله فخذ متعلق بصرهن وفي الكلام متروك يدل عليه الظاهر

وقال قوم فصُرّهن بضم الصاد وتشديد الرا المفتوحه
تقديره فاملهن اليك فقطعهن وقرا قوم فصِرّهن بكسر الصاد وشد الرا المفتوحه
كانما تقول فشدهن ومنه صره الدنانير وقرا قوم فصُرّهن بضم الصاد وشد الراء
كانما يقول فشدهن ومنه صره الدنانير وقرا قوم فصُرّهن بضم الصاد ذكره النقاش
المفتوحه ومعناه صيحهن من قولك صر الباب والقلم اذا صوت
قال ابن جني وهي قراه غريبه وذلك ان يفعل بكسر العين في المضاعف المتعدي قليل
وانما بابه يفعل بضم العين كشد يشد ونحوه لكن قد جا منه نم الحديث ينمه وينمه
وهر الحرب يهرها ويهرها **قال ابو محمد** ومنه بيت **الاعشى** ليعتورنك
القول حتى تهره الى غير ذلك في حروف قليله قال ابن جني واما قراه عكرمه بضم
الصاد فيحتمل في الراء الضم والفتح والكسر كمد وشد والوجه ضم الراء من اجل
ضمة الها من بعد قال المهدوي وغيره وروي عن عكرمه فتح الصاد وشد الراء
المكسوره **قال ابو محمد** وهذه بمعنى احبسهن من قولهم صرى يصري اذا حبس
ومنها الشاه المصراه واختلف المتاولون في معنى قوله ثم اجعل على كل جبل منهن
جزا فروي جبره عن ابن عباس ان المعنى اجعل جزا على كل ربع من ارباع الدنيا كان
المعنى اجعلها في اركان الارض الاربعه وفي هذا القول بعد وقال قتاده والربيع
المعنى واجعل على اربعه اجبل على كل جبل جزا من ذلك المجموع المقطع فكما يبعث
الله هذه الطير من هذه الجبال فكذلك يبعث الخلق يوم القيامه من ارباع
الدنيا وجميع اقطارها جزا بالهمز وقرا ابو جعفر جزّا بشد الزاي في جميع القران
وهي لغه في الوقف فاجرى ابو جعفر الوصل مجراه وقال ابن جريج والسدي امر ان
يجعلها على الجبال التي كانت الطير والسباع حين اكلت الدابه تطير اليها وتسير نحوها
وتتفرق فيها قالا وكانت سبعه اجبل فكذلك الجزا لكل المقطع من لحم
الطير سبعه اجزا وقال مجاهد بل امر ان يجعل على كل جبل يليه جزا قال الطبري
معناه دون ان يحصر الجبال بعدد بل هي التي كان يصل ابرهيم اليها وقت كلفه الله
اياه تفريق ذلك فيها لان الكل لفظ يدل على الاحاطه **قال ابو محمد** وبعيد

ان يكلف جميع جبال الدنيا فلن يحيط بذلك بصره فيجي ما ذهب اليه الطبري متمكنا
والله اعلم اي ذلك كان ومعنى الايه ان ابرهيم عليه السلام كان يرى
يرى الاجزا في مقامه ويرى كيف التامت وكذلك صحت له العبره وامره بدعايهن
وهن اموات انما هو ليقرب الايه منه ويكون بسبب من حاله ويرى انه قصد بعرض
ذلك عليه ولذلك جعل الله تعالى سعيهن اليه سعيا اذ هي مشيه المجد الراغب
فيما يمشي اليه فكان من المبالغه ان راى ابرهيم جدها في قصده واجابه دعوته
ولو جات مشيا لزالت هذه القرينه ولو جات طيرانا لكان ذلك على عرف
امرها فهذا اغرب منه ثم وقف عليه السلام على العلم بالعزه التي في ضمنها القدره
وعلى الحكمه التي اتقن كل شي **قوله عز وجل** مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبه انبتت سبع سنابل في كل سنبله مايه حبه والله يضاعف
لمن يشا والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذه ايه لفظها
بيان مثال بشرف النفقه في سبيل الله وبحسنها وضمنها التحريض على ذلك وهذه
الايه في نفقه التطوع وسبل الله كثيره وهي جميع ما فيه طاعه وعايد منفعه على
المسلمين والمله واشهرها واعظمها غنا الجهاد لتكون كلمه الله هي العليا والحبه
اسم جنس لكل ما يزدرعه ابن ادم ويقتاته واشهر ذلك البر وكثيرا ما يراد بالحب
ومنه قول **المتلمس** آليت حب العراق الدهر اطعمه والحب ياكله في القريه السوس
وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مايه حبه واما في سائر الحبوب فاكثر
ولكن المثال وقع بهذا القدر وقد ورد القران بان الحسنه في جميع اعمال البر
بعشر امثالها واقتضت هذه الايه ان نفقه الجهاد حسنتها سبع مايه ضعف
وبين ذلك الحديث الصحيح واختلف العلما في معنى قوله والله يضاعف لمن يشا
فقالت طايفه هي مبينه ومؤكده لما تقدم من ذكر السبع مايه وليس
ثم تضعيف فوق السبع مايه وقالت طايفه من العلماء بل هو اعلام بان

الله تعالى يضاعفه لمن يشاء اكثر من سبع مائة ضعف وروي عن ابن عباس
ان التضعيف ينتهي لمن يشاء الله الى الفي الف وليس هذا بثابت الاسناد عنه وقال
ابن عمر لما نزلت هذه الاية قال النبي عليه السلام رب زد امتي فنزلت من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه الاية فقال رب زد امتي فنزلت انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وسنبلة فنعلة من اسبل الزرع اي ارسل ما فيه كما ينسبل
الثوب والجمع سنابل وفي قوله تعالى مثل الذين حذف مضاف تقديره مثل انفاق
الذين او تقديره كمثل ذي حبة وقال الطبري في هذه الاية ان قوله في كل سنبلة مائة
حبة معناه ان وجد ذلك والا فعلى ان تقدره ثم ادخل عن الضحاك انه قال في
كل سنبلة مائة حبة معناه كل سنبلة انبتت مائة حبة فجعل الطبري قول الضحاك
نحو ما قال هو وذلك غير لازم من لفظ الضحاك قال ابو عمرو الداني وقرا بعضهم مائة
بالنصب على تقدير انبتت مائة حبة وقوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم الاية لما تقدم
في الاية التي قبل هذه ذكر الانفاق في سبيل الله على العموم بين في هذه الاية ان ذلك
الحكم انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق في سبيل الله انما يكون
على احد ثلاثة اوجه اما ان يريد وجه الله تعالى ويرجو ثوابه فهذا لا يرجو من المنفق
عليه شيئا ولا ينظر من حاله في حال سوى ان يراعي استحقاقه واما ان يريد من المنفق
عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم يرد وجه الله بل نظر الى هذه الحال من المنفق عليه
وهذا هو الذي متى اخلف ظنه من بانفاقه واذى واما ان ينفق مضطرا دافع غرم اما
لمانة للمنفق عليه او قرينة اخرى من اعتناء معين ونحوه فهذا قد نظر في حال ليست
لوجه الله وهذا هو الذي توبع وخرج بوجه من الحرج الذي في المن والاذى لكشفها
من ظهر امنيته انه انما كان على ما ذكرناه من المقاصد وانه لم يخلص لوجه الله فلهذا
كان المن والاذى مبطلين للصدقة من حيث بين كل واحد منهما انها لم تكن صدقة
وذكر النقاش انه قيل ان هذه الاية نزلت في عثمان بن عفان وقيل في علي بن ابي طالب
قال مكي في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والمن ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها والاذى

السب

السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى لكنه نص عليه لكثرة وقوعه
وذهب ابن زيد الى ان هذه الاية هي في الذين لا يخرجون في الجهاد بل ينفقون وهم
قعود وان الاولى التي قبلها هي في الذين يخرجون باموالهم وانفسهم قال ولذلك شرط
على هؤلاء ولم يشرط على الاولين قال ابو محمد وفي هذا القول نظر لان التحكم
فيه باد وقال زيد بن اسلم لئن ظننت ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد
وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امرأة يا ابا اسامة دلني على رجل يخرج في سبيل
الله حقا فانهم انما يخرجون لياكلوا الفواكه فان عندي اسهما وجعبة فقال
لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل ان تعطيهم ونصب الله الاجر
للمنفقين في سبيل الله والاجر الجنة ونفى عنهم الخوف بعد موتهم لما يستقبلون والحزن
والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط باخرته وقوله عز وجل قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يومن بالله واليوم الاخر
فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا
والله لا يهدي القوم الكافرين هذا اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف
وهو الدعاء والتانيس والترجية بما عند الله خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة
وفي باطنها لا شيء لان ذلك القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها قال المهدوي
وغيره التقدير في اعرابه قول معروف اولى ومغفرة خير قال ابو محمد وفي هذا
ذهاب برونق المعنى وانما يكون التقدير كالظاهر والمغفرة الستر للخلة وسوء
حالة المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سال قوما بكلام فصيح فقال له قائل
ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب وقال النقاش يقال معناه
ومغفرة للسائل ان اغلظ وجفا اذا حرم ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة من
هذه حاله وعاقبة امره وعن حلمه عمن يواقع هذا من عبيده وامهاله لهم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الاية العقيدة

وقال مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم
وقال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان ذلك لله امضاه وان
خالطه شك امسك والقول الاول اصوب لان هذا المعنى ذهب اليه مجاهد
والحسن انها عبارته وتثبيتا فان قال محتج ان هذا من المصادر التي خرجت على
غير الصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وكقوله انبتكم من الارض نباتا
فالجواب ان هذا لا يسوغ الا مع ذكر المصدر والافصاح بالفعل المتقدم
للمصدر في غير معناه ثم يحمل الجملة على فعل كذا وكذا الفعل لم يتقدم له ذكر
هذا اشبع كلام العرب فيما علمت وقال قتادة وتثبيتا معناه واحتسابا من انفسهم
قال ابو محمد وهذا هو القول الاول والجنة بستان وهي قطعة ارض تنبت فيها
الاشجار حتى تستر الارض فهي من لفظ الجن والجنة وجن الليل والربوه
ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا معه في الاغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه
وما كان كذلك فنباته احسن ورياض الحزن ليست من هذا كما زعم الطبري بل
تلك هي الرياض المنسوبة الى نجد لانها خير من رياض تهامة ونبات نجد اعطر
ونسيمه ابرد وارق ونجد يقال له الحزن وقل ما يصلح هواء تهامة الا بالليل
ولذلك قالت الاعرابية زوجي كليل تهامة وقال ابن عباس الربوه المكان المرتفع
الذي لا تجري فيه الانهار قال ابو محمد وهذا انما اراد به هذه الربوه المذكورة
في كتاب الله لانه قوله تعالى اصابها وابل الى اخر الاية يدل على انها ليس فيها
ماء جار ولم يرد ابن عباس ان جنس الربا لا تجري فيها ماء لان الله تعالى قد ذكر
ربوة ذات قرار ومعين والمعروف من كلام العرب ان الربوه ما ارتفع عما جاوره
سواء جرى فيها ماء او لم يجر وقال الحسن الربوه الارض المستوية التي لا تعلو
فوق الماء وهذا ايضا اراد انها ليست كالجبل والصرب وربوه قال الخليل
الربوه ارض مرتفعة طيبة وخص الله بالذكر التي لا تجري فيها ماء من حيث هي
العرف في بلاد العرب فمثل لهم ما يحسونه كثيرا وقال السدي ربوه اي براو

ابو

وهو ما انخفض من الارض قال ابو محمد وهذه عبارة قلقة ولفظ الربوه هو
ماخوذ من ربا يربو اذا زاد يقال ربوه بضم الراء وبها قرا ابن كثير وحمزة والكسائي
ونافع وابو عمرو ويقال رَبوه بفتح الراء وبها قرا عاصم وابن عامر وكذلك
خلافهم في سورة المومنين ويقال ربوه بكسر الراء وبها قرا ابن عباس فيما حكي عنه
ويقال رباوه بفتح الراء والباء والف بعدها وبها قرا ابو جعفر وابو عبد الرحمن
ويقال رباوه بكسر الراء وبها قرا الاشهب العقيلي واتت معناه اعطت والاكل
بضم الهمزة الثمر الذي يوكل والشي الماكول من كل شي يقال له اكل واضافته الى
الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار اذ ليس الثمر مما تاكله الجنة
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو اكلها بضم الهمزة وسكون الكاف وكذلك كل مضاف
الى مونث وفارقهما ابو عمرو فيما اضيف الى مذكر مثل اكله او كان غير مضاف الى
مكني مثل اكل خمط فثقل ابو عمرو ذلك وخففاه وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
في جميع ما ذكرناه بالتثقيل ويقال أُكْل وأُكُل بمعنى وهو من اكل بمنزلة الطعمة
من طعم اي الشي الذي يطعم ويوكل وضعفين معناه اثنين فما بطن بها واحد من
مثلها ام اكثر تعالى مدح هذه الربوه بانها ان لم يصبها وابل فان الطل يكفيها
وينوب مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق من القطر الخفيف
قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة وقال قوم الطل الندى وهذا تجوز
وتشبيه وقد روي ذلك عن ابن عباس قال المبرد تقديره وطل يكفيها
وقال غيره التقدير بالذي اصابها طل فسقته تمو نفقات هولاء المخلصين الذين
يربي الله صدقاتهم كتربية الفلو والفصيل حسب الحديث بتمو نبات
هذه الجنة بالربوه الموصوفة وذلك كله خلاف الصفوان الذي انكشف عنه
ترابه فبقي صلدا وفي قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعيد وقرا الزهري
يعملون بالياء كانه يريد به الناس اجمع او يريد المنفقين فقط فهو وعد محض
قوله عز وجل ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من

تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفا فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون وحكى الطبري
عن السدي ان هذه الاية مثل اخر لنفقة الريا ورجح هو هذا القول وحكى عن ابن
زيد انه قرا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
قال ثم ضرب في ذلك مثلا فقال ايود احدكم الاية قال ابو محمد وهذا
ابين من الذي رجحه الطبري وليست هذه الاية بمثل اخر لنفقة الريا هذا هو
مقتضى سياق الكلام واما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق
او كافر عمل وهو يحسب انه يحسن صنعا فلما جا الى وقت الحاجة لم يجد شيا
وقد سال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
فقالوا الله ورسوله اعلم فقال وهو غاضب قولوا نعلم او لا نعلم فقال له ابن عباس هذا
مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الخير فاذا فني عمره واقترب
اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك عمر وروى ابن مليكة ان عمر تلا هذه الاية
ايود احدكم وقال هذا مثل ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند اخر
عمره احوج ما يكون اليه عمل عمل السوء قال ابو محمد فهذا نظر يحمل الاية على كل ما
يدخل تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم وخص الاعناب
والنخيل بالذكر لشرفهما وفضلهما على ساير الشجر وقرا الحسن جنات بالجمع وقوله
من تحتها هو بحسب ما بالنسبة الى الشجر والواو في قوله واصابه واو الحال وكذلك
في قوله وله ذرية ضعفا جمع ضعيف وكذلك ضعاف والاعصار الريح الشديدة
العاصف التي فيها احراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك في شدة الحر ويكون في شدة
البرد وكل ذلك من فيح جهنم ونفسها كما تضمن قول النبي عليه السلام اذا اشتد
الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم وان النار اشتكت الى ربها
الحديث بكماله فاما انه نار على حقيقة والا فهو نفسها يوجد عنه كاثرها قال
السدي الاعصار الريح والنار السموم وقال ابن عباس ريح فيها سموم شديدة

وقال

وقال ابن مسعود ان السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءا من النار
قال ابو محمد يريد من نار الاخرة وقال الحسن بن ابي الحسن اعصار فيه نار ريح فيها
صر برد وقاله الضحاك وفي المثل ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا والريح
اعصار لانها تعصر السحاب والسحاب معصرات اما انها حوامل فهي كالمعصر من
النساء وهي التي هي عرضة للحمل واما انها تعصر بالرياح وبهذا فسر عبيد الله بن
الحسن العنبري القاضي وحكى ابن سيده ان المعصرات فسرها قوم بالرياح لا بالسحاب
وقال الزجاج الاعصار الريح تعصر من الارض الى السما وهي التي يقال لها الزوبعة
قال المهدوي قيل لها اعصار لانها تلتف كالثوب اذا عصر قال ابو محمد
وهذا ضعيف والاشارة بذلك الى هذه الامثال المبينة ولعلكم ترج
في حق البشر اي اذا تامل من يبين له هذا البيان رجي له التفكر وكان اهلا له
وقال ابن عباس يتفكرون في زوال الدنيا وفنائها واقبال الاخرة وبقائها
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه
واعلموا ان الله غني حميد هذا الخطاب هو لجميع امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
صيغة امر من الانفاق واختلف المتاولون هل المراد بهذا الانفاق الزكاة المفروضة
او التطوع فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعبيدة السلماني ومحمد بن
سيرين هي في الزكاة المفروضة نهى الناس عن انفاق الردي فيها دون الجيد
واما التطوع فكما للمرء ان يتطوع بقليل فكذلك له ان يتطوع بنازل في القدر
ودرهم زايف خير من تمرة فالامر على هذا القول على الوجوب والظاهر من قول البراء
ابن عازب والحسن بن ابي الحسن وقتادة ان الاية في التطوع وروى البراء بن عازب
وعطا بن ابي رباح ما معناه ان الانصار كانوا ايام الجداد يعلقون اقناء
التمر في حبل بين اسطوانتين في المسجد فياكل من ذلك فقراء المهاجرين فعلق رجل حشفا
فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بيسما علق هذا فنزلت الاية

قال ابو محمد والامر على هذا القول على الندب وكذلك ندبوا الى ان لا يتطوعوا الا بجيد مختار والاية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الندب وهولاء كلهم وجمهور المتاولين قالوا معنى من طيبات جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الردي والرذالة وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله ولا تيمموا الخبيث اي الحرام قال ابو محمد وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الاية لا من معناه في نفسه وقوله من طيبات ما كسبتم يحتمل ان لا يقصد به لا الجيد ولا الحلال لكن يكون المعنى كانه قال انفقوا مما كسبتم فهو حض على الانفاق فقط ثم دخل ذكر الطيب تبيينا لصفة حسنة في المكسوب عاما وتعديدا للنعمة كما تقول اطعمت فلانا من مشبع الخبز وسقيته من مروي الماء والطيب على هذا الوجه يعم الجودة والحل ويويد هذا الاحتمال ان عبد الله ابن مغفل قال ليس في مال المومن خبيث وكسبتم معناه كانت لكم فيه سعاية اما بتعب بدن او بمقاولة في تجارة والموروث داخل في هذا لان غير الوارث قد كسبه اذ الضمير في كسبتم انما هو نوع الانسان او المومنين وما اخرجنا لكم من الارض النباتات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا تقال تيمم الرجل كذا وكذا اذا قصده ومنه قول امري القيس تيممت

العين التي عند ضارج يفي عليها الظل عرمضها طامي ومنه قول الاعشى

تيممت قيسا كم دونه من الارض من مهمه ذي شزن ومنه التيمم الذي هو البدل من الوضوء عند عدم الماء وهكذا قرا جمهور الناس وروى البزي عن ابن كثير بتشديد التاء في احد وثلثين موضعا اولها هذا الحرف وحكى الطبري ان في قراءة عبد الله ابن مسعود ولا تؤموا الخبيث من اممت اي قصدت ومنه امام البناء والمقتفى في القرائن واحد وقرا الزهري ومسلم ابن جندب ولا تيمموا بضم التاء وكسر الميم وهذا على لغة من قال اممت الشي بمعنى قصدته وفي اللفظة لغات منها اممت الشي خفيفة الميم الاولى واممته بشدها ويممته وتيممته وحكى ابو عمرو ان ابن مسعود

قرا ولا تؤمموا بهمزة بعد التاء وهذه على لغة من قال اممت مثقلة الميم وقد مضى القول في معنى الخبيث ثم اخبر الحق في جانبي كتاب نظم القران وقال قوم من الناس ان الكلام تم في قوله الخبيث ثم ابتدا خبرا اخر في وصف الخبيث فقال تنفقون منه وانتم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم اي ساهلتم قال ابو محمد كان هذا المعنى عتاب للناس وتقريع والضمير في منه عائد على الخبيث قال الجرجاني وقال فريق اخر الكلام متصل الى قوله فيه قال ابو محمد فالضمير في منه عائد على ما كسبتم ويجي تنفقون كانه في موضع نصب على الحال وهو كقولك انا اخرج اجاهد في سبيل الله واختلف المتاولون في معنى قوله تعالى ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه فقال البراء ابن عازب وابن عباس والضحاك وغيرهم معناه ولستم باخذيه في ديونكم وحقوقكم وتكرهونه ولا ترضونه اي فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لانفسكم وقال الحسن ابن ابي الحسن معنى الاية ولستم باخذيه لو وجدتموه في السوق يباع الا ان يهضم لكم من ثمنه وروي نحوه عن علي بن ابي طالب قال ابو محمد وهذان القولان يشبهان كون الاية في الزكاة الواجبة وقال البراء ابن عازب ايضا معناه ولستم باخذيه لو اهدي لكم الا ان تغمضوا اي تستحيي من المهدي ان تقبل منه ما لا حاجة لك به ولا قدر له في نفسه قال ابو محمد وهذا يشبه كون الاية في التطوع وقال ابن زيد معنى الاية ولستم باخذي الحرام الا ان تغمضوا في مكروهه وقرا جمهور الناس الا ان تغمضوا بضم التاء وسكون الغين وكسر الميم وقرا الزهري بفتح التاء وكسر الميم مخففا وروى عنه ايضا تغمضوا بضم التاء وفتح الغين وكسر الميم مشددة وحكى مكي عن الحسن البصري تغمضوا مشددة الميم مفتوحة وفتح التاء وقرا قتادة بضم التاء وسكون الغين وفتح الميم مخففا قال ابو عمرو معناه الا ان يغمض لكم قال ابو محمد هذه اللفظة تنتزع اما من قول العرب اغمض الرجل في امر كذا اذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز ومن ذلك قول الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللذل اناس يرضون بالاغماض واما ان

يترخص من تغميض العين لأن الذي يريد الصبر على مكروه يغمض عينه عنه ومنه
قول الشاعر: إلى كم وكم أشياء منكم تريبني أغمض عنها لست عنها بذي عمى
وهذا كالإغضاء عند المكروه وقد ذكر النقاش هذا المعنى في هذه الآية
وأشار إليه مكي وأما من قول العرب أغمض الرجل إذا أتى غامضا من الأمر كما تقول أعمن
إذا أتى عمان وأعرق إذا أتى العراق وأنجد وأغار أي أتى نجدا والغور الذي هو تهامة
ومنه قول الجارية وإن تشتروا أغمض فقراءة الجمهور تخرج على التجاوز وعلى تغميض العين
لأن أغمض بمنزلة غمض وعلى أنها بمعنى حتى تأتوا غامضا من التأويل والنظر في أخذ ذلك
إما لكونه حراما على قول ابن زيد وإما لكونه مهدى أو مأخوذا في دين على قول غيره وأما
قراءة الزهري بفتح التاء وكسر الميم مخففا وروي عنه أيضا تغمضوا كالأولى فمعناها
تهضموا سومها من البائع منكم فيحطكم قال أبو عمرو ومعنى قراءتي الزهري حتى تأخذوا
بنقصان. قال القاضي أبو محمد: وأما قراءته الثانية فهذا مذهب أبي عمرو الداني فيها ويحتمل
أن تكون من تغميض العين وأما قراءة قتادة فقد ذكرت تفسير أبي عمرو لها وقال
ابن جني معناها توجدوا قد غمضتم في الأمر بتأولكم أو بتساهلكم وجريتم على غير
السابق إلى النفوس وهذا كما تقول أحمدت الرجل وجدته محمودا إلى غير ذلك من الأمثلة
ثم نبه تعالى على صفة الغنى أي لا حاجة به إلى صدقاتكم فمن تقرب وطلب مثوبة
فليفعل ذلك بما له قدر وحميد معناه محمود في كل حال وهي صفة ذات

قوله عز وجل: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب. هذه الآية وما بعدها وإن
لم يكن أمرا بالصدقة فهي جالبة النفوس إلى الصدقة بين عز وجل فيها نزغات
الشيطان ووسوسته وعداوته وذكر بثوابه هو لا رب غيره وذكر تفضله
بالحكمة وأثنى عليها ونبه أن أهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون الحكمة
قدر الإنفاق في طاعة الله عز وجل وغير ذلك ثم ذكر علمه بكل نفقة ونذر وفي ذلك

وعد

وعد ووعيد ثم الحكمة في الإعلان والإخفاء وكذلك إلى آخر المعنى والوعد في
كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقيد بالخير
وبالشر كالبشارة فهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر
والفحشاء كل ما فحش وفحش ذكره ومعاصي الله كلها فحشاء وروى حيوة عن رجل
من أهل الرباط أنه قرأ الفُقر بضم الفاء وهي لغة وقال ابن مسعود في الآية اثنتان
من الشيطان واثنتان من الله تعالى وروى ابن مسعود عن النبي عليه السلام أنه قال
إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب
بالحق فمن وجد ذلك فليتعوذ وأما لمة الملك فوعد بالحق وتصديق بالخير فمن
وجد ذلك فليحمد الله ثم قرأ عليه السلام الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الآية
والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق في الدنيا
والتوسعة فيه والتنعيم في الآخرة وبكلٍّ قد وعد الله تعالى وذكر النقاش أن بعض
الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى لأن الشيطان إنما يبعد العبد
من الخير وهو بتخويفه الفقر يبعد عنه. قال القاضي أبو محمد: وليس في الآية حجة
قاطعة أما إن المعارضة بها قوية. وروي أن في التوراة عبدي
أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي
القرآن مصداقه وهو وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وواسع لأنه
وسع كل شيء رحمة وعلما ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه يؤتي الحكمة أي يعطيها
لمن يشاء من عباده واختلف الناس في الحكمة في هذا الموضع فقال السدي الحكمة
النبوة وقال ابن عباس هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه
وعربيته وقال قتادة الحكمة هي الفقه في القرآن وقاله مجاهد وقال مجاهد
أيضا الحكمة الإصابة في القول والفعل وقال ابن زيد وأبوه زيد بن أسلم الحكمة
العقل في الدين وقال مالك الحكمة المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وروى
عنه ابن القاسم أنه قال الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له وقال أيضا الحكمة

طاعة الله والفقه في الدين والعمل به وقال الربيع الحكمة الخشية وقسه قول النبي
عليه السلام رأس كل شيء خشية الله تعالى وقال إبراهيم الحكمة الفهم وقاله
زيد بن أسلم وقال الحسن الحكمة الورع وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي
قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول
وكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس
وقرأ الجمهور ومن يؤت الحكمة على بناء الفعل للمفعول وقرأ الزهري ويعقوب ومن يؤت
بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة فمن مفعول أول مقدم والحكمة مفعول
ثان وقرأ الأعمش ومن يؤته الحكمة وقرأ الربيع بن خثيم تؤتي الحكمة من تشاء بالتاء
في تؤتي وتشاء منقوطة من فوق ومن يؤت الحكمة بالياء وباقي الآية تذكرة بينة وإقامة
لهمم الغفلة والألباب العقول واحدها لب قوله عز وجل وما أنفقتم من نفقة
أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار إن تبدوا الصدقات
فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون
خبير كانت النذور من سيرة العرب تكثر منها فذكر الله تعالى النوعين ما
يفعله المرء متبرعا وما يفعله بعد إلزامه لنفسه ويقال نذر الرجل كذا إذا
التزم فعله ينذُر بضم الذال وينذِر بكسرها وقوله تعالى فإن الله يعلمه قال
مجاهد معناه يحصيه وفي الآية وعد ووعيد أي من كان خالص النية فهو مثاب
ومن أنفق رياء أو لمعنى آخر مما يكسبه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله
باطلا ولا يجد ناصرا فيه ووحد الضمير في يعلمه وقد ذكر شيئين من حيث أراد
ما ذكر أو نص وقوله تعالى إن تبدوا الصدقات الآية ذهب جمهور المفسرين
إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في
التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها
قال أبو محمد ويقوي ذلك قول النبي عليه السلام صلاة الرجل في بيته أفضل من

صلاته في المسجد إلا المكتوبة وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل
عرضة لذلك وقال سفيان الثوري هذه الآية في التطوع وقال يزيد بن أبي حبيب
إنما نزلت هذه الآية في الصدقة على اليهود والنصارى وكان يأمر بقسم الزكاة
في السر وهذا مردود لا سيما عند السلف الصالح فقد قال الطبري أجمع الناس على
أن إظهار الواجب أفضل قال المهدوي وقيل المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع
به فكان الإخفاء فيهما أفضل في مدة النبي عليه السلام ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك
فاستحسن العلماء إظهار الفرض لئلا يظن بأحد المنع قال أبو محمد وهذا القول مخالف
للآثار ويشبه في زمننا أن يحسن التستر بصدقة الفرض فقد كثر المانع لها وصار
إخراجها عرضة للرياء وقال النقاش إن هذه الآية نسخها قوله تعالى الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الآية وقوله فنعما هي فقرأ أبو عمرو في
غير رواية ورش وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل فنعما بكسر النون وسكون
العين وقرأ عاصم في رواية حفص وابن كثير ونافع في رواية ورش فنعما بكسر النون
والعين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي فنعما بفتح النون وكسر العين وكلهم شدد
الميم وقال أبو علي من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله لأنه جمع بين ساكنين
الأول منهما ليس بحرف مد ولين وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول
حرف مد إذ المد يصير عوضا من الحركة وهذا نحو دابة وضوال ونحوه ولعل
أبا عمرو أخفى الحركة واختلسها كأخذه بالإخفاء في بارئكم ويأمركم فظن
السامع الإخفاء إسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه وأما من قرأ نعما بكسر
النون والعين فحجته أن أصل الكلمة نعم بكسر العين من أجل حرف الحلق ولا يجوز أن يكون
ممن يقول نعم ألا ترى أنك تقول هذا قدم مالك فتدغم ولا تدغم هؤلاء قوم مالك
وجسم مالك قال سيبويه نعما محرك العين وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة
هذيل وكسرها كما قال لكسر النون والعين ليس على لغة من قال نعم محرك العين وحدثنا
أبو الخطاب أنها لغة هذيل وكسرها كما قال لعب ولو كان الذي قال نعما ممن يقول نعم

بسكون العين لاجل الادغام **قال ابو محمد** وسيبويه ان هذا ممتنع لانه
يسوق الى اجتماع ساكنين قال ابو علي واما من قرا نعما بفتح النون وكسر العين فانه جا
بالكلمة على اصلها وهو نعم **ومنه قول الشاعر** ما اقلت قدماي انهم نعم
الساعون في الامر المبر ٭ ولا يجوز ان يكون ممن يقول قبل الادغام نعم بسكون
العين وقال المهدوي وذلك جايز محتمل وكسر العين بعد الادغام لالتقاء الساكنين
قال ابو علي وما من قوله نعما في موضع نصب **وقوله** هي تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر
والتقدير نعم شيا ابداوها والابدا هو المخصوص بالمدح الا ان المضاف حذف واقيم المضاف
اليه مقامه ويدلك على هذا قوله فهو خير لكم اي الاخفا خير فما الخبر هنا للاخفاء لا للصدقات
فكذلك اولا الفاعل هو الابدا او هو الذي اتصل به الضمير فحذف الابدا واقيم ضمير الصدقات
مقامه واختلف القراء في قوله تعالى ويكفر عنكم فقرا ابو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية
ابي بكر ونكفر عنكم بالنون ورفع الراء وقرا نافع وحمزة والكسائي ونكفر بالنون والجزم
والراء وروي مثل ذلك عن عاصم وقرا ابن عامر ويكفر بالياء ورفع الراء وقرا ابن عباس
وتكفر بالتاء وكسر الفاء وجزم الراء وقرا عكرمة وتكفر بالتاء وفتح الفاء وجزم
الراء وقرا الحسن ويكفر بالياء وجزم الراء وروي عن الاعمش انه قرا ويكفر بالياء ونصب
الراء وقال ابو حاتم قرا الاعمش يكفر بالياء دون واو قبلها وبجزم الراء وحكى
المهدوي عن ابن هرمز انه قرا وتكفر بالتاء ورفع الراء وحكي عن عكرمة وشهر بن حوشب
انهما قرا بالتاء ونصب الراء **قال ابو محمد** فما كان من هذه القراءات بالنون فهي نون
العظمة وما كان منها بالتاء فهي الصدقة فاعلة الا ما روي عن عكرمة من فتح الفاء فان
التاء في تلك القراءة انما هي للسيئات وما كان منها بالياء فالله تعالى هو المكفر
والاعطاء في خفاء هو المكفر ذكره مكي واما رفع الراء فهو على وجهين احدهما ان
يكون الفعل خبر ابتدا تقديره ونحن نكفر او وهي تكفر اعني الصدقة او والله يكفر والثاني
القطع والاستيناف وان لا تكون الواو عاطفة للاشتراك لكن لعطف جملة على جملة
واما الجزم في الراء فانه حمل الكلام على موضع قوله تعالى فهو خير اذ هو في موضع

جزم

جزم جوابا للشرط كانه قال وان تخفوها يكن اعظم لاجركم ثم عطف على
هذا الموضع كما جاءت قراءة من قرا من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم بجزم الراء ٥
وامثلة هذا كثيرة واما نصب الراء فعلى اضمار ان وهو قليل وقال المهدوي هو
مشبه بالنصب في جواب الاستفهام والجزم في الراء افصح هذه القراءات لانها تؤذن
بدخول التكفير في الجزا وكونه مشروطا ان وقع الاخفاء واما رفع الراء فليس فيه
هذا المعنى ومن في قوله من سيئاتكم للتبعيض المحض والمعنى في ذلك متمكن وحكى الطبري
عن فرقة انها زايدة في هذا الموضع وذلك منهم خطا **وقوله** والله بما تعملون
خبير وعد ووعيد **قوله عز وجل** ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشا
وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغا وجه الله وما تنفقوا من خير يوف
اليكم وانتم لا تظلمون روي عن سعيد ابن جبير في سبب هذه الاية ان المسلمين كانوا
يتصدقون على فقرا اهل الذمة فلما كثر فقرا المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا الا على اهل دينكم فنزلت هذه الاية مبيحة الصدقة على من ليس من
دين الاسلام وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصدقات فجاءه يهودي
فقال اعطني فقال النبي عليه السلام ليس لك من صدقة المسلمين شي فذهب اليهودي
غير بعيد فنزلت الاية ليس عليك هداهم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
فاعطاه ثم نسخ الله ذلك باية الصدقات وروى ابن عباس انه كان ناس من
الانصار لهم قرابات في بني قريظة والنظير وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة في ان
يسلموا اذا احتاجوا فنزلت الاية بسبب ذلك وحكى بعض المفسرين ان اسما بنت ابي
بكر الصديق ارادت ان تصل جدها ابا قحافة ثم امتنعت من ذلك لكونه كافرا
فنزلت الاية في ذلك وذكر الطبري ان مقصد النبي عليه السلام بمنع الصدقة انما
كان ليسلموا او يدخلوا في الدين فقال الله ليس عليك هداهم **قال ابو محمد**
وهذه الصدقة التي ابيحت عليهم حسبما تضمنته هذه الاثار فانما هي صدقة
التطوع واما المفروضة فلا يجزي دفعها لكافر وهذا الحكم متصور للمسلمين

اليوم مع اهل ذمتهم ومع المسترقين من الحربيين قال ابن المنذر اجمع من احفظ عنه من اهل
العلم ان الذمي لا يعطى من زكاة الاموال شيئا ثم ذكر جماعة ممن نص على ذلك ولم يذكر
خلافا قال المهدوي رخص للمسلمين ان يعطوا المشركين من قراباتهم من صدقة
الفريضة بهذه الاية قال ابو محمد وهذا مردود عندي والهدى الذي ليس
على محمد عليه السلام هو خلق الايمان في قلوبهم واما الهدى الذي هو الدعاء فهو عليه
وليس بمراد في هذه الاية ثم اخبر تعالى انه هو يهدي من يشاء اي يرشده وفي هذا
رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم اخبر ان نفقة المرء تأجرها انما هي لنفسه فلا
يراعي حيث وقعت ثم بين تعالى ان النفقة المعتد بها المقبولة انما هي ما كان ابتغاء
وجه الله هذا احد التاويلات في قوله تعالى وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وفيه
تاويل اخر وهو انها شهادة من الله تعالى للصحابة انهم انما ينفقون ابتغاء وجهه فهو
خير منه لهم فيه تفضيل وعلى التاويل الاخر هو اشتراط عليهم ويتناول الاشتراط
غيرهم من الامة ونصب قوله ابتغاء هو على المفعول من اجله ثم ذكر تعالى ان ثواب
الانفاق يوفى الى المنفقين والمعنى في الاخرة ولا يبخسون منه شيئا فيكون ذلك البخس
ظلما لهم وهذا هو شان قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم والخير في هذه الاية
المال لانه اقترن بذكر الانفاق فهذه القرينة تدل على انه المال ومتى لم تقترن بما يدل على
انه المال فلا يلزم ان يكون بمعنى المال نحو قوله تعالى خير مستقرا وقوله تعالى مثقال
ذرة خيرا الى غير ذلك وهذا الذي قلناه تحرز من قول عكرمة كل خير في كتاب الله
هو المال **قوله عز وجل** للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في
الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم هذه اللام في قوله للفقراء متعلقة بمحذوف مقدر
تقديره الانفاق او الصدقة للفقراء وقال مجاهد والسدي وغيرهما المراد بهولاء
الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم **قال ابو محمد** ثم تتناول الاية كل من دخل تحت
صفة الفقر غابر الدهر وانما خص فقراء المهاجرين بالذكر لانه لم يكن هنالك سواهم

لان

لان الانصار كانوا اهل اموال وتجارة في قطرهم ثم بين الله تعالى من احوال اولئك
الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله احصروا في سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا
وذهب بعض اللغويين الى ان أُحصِر وحُصِر بمعنى واحد من الحبس والمنع سواء كان ذلك
بعدو او مرض ونحوه من الاعذار حكاه ابن سيده وغيره وفسر السدي هنا
الاحصار بانه بالعدو وذهب بعضهم الى ان احصر انما يكون بالمرض والاعذار وحصر
بالعدو وعلى هذا فسر ابن زيد وقتادة ورجحه الطبري وتأول في هذه الاية انهم
حاسبوا انفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو اذ احاط بهم الكفر
فصار خوف العدو عذرا أُحصِروا به **قال ابو محمد** هذا متجه كان هذه
الاعذار احصرتهم اي جعلتهم ذوي حصر كما قالوا قبره اي ادخله في قبره واقبره
جعله ذا قبر فالعدو وكل محيط يحصر والاعذار المانعة تحصر بضم التاء وكسر الصاد
اي تجعل المرء كالمحاط به **وقوله** في سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول في الاسلام
واللفظ يتناولهما والضرب في الارض هو التصرف في التجارة وضرب الارض هو المشي
الى حاجة الانسان في البراز وكانوا لا يستطيعون الضرب في الارض لكون البلاد كلها
كفرا مطبقا وهذا في صدر الهجرة فقلتهم تمنع من الاكتساب بالجهاد وانكار
الكفار عليهم اسلامهم يمنع من التصرف في التجارة فبقوا فقراء الا انهم من الانقباض
وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يحسبهم الجاهل بباطن احوالهم اغنياء والتعفف
تفعل وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وهذا
المعنى فسر قتادة وغيره وقرا نافع وابو عمرو والكسائي يحسبهم بكسر السين وكذلك
هذا الفعل في كل القران وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يحسبهم بفتح السين في
كل القران وهما لغتان في يحسب كعهد يعهد ويعهد بفتح الهاء وكسرها في
حروف كثيرة اتت لذلك قال ابو علي لان العين من الماضي
مكسورة فبابها ان يأتي في المضارع مفتوحة والقراءة بالكسر حسنة لمجيء السمع
به وان كان شاذا عن القياس ومن في قوله من التعفف لابتداء الغاية اي من تعففهم

ابتدا ان محسبته ولست لبيان الجنس لان الجاهل بهم لا يحسبهم اغنيا غنا تعفف
وانما يحسبهم اغنيا مال ومحسبته من التعفف ما نسبه وهذا على انهم متعففون
عفه تامه عن المسئله وهو الذى عليه جمهور المفسرين لانهم قالوا فى تفسير قوله
تعالى لا يسلون الناس الحافا المعنى لا يسئلون البته ويحتمل الايه معنى اخر من فيه
لبيان الجنس سنذكره بعد والسيما مقصوره العلامه وبعض العرب يقول
السيميا بزياده يا وبالمد ومنه قول الشاعر له سيميا لا تشق على البصر
واختلف المفسرون فى تعيين هذه السيما التى يعرف بها هولاء المتعففون فقال
مجاهد هى التخشع والتواضع وقال السدى والربيع هى جهد الحاجه وقضف
الفقر فى وجوههم وقله النعمه وقال ابن زيد هى رثه الثياب وقال قوم وحكاه
مكى هى اثر السجود قال ابو محمد وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين
متوكلين لا شغل لهم فى الاغلب الا الصلاه فكان اثر السجود عليهم ابدا والالحاف
والالحاح بمعنى واحد وقال قوم هو ماخوذ من اللحاف الذى اذا اعطاه وعمه
بالتغطيه ومنه قول ابن احمر يظل يحفهن بقفقفيه
ويلحفهن هفهافا ثخينا :: يصف ذكر نعام يحضن بيضا فكان هذا السايل
يلح يعم الناس بسواله فيلحفهم ذلك وذهب الطبرى والزجاج وغيرهما ان
المعنى لا يسلون البته قال ابو محمد والايه تحتمل المعنيين نفى السوال
جمله ونفى الالحاف فقط اما الاول فعلى ان يكون التعفف صفه ثابته لهم
ويحسبهم الجاهل بفقرهم لسبب تعففهم اغنيا من المال ويكون من لابتدا الغايه
ويكون قوله لا يسلون الناس الحافا لم يرد به انهم يسلون غير الحاف بل اريد به التنبيه
على سو حاله من يسل الحافا من الناس كما تقول هذا رجل خير لا يقتل المسلمين
فقولك خير قد تضمن انه لا يقتل ولا يعصى باقل من ذلك ثم ينبهت بقولك لا يقتل
المسلمين على قبح فعل غيره ممن يقتل وليس ثم قاتل مثل هذا اذا كان المنبه عليه
موجودا فى القضيه مشارا اليه فى نفس المتكلم والسامع وسوال الالحاف لم يخل

منه

منه مده وهو مما يكره فلذلك نبه عليه واما المعنى الثانى فعلى ان يكون التعفف
داخلا فى المحسبه اى انهم لا يظهر لهم سوال بل هو قليل وباجمال فالجاهل به مع علمه
بفقرهم يحسبهم اغنيا عفه فمن لبيان الجنس على هذا التاويل ثم نفى عنهم سوال الالحاف
وبقى غير الالحاف مقررا لهم حسب ما يقتضيه دليل الخطاب وهذا المعنى
فى نفى الالحاف فقط هو الذى تقتضيه الفاظ السدى وقال الزجاج رحمه الله
المعنى لا يكون منهم سوال فلا يكون الحاف وهكذا كما قال امرو القيس
على لاحب لا يهتدى بمناره :: اى ليس ثم منار فيكون اهتدا قال ابو محمد
ان كان الزجاج اراد لا يكون منهم سوال البته فذلك لا يعطيه الالفاظ التى
بعدها وانما ينتفى السوال اذا ضبط المعنى من اول الايه على ما قدمناه وان
كان اراد لا يكون منهم سوال الحاف فذلك نص الايه واما تشبيه الايه ببيت
امرى القيس فغير صحيح وذلك ان قوله على لاحب لا يهتدى بمناره وقول الاخر
قف بالطلول لم يعفها القدم وقول الاخر ومن خفت من جوره فى القضا
فما خفت جورك يا عافيه وما جرى مجراه نوع يتوهمه انه لا يهتدى بالمنار وان
كان المنار موجودا فلا ينبغى الا المعنى الذى دخل عليه حرف النفى فقط وكذلك
ينفى العفا وان وجد القدم وكذلك ينفى الخوف وان وجد الجور وهذا لا يترتب
فى الايه ويجوز ان يريد الشاعر ان الثانى معدوم فلذلك ادخلوا على الاول حرف النفى
اذ لا يصح الاول الا موجود الثانى اى ليس ثم منار فاذا لا يكون اهتدا بمنار وليس ثم
قدم فاذا لا يكون عفا وليس ثم جور فاذا لا يكون خوفه وقوله تعالى لا يسلون الناس
الحافا لا يترتب فيه شى من هذا لان حرف النفى دخل على امر عام للالحاف وغيره
ثم خصص بقوله الحافا فجزا من ذلك العام فليس بعدم الالحاف ينتفى السوال وشرط الشعر
ينتفى فيه الاول بعدم الثانى اذ دخل حرف النفى فيه على شى متعلق وجوده بوجود داد
انه معدوم والسوال ليس هكذا مع الالحاف بل الامر بالعكس اذ يعدم الالحاف

فيه ولو كان الكلام لا يلحفون الناس سؤالا لقرب
منهم ويبقى لهم سؤال الا الحاف اذا عدم عدم السؤال
المشبه بالايات المتقدمة وكذلك الوجه ان بعد لا يسألون شيء
كانك قلت تكسبا او نحوه ليصح التشبيه والله المستعان وقوله عز وجل وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم وعد بخير اي يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويثيب

قوله عز وجل

الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في علي بن ابي
طالب رضي الله عنه كانت له اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا
وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال ابن جريج نزلت في رجل فعل ذلك ولم يسم عليا
ولا غيره وقال ابن عباس ايضا نزلت هذه الاية في علف الخيل وقاله عبد الله
بن بشر الغافقي وابو ذر وابو امامة والاوزاعي وابو الدرداء قالوا هي في علف
الخيل المرتبطة في سبيل الله وقال قتادة هذه الاية في المنفقين في سبيل الله من غير
تبذير ولا تقتير قال ابو محمد والاية وان كانت نزلت في علي رضي الله عنه فمعناها
يتناول كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته في الظلم الى مظنة الحاجة واما علف
للخيل والنفقة عليها فان الفاظ يتناولها تناولا محكما وكذلك المنفق في
الجهاد المباشر له انما يجيء انفاقه على رتب الاية وقال ابن عباس رضي الله عنه كان
المومنون يعملون بهذه الايات من قوله ان تبدوا الصدقات الى قوله ولا هم يحزنون
فلما نزلت براءة بتفصيل الزكاة قصروا عليها وقد تقدم القول على نفي الخوف
والحزن والفاء في قوله فلهم دخلت لما في الذين من الابهام فهو يشبه فابهامه
الابهام الذي في الشرط وانما يوجد الشبه تحسنت الفاء في جوابه كما يحسن في الشرط وانما
يوجد الشبه اذا كان الذي موصولا بفعل واذا لم يدخل على الذي عامل يغير معناه فان

قلت الذي ابوه زيد هو عمرو فلا يحسن الفاء في ذلك لحصول الملبس المعنى واذا قلت ليت
الذي جاءك جائي لم يكن للفاء مدخل في المعنى وهذه الفاء المذكورة انما هي موكدة للمعنى
وقد يستغنى عنها اذا لم يقصد التاكيد كقوله بعد لا يقومون وقوله عز وجل الذين
ياكلون الربا الاية الربا هو الزيادة وهو ماخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على ما كان
وغالبه ما كانت العرب تفعله من قولها للغريم اتقضي ام تربي فكان الغريم يزيد في
عدد المال ويصبر الطالب عليه ومن الربا البين التفاضل في النوع الواحد لانها
زيادة وكذلك اكثر البيوع الممنوعة انما تجد منعها لمعنى زيادة اما في عين
مال او اما في منفعة لاحدهما من تأخير ونحوه ومن البيوع ما ليس فيه معنى الزيادة
كبيع الثمر قبل بدو صلاحها وكالبيع ساعة النداء يوم الجمعة فان قيل
لفاعلها اكل ربا فتجوز وتشبيه والربا من ذوات الواو وتثنيته ربوان عند سيبويه
ويكتب بالالف قال الكوفيون يكتب ويثنى بالياء لاجل الكسرة التي في اوله وكذلك
يقولون في الثلاثية من ذوات الواو اذا انكسر الاول او انضم نحو ضحى فان كان
مفتوحا نحو صفا كما قال البصري ومعنى هذه الاية الذين يكسبون الربا ويفعلونه
وقصد الى لفظة الاكل لانها اقوى مقاصد الانسان في المال ولانها دالة على
الجشع فاقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله فاللباس والسكنى
والادخار والانفاق على العيال وغير ذلك داخل في قوله الذين ياكلون وقال
ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي
وابن زيد معنى قوله لا يقومون من قبورهم في البعث يوم القيامة قال بعضهم
يجعل معه شيطان يخنقه وقالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا
عند جمع المحشر ويقوي هذا التأويل المجمع عليه ان في قراءة عبد الله بن مسعود
لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم قال ابو محمد واما الفاظ الاية فكانت
تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع الى تجارة الربا بقيام المجنون لان الطمع
والرغبة تستفزه حتى تضطرب اعضاؤه وهذا كما تقول لمسرع في مشيه

يخلط في هيئة حركاته إما من فزع أو غيره قد جن هذا وقد شبه الأعشى
ناقته في نشاطها بالجنون في قوله وتصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها
من طائف الجن أولق لكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود وتظاهرت به أقوال المفسرين
يضعف هذا التأويل ويتخبطه يتفعله من خبط يخبط كما تقول تملكه وتعبده
وتحمله والمس الجنون وكذلك الأولق والألق ولكن المراد وقوله تعالى ذلك بأنهم
قالوا إنما البيع مثل الربا معناه عند جميع المتأولين في الكفار وأنه قول تكذيب للشريعة
ورد عليها والآية كلها في الكفار المربين نزلت ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمؤمن
عاص ولكن يأخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية وحرم تعالى الجنسين في قوله
وأحل الله البيع وحرم الربا وقال بعض العلماء في قوله وأحل الله البيع هذا من عموم القرآن
لأن العرب كانت تقدر على إنفاذه لأن الأخذ والإعطاء عندها بيع وكل ما عارض
العموم فهو تخصيص منه وقال بعضهم هو من مجمل القرآن الذي فسر بالمحلل من البيع وبالمحرم
والقول الأول عندي أصح قال جعفر بن محمد الصادق حرم الله الربا ليتقارض الناس
وقال بعض العلماء حرمه لأنه متلفة للأموال مهلكة للناس وسقطت علامة
التأنيث في قوله فمن جاءه لأن تأنيث الموعظة غير حقيقي وهي بمعنى وعظ وقرأ
الحسن فمن جاءته بإثبات العلامة وقوله فله ما سلف أي من الربا لا تباعة عليه منه
في الدنيا ولا في الآخرة قاله السدي وغيره وهذا حكم من الله تعالى لمن أسلم من
كفار قريش وثقيف ومن كان يتجر هنالك وسلف معناه تقدم في
الزمن وانقضى وقوله وأمره إلى الله أربع تأويلات أحدها أن الضمير
عائد على الربا بمعنى وأمر الربا إلى الله في إمرار تحريمه أو غير ذلك والآخر أن
يكون الضمير عائدا على ما سلف أي أمره إلى الله في العفو عنه وإسقاط التبعة فيه
والثالث أن يكون الضمير عائدا على ذي الربا بمعنى أمره إلى الله في أن يثبته على
الانتهاء أو يعيده إلى المعصية في الربا والرابع أن يعود الضمير على المنتهي
ولكن بمعنى التأنيس له وبسط أمله في الخير كما تقول وأمره إلى الطاعة وخير

وموضع

وموضع رجاء كما تقول وأمره في نمو وإقبال إلى الله وإلى طاعته ويجيء الأمر هاهنا
ليس في الربا خاصة بل وجملة أموره وقوله تعالى ومن عاد يعني إلى فعل الربا
والقول إنما البيع مثل الربا وإن قدرنا الآية في كافر فالخلود خلود تأبيد حقيقي
وإن لحظناها في مسلم عاص فهذا الخلود مستعار على معنى المبالغة كما تقول العرب
ملك خالد عبارة عن دوام ما لا على التأبيد الحقيقي قوله عز وجل يمحق الله الربا
ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم إن الذين آمنوا وعملوا وعملوا ا
الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون يمحق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه
ويربي الصدقات معناه ينميها ويزيد ثوابها تضاعفا تقول ربت الصدقة
وأرباها الله تعالى وربّاها وذلك هو التضعيف لمن يشاء ومنه قول النبي عليه
السلام إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله
حتى يجيء يوم القيامة وإن اللقمة لعلى قدر أحد قال أبو محمد وقد جعل الله هذين
الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشع من بني آدم يظن الربا يغنيه وهو في الحقيقة
ممحق ويظن الصدقة تفقره وهي في الحقيقة نماء في الدنيا والآخرة وقرأ ابن الزبير
يمحق الله بضم الياء وكسر الحاء مشددة ويربي بفتح الراء وشد الباء وروي عن
النبي عليه السلام كذلك وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار أثيم يقتضي أن
الزجر في هذه الآيات في الكفار المستحلين للربا القائلين على جهة التكذيب
للشرع إنما البيع مثل الربا ووصف الكفار بأثيم إما مبالغة من حيث اختلف
اللفظان وإما ليذهب الاشتراك الذي في كفار إذ قد يقع على الزارع الذي يستر
الحب في الأرض قاله ابن فورك قال ومعنى قوله والله لا يحب أي لا يحب
الكفار الأثيم صالحا أن يريد به مسيئا فاجرا ويحتمل أن يريد والله لا
يحب توفيق الكفار الأثيم قال أبو محمد وهذه تأويلات مستكرهة
أما الأول فأفرط في تعدية الفعل وحمله من المعنى ما لا يحتمله لفظه وأما

الثاني من صحيح المعنى بل الله تعالى يحث التوفيق على العموم والحبة والمحب في
الشاهد يكون منه ميل الى المحب ولطف به وحرص على حفظه وتظهر دلايل
ذلك والله تعالى يريد وجود الحافر على ما هو عليه وليس له عنده مزيه الحب
باعمال تظهر عليهم نحو ما ذكرناه في الشاهد وتلك المزيه موجوده للمومن
ولما انقضى ذكرهم عقب بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالين فقال ان الذين
امنوا الايه وقد تقدم تفسير مثل هذه الالفاظ الى اخر الايه وخص الصلاة
والزكاة بذكر وقد تضمنها عمل الصالحات في اعمال البدن تشريفا لهما وتنبيها
على قدرهما اذ هما راس الاعمال الصلاة في اعمال البدن والزكاة في اعمال المال
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم
مومنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رووس
اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون سبب هذه الايه انه كان الربا بين الناس كثيرا
في ذلك الوقت وكان بين قريش وثقيف ربا فكان لهولاء على هولاء فلما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكه قال في خطبته في اليوم الثاني من الفتح الا كل ربا
في الجاهليه موضوع واول ربا اضعه ربا العباس ابن عبد المطلب فبدا صلى
الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من سنن العدل للامام ان يعمل العدل
العدل على نفسه وخاصته فيستفيض حينيذ في الناس رجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينه واستعمل على مكه عتاب ابن اسيد فلما استنزل اهل
الطايف بعد ذلك الى الاسلام اشترطوا شروطا منها ما اعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومنها ما لم يعطه وكان في شروطهم ان كل ربا لهم على الناس فانهم
ياخذونه وكل ربا عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قررلهم هذه ثم ردها الله بهذه الايه كما رد صلحا في كفار قريش في رد النسا
اليهم عام الحديبيه وذكر النقاش روايه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
ان يكتب في اسفل الكتاب لثقيف لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت

احال

احال رباهم بعثوا الى مكه للاقتضاء وكانت الديون لبني عبده وهم بنو عمرو
ابن عمير من ثقيف وكانت على بني المغيره المخزوميين فقال بنو المغيره لا نعطي
شيا فان الربا قد وضع ورفعوا امرهم الى عتاب ابن اسيد بمكه فكتب به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الايه وكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب
ابن اسيد فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب الايه على اختصار مجموع مما روي
عن ابن اسحق وابن جريج والسدي وغيرهم ومعنى الايه اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايه
بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه وقوله ان كنتم مومنين شرط
محض في ثقيف على بابه لانه كان في اول دخولهم في الاسلام واذا قدرنا الايه
فيمن تقرر ايمانه فهو شرط على جهه المبالغه كما تقول لمن تريد اقامه نفسه ان كنت
رجلا فافعل كذا وحكى النقاش عن مقاتل ابن سليمان انه قال ان في هذه الايه
بمعنى اذ قال ابو محمد وهذا مردود لا يعرف في اللغه وقال ابن فورك يحتمل
انه يريد يا ايها الذين امنوا بمن قبل محمد عليه السلام من الانبياء ذروا ما بقي من الربا ان
كنتم مومنين بمحمد اذ لا ينفع الاول الا بهذا قال ابو محمد وهذا مردود بما
روي في سبب الايه ثم توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب من الله ورسوله وامته
والحرب داعيه القتل وروى ابن عباس انه يقال يوم القيامه لاكل الربا خذ سلاحك
للحرب وقال ابن عباس ايضا من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين
ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه وقال قتاده اوعد الله اهل الربا بالقتل
فجعلهم بهرجا اينما ثقفوا ثم ردهم تعالى مع التوبه الى رووس اموالهم وقال لهم لا
تظلمون في اخذ الربا ولا تظلمون في ان يتمسك بشي من رووس اموالكم فتذهب اموالكم
ويحتمل ان يكون لا تظلمون في مطل لان مطل الغني ظلم كما قال عليه السلام فالمعنى
انه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنه الصلح وهذا اشبه شي بالصلح
الا ترى ان النبي عليه السلام لما اشار على كعب ابن مالك في دين ابن ابي حدرد بوضع الشطر
فقال كعب نعم يا رسول الله فقال رسول الله عليه السلام للاخر قم فاقضه فتلقى

العلما امره بالقضا سنه من المصالحات وقرا الحسن ما بقي بكسر القاف واسكان
اليا وهذا كما قال **جرير** ● هو الخليفه فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمه
ما في حكمه حيف ●● ووجهه انه شبه اليا بالالف فكما لا تصل الحركه الى
الالف فكذلك لم تصل هنا الى اليا وفي هذا نظر وقرا ابو السمال من ربا بكسر الرا
المشدده وضم البا وسكون الواو وقال ابو الفتح شذ هذا الحرف في امرين احدهما
الخروج من الكسر الى الضم بنا لازما والاخر وقوع الواو بعد الضمه في اخر الاسم وهذا
شي لم يات الا في الفعل نحو يغزو ويدعو واما ذو الطائيه بمعنى الذي فشاذه جدا
ومنهم من يغير واوها اذا فارق الرفع فيقول رايت ذا قام ووجه القراءه انه فخم
الالف انتحا بها الواو التي الالف بدل منها على حد قولهم الصلاه والزكاه وهي
بالجمله قراه شاذه وقال ابن كثير وابو عمرو ونافع وابن عامر والكسائي فاذنوا مقصوره
مفتوحه الذال وقرا عاصم في روايه ابي بكر فآذنوا ممدوده مكسوره الذال قال
سيبويه اذنت علمت واذنت ناديت وصوت بالاعلام قال وبعض العرب يجري اذنت
مجرى اذنت قال ابو علي من قال فاذنوا فقصر فمعناه فاعلموا الحرب من الله قال
ابن عباس وغيره من المفسرين معناه فاستيقنوا الحرب من الله **قال ابو محمد** وهي عندي
من الاذن واذا اذن المرء في شي فقد قرره وبنا مع نفسه عليه فكانه قال لهم قرروا
الحرب بينكم وبين الله ورسوله ولزمهم من لفظ الايه انهم مستدعو الحرب والباغون
بها اذ هم الاذنون بها وفيها ويندرج في هذا المعنى الذي ذكرته علمهم بانهم حرب وتيقنهم
لذلك قال ابو علي ومن قرا فآذنوا فمد فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب والمفعول
محذوف وقد ثبت هذا المفعول في قوله تعالى فقل اذنتكم على سوا واذا امروا باعلام
غيرهم فقراه المد ارجح لانها ابلغ واوكد قال الطبري قراه القصر ارجح لانها
تختص بهم وانما امروا على قراه المد باعلام غيرهم **قال ابو محمد** والقراءتان عندي
سوا لان المخاطب بالامر محصور بانه كل من لم يذر ما بقي من الربا فان قيل لهم فاذنوا فقد
عمهم الامر وان قيل لهم فآذنوا بالمد فالمعنى انفسكم وبعضكم بعضا وكان هذه

القراه

القراه تقتضي فسحا لهم في الارتيا والتثبت اي فاعلموا انفسكم هذا ثم انظروا في الارجح
لكم ترك الربا او الحرب وقرا جميع القرا لا تظلمون بفتح التا ولا تظلمون بضمها وقد مضى تفسيرها
وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون بضم التا في الاول وفتحها في الثانيه قال ابو علي وترجح
قراه الجماعه بانها تناسب قوله وان تبتم في اسناد الفعلين الى الفاعل فيجي تظلمون بفتح
التا اشكل بما قبله **قوله عز وجل** وان كان ذو عسره فنظره الى ميسره وان تصدقوا
خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون حكم الله تعالى لارباب الربا برووس الاموال عند الواجدين للمال
ثم حكم في ذي العسره بالنظره الى حال اليسر قال المهدوي وقال بعض العلما هذه
الايه ناسخه لما كان في الجاهليه من بيع من اعسر بدينه وحكى مكي ان النبي عليه السلام
امر به في صدر الاسلام **قال ابو محمد** فان ثبت فعل النبي عليه السلام فهو نسخ والا
فليس بنسخ والعسره ضيق الحال من جهه عدم المال ومنه جيش العسره والنظره
التاخير والميسره مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسره بكان التامه التي هي بمعنى وجد
وحدث هذا قول سيبويه وابي علي وغيرهما ومن هنا يظهر ان الاصل الغنى ووفور الذمه
وان العدم طارى حادث يلزم ان يثبت وقال بعض الكوفيين حكاه الطبري بل
هي كان الناقصه والخبر محذوف تقديره وان كان من غرمائكم ذو عسره
وارتفع قوله فنظره على خبر ابتدا مقدر تقديره فالواجب نظره او فالحكم نظره
قال الطبري وفي مصحف ابي بن كعب وان كان ذا عسره على معنى وان كان
المطلوب وقرا الاعمش وان كان معسرا فنظره قال ابو عمرو الداني عن احمد بن
موسى وكذلك في مصحف ابي بن كعب وقال مكي والنقاش وعلى هذا يختص لفظ
الايه باهل الربا وعلى من قرا وان كان ذو عسره فهي عامه في جميع من عليه دين
قال ابو محمد وهذا غير لازم وحكى المهدوي ان في مصحف عثمان فان كان بالفاء ذو
عسره بالواو وقراه الجماعه نظره بكسر الظا وقرا مجاهد وابو رجا والحسن فنظره
بسكون الظا وكذلك قرا الضحاك وهي على تسكين الظا من نظره وهي لغه

تميم وهم الذين يقولون كرْم زيد بمعنى كرُم ويقولون كبْد في كبِد وكتْف
في كتِف وقرأ عطاء بن أبي رباح فناظِرة على وزن فاعلة وقال الزجاج هي من أسماء
المصادر كقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وكقوله تظن أن يفعل بها فاقرة وكخائنة
الأعين وغيره وقرأ نافع وحده ميسُرة بضم السين وقرأ باقي السبعة وجمهور الناس
ميسَرة بفتح السين على وزن مفعَلة وهذه القراءة أكثر في كلام العرب لأن مفعُلة
بضم العين قليل قال أبو علي قد قالوا مشرُقة ومشرُبة ولكن مفعَلة بفتح العين في كلامهم
أكثر وقرأ عطاء بن أبي رباح أيضا ومجاهد فناظِرْه إلى ميسُرِه على الأمر في ناظره وجعلا
الهاء ضمير الغريم وضما السين من ميسره وكسرا الراء وجعلا الهاء ضمير الغريم فأما ناظره
ففاعله من التأخير كما تقول سامحه وأما ميسُر فشاذ قال سيبويه ليس في كلام العرب
مفعُل قال أبو علي يريد في الآحاد وأما في الجمع فقد جاء في قول عدي بن زيد
أبلغ النعمان عني مألُكاً ... أنه قد طال حبسي وانتظاري وقول جميل بثين الزمي
لا إن لا إن لزمته ... على كثرة الواشين أي معون فالأول جمع مألُكة والآخر
جمع معونة وقال ابن جني أراد مألُكة فحذف وكذلك جميل أراد أي
معونة وكذلك قول الآخر ليوم روع أو فعال مكرم أراد مكرمة
فحذف قال ويحتمل أن يكون جمعا كما قال أبو علي قال أبو محمد فإن كان ميسُر
جمع ميسرة يجري مجرى هذه الأمثلة وإن كان قارئه أراد بالإفراد [illegible]
شاذ وقد خطأه بعض الناس وكلام سيبويه يرده واختلف أهل العلم هل هذا الحكم
بالنظرة إلى الميسرة واقف على أهل الربا خاصة أو [illegible] الديون أو سائر الأمانات
منسحب على كل دين حال فقال ابن عباس وشريح ذلك في الربا خاصة وأما الديون
وسائر الأمانات فليس فيها نظرة بل تؤدى إلى أهلها قال أبو محمد وكأن هذا
القول يترتب إذا لم يكن فقر مدقع وأما مع الفقر والعدم الصريح فالحكم هي النظرة
إلى الميسرة حكم ثابت في المعنى سواء كان الدين ربا أو من تجارة في ذمة أو من أمانة فسره
الضحاك وقوله تعالى وأن تصدقوا ابتداء وخبره خير وندب الله تعالى بهذه

الألفاظ

الألفاظ إلى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من إنظاره قاله السدي وابن زيد
والضحاك وجمهور الناس وقال الطبري وقال آخرون معنى الآية وأن تصدقوا على
الغني والفقير خير لكم ثم أدخل تحت هذه الترجمة أقوالا لقتادة وإبراهيم النخعي
ولا يلزم منها ما تضمنته ترجمته بل هي كقول جمهور الناس وليس في الآية
مدخل للغني وقرأ جمهور القراء تصدقوا بشد الصاد على الإدغام من تتصدقوا
وقرأ عاصم وأن تصدقوا بتخفيف الصاد وفي مصحف عبد الله بن مسعود وأن
تتصدقوا بفك الإدغام وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه قال
كان آخر ما أنزل من القرآن آية الربا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس آخر ما نزل آية الربا قال
أبو محمد ومعنى هذا عندي أنها آخر ما نزل لأن جمهور الناس وابن عباس
والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا
يوما ترجعون فيه إلى الله وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أحدث القرآن بالعرش
آية الدين وروي أن قوله واتقوا نزلت قبل موت النبي عليه السلام بتسع ليال ثم
لم ينزل بعدها شيء وروي بثلاث ليال وروي أنها نزلت قبل موته بثلاث ساعات
وأنه عليه السلام قال جاءني جبريل فقال اجعلها على رأس مائتين وثمانين آية من البقرة
وقوله تعالى واتقوا إلى آخر الآية وعظ لجميع الناس وأمر يخص كل إنسان
ويوما منصوب على المفعول لا على الظرف وقرأ أبو عمرو بن العلاء ترجعون بفتح
التاء وكسر الجيم وقرأ باقي السبعة تُرجعون بضم التاء وفتح الجيم فمثل قراءة أبي عمرو
إن إلينا إيابهم ومثل قراءة الجماعة ثم ردوا إلى الله ولئن رددت إلى ربي والمخاطبة
في القراءتين بالتاء هي على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير وقرأ الحسن يرجعون بالياء
على معنى يرجع جميع الناس قال ابن جني كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين عن أن يواجههم
بذكر الرجعة إذ هي مما تتفطر له القلوب فقال لهم واتقوا ثم رجع في ذكر
الرجعة إلى الغيبة رفقا بهم وقرأ أبي بن كعب يوما تردون بضم التاء وجمهور

العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية وقال
قوم هو يوم الموت والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية وفي قوله إلى الله مضاف محذوف
تقديره إلى حكم الله وفصل قضائه وقوله وهم رد على ضمير الجماعة على قراءة الحسن يرجعون
وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإنسان وهذا رد على الجبرية

وهم رد على معنى كل نفس لا على اللفظ
الا على قراءة الحسن يرجعون صح

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب
بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب قال ابن عباس
هذه الآية نزلت في السلم خاصة قال أبو محمد معناه أن سلم أهل المدينة
كان سبب الآية ثم هي تتناول جميع المداينات إجماعا وبين تعالى بقوله بدين ما
في قوله تداينتم من الاشتراك إذ قد يقال في كلام العرب تداينوا بمعنى جازى بعضهم
بعضا ووصفه الأجل بمسمى دليل على أن المجهولة لا تجوز فكأن الآية رفضتها
وإذا لم تكن تسمية وحد فليس أجل وذهب بعض الناس إلى أن كتب الديون واجب
على أربابها فرض بهذه الآية وذهب الربيع إلى أن ذلك وجب بهذه الألفاظ
ثم خففه الله تعالى بقوله فإن أمن بعضكم بعضا وقال الشعبي كانوا يرون أن قوله
فإن أمن ناسخ لأمره بالكتب وحكى نحوه ابن جريج وقاله ابن زيد وروي عن أبي سعيد
الخدري وقال جمهور العلماء الأمر بالكتب ندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب
وإذا كان الغريم تقيا فما يضره الكتاب وإن كان غير ذلك فالكتب ثقاف في دينه
وحاجة صاحب الحق قال بعضهم إن أشهدت فحزم وإن ائتمنت ففي حل وسعة قال
أبو محمد هذا هو القول الصحيح ولا يترتب نسخ في هذا لأن الله ندب إلى الكتب
فيما للمرء أن يهبه ويتركه بإجماع فندبه إنما هو على جهة الحيطة للناس ثم علم
تعالى أنه سيقع الائتمان وأما الطبري رحمه الله فذهب إلى أن الأمر بالكتب
فرض واجب وطول في الاحتجاج وظاهر قوله أنه يعتقد الأمر على الوجوب
حتى يقوم دليل على غير ذلك واختلف الناس في قوله تعالى وليكتب بينكم فقال
عطاء وغيره واجب على الكاتب أن يكتب وقال السدي هو واجب مع الفراغ

وقوله

وقوله تعالى بالعدل معناه بالحق والمعدلة والباء متعلقة بقوله تعالى وليكتب
وليست متعلقة بكاتب لأنه كان يلزم ألا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه وقد يكتبها
الصبي والعبد والمسخوط إذا أقاموا فقهها أما إن المنتصبين لكتبها لا يجوز للولاة
أن يتركوهم إلا عدولا مرضيين وقال مالك رحمه الله لا يكتب الوثائق بين الناس إلا
عارف بها عدل في نفسه مأمون لقوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم نهى الله تعالى
الكاتب عن الإباية وأبى يأبى شاذ لم يجئ
وأبى يأبى ولا يجي
فعل يفعل بفتح العين في المضارع إلا إذا كان فيه حرف حلقي قال الزجاج والقول في
أبى أن الألف فيه أشبهت الهمزة فلذلك جاء مضارعه بفتح العين وحكى المهدوي
عن الربيع والضحاك أن قوله ولا يأب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد والكاف
في قوله كما علمه الله متعلقة بقوله أن يكتب المعنى كتبا كما علمه الله هذا قول
بعضهم ويحتمل فلا يأب هو وليفضل كما أفضل عليه ويحتمل أن يكون الكلام على هذا
المعنى تاما عند قوله أن يكتب ثم يكون قوله كما علمه الله ابتداء كلام وتكون الكاف
متعلقة بقوله فليكتب قال أبو محمد وإذا أمكن الكتاب فليس يجب الكتب على
معين ولا وجوب الندب بل له الامتناع إلا إن استأجره وأما إذا عدم الكاتب
فيتوجه وجوب الندب حينئذ على الحاضر وأما الكتب في الجملة فندب كقوله
تعالى وافعلوا الخير وهو من باب عون الضائع بحسب الحديث قوله عز وجل
وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه
الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل أمر الله تعالى الذي
عليه الحق بالإملاء لأن الشهادة إنما تكون بحسب إقراره فإذا كتبت الوثيقة وأقر بها
فهو كإملائه لها وأمره الله بالتقوى فيما يمل ونهى عن أن يبخس شيئا من الحق والبخس النقص
بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين أمروا بالإملاء هم المالكون لأنفسهم
إذا حضروا ثم ذكر تعالى ثلاثة أنواع تقع نوازلهم في كل زمن فقال فإن كان
الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا وكون الحق يترتب في جهات سوى المعاملات

كالمواريث اذا قسمت وغير ذلك والسفيه المهلهل الرأي في المال الذي لا يحسن الاخذ
لنفسه ولا الاعطاء منها مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه
الخفة ومنه قول الشاعر **وهو ذو الرمة** مشين كما اهتزت رماح تسفهت
اعاليها مر الرياح النواسم ، وهذه الصفة في الشريعة لا تخلو من حجر اب او وصي
وذلك هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف هو المدخول في عقله الناقص في الفطرة وهذا
ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذي لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه
والغائب عن موضع الاشهاد اما لمرض او غير ذلك من العذر ووليه وكيله واما الاخرس
فيسوغ ان يكون من الضعفاء والاولى انه ممن لا يستطيع فهذه اصناف تتميز وتجد من ينفرد
بواحد واحد منها وقد تجتمع منها اثنان في شخص وربما اجتمعت كلها في شخص وهذا
الترتيب ينتزع من قول مالك وغيره من العلماء الحذاق وقال بعض الناس السفيه الصغير الصبي
وهذا خطأ وقال قوم الضعيف هو الاحمق وهذا قول حسن وجاء الفعل مضعفا
في قوله ان يمل لانه لو فك لتوالت الحركات كثيرة والفك في هذا الفعل لغة قريش
وبالعدل معناه بالحق وقصد الصواب وذهب الطبري الى ان الضمير في وليه عائد
على الحق واسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس **قال ابو محمد** وهذا عندي شيء
لا يصح عن ابن عباس وكيف تشهد البينة على شيء وتدخل مالا في ذمة السفيه باملال
الذي له الدين هذا شيء ليس في الشريعة والقول ضعيف الا ان يريد قائله ان الذي لا
يستطيع ان يمل بمرضه اذا كان عاجزا عن الاملال فليمل صاحب الحق بالعدل ويسمع الذي
عجز فاذا كمل الاملال اقر به وهذا معنى لم تعن الآية اليه ولا يصح هذا الا فيمن لا يستطيع
ان يمل بمرض **قوله عز وجل** واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
الاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة في شهيدين دلالة على من قد شهد
وتكرر ذلك منه فكأنها اشارة الى العدالة **وقوله تعالى** من رجالكم نص
في رفض الكفار والصبيان والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف العلماء

فيهم

فيهم فقال شريح واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل شهادة العبد جائزة اذا
كان عدلا وغلبوا لفظ الآية وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجمهور العلماء
لا تجوز شهادة العبد وغلبوا نقص الرق واسم التام في قوله
يكونا والمعنى في قول الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين اي ان اغفل ذلك صاحب
الحق او قصده لعذر ما وقال قوم بل المعنى فان لم يوجد رجلان ولا يجوز استشهاد
المرأتين الا مع عدم الرجال **قال ابو محمد** وهذا قول ضعيف ولفظ الآية لا
يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور **وقوله** فرجل وامرأتان مرتفع باحد ثلثة اشيا
اما ان يقدر فليستشهد رجل وامرأتان واما فليكن رجل وامرأتان ويصح ان يكون
تكون هذه التامة والناقصة لكن التامة اشبه لانه يقل الاضمار واما رجل
وامرأتان يشهدون وعلى كل وجه فالمقدر هو العامل في قوله ان تضل احداهما
وروى حميد بن عبد الرحمن عن بعض اهل مكة انهم قرءوا وامرأتان بهمز الالف ساكنة
قال ابن جني لا نظير لتسكين الهمزة المتحركة على غير قياس وانما خففوا الهمزة فقربت
من الساكن ثم بالغوا في ذلك فصارت الهمزة الفا ساكنة **كما قال الشاعر**
يقولون جهلا ليس للشيخ عيل لعمري لقد اعيلت وان رقوب ، يريد وانا رقوب
ثم بعد ذلك يدخلون الهمزة على الالف كما هي وهي ساكنة ومنه قراءة ابن كثير عن ساقيها
وقولهم بأز وخأتم قال ابو الفتح وان شئت شبهت الهمزة بالالف في انها ساوتها
في الجهر والزيادة والبدل والحرف في قرب المخرج وفي الخفاء فقول محشوة لا ضعة
فيه ولا يكاد يمتنع مثله **وقوله تعالى** ممن ترضون من الشهداء رفع في موضع
الصفة لقوله فرجل وامرأتان قال ابو علي ولا يدخل في هذه الصفة قوله شهيدين
لاختلاف الاعراب **قال ابو محمد** وهذا الحكم لفظي واما المعنى فالرضى شرط
في الشهيدين كما هو في الرجل والمرأتين قال ابن بكير وغيره قوله ممن ترضون مخاطبة
للحكام **قال ابو محمد** وهذا غير نبيل انما الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس
بهذه القضية انما هو الحكام وهذا كثير في كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس

البعض وفي قوله ممن ترضون دليل على ان في الشهود من لا يرضى فيجي من ذلك
ان الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت لهم وقرا حمزة وحده ان تضل
بكسر الالف وفتح التا وكسر الضاد فتذكر بفتح الذال ورفع الرا وهي قراة الاعمش
وقراها الباقون ان تضل بفتح الالف فتذكر بنصب الرا غير ان ابن كثير وابا عمرو
خففا الذال والكاف وشددها الباقون وقد تقدم القول فيما هو العامل في
قوله ان تضل وان مفعول من اجله والشهادة لم تقع لان تضل احداهما وانما وقع
اشهاد المراتين لان تذكر احداهما ان ضلت الاخرى قال سيبويه وهذا كما تقول
اعددت هذه الخشبة ان يميل الحائط فادعمه قال ابو محمد ولما كانت النفوس
مستشرفة الى معرفة اسباب الحوادث قدم في هذه العبارة ذكر سبب الامر
المقصود ان يخبر به وفي ذلك سبق النفوس الى الاعلام بمرادها وهذا من انواع
الفصاحة اذ لو قال الرجل اعددت هذه الخشبة ان ادعم بها هذا الحائط
لقال السامع ولم تدعم حائطا قايما فيجب ذكر السبب فيقال اذا مال فجا
في كلامهم تقديم السبب اخصر من هذه المحاورة وقال ابو عبيد معنى تضل
تنسى قال ابو محمد والضلال عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها وذكر
جزء ويبقى المرء بين ذلك حيران ضالا ومن نسي الشهادة جملة فليس يقال ضل فيها
فاما قراة حمزة فجعل ان للجزاء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط
وجوابه رفع بكونه صفة للمذكورتين وهما المراتان وارتفع تذكر كما ارتفع قوله تعالى
ومن عاد فينتقم الله منه هذا قول سيبويه قال ابو محمد وفي هذا نظر واما نصب
قوله فتذكر على قراة الجماعة فعلى العطف على الفعل المنصوب بان وتخفيف الكاف
على قراة ابي عمرو وابن كثير هو بمعنى تثقيله من الذكر يقال ذكرت فاذكرت
تعديه بالتضعيف او بالهمزة وروي عن ابي عمرو بن العلا وسفين بن عيينة انهما
قالا معنى قوله فتذكر بتخفيف الكاف اي تردها ذكرا في الشهادة لان شهادة
امراة نصف شهادة فاذا شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر وهذا تاويل بعيد

غير

تصحح ولا يحسن في مقابلة الضلال الا الذكر وتذكر بتشديد الكاف
يتعدى الى مفعولين واحدهما في الاية محذوف تقديره فتذكر احداهما الاخرى
الشهادة التي ضلت عنها وقرا الجحدري وعيسى بن عمر ان تضل بضم التا وفتح الضاد
بمعنى تنسى هكذا حكى عنهما ابو عمرو الداني وحكى النقاش عن الجحدري ضم التا
وكسر الضاد بمعنى ان تضل الشهادة تقول اضللت الفرس والبعير اذا تلفا لك
وذهبا ولم تجدهما وقرا حميد بن عبد الرحمن ومجاهد فتذكر بتخفيف الكاف
المكسورة ورفع الرا وتضمنت هذه الاية جواز شهادة امراتين بشرط اقترانهما
برجل واختلف قول مالك في شهادتهما فروى عنه ابن وهب ان شهادة النسا
تجوز الا حيث ذكرها الله تعالى في الدين او فيما لا يطلع عليه احد الا هن للضرورة
الى ذلك وروى عنه ابن القسم انها تجوز في الاموال والوكالات على الاموال
وكل ما جر الى مال واختلف في هذا اشهب وغيره وكذلك اذا شهدن على ما
يودي الى غير مال ففيها قولان في المذهب قوله عز وجل ولا ياب الشهدا اذا
ما دعوا ولا تسامو ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله
واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا قال قتادة والربيع وغيرهما معنى الاية اذا
دعوا ان يشهدوا فيستحفظوا شهادتهم وفي هذا المعنى نزلت الاية كان الرجل
يطوف في القوم الكثير يطلب من يشهد له فيتحرجون هم عن الشهادة ولا يقوم معه
احد فنزلت الاية في ذلك وقال الحسن بن ابي الحسن الاية جمعت امرين لا تاب اذا
دعيت الى تحصيل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها وقاله ابن عباس وقال مجاهد
معنى الاية لا تاب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت عندك واسند النقاش
الى النبي عليه السلام انه فسر الاية بهذا قال مجاهد واما اذا دعيت لتشهد
اولا فان شيت فاذهب وان شيت فلا تذهب وقاله لاحق بن حميد وعطا
وابرهيم وابن جبير والسدي وابن زيد وغيرهم قال ابو محمد والاية كما
قال الحسن جمعت امرين على جهة الندب فالمسلمون مندوبون الى معونة اخوانهم

وله

فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والامن من تعطل الحق فالمدعو مندوب

ان يتخلف لادنى عذر وان تخلف لغير عذر فلا اثم عليه ولا ثواب له واذا كانت الضرورة

وخيف تعطل الحق ادنى خوف قوي الندب وقرب من الوجوب واذا علم ان الحق يذهب ويتلف

بتاخر الشاهد عن الشهادة فواجب عليه القيام بها لاسيما ان كانت محصلة

وكان الدعاء الى ادائها فان هذا الظرف اكد لانها قلادة في العنق وامانة تقتضي

الاداء وتساموا معناه تملوا وصغيرا او كبيرا حالان من الضمير في تكتبوه وقدم

الصغير في تكتبوه اهتماما وهذا النهي عن السامة انما جاء لتردد المداينة عندهم

فخيف عليهم ان يملوا الكتب واقسط معناه اعدل وهذا افعل من الرباعي وفيه شذوذ

وانظر هل هو من قسط بضم السين كما تقول اكرم من كرم تعال اقسط

بمعنى عدل وقسط بمعنى جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا

ومن قدره قوله تعالى واقوم للشهادة معنى واشد اقامة وذلك ايضا افعل من

الرباعي ومن قدرها من قام بمعنى اعتدل زال عن الشهود وادنى معناه اقرب

وترتابوا معناه تشكوا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تساموا او تكتبوا او ترتابوا كلها

بالياء على الحكاية عن الغائب **قوله عز وجل** الا ان تكون تجارة [illegible]

حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا

تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم

الله والله بكل شيء عليم لما علم الله تعالى مشقة الكتاب عليهم نص على ترك

ذلك ورفع الجناح فيه في كل مبايعة بنقد وذلك في الاغلب انما هو في قليل

كالمطعوم ونحوه لا في كثير كالاملاك ونحوها وقال السدي والضحاك

هذا فيما اذا بيع بيد ياخذ ويعطي وان في موضع نصب على الاستثناء المنقطع

وقوله تعالى تديرونها تقتضي التقابض والبينونة بالمقبوض ولما كانت الرباع

والارض وكثير من الحيوان لا يقوى البينونة به ولا يغاب عليه حسن الكتب فيها

ولحقت في ذلك مبايعة الدين وقرا عاصم وحده تجارة نصبا وقرا الباقون

تجارة

تجارة رفعا قال ابو علي واشكل في ابن عامر واذا اتت كانت بمعنى حدث ووقع

غنيت عن خبر واذا خلع منها معنى الحدوث لزمها الخبر المنصوب فحجة من

رفع تجارة ان كان بمعنى وقع وحدث واما من نصب فعلى خبر كان والاسم مقدر

تقديره عند ابي علي اسم المبايعة التي دلت الايات المتقدمة عليها واما الا

ان تكون التجارة تجارة ويكون ذلك مثل **قول الشاعر** فدى لبني ذهل بن

شيبان ناقتي اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا **:.** اي اذا كان اليوم يوما

قال ابو محمد هكذا انشد ابو علي البيت وكذلك ابو العباس المبرد **وانشده الطبري**

ولله قومي اي قوم لحرة اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا **:.** وانشد سيبويه

بالرفع ذو كواكب **وقوله تعالى** واشهدوا اذا تبايعتم قال الطبري معناه

واشهدوا على صغير ذلك على الندب وقال ابن عمر والضحاك ذلك على الوجوب وكان ابن

عمر يفعله في قليل الاشياء وكثيرها وقاله عطاء ورجح ذلك الطبري **قال ابو محمد**

والوجوب في ذلك قلق اما في الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فقصد التجر

الاستيلاف بترك الاشهاد وقد يكون عادة في بعض البلاد وقد يستحيا من

العالم والرجل الكبير الموقر فلا يشهد عليه فيدخل ذلك كله في الائتمان ويبقى

الامر بالاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة في الاغلب ما لم يقع عذر يمنع منه

كما ذكرنا وحكى المهدوي عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ

بقوله فان امن الاية **قال ابو محمد** وذكره مكي عن ابي سعيد الخدري واختلف

الناس في معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد فقال الحسن وقتادة

وطاوس وابن زيد وغيرهم المعنى ولا يضار الكاتب بان يكتب ما لم يمل عليه

ولا يضار الشاهد بان يزيد في شهادته او ينقص منها وقال مثله ابن عباس ومجاهد

وعطاء الا انهم قالوا لا يضار الكاتب والشهيد ان يمتنعا **قال ابو محمد**

ولفظ الضرر يعم هذا والقول الاول والاصل في يضار على هذين القولين يضارر بكسر

الراء ثم وقع الادغام وفتحت الراء في الجزم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد والسدي

ولى الايمان فى الحصر
وروى قوله لما في الايمان والصحيح صعف القول في الفصلين بل يقع الايمان في الحصر وابن عباس
كثيرا والحسن وقرا جمهور القراء كاتبا بمعنى رجل يكتب وقرا ابي ابن كعب وابن عباس
كتابا بكسر الكاف وتخفيف التاء والف بعدها وهو مصدر قال المكي وقيل هو جمع
كاتب كقايم وقيام قال ابو محمد ومثله صاحب وصحاب وقرا بذلك
مجاهد وابو العالية وقال الشعبي وان عدمتم الدواه والقلم والصحيفه
قال ابو محمد ونفي وجود الكاتب يكون بعدم اي آلة اتفق من الآية نفي الكاتب
بعضها ونفي الكاتب ايضا يقتضي نفي الكتاب والقرآن حسنتان الا من جهة
المصحف وروى عن ابن عباس انه قرا كتابا بضم الكاف جمع كاتب وهذا الحسن من
حيث لكل نازلة كاتب فقيل للجماعه ولم تجدوا كتابا وهذا هو الحسن الذي يدل عليه
قراءة من قرا كتابا وحكى المهدوي عن ابي العالية انه قرا كتبا وهذا جمع كاتب من حيث
النوازل مختلفه وهذا الجنس هو الذي يدل عليه قراءة من قرا كتابا وقرا نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وجمهور العلماء فرهان وقرا ابو عمرو وابن كثير فرهن بضم الراء
والهاء وروى عنهما تخفيف الهاء وقد قرا كل واحد جماعه غيرهما قال ابو محمد
رهن الشي في كلام العرب معناه دام واستمر يقال ارهن لهم الشراب وغيره قال
ابن سيده ورهنه اي ادامه ومن رهن بمعنى دام قول الشاعر اللحم والخبز
لهم راهن وقهوة راووقها ساكب ❊ اي دايم قال ابو علي ولما كان الرهن بمعنى
الثبوت والدوام فمن ثم بطل الرهن عند الفقهاء اذا خرج من يد المرتهن الى يد الراهن
بوجه من الوجوه لانه فارق ما جعل له ويقال ارهن في السلعه اذا غالى فيها حتى
بكثير الثمن ومنه قول الشاعر في وصف ناقه ❊ يطوي ابن سلمى بها من راكب بعدا
عيدية ارهنت فيها الدنانير ❊ العيد بطن من مهرة موصوفه بالنجابه وقال ثعلب
في معنى ويقال في معنى الرهن الذي هو الوثيقه من الحق ارهنت ارهانا فيما حكى بعضهم وقال
ابو علي يقال ارهنت في المغالاه واما في القرض والبيع فرهنت قال ابو محمد ويقال بلا
خلاف في البيع والقرض رهنت رهنا ثم سمي بهذا المصدر الشي المدفوع ونقل الى

التسميه

التسميه ولذلك كسر في الجمع كما تكسر الاسما وكما تكسر المصادر التي يسمى بها وصار فعله
ينصبه نصب المفعول به لا نصب المصدر يقول رهنت رهنا فذلك كما تقول
رهنت ثوبا الا كما تقول رهنت الثوب رهنا وضربت ضربا قال ابو علي وقد يقال
في هذا المعنى ارهنت وفعلت فيه اكثر منه قول الشاعر يراهنني ويرهنني
بنيه وارهنه بني بما اقول ❊ وقال الاعشى حتى يفيدك من بنيه رهينة
نعش ويرهنك السماك الفرقدا ❊ فهذه رويت من رهن وارهن فمنه قول
همام بن مره ولما خشيت اظافيرهم نجوت وارهنتهم مالكا ❊ قال
الزجاج يقال في الرهن رهنت وارهنت وقال ابن الاعرابي ويقال ارهنت بالسلعه
بكذي ولا يقال فيه ارهنت فمن قراها فرهان فهو جمع رهن ككبش وكباش وكعب وكعاب
ونعل ونعال ومن قراها فرهن بضم الهاء والراء فهو جمع رهن كسقف وسقف واسد
واسد اذ فعل وفعل يتقاربان في احكامهما ومن قرا فرهن بسكون الهاء فهو تخفيف
رهن وهي لغة في هذا الباب كله كتب وكتب وعضد وعضد وغير ذلك قال ابو علي وتكسر
رهن على اقل العدد لم اعلمه جاء لو جاء كان قياسه افعل ككلب واكلب وكانهم استغنوا
بالكثير عن القليل كما استغنى ببنا الكثير عن القليل في قولهم ثلاثة شسوع وكما استغني
ببنا القليل عن بناء الكثير في رسن وارسان وهو يجمع على رهان من ابنية الجموع وهما فعل
وفعال فيما جاء على فعل قول الاعشى آليت لا اعطيه من ابنائنا رهنا
فيفسدهم كمن قد افسدا ❊ قال الطبري تاول قوم ان رهنا بضم الراء والهاء
جمع رهان فهو جمع جمع وحكاه الزجاج عن الفراء ووجه ابو علي ما يقتضي ان
يكون رهان جمع رهن بان يقال يجمع فعل على فعال كما جمعوا افعالا على فعال في
قول ذي الرمه وقربن بالزرق الحمايل بعدما يقوب عن غربان اوراكها الخطر
ثم ضعف ابو علي هذا القياس وقال ابن سيبويه لا يرى جمع الجمع مطردا فينبغي
ان لا يقدم عليه حتى يرد سماعا وقوله عز وجل مقبوضه يقتضي بينونة المرتهن بالرهن
واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا في

قبض عدل ووضع الرهن على يديه فقال مالك واصحابه وجمهور العلما قبض العدل قبض
وقال الحكم بن عتيبة وابو الخطاب قتادة بن دعامة وغيرهما ليس قبض العدل بقبض
وقول الجمهور اصح من جهة المعنى في الرهن **وقوله تعالى** فان امن الاية شرط ربط
به وصيه الذي عليه الحق ما الا فا **وقوله** فليؤد امر بمعنى الوجوب بقرينة الاجماع
على وجوب اداء الديون وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرما عليه وبقرينة الاحاديث
الصحاح في تحريم مال الغير **وقوله** امانته مصدر سمي به الشي الذي في الذمة
واضافها الى الذي عليه الدين من حيث لها اليه نسبة ويحتمل ان يريد بالامانة نفس
المصدر كانه قال فليحفظ مروته بحل التقدير فليود ذا امانته وقرا عاصم فيما
روى عنه ابو بكر الذي اؤتمن برفع الالف ويشير بالضم الى الهمزة وقال [illegible] وهذه
الترجمة غلط وقرا الباقون بالذال مكسورة وبعدها همزة ساكنة بغير اشمام وهذا
هو الصواب الذي لا يجوز غيره وروى سليم عن حمزة اشمام الهمزة الضم وهذا خطا
ايضا لا يجوز وصوبها ابو علي هذا القول كله الذي لاحمد بن موسى واحتج له وقرا
ابن محيصن الذي ايتمن بياء ساكنة مكان الهمزة وكذلك ما كان مثله **وقوله تعالى**
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها نهي على الوجوب بعدة قرائن منها الوعيد
وموضع النهي هو حيث يخاف الشاهد ضياع حق وقال ابن عباس على الشاهد ان
يشهد حيث ما استشهد ويخبر حيث ما استخبر قال ولا تقل اخبر بها عند
الامير بل اخبره بها لعله يرجع ويرعوي **قال ابو محمد** وهذا عندي بحسب
قرينة حال الشاهد والمشهود فيه والنازلة لا سيما مع فساد الزمن وارذال
الناس ونفاق الحيلة واغراض الدنيا عند الحكام فرب شهادة ان صرح بها في غير موضع
النفوذ كانت سببا لتحريم باطل يطمس به الحق واثم معناه قد تعلق به الحكم
اللاحق عن المعصية في كتم الشهادة واعرابه انه خبر ان وقلبه فاعل باثم ويجوز ان
يكون ابتدا وقلبه فاعل يسد مسد الخبر والجملة خبر ان ويجوز ان يكون قلبه بدلا على
بدل البعض من الكل وخص الله تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو

المضغة

المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كما قال عليه السلام وقرا ابن ابي عبلة فانه
اثم قلبه بنصب الباء قال مكي هو على التفسير ثم ضعفه من اجل انه معرفة وفي قوله
تعالى والله بما تعملون عليم توعد وان كان لفظها يعم الوعيد والوعد **وقوله عز وجل**
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا والله على كل شي قدير المعنى جميع ما في
السموات والارض ملك لله وطاعة لانه الموجد المخترع لا رب غيره ولا معبود
بما وان كان ثم من يعقل لان الغالب انما هو جماد وسبيل من يعقل من حيث قلت
اجناسه اذ هي ثلاثة ملائكة وانس وجن واجناس الغير كثيرة **وقوله تعالى** وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله معناه ان الامر سوا لا ينفع فيه الموارة
والكتم بل يعلمه ويحاسب عليه **وقوله** في انفسكم يقتضي قوة اللفظ انه ما تقرر
في النفس واعتقد واستصحب الفكرة فيه واما الخواطر التي لا يمكن دفعها
فليس في النفس الا على تجوز واختلف الناس في معنى هذه الاية فقال ابن عباس وعكرمة
والشعبي هي في معنى الشهادة التي نهي عن كتمها ثم اعلم في هذه الاية ان الكاتم
لها المخفي في نفسه محاسب وقال ابن عباس ايضا وابو هريرة والشعبي وجماعة
من الصحابة والتابعين ان هذه الاية لما نزلت شق ذلك على اصحاب محمد
عليه السلام وقالوا هلكنا يا رسول الله ان حوسبنا بخواطر نفوسنا وشق ذلك
على النبي عليه السلام لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها فكشف عنهم الكربة ونسخ هذه بتلك هذا معنى الحديث
المروي لابن عباس وغيره من جهات وقد اختلفت عباراته واستثبتت عبارة هؤلا القائلين
بلفظ النسخ في هذه النازلة وقال سعيد بن مرجانة جئت عبد الله بن عمر فتلى
هذه الاية ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ثم قال والله لئن
اخذنا بهذه الاية لنهلكن ثم بكى حتى سالت دموعه وسمع نشيجه قال

بن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فأخبرته بما قال ابن عمر وبما فعل فقال يرحم
الله أبا عبد الرحمن لقد وجد المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد عبد الله
بن عمر فأنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها الآية فنسخت الوسوسة
وثبت القول والفعل وقال آخرون هذه الآية محكمة غير منسوخة والله
محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم وأضمروه
ونووه وأرادوه فيغفر للمؤمنين ويأخذ به أهل الكفر والنفاق ثم أدخل عن
ابن عباس ما يشبه هذا المعنى وقال مجاهد هذه الآية فيما يطرأ على النفوس من
الشك واليقين وقال الحسن الآية محكمة ليست منسوخة قال الطبري وقال
آخرون نحو هذا المعنى الذي ذكر عن ابن عباس إلا أنهم قالوا إن العذاب الذي
يكون جزاء للخطرات في النفس وصحبة الفكر هو بمصائب الدنيا وآلامها وسائر
مكارهها ثم أسند عن عائشة رضي الله عنها نحو هذا المعنى ورجح الطبري
أن الآية محكمة غير منسوخة **قال أبو محمد** وهذا هو الصواب وذلك
أن قوله وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه معناه مما هو في وسعكم وتحت كسبكم
وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه
الخواطر أشفق الصحابة والنبي عليه السلام فبين الله تعالى لهم ما أراد بالآية
الأولى وخصصها ونص على حكمه أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها والخواطر
ليست هي ولا دفعها في الوسع بل هي أمر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب
وكان في هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها ومما
يدفع أمر النسخ أن الآية خبر والخبر لا يدخله النسخ فإن ذهب ذاهب إلى تقرير
النسخ فإنما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الآية وذلك
أن قول النبي عليه السلام لهم قولوا سمعنا وأطعنا يجيء منه الأمر بأن يبنوا
على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله في الغفران فإذا قرر هذا الحكم فصحيح
وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذ قوله إن يكن منكم عشرون صابرون

يغلبوا

يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا
بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك وأجمع الناس فيما علمت على أن هذه الآية في
الجهاد منسوخة بصبر المائة للمائتين وهذه الآية في البقرة أشبه شيء بها وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي فيغفر ويعذب جزما وقرأ ابن عامر
وعاصم فيغفر ويعذب رفعا ووجه الجزم أنه أتبعه ما قبله ولم يقطعه
وهذا الحسن التشاكل في كلامهم ووجه الرفع أنه قطعه من الأول
وقطعه على أحد وجهين إما أن يجعل الفعل خبر المبتدأ محذوف فيرتفع الفعل
لوقوعه موقع خبر المبتدأ وإما أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما
تقدمها وقرأ ابن عباس والأعرج وأبو حيوة فيغفر ويعذب بالنصب على
إضمار أن وهو معطوف على المعنى كما في قوله فيضاعفه وقرأ الجعفي وخلاد
وطلحة بن مصرف يغفر بغير فاء وروي أنها كذلك في مصحف ابن مسعود
قال ابن جني هي على البدل من يحاسبكم فهي تفسير المحاسبة **وهو كقول الشاعر**
رويدا بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان ؞
تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى إذا ما غدت في المأزق المتداني ؞
فهذا على البدل وكرر الشاعر الفعل لأن الفائدة فيما يليه من القول **وقوله**
تعالى يعذب من يشاء يعني من العصاة الذين ينفذ عليهم الوعيد وقال النقاش
يغفر لمن يشاء أي لمن ينزع عنه ويعذب من يشاء أي أقام عليه وقال سفيان
الثوري يغفر لمن يشاء العظيم ويعذب من يشاء على الصغير
وتعلق بهذه الآية قوم ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا إن الله قد كلفهم
أمر الخواطر وذلك لا يطاق وهذا غير بين وإنما كان أمر الخواطر
تأويلا تأوله أصحاب النبي عليه السلام ولم يثبت تكليفا إلا على الوجه
الذي ذكرنا من تقرير النبي عليه السلام إياهم على ذلك ومسألة تكليف ما لا
يطاق نتكلم عليها بعد إن شاء الله ولما ذكر المغفرة والتعذيب بحسب

مشيته تعالى عقيب ذلك بذكر القدرة على جميع الاشياء اذ ما ذكر جزء منها
قوله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير سبب هذه الآية انه لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم الآية
واشفق منها النبي عليه السلام واصحابه ثم تقرر الامر على ان قالوا سمعنا
واطعنا فرجعوا الى التضرع والاستكانة مدحهم الله واثنى عليهم في هذه الآية
وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم وكشفه لذلك الكرب الذي اوجبه تاولهم
فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه ثمرة
الطاعة والانقطاع الى الله كما جرى لبني اسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم
المشقات من الذلة والمسكنة والجلاء اذ قالوا سمعنا وعصينا وهذه ثمرة
العصيان والتمرد على الله اعاذنا الله من نقمه وآمن معناه صدق والرسول
محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من ربه هو القرآن وسائر ما اوحي اليه
من جملة ذلك هذه الآية التي تاولوها شديدة الحكم ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه قال وحق له ان يؤمن وقرأ ابن مسعود
وآمن المؤمنون وكل لفظة يصلح للاحاطة وقد يستعمل غير محيطة على جهة التشبيه
بالاحاطة والقرينة تبين ذلك في كل كلام ولما وردت هنا بعد قوله
والمؤمنون دل ذلك على احاطتها بمن ذكر والايمان بالله هو التصديق به
وبصفاته ورفض الاصنام وكل معبود سواه والايمان بالملائكة هو اعتقادهم
عباد الله ورفض معتقدات الجاهلية فيهم والايمان بكتبه هو التصديق بكل
ما انزل على الانبياء الذين تضمن ذكرهم كتاب الله المنزل على محمد عليه السلام
او ما اخبر هو به وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر وكتبه
على الجمع وقرأوا في التحريم وكتابه على التوحيد وقرأ ابو عمرو هنا وفي التحريم وكتبه
على الجمع وقرأ حمزة والكسائي وكتابه على التوحيد فيهما وروى حفص عن عاصم هنا

وفي

وفي التحريم وكتبه مثل ابي عمرو وروى خارجة عن نافع مثل ذلك وكل قراءة من
هذه فالجمهور من العلماء فمن جمع اراد جمع كتاب ومن افرد اراد المصدر الذي
يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله تعالى هذا قول بعضهم ووجهه ابو علي
ونحو ما قالوا نسج اليمن وقال ابو علي في صدر كلامه اما الافراد فقول من قرأ
وكتابه فليس كما تفرد المصادر وان اريد بها الكثير كقوله تعالى وادعوا ثبورا
كثيرا ونحو ذلك ولكن كما تفرد الاسماء التي يراد بها الكثرة كقولهم كثر الدينار والدرهم
ونحو ذلك فان قلت هذه الاشياء التي يراد بها الكثرة اسماء مفردة وهذه
مضافة قيل قد جاء في المضاف ما يعني الكثرة وفي التنزيل وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثير كما يراد
بما فيه لام التعريف **ومنه قول ابن الرقاع** يدع الحي بالعشي رغاها وهم عن
رغيفهم اغنياء ومجيء اسماء الاجناس معرفة بالالف واللام اكثر من مجيئها
مضافة وقرأت الجماعة ورسله بضم السين وكذلك رسلنا ورسلكم وروي
عنه في رسلك التثقيل والتخفيف قال ابو علي من قرأ على رسلك بالتثقيل
فذلك اصل الكلمة ومن خفف فكما خفف في الآحاد في مثل عنق وطنب فاذا خفف
في الآحاد فذلك احرى في الجمع الذي هو اثقل وقرأ يحيى بن يعمر وكتبه ورسله
بسكون التاء والسين وكتابه ولقائه ورسله وقرأ جمهور الناس لا نفرق
بالنون والمعنى يقولون لا نفرق وقرأ سعيد بن جبير ويحيى بن يعمر وابو زرعة بن
عمرو بن جرير ويعقوب لا يفرق بالياء وهذا على لفظ كل قال هارون وهي
في حرف ابن مسعود لا يفرقون ومعنى هذه الآية ان المؤمنين ليسوا كاليهود
والنصارى في انهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وقالوا سمعنا واطعنا مدح
يقتضي الحض على هذه المقالة وان يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر والطاعة
قبول الاوامر وغفرانك مصدر كالكفران والخسران ونصبه على جهة نصب
المصادر والعامل فيه فعل مقدر قال الزجاج تقديره اغفر غفرانك

وقال غيره يطلب او يسل غفرانك واليك المصير اقرار بالبعث والوقوف بين يدي
الله وروي عن النبي عليه السلام لما انزلت عليه هذه الاية قال له جبريل يا محمد
ان الله قد اجمل الثنا عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال الى اخر السورة قوله عز
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا
تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها خبر
جزم نص على انه لا يكلف العباد من وقت نزول الاية عبادة من اعمال القلب
والجوارح الا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا انكشف
الكربة عن المسلمين في تاولهم امر الخواطر وتاول من يذكر جواز تكليف ما
لا يطاق هذه الاية بمعنى انه لا يكلف ولا كلف وليس ذلك بنص في الاية ولا
ايضا يدفعه اللفظ ولذلك ساغ الخلاف وهذا المعنى الذي ذكرناه في هذه الاية
يجري مع معنى قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل
عليكم في الدين من حرج وقوله اتقوا الله ما استطعتم واختلف الناس في جواز
تكليف ما لا يطاق في الاحكام التي هي في الدنيا بعد اتفاقهم على انه ليس واقعا
الان في الشرع وان هذه الاية اذنت بعدمه فقال ابو الحسن الاشعري
وجماعة من المتكلمين تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم ذلك شيا من
عقايد الشرع ويكون ذلك امارة على تعذيب المكلف وقطعا به قال ابو محمد
وينظر الى هذا تكليف المصورين ان يعقدوا شعيرة حسب الحديث واختلف القايلون
بجوازه هل وقع في رسالة النبي عليه السلام ام لا فقالت فرقة وقع في نازلة
ابي لهب لانه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك مؤذن بانه لا يومن
وتكليف الشرع له الايمان راتب فكانه كلفه ان يومن وان يكون في ايمانه انه لا
يومن لانه اذا امن فلا محالة انه يومن بسورة تبت يدا ابي لهب وقالت فرقة

لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا انما معناه ان وافى قال الشيخ وما لا
يطاق ينقسم اقساما فمنه المحال عقلا كالجمع بين الضدين ومنه المحال عادة
كرفع الانسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك كالاحتراق بالنار
ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا انما يقال فيه ما لا يطاق
على تجوز كثير ويكلف يتعدى الى مفعولين احدهما محذوف تقديره عبادة
او شيا وقرا ابن ابي عبلة الا وسعها بفتح الواو وكسر السين وهذا فيه تجوز
لانه مقلوب وكان وجه اللفظ الا وسعته كما قال وسع كرسيه السموات
وكما قال وسع كل شي علما ولكن يجي هذا من باب ادخلت القلنسوة في راسي
وهي في الحجر وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات وعليها ما اكتسبت
يريد من السيات قاله السدي وجماعة من المفسرين لا خلاف في ذلك والخواطر
ونحوها ليس من كسب الانسان وجاءت العبارة فيها من حيث هي مما يفرح كسبه
ويسر المرء بها فتضاف الى ملكه وجاءت السيات بعلتها من حيث هي
اوزار واثقال ومتحملات صعبة وهذا كما تقول لي مال وعلي دين وكما قال المتصدق
باللقطة اللهم عن فلان فان ابى فلي وعلي وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف
حسنا لنمط الكلام كما قال فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذا وجه والذي
يظهر لي في هذا ان الحسنات هي مما يكتسب دون تكلف اذ كاسبها على
جادة امر الله ورسم شرعه والسيات تكتسب ببناء المبالغة اذ
كاسبها يتكلف في امرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه اليها فيحسن
في الاية مجي التصريفين احرازا لهذا المعنى وقال المهدوي وغيره وقيل
معنى الاية لا يواخذ احد بذنب احد قال ابو محمد وهذا صحيح في نفسه
لكن من غير هذه الاية وقوله تعالى ربنا لا تواخذنا معناه قولوا في دعائكم
واختلف الناس في معنى قوله ان نسينا او اخطانا فذهب الطبري وغيره الى انه
النسيان بمعنى الترك اي ان تركنا شيا من طاعتك وان الخطا المقصود

وقال غيره يطلب أو يسأل غفرانك وإليك المصير إقرار بالبعث والوقوف بين يدي
الله وروي عن النبي عليه السلام لما أنزلت عليه هذه الآية قال له جبريل يا محمد
إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل إلى آخر السورة قوله عز
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا
تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها خبر
جزم نص على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب
والجوارح إلا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته وبهذا انكشف
الكربة عن المسلمين في تأولهم أمر الخواطر وتأول من ينكر جواز تكليف ما
لا يطاق هذه الآية بمعنى أنه لا يكلف ولا كلف وليس ذلك بنص في الآية ولا
أيضا يدفعه اللفظ ولذلك ساغ الخلاف وهذا المعنى الذي ذكرناه في هذه الآية
يجري مع معنى قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل
عليكم في الدين من حرج وقوله اتقوا الله ما استطعتم واختلف الناس في جواز
تكليف ما لا يطاق في الأحكام التي هي في الدنيا بعد اتفاقهم على أنه ليس واقعا
الآن في الشرع وأن هذه الآية أذنت بعدمه فقال أبو الحسن الأشعري
وجماعة من المتكلمين تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم ذلك شيئا من
عقائد الشرع ويكون ذلك أمارة على تعذيب المكلف وقطعا به قال أبو محمد
وينظر إلى هذا تكليف المصور أن يعقد شعيرة حسب الحديث واختلف القائلون
بجوازه هل وقع في رسالة النبي عليه السلام أم لا فقالت فرقة وقع في نازلة
أبي لهب لأنه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك مؤذن بأنه لا يؤمن
وتكليف الشرع له الإيمان راتب فكأنه كلف أن يؤمن وأن يكون في إيمانه أنه لا
يؤمن لأنه إذا آمن فلا محالة أنه يؤمن بسورة تبت يدا أبي لهب وقالت فرقة

لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا إنما معناه إن وافى قال أبو محمد وما لا
يطاق ينقسم أقساما فمنه المحال عقلا كالجمع بين الضدين ومنه المحال عادة
كرفع الإنسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك كالاحتراق بالنار
ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا إنما يقال فيه ما لا يطاق
على تجوز كثير ويكلف يتعدى إلى مفعولين أحدهما محذوف تقديره عبادة
أو شيئا وقرأ ابن أبي عبلة إلا وسعها بفتح الواو وكسر السين وهذا فيه تجوز
لأنه مقلوب وكان وجه اللفظ إلا وسعته كما قال وسع كرسيه السموات
وكما قال وسع كل شيء علما ولكن يجيء هذا من باب أدخلت القلنسوة في رأسي
وفي الحجر وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات وعليها ما اكتسبت
يريد من السيئات قاله السدي وجماعة من المفسرين لا خلاف في ذلك والخواطر
ونحوها ليس من كسب الإنسان وجاءت العبارة بلها من حيث هي مما يفرح كسبه
ويسر المرء بها فتضاف إلى ملكه وجاءت السيئات بعليها من حيث هي
أوزار وأثقال ومتحملات صعبة وهذا كما تقول لي مال وعلي دين وكما قال المتصدق
باللقطة اللهم عن فلان فإن أبى فلي وعلي وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف
حسنا لنمط الكلام كما قال فمهل الكافرين أمهلهم رويدا هذا وجه والذي
يظهر لي في هذا أن الحسنات هي مما يكسب دون تكلف إذ كاسبها على
جادة أمر الله ورسم شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ
كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها فيحسن
في الآية مجيء التصريفين احترازا لهذا المعنى وقال المهدوي وغيره وقيل
معنى الآية لا يؤاخذ أحد بذنب أحد قال أبو محمد وهذا صحيح في نفسه
لكن من غير هذه الآية وقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا معناه قولوا في دعائكم
واختلف الناس في معنى قوله إن نسينا أو أخطأنا فذهب الطبري وغيره إلى أنه
النسيان بمعنى الترك أي إن تركنا شيئا من طاعتك وأنه الخطأ المقصود

قالوا واما النسيان الذي يغلب المرء والخطأ الذي هو عن اجتهاد فهو موضوع
عن المرء فليس مامورا بالدعاء في ان لا يواخذ به وذهب كثير من العلماء الى ان الدعاء
في هذه الاية انما هو في النسيان الغالب والخطا غير المقصود وهذا هو الصحيح
عندي قال قتادة في تفسير الاية بلغني ان النبي عليه السلام قال ان الله تجاوز
لامتي عن نسيانها وخطائها وقال السدي لما نزلت هذه الاية فقالوها
قال جبريل للنبي عليه السلام قد فعل الله ذلك يا محمد قال ابو محمد وظاهر
قولهما ما صححه وذلك ان المومنين لما كشف عنهم ما خافوا في قوله تعالى يحاسبكم
به الله امروا بالدعاء في دفع ذلك النوع الذي ليس من طاقة الانسان دفعه وذلك
في النسيان والخطا والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم انواعه وهذه الاية
على هذا القول تقضي بجواز تكليف ما لا يطاق وان كان امر المومنون بالدعاء في الا
يقع هذا الجائز الصعب ومذهب الطبري والزجاج ان تكليف ما لا يطاق
غير جائز فالنسيان عندهم المتروك من الطاعات والخطا هو المقصود
من العصيان والاصر هي العبادات الثقيلة مثلما كلف بنو اسرائيل من قتل
انفسهم وقرض ابدانهم ومعاقبتهم على معاصيهم في ابدانهم حيث ما كان
كتب على ابوابهم وتحميلهم العهود الصعبة وما لا طاقة لنا به هو عندهم
على تجوز كما تقول لا طاقة لي على خصومة فلان ولما تعد ذلك من الامر تستصعبه
وان كنت في الحقيقة تطيقه او يكون ذلك ما لا طاقة لنا به من حيث هو مهلك
كعذاب وغيره واما لفظ الخطا فقد يجي في القصد ومع
الاجتهاد قال قتادة الاصر العهد والميثاق الغليظ وقاله مجاهد وابن
عباس والسدي وابن جريج والربيع وابن زيد وقال عطا الاصر المسخ قردة
وخنازير وقال ابن زيد ايضا الاصر الذنب الذي لا كفارة فيه ولا
توبة منه وقال مالك رحمه الله الاصر الامر الغليظ الصعب قال
ابو محمد والاصر في اللغة الامر الرابط من ذمام او قرابة او عهد ونحوه

هذه

هذه العبارات كلها تنحو نحوه والاصار الحبل الذي يربط به الاحمال
ونحوها والمواصر عصر الرجل يقال اصر ياصر اصرا والاصر بكسر
الهمزة الاسم من ذلك وفي هذا نظر وروي عن عاصم انه قرا اصرا بضم الهمزة
ولا خلاف ان الذين من قبلنا يراد بهم اليهود قال الضحاك والنصارى
واما عبارات المفسرين في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال
قتادة لا تشدد علينا كما شددت على من كان قبلنا وقال الضحاك ولا تحملنا
من الاعمال ما لا نطيق وقال نحوه ابن زيد وقال ابن جريج لا تمسخنا قردة
وخنازير وقال سلام بن سابور الذي لا طاقة لنا به الغلمة وحكاه النقاش
عن مجاهد وعطا وعن مكحول وروي ان ابا الدرداء كان يقول في دعائه واعوذ
بك من غلمة ليس لها عدة وقال السدي هو التغليظ والاغلال التي كانت على
بني اسرائيل من التحريم ثم قال تعالى فيما امر المومنين بقوله واعف عنا اي فيما
واقعناه وانكشف واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا اي تفضل
مبتديا برحمة منك لنا قال ابو محمد فهي مناح من الدعا متباينة وان
كان الغرض بكل واحد منها وهو دخول الجنة وانت مولانا مدح في
ضمنه تقرب اليه وشكر على نعمه ومولى هو من ولي فهو مفعل اي موضع
الولاية ثم ختمت الدعوة بطلب النصر على الكافرين الذي هو ملاك قيام الشرع
وعلو الكلمة ووجود السبيل الى انواع الطاعات وروي ان جبريل عليه
السلام قال لمحمد عليه السلام قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا
فقالها فقال جبريل قد فعل قال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد فعل
الى اخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى احاديث وروي عن معاذ بن جبل انه
كان اذا فرغ من قراءة هذه السورة قال امين قال ابو محمد هذا يظن به انه
رواه عن النبي عليه السلام فان كان ذلك فكمال وان كان بقياس على سورة الحمد
من حيث هنالك دعاء وهنا دعاء فحسن وروى ابو مسعود عقبة بن عمرو عن

النبي عليه السلام انه قال من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه يعني
من قيام الليل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما اظن احدا عقل وادرك
الاسلام ينام حتى يقولها يقراها وروي ان النبي عليه السلام قال اوتيت هولاء
الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن احد قبلي

تم الجزء الاول من التفسير

للشيخ الفقيه الامام العالم الحافظ القاضي ابو محمد عبد الحق ابن الفقيه
الحافظ الامام ابي بكر بن عطية احد شيوخ الجزيرة رضي الله عنهم اجمعين
والحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ساير المرسلين وال كل وساير الصالحين

وكان الفراغ من تعليقه اليوم السابع
من شعبان المكرم سنة تسع عشر وسبعمائة
للهجرة النبوية على صاحبها افضل
الصلاة والسليم يتلوه في الجزء الثاني
سورة ال عمران وكاتبه محمد العربي
عفا الله عنه ولطف به
امين

٢٢٧
در قدر